

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الأدب والنقد

أدب المرأة الفلسطينية الحديث

١٩١٤ - ١٩٧٤

رسالة دكتوراه

إعداد

كمال مصطفى الشيخ أحمد الفحماوى

إشراف

الاستاذ الدكتور احمد الشرباصى

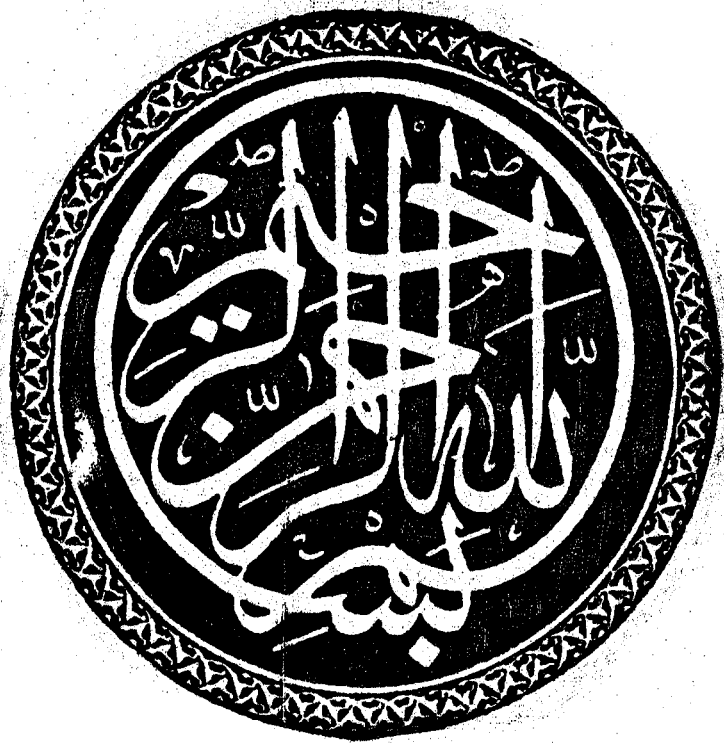
أستاذ الادب والنقد بالكلية

٢٢٧٣

٧٨٧



١٣٩٩ هـ القاهرة ١٩٧٩ م



المفاتيح

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى . وأصلى وأسلم على أنبيائه ورسله وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن دعا بدعوته باحسان الى يوم الدين . وأستفتح بالذى هو خير : " ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير " .

وممد . . . فقد عنى عدد من الباحثين بدراسة الأدب الفلسطيني الحديث ، وتتبموا ظروف نشأته ودوافعه واتجاهاته ، وصدرت مؤلفات عديدة ، وكتبت بحوث جامعية متنوعة تناولت هذا الأدب بقدر وافر من التحرى والاستقصاء . وقد نال النتاج الأدبى ^{للرجل} من هذه الدراسات معظم الحظ ان لم يكن كله ، وكاد الحديث يكون مقصوراً عليه ، لولا اشارات قليلة عرض فيها أصحابها لنماذج محددة من نتاج المرأة الأدبى .

وإذا كان من حتى الأديب العربى الفلسطينى أن ينال الحظ الأوفر من البحث والدراسة ، فقد رأيت من تمام الفائدة أن أوجه دراستى الى الأديبة العربية الفلسطينية ، التى لم تظفر بمثل هذا الحظ ، لأكشف عن الوجه الحقيقى لأدبها ، ان لم يكن لما فيه من قيمة أدبية فنية ، فلما له من قيمة أدبية اجتماعية وتاريخية لا يبد من البحث عنها وبيانها ، حتى تتشكل صورة كاملة للأدب الفلسطينى الحديث .

وليس أمراً تعسفياً أن أتناول أدب المرأة الفلسطينية بمعزل عن أدب الرجل الفلسطينى ، ذلك أن الأدب بطبيعته نشاط وجدانسى ، يختلف فيه الأديب عن الأديب ، فكيف لا تختلف الأديبة عن الأديب وبينهما ما نعلم من فروق فى التكوين والمزاج والنظرة الى الحياة ، تجعل مواقف المرأة فى بعض الأمور مختلفة عن مواقف الرجل .

وليس أمرا تعسفيا أيضا ، أن أتناول أدب المرأة الفلسطينية بمصزل
عن أدب المرأة العربية ، ذلك أن هذا الأسلوب^{الزري} نابع من خصوصية تجربة
معينة تميشها المرأة الفلسطينية ، عكست وما تزال جوانب حزينة من
حياتها خصوصية تحصلت من المكان وليس من الزمان . ففي حين أن الزمن
الثقافي العربي يكاد يكون موحدًا وحدة الهم الثقافي العربي ، نجد المكان
الفلسطيني يكتسب تفردًا وخصوصية في الأدب ، ونجد هاجس الأرض يلاحق
الأدبية الفلسطينية أينما توجهت في سفراتها الابداعية - يصاحبها في
اليقظة والنعاس والحل والترحال ، ومهما تقاربت هذه الأدبية مع غيرها
من الأدبيات العربيات ، أو افتقرت عنهن في الحياة الاجتماعية والحياة
الثقافية ، وفي الشاعر ، وحركة العقل ، والرؤية التخيلية ، فإن هذه الرقصة
الجغرافية الصغيرة من الأرض العربية ما انفكت تؤرق وجدانها وحلمها
ومصيرها وإرادتها .

حين شرعت في تحديد أطر هذه الدراسة ، ورسم معالمها وأبعادها
واجهتني صعوبة تحديد المدة الزمنية التي سأتناولها ، وافترضت بدأ أن
التحديد الزمني المسبق عمل تحكيمي ، لأن الأصل فيه أن ينبع من طبيعة
الدراسة لا أن يكون مفروضًا عليها ، ولكنني وجدت نفسي مسوقًا إلى هذا
التحديد ، فتلست من الأسباب ما يبرر لي البدء من تاريخ معين ، والوقوف
عند آخره ، واستقر رأيي أن أعتد التقسيمات الرئيسية السائدة لدى معظم
دارسي تاريخ القضية الفلسطينية فاعطقت بدراستي من عام ١٩١٤ ، باعتبار
هذا العام نقطة بداية التنفيذ العملي للمخططات الامبريالية الصهيونية
الاستيطانية في فلسطين ، مارًا بثلاث مراحل حضارية ساعد على تشكيلها

حربا ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، وما نجم عنهما من تغييرات جذرية في حياة الشعب العربي الفلسطيني بصورة خاصة والشعوب العربية الأخرى بصورة عامة ، ووقفت بها عند عام ١٩٧٤ ، باعتبار هذا العام بداية عهد جديد أوجدته " حرب رمضان - أكتوبر - ١٩٧٣ " تلك الحرب التي رسمت منعطفًا واضحًا في مسيرة القضية الفلسطينية ، ففكرًا وسياسة وأدبًا .

وفوجئت باتساع مادة الأشكال الأدبية التي أعرض لها اتساعًا كبيرًا ، ووجدت نفسي أحرث في أرض بكر ، وأنا أجمع نتاج الشواجر والقصائد وكاتبات المقالة الفلسطينيات ، الموزع على طول الساحل العربية ، بحكم ما أصاب الموروث الأدبي للشعب العربي الفلسطيني من تشتت ، وبحكم ما عيش الأدبيات الفلسطينيات في أماكن مختلفة من بلدان العالم العربي بعد (نكبة ١٩٤٨) واقتضى الأمر أن أعود إلى جل مؤلفاتهن المطبوعة ، وأن أفتش صفحات الكثير من المجلات والصحف الفلسطينية والعربية ، قد يعثر فيها وحدها . وأن أستعين ببعض الأوراق الخاصة والرسائل والنشرات في محاولة للوقوف على معلومات ونماذج أدبية كافية تمثل إنتاجهن الأدبي عبر المدة الزمنية التي أدرسها ، واستمعت إلى بعض الأدبيات ممن تيسر لي اللقاء بهن ، واتصلت ببعضهن الآخر عن طريق البريد ، وهدت إلى أصدقائه فئة ثالثة ، أو إلى ذوي قرباهن ، ألتصق عندهم ما أعياني المشهور عليه من معلومات .

إن الابتكار في الفن عامة ، والأدب بصورة خاصة لا يقتصر دائما على قضايا جديدة لم يعرض لها الدارسون من قبل ، وإنما الجديد كذلك أن يقف الدارس على ما يبدو في نظر بعضهم مهملًا ، فيحولوه إلى جديد بعد أن يعطيه من جهده أنفاسًا ومن تعبته حيوية ، ولعل في هذه

المقالة ما يبرر تناول نماذج أدبية متنوعة ، بعضها جديد لم ينشر من قبل ، وبعضها كان تفريق مبعثرة في ثنايا الكتب والمجلات والصحف ، بقيت غفلا عن أعين الدارسين ، وبعضها الآخر مطبوع في مؤلفات لم تحظ معظمها بدراسة خاصة على الرغم من وفرتها . ورأيت من تمام الفائدة أن الحق بالدراسة استبانات شخصية لعدد من الأديبات الفلسطينيات كتبها بأنفسهن استجابة لرجاء مني ، وضمنها ترجمات شافية لحيواتهن ، بالإضافة إلى آراء خاصة بهن ، عن أدب المرأة الفلسطينية ومستواه . ولما كانت دراستي لا تتناول نشأة أدب المرأة الفلسطينية الحديث فحسب ، وإنما تحاول أيضا تتبع تطوره ومساره ، فقد حاولت أن أجمع بين المنهج التاريخي والمنهج النقدي الذي يقوم هذا الأدب ، ويضعه في مكانه المناسب من سلم تطور الأدب الفلسطيني بصورة عامة . وأقمت تخطيط دراستي على أسس تتواءم وهذا المنهج ، وجعلتها في تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة . وعرضت في التمهيد إلى محاولات الاستعمار والصهيونية تقطيع أوصال الوطن العربي وإقامة دولة دخيلة على جزء منه ، وتناولت في الباب الأول دراسة عامة عن المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٧٤هـ وجاء ذلك من خلال ثلاثة فصول ، بينت في الفصل الأول منها بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الفلسطيني خلال هذه المدة ، وفي الفصل الثاني تتبعت دور المرأة العربية الفلسطينية في الحياة الاجتماعية والحياة الثقافية ، وأبرزت في الفصل الثالث دورها في الحياة السياسية . وعرضت في الباب الثاني إلى المرأة العربية الفلسطينية والشعر من خلال خمسة فصول .

تناولت في الأول منها (المرحلة الأولى ١٩١٤-١٩٤٨) وفي الفصل الثاني (المرحلة الثانية ١٩٤٨-١٩٦٧) وفي الفصل الثالث (المرحلة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٤) . أما الفصل الرابع فقد حددت فيه الاتجاهات العامة لشعر المرأة العربية الفلسطينية ، وتحدثت في الفصل الخامس عن الاطار الثقافي للشواعر الفلسطينيات .

وعرضت في الباب الثالث الى المرأة العربية الفلسطينية والقصة من خلال ثلاثة فصول ، تناولت في الأول (المرحلة الأولى ١٩١٤-١٩٤٨) وفي الفصل الثاني (المرحلة الثانية ١٩٤٨-١٩٦٧) وفي الفصل الثالث (المرحلة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٤) .

وفي الباب الرابع عرضت الى المرأة العربية الفلسطينية والمقالة من خلال ثلاثة فصول أيضا . تناولت في الأول منها (المرحلة الأولى ١٩١٤-١٩٤٨) وفي الفصل الثاني (المرحلة الثانية ١٩٤٨-١٩٦٧) وفي الفصل الثالث (المرحلة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٤) .

أما الخاتمة فقد ضمنتها موجزا مكثفا لمحتوى الدراسة ، وبينت فيها أبرز السمات التي انطبع بها أدب المرأة العربية الفلسطينية الحديث . وبعد ، فقد حاولت من خلال هذه الأبواب والفصول أن أضح أطرا عامة ومبركات مبدئية لأدب المرأة الفلسطينية ، تصلح أن تكون نواة لدراسات أدبية قادمة ، وأكثر حرصا للأشكال الأدبية وأقل امتدادا في بعدها الزمني فلئن كنت حققت ماطمعت اليه ، فبتوفيق الله سبحانه وتعالى وبفضل استاذي الدكتور أحمد الشرياصي الذي أسبغ علي من كريم خصاله ، وسعة معرفته وعميق فهمه ، ووافر عطائه ، وملاحظات وتوجيهات تجعلني مدينا بفضله دائما ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .
والله أسأل ان يهديني سواء السبيل .

((تمهيد))

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وشهوة الدول الأوروبية في استعمار
الوطن العربي تزداد حدة . فقد أدى ظهور الشركات الكبرى ،
والاحتكارات المالية ، واتساع حركة التجارة الدولية ، وامتلاء المصارف
بالأموال ، الى تنافس الدول الرأسمالية على الأرض العربية ، للفوز
بشواطئها ، وأسواقها التجارية ، وممراتها البرية والبحرية التي تتحكم في
طرق المواصلات العالمية .

وقد عملت هذه الدول على تقطيع أوصال الوطن العربي ، وحرصت
على محاربة عوامل تطوره ، وحافظت على تخلفه وجهله ، وحاربت فكرة
القومية العربية ، وأحيت نزعات من الماضي السحيق ، ورفعت شعارات
قومية وهمية ، كالقومية السورية ، والفينيقية ، والفرعونية ، والبربرية ،
والكردية .

ووسط هذا الواقع ، كانت الفرصة مواتية للذين رسموا الخطوط
الأساسية لاختلاق دولة صهيونية في فلسطين ، فجدوا أنفسهم
لخدمة المخططات الاستعمارية ، ونشطوا في تعبئة الجهود ، واحتبال
الفرض لتأسيس كيان صهيوني استيطاني توسعي في فلسطين ، يكون
مواليا للاستعمار ، ومركزا على مخططاته الاستراتيجية والاقتصادية في
المنطقة العربية .

وفي عام ١٩٠٧ م ، اقترحت الحكومة البريطانية على مؤتمر " خيبر "
الاستعمار " دراسة الوسائل التي يمكن اتباعها للحيلولة دون اضمحلال

الاستعمار الغربي ، وقد جاء في التقرير الذي رفعه المؤتمر إلى وزارة
الخارجية البريطانية :^(١)

« ٠٠٠ ان البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار،
وانه ملتقى طرق العالم ، فلا بد لتجاع أية خطة تستهدف حماية المصالح
الأوروبية المشتركة من السيطرة على هذا البحر وخاصة شواطئه الجنوبية
والشرقية ، لأن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم في العالم ٠٠٠
فعلى طول ساحله الجنوبي من الرباط الى غزة ، وعلى الساحل الشرقى
من غزة حتى مرسين ، وعلى الجسر البرى الضيق الذى يصل آسيا بأفريقيا
وتمر به قناة السويس - شويان حياة أوروبا - وعلى جانبى البحر الأحمر
وعلى طول ساحل الهندى وبحر العرب حتى خليج البصرة ٠٠٠ في هذه
البقعة الشاسعة الحساسة ، يعيش شعب واحد تتوافر له وحدة تاريخ
ودين ولفة وآمال ٠٠٠ وتتوافر له في نزعاته التحررية وفي ثرواته
الطبيعية ، وفي كثرة قبائله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض ، ويبلغ
تعداده الآن (٣٥) مليون نسمة يمكن أن ترتفع في مدى قرن واحد
الى (١٠٠) مليون نسمة ، فكيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة
إذا توحدت فعلا ؟ ٠٠ وإذا اتجهت هذه القوة كلها في اتجاه واحد ٠٠؟
ان هذا يستدعى ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى من هذه المنطقة
عن جزئها الآسيوى ، وذلك باقامة حاجز بشرى قوى غريب على الجسر
البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا ٠٠ بحيث تتشكل في هذه المنطقة

(١) أطلق على هذا التقرير اسم تقرير كامبل باترمان ، نسبة الى رئيس

وزراء بريطانيا آنئذ .

وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعمدوة
لسكان المنطقة (١)

ومما لا شك فيه ، أن الساسة البريطانيين كانوا على ادراك تام ، وعلم
سبق بما ستأتى به تلك الدراسة ، خاصة فيما يتعلق باستراتيجية
المنطقة العربية ، وفلسطين على وجه التحديد . وترجمة لهذا الادراك
الكامل لأهمية فلسطين ، حرصت بريطانيا على ضمها الى امبراطوريتها
الاستعمارية ، كضرورة ملحة ، يحتمها أمن مصالحها في آسيا ، وسلامة
شريانها الرئيس ، قناة السويس . كما حرصت - بنفس الدرجة من
الضرورة - على تسهيل قيام مجتمع غريب على أرض فلسطين ، يكون بمثابة
حاجز بشرى يفصل جناحى الأمة العربية في آسيا وأفريقيا ، ومحموق
رئيس ، في وجه وحدة عربية شاملة تهدد في المستقبل سلامة
امبراطوريتها الاستعمارية .

ومن هنا كانت دبلوماسية بريطانيا المزدوجة أثناء الحرب العالمية
الأولى (١٩١٤-١٩١٨) حين استولت على فلسطين لتجعل منها
مخبراً أمامها وقاعدة عسكرية استراتيجية في قلب المنطقة ، وحين شرعت
في تحقيق مطامح الصهيونيين الاستيطانية لتقيم مانعا في وجه الوحدة
العربية ، ومعوقا لتطور الشعوب العربية اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . وجاء
(وعد بلفور ، ٢ تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩١٧) ، ليكون امتدادا لمعاهدة
(سايكس بيكو ، أيار " مايو " ١٩١٦) ، ومكملا لأهدافها ، ووثيقة دبلوماسية

(١) د . كمال الخالى : النظام السياسى الاسرائيلى (النص العربى)
معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية . القاهرة
١٩٦٩ ص ٢٨ وما بعدها .

أولى ، ترسى نقطة انطلاق الصهيونيين نحو دولتهم المنشودة ، ثم لم يلبث أن شفع هذا الوعد المصبر عن تطابق المصلحتين الاستعمارية والصهيونية ، بـ (صك الانتداب ، ٢٤ تموز " يوليو " ١٩٢٢) الذي أصدرته عصبة الأمم المتحدة ، فكان سندا نظاميا يرتكز اليه الصهيونيون في سعيهم نحو تنفيذ مخططاتهم .

وقامت سياسة حكومة الانتداب على سلسلة من الاجراءات المنافية لروح المسؤولية الدولية ، وهدت الى اختلاق أجواء مناسبة تبرز الكيان الصهيوني ، وتضمن استمراره ، فمن تخطيط منظم لتسرب الهجرة ، الى تمكين اليهود من الاستيلاء على الأرض ، وتسخير القوانين المعينة على ذلك ، ومن عمل دائم على تحويل الأقلية اليهودية الى جهاز عسكري يملك الوسائل التي تمكنه من طرد الشعب الفلسطيني تحت حماية الحراب البريطانية ، الى قطع الصلات بين هذا الشعب والشعب العربي الأخرى .

ومن هنا كانت الحركات التحررية الفلسطينية تسير دوماً في دروب مسدودة ، فتتولد في النفوس مشاعر المرارة والقهر والاحباط . ومن هنا أيضاً تفتحت الأبواب أمام الأفاعى الصهيونية ، فتمكنت عام ١٩٤٨ م من اقامة " دولة اسرائيل " على جزء من الأرض الفلسطينية ، واقتلاع أهله ، وتحطيم طموحهم السياسي والاجتماعي . وراحت هذه الدولة المنصرمة ترسخ ارتباطاتها المفضوية بالقوى الامبريالية وتضاعف اعتمادها سكانياً واقتصادياً وعسكرياً ومالياً وسياسياً ونفسياً عليها . وأصبحت أداة عدوانية مفضدة بين يديها ، تحركها حين تشاء ، وكيفما تشاء ، للوقيمة بسين

العرب ، وتمميق . التصدع والتخلف والانخزال بين صفوفهم ، واخماد
أمة جذوة ثورية تبرز في المنطقة .

ومكنت (حرب حزيران "يونيو" ١٩٦٧) الصهيونيين من احتلال ما تبقى
من أرض فلسطين بجانب أجزاء أخرى من الأرض العربية ، وحملت
هذه الحرب الخاطفة دلائل علمية تؤكد أن الوجود الصهيوني قائم أصلاً
على العدوان المستمر الذي لن يتوقف عند حد ، وأن "دولة اسرائيل"
تختلف عن أية دولة أخرى في العالم لأنها بحاجة مستمرة الى تأمين
أرض جديدة وموارد جديدة ، ومجالات حيوية جديدة ، تشكل تناقضات^(١)
أساسية مع أهداف الشعب العربي الفلسطيني ، والشعب العربية
الأخرى ، في ممارسة سيادتها على أراضيها وبناء مجتمعات متحررة متطورة .
ولم يكن لـ " هزيمة حزيران " برغم فداحتها وقع كوقع " النكبة " ولم
تذهل الشعب العربي الفلسطيني والشعب العربية الأخرى عن نفسها ،
أذ لم تفض شهور ثلاثة على هذه الهزيمة حتى أعلنت المقاومة
الفلسطينية ، تصعيد عملياتها العسكرية في الأرض المحتلة ، بمسند^(٢)
أن تبيقت من ضرورة توليها زمام الكفاح المسلح ، وجاءت ممارساتها
اليومية فيما بعد محززة لهذا الانطلاق الثوري ، ولقيت من الجماهير العربية

(١) يقول "عوشي ديان" في تصريح له أذيع من الراديو بتاريخ ١٢ ايار
"مايو" ١٩٥٢ : " على الشعب أن يتهمياً للحرب ، وعلى الجيش
أن يقوم بالقتال ، وهدفه الأسمى بناء الامبراطورية الصهيونية . . ."
ويقول "ابن غوريون" أحد مؤسسي دولة اسرائيل :
" . . . ان اسرائيل ليست هدفاً في حد ذاته ، بل وسيلة الى هدف
هو الصهيونية . . . " ينظر :

- أسعد زوق : اسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني

مفظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٦٨ ص ٥٣٩ .

(٢) قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" بأولى عملياتها العسكرية
داخل الأرض المحتلة في أوائل كانون الثاني "يناير" ١٩٦٥ .

تأييدا وعطفا شديدين ، وانضم الى صفوفها مئات من شباب العرب من
مقاتلين ومفكرين وسياسيين .

وعلى الرغم من التحديات العنيفة التي واجهت الثورة الفلسطينية
ومازالت ، الا أنها استطاعت تهيئة مناخ ثوري في المنطقة ، ونالت
اعترافا عربيا وعالميا على اعتبار أنها جزء من حركة الثورة العربية ومن
حركة التحرر العالمي .

وجاءت (حرب رمضان ١٩٧٣) لتؤكد أن قضية فلسطين هي مثال
عالمى معاصر لقضية الحق الذى أخذت تدعمه القوى العالمية الواعية ،
وأن ازدياد علاقات حركة التحرير العربية مع حركات التحرير فى العالم
يكسب البعد الدولى للقضية الفلسطينية امتدادا يجعل منها ساحة
صدام رئيسية بين قوى الامبريالية والعدوان وبين قوى التحرير والتقدم
فى العالم . كما جاءت نتائج هذه الحرب سواء على الصعيد العربى ،
أو على صعيد التضامن العربى ، أو على صعيد التأييد العالمى أو حتى
على صعيد الوضع الداخلى المضطرب فى اسرائيل ، جاءت لتشير الى بدء
التصميم العربى على وقف المدوان الامبريالى الصهيونى عند حدود معينة
تسهيذا لتصفية الكيان الدخيل وتحرير الأرض وتمكين الشعب العربى
الفلسطينى من ممارسة سيادته القومية فوق أرضه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((الباب الأول))

المجتمع الفلسطيني منذ

١٩١٤ - ١٩٧٤

(الفصل الأول)

دراسة اجتماعية وثقافية وسياسية

موجزة

يلاحظ المتتبع لحركة النضال الفلسطيني منذ عام ١٩١٤، خاصة
لم تكن تشبه الخصائص الأخرى لنضال الشعوب العربية المحيطة
بفلسطين . ومرد ذلك أن الحركة الصهيونية عكست تحدّيها على جميع
طبقات الشعب الفلسطيني بما في ذلك طبقة الاقطاع المثلثة للقيادات
الفلسطينية حينذاك ، مما دفع الشعب كله ، حتى القيادات الاقطاعية
فيه الى ممارسة أو قبول ممارسة أرق أشكال النضال السياسي ، والى اصرار
هذه القيادات - ولو من جهة الشكل - على رفع الشعارات الوطنية .
وفي أثناء ذلك كانت البلاد العربية المحيطة بفلسطين تفضل بدوريسن
متعاكسين ازاء ما يجري من صراع في فلسطين ، ففي حين كانت الجماهير
العربية تتعش النفس الثوري للشعب الفلسطيني ، وتبني مع حركاته
علائق متبادلة التأثير ، كانت الأنظمة الحاكمة المهيمنة في هذه البلاد
تبدل كل ما في وسعها لكبح جماح هذه الحركات واجهاضها ، ذلك
أن طبيعة التناقضات التي كانت تعيشها الساحة الفلسطينية ، من شأنها
أن تطور أشكال النضال التي كانت تعتمل في الساج العربية الأخرى ،
وترتقى بها الى درجات ثورية لم يكن بمقدور الفئات الحاكمة فيها
أن تفض الطرف عنها ، فانسأقت نحو الوقوف بجانب الاستعمار البريطاني
ضد شركائها في الطبقة والمصالح ممن كانوا يقودون الحركة الوطنية
الفلسطينية .

وفي الوقت نفسه ، عمل الصهيونيون على تسخير مرافق الدولة لمخططاتهم
ولجأت حكومة الانتداب الى شحن جهازها بالموظفين الموالين للصهيونية

(١) وفتحت باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه . ولم تكن هذه الهجرة والاشكالات النبتة عنها مسألة قومية فحسب ، بل كان لها انعكاسات اقتصادية مباشرة وحادة ، ذات تأثير في الشعب العربي الفلسطيني بجميع طبقاته ، ذلك أنها فجرت هزات اقتصادية عنيفة ، بسبب اقدام الصهيونيين على تطعيم تلك الهجرات برأساليين يهود ، حرصا على تأمين تركز رأسمالي صهيوني في البلاد ، فأدى ذلك الى تحويل الاقتصاد الفلسطيني من اقتصاد زراعي الى اقتصاد صناعي ، وإلى اختلاق قطاع عاملي عربي في فلسطين عاقل من العمل ، كما أدى تدفق الأموال الصهيونية بخزارة على فلسطين ، مضافا إليها أموال الجهاز الاداري البريطاني المسخر لخدمة المخططات الصهيونية التي مزاوله تأثير تخريبي على الشعب العربي الفلسطيني ، ذلك أن ملكية

- (١) كانت نسبة اليهود في فلسطين حين وضع الانتداب البريطاني موضع التنفيذ لا تتجاوز ١٢% من السكان إذ بلغ عددهم حينذاك (٨٣٧٩٤) نسمة ، بينما بلغ العدد الاجمالي لسكان فلسطين (٧٥٧١٨٢) نسمة وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بين عامي ١٩٣٣-١٩٣٥ م (١٥٠٠٠٠) يهودي وأصبح عدد اليهود الاجمالي (٤٤٣٠٠٠) نسمة يمثلون ٢٩,٦% من عدد السكان . وفي عام ١٩٤٤ م بلغ عدد اليهود (٥٥٤٠٠٠) نسمة يمثلون ٣١% من عدد السكان أصبحوا (٧١٦٠٠٠) نسمة في تشرين الثاني " نوفمبر " عام ١٩٤٨ م . ويلاحظ هنا أنه بينما كان المعدل السنوي لعدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بين ١٩٢٦-١٩٣٢ يبلغ حوالي (٧٦٠٠) يهوديا في العام الواحد أصبح هذا المعدل بين ١٩٣٣-١٩٣٦ حوالي (٤٢٩٨٥) يهوديا في العام الواحد . ينظر :
- سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، الجامعة الامريكية بيروت ١٩٣٩ ص ٣٢ ، كذلك :
- سامي هداوي : ملف القضية الفلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٦٨ ص ٣١ وما بعدها .



(١) الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الأراضي العربية ، ولما كانت أدى الى انفجار الفلاحين بصورة لم يسمع بها من قبل ، ولما كانت الحياة الزراعية في العوالم المتخلفة عموماً ، وفي العالم العربي بصورة خاصة لا تعنى نمطا من الانتاج فحسب ، بل أسلوب حياة اجتماعية ودينية راسخة ، فقد أدت عملية الافقار المنظمة هذه ، التي واجهها الفلاح الفلسطيني الى صدام اتخذ شكل صراع قوي عنيف .

وسط هذا الجو المحموم ، والتناقضات المتزايدة العمق التي كانت تصب على رأس الفلاحين والعمال العرب الفلسطينيين بالدرجة الأولى ، وتجمت بثقل كبير على صدر البرجوازية ، كان المأزق يتصاعد باطراد ، معبرا عن نفسه بانفجارات مسلحة بين الفينة والأخرى ، كما بات الاقطاع الفلسطيني يشعر بأن مصالحه هو الآخر مهددة من قبل قوة اقتصادية صاعدة الا وهي الرأسمالية الصهيونية المتحالفة مع الانتداب البريطاني ، هذا عدا كونه مهددا من قبل الجماهير الفقيرة التي لم تعد تعترف أين يتعين عليها أن تتجه .

أما البرجوازية الفلسطينية فقد كانت ضعيفة ، غير قادرة على قيادة مرحلة التحول الاقتصادي ، وقسم صغير منها تحول الى طحلب متسلق على هامش النمو الصناعي اليهودي . أما المثقون الشباب الذين تحدروا من عائلات مدنية أو ريفية غنية ذات نفوذ ديني أو اقطاعي أو وجاهي ، فقد

(١) كان اليهود عام ١٩١٨ (يملكون ٥٣٠٠٠٠٠) دونما أي مايساوي ٢% من مجموع أراض فلسطين البالغ مساحتها (٢٦٣٢٣٠٢٣) دونما ، وأصبح مايملكونه عام ١٩٤٥ (١٤٩١٧١٦) دونما أي مايساوي ٥٦% من مجموع أرض فلسطين . معنظر : د . يوسف هيكل : فلسطين قبل وبعد ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١٧ .

اضطلعوا بدور بارز في التحريض الثوري ، دون أن يصدروا في ذلك عن
عقول تنظيمية أو انتماءات عقائدية ، وإنما عن مواهب فردية واجتهادات
شخصية ، فقد عاد هؤلاء المثقون من جامعاتهم ، ليرفضوا صيغ
العلاقات الاجتماعية القديمة التي أصبحت تناهض مفاهيمهم الجديدة ،
ولبتمردوا على الواقع المستحدث الذي أخذ ييلور نفسه وسط التحالف
الصهيوني البريطاني .

وهكذا امتزجت المصلحة الفردية ، بالمصالح القومية ، بالمشاعر
الدينية ، بصورة لا نظير لها ، وتفجر هذا المزج وسط الأزمة التي
يعاشرها المجتمع الفلسطيني أشكالاً متقدمة من النضال ، في وجه حلف
خبيث من الاستعمار البريطاني ومجتمع الفزرو الصهيوني وكانت السمة
البارزة لهذا النضال هي السمة القومية ، برغم تنوع الريف الفلسطيني بشتار
الدين كظهور من مظاهر مجابهة الحركة الصهيونية المحقونة بمصل
من التعصب الديني الشديد (١) .

بجانب هذه الفصول المتعاقبة من المشكلات السياسية والاقتصادية
التي عاشها المجتمع العربي الفلسطيني ، عاش أيضاً مشكلة اجتماعية
حادة ، تحدرت رواسيها من تقاليد المجتمعات السابقة وقيمتها ، عندما
كان الرجل يفاخر بجنسه ، ويستعلى على المرأة ، وينظر إليها نظرة
احتقار وأذلال ، إذ بقيت هذه النظرة قائمة بصورة عامة ، ولم يخط

(١) من ردود الفعل الدينية التي ولدها الفزرو الصهيوني ، تحوّل
احتفالات الموالد النبوية إلى مهرجانات قومية عامة ، يحضرها
بجانب المسلمين جميع الرؤساء الروحيين وأعيان النصارى .

المجتمع حينذاك خطوات ايجابية تتناول المرأة وقضاياها من خلال أطر اجتماعية واقعية ، وتطلعات مستقبلية جديدة . ومن هنا جاء عدم الاهتمام بها ، وانكار كثير من حقوقها وخاصة تعليمها وتعبيرها عما تحس به كإنسان يحاول أن يستكمل شخصيته الانسانية (١) . وعلى الرغم من ظاهرة التوجه الكبير نحو التعليم في المجتمع العربي الفلسطيني ، إلا أن تعليم المرأة ظل متأخراً نسبياً ، وخصوصاً في القرية ، حيث ظلت بعض القسيم التقليدية مسيطرة على العقول .

. وأتمت (نكبة ١٩٤٨) الفصول الدموية التي عاشتها فلسطين منذ عام ١٩١٨م وبدأت عملية اقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ، ليقتدف به الى أماكن أخرى مختلفة يجبر فيها على التكيف مع أعطيتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة ، وعلى التألف مع القسيم والمصالحات الناشئة عن وجوده الجديد . ورسمت هذه الأوضاع ، حدود آفاق جديدة للمجتمع العربي الفلسطيني ، فلم يعد هناك طبقات فلسطينية بالمعنى التقليدي ، فالبرجوازيون مثلاً لم يعودوا طبقة موجودة على أرض واحدة لها علائق فيما بينها وبين الطبقات الأخرى بل صاروا موزعين في عدة أقطار ، علائقهم مع البرجوازيات المحلية ، وقطاعات الشعب المحلي الأخرى ، ولم يكن باستطاعتهم أن يحلوا محل

(١) منح الاسلام المرأة المسلمة حقوقاً كثيرة في تشريعاته ، وتظهر تطبيقاتها العملية بوضوح في ثنايا تاريخنا القديم ، حيث كانت المرأة المسلمة تتمتع بالحرية ، وتفوز باحتلال المكان اللائق بها وتؤثر في توجيه الأمور في شؤون الدولة وحتى في الشؤون الدينية . ولكن بعض المنفذين لهذه التشريعات وخاصة في العهد المتأخره أنكروا على المرأة حقوقها أو بعض حقوقها .

البرجوازيات القائمة ، وإنما كان بمقدورهم بفعل ما يملكون من أموال ، أن يتوجهوا الى أعمال تجارية ترتبط بالدرجة الأولى مع قطاعات هـى خارج اطار الوسط الفلسطيني . كذلك أدى تحطيم البنية الاقتصادية للمجتمع العربى الفلسطينى الى جعله مجتمع خدمات متحرك فى غالبته يتنقل بين مختلف الأقطار العربية وغير العربية بحثا عن مصادر عيش جديدة ، وقد خلق هذا التحول اهتزازا كبيرا فى الصلات الاجتماعية والأسرية القديمة ، وتولدت علائق جديدة ، قادت الى قيم وتقاليد جديدة شملت جميع أفراد المجتمع رجالا ونساء ، كما خلق هذا التحول حوافز قوية للاقبال على التعليم وخاصة لدى الفتاة الفلسطينية على اعتبار أن التعليم هو السلاح الوحيد للقضاء على التخلف ، والسبيل الأمثل لبناء مستقبل كريم يتواءم مع الواقع الجديد غير المرتبط بأرض أو بكيان اقتصادى ثابت .

وكان لابد أمام هذا التوزيع الجغرافى الذى عاشه الانسان العربى الفلسطينى من أن يعيش توزيعا سياسيا مرافقا ، يدفعه اليه انجذاب نحو العمل على تحرير دياره والعودة اليها ، فبرزت الانقسامات الذهبية ، والانتماءات الحزبية فى سنى ما بعد (النكبة) وانعكست بصورة حادة حتى على أفراد الأسرة الواحدة ، فصار يصعب على المرء أن يلتقى بأسرة فلسطينية يجمعها ولاء سياسى واحد ، وكانت الخلافات السياسية للبلدان العربية التى تسودها مشارب مختلفة ، وسيلة مثلى يتوسل بها الشباب الفلسطينى للنضال من أجل قضيته ، ومن أجل ذلك ، كانت هـى هذه المرحلة حتى منتصف الستينيات مرحلة عمقت التفسخ بين أفراد المجتمع

اللسطيني على الصعيد السياسي أيضا ، واستمرت الحال على هذا النحو الى أن قامت الثورة الفلسطينية المسلحة ، وتمكنت الى حد ما من تجميع هذا الشعب المتناثر ، ومن استقطاب الولايات السياسية المختلفة لأبناء هذا المجتمع ، وتوجيهها نحو فلسطين ، وأضحيت الثورة رمزا للسان الفلسطيني الثائر ، وأملا لتطلعاته نحو النصر .

ولم تكن أوضاع أبناء المجتمع العربي الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني ^(١) ، أحسن حالا من اخوانهم الذين نزحوا عن الأرض ، فقد سنت دولة الصهاينة بعيد (النكبة) القوانين العازلة لهم ، كأقلية ليس لها حقوق مدنية أو سياسية أو قومية ، فمانوا ماعانوا من الكبت والقهر والحرمان والسلب لأقل الحقوق الانسانية ، وحاول الصهيونيون بكل طاقاتهم ووسائلهم اذابة هذا المجتمع وتقسيمه وأفراقه في بحر من الاجراءات المميته التي تجيز استملاك الأراضي العربية بالقوة ، ومصادرة الأرزاق ، والفناء القاعدة المادية لمصادر المعيشة ، ومن ثم العمل على فصل المجتمع البشري الفلسطيني عن أرضه واخضاعه الى آلة التهديد والارهاب بحيث لا يبقى أمامه سوى الخضوع الى الفناء البطيء على أرضه المتبقية ، أو هجرته عنها .

(١) قدرت الأقلية العربية في اسرائيل بعيد (النكبة) بحوالي (١٧٠) ألف نسمة وبلغت عام ١٩٦٦ بفصل الزيادة الطبيعية حوالي (٣١٢٥٠٠) نسمة وحوالي (٤٢٠) ألف نسمة عام ١٩٧٣ ، ويشمل هذا الرقم سكان منطقة القدس التي الحقت بامرائيل غصبا بعد حرب حزيران " يونيو " ١٩٦٧ وعدددهم حوالي (٧٠) ألفا .
ينظر :

- ملف القضية الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

على أن أخطر مشكلة واجهت الانسان الفلسطيني في أرضه المحتلة وتوازي في خطورتها مصادرة الأرض واستيلائها ، هي مشكلة التعليم ، فقد " . . . أفزت سياسة الفنزو الصهيوني نظاما تعليميا يهدف الى خلق جيل من (الاسرائيليين العرب) بعيد عن ثقافته وقيمه العربية وتاريخه العريق . . . ، فالطالب الفلسطيني هناك يعيش ازدهاراً ثقافياً تتشابه في التناقض الواضح بين ما يؤمن به من أهداف وبين ما يخطط له من أهداف أخرى ، يجدها في الكتب والمناهج المبنية على فلسفة تعتمد سياسة التهود وتلبي طموحات الصهيونية . . . " (١) ، وليس غريباً أن نرى نسبة كبيرة من الأطفال العرب أوائلون دراستهم حتى نهاية المدرسة الابتدائية ، ناهيك عن تعليم الفتيات " . . . المتخلف جداً وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي . . . ويعود ذلك الى عدم توافق المدارس الثانوية للبنات ثم الى معارضة (بعض) السكان للتعليم المختلط وخاصة في المرحلة الثانوية يضاف الى ذلك زواج البنات العربية في سن مبكرة . . . " (٢)

وبعد (هزيمة حزيران " يونيو " ١٩٦٧) ، وضع الفلسطينيون قسماً الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، تحت ادارة الحكم الصهيوني المباشر ، ولجأ الحكام العسكريون الى ممارسات غريبة في مرتبة أقصى من الاضطهاد ، وأشد

(١) حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧١ ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٢) د . منير بشور وخالد الشيخ يوسف : التعليم في اسرائيل ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ ص ٢١٨ .

امتهانا لكرامة الانسان من التمييز المنصرى ، كما لجأوا الى اعتماد
مخططات تعليمية خبيثة شبيهة بتلك التي فرضوها على عرب الأرض
المحتلة سابقا بنخبة صادرة العقل العربي الفلسطيني وطمس هويته
(١)
القومية .

وهكذا أحاطت بالشعب الفلسطيني في جميع أراضى فلسطين ظروف
اجتماعية واحدة وأوضاع ثقافية متشابهة ، ونظام سياسي صهيوني فاشي
واحد .

(١) يقول أورى لوبران مستشار رئيس الوزراء الاسرائيلي للشئون العربية
في محاضرة له :

” ... لعله من الأفضل الا يكون هناك طلاب عرب ، فلو ظل
العرب حطابين لكان من السهل تدبيرهم ” .

— مجلة نير الاسرائيلية ، عدد (٢٤٦) (١) ١٩٧٠ ص ٣٠ .

(الفصل الثاني)

دور المرأة الفلسطينية في الحياة
الاجتماعية والحياة الثقافية

(١)
عرفت فلسطين التعليم العربي الاسلامي بمعاهدة التقليدية ،
كما عرفته باقي المنطقة العربية ، بيد أن التعليم الحديث بما اشتمل
عليه من مدارس ومناهج ونظم وأساليب ، لم يأخذ طريقه الا في منتصف
القرن التاسع عشر ، حين شهدت البلاد أنواع المدارس الأجنبية
والأهلية ، والحكومية المختلفة . ولقد تهيأت للمرأة العربية الفلسطينية
في هذه المرحلة فرص ضئيلة من التعليم ، حين نشطت البعثات التبشيرية
الأجنبية ، والمؤسسات الطائفية الأهلية ، ومن ثم السلطات الحكومية
العثمانية في تأسيس مدارس ابتدائية خاصة بالبنات .

(٢)
وتشير الاحصاءات التعليمية ، الى أن المدارس التبشيرية الأجنبية
للبنات ، بلغت في متصرفية القدس ، في أواخر العهد العثماني ، اثنتي
عشرة مدرسة ، تضم نحواً من (٧٩٠) طالبة ونحواً من (٤٤) معلمة .
وفي متصرفية نابلس كانت هناك مدرسة بنات للمسلمين تضم (١٠٠) طالبة
ومعلمتين ، عدا مدرستين للمسيحيين تضمان (٤٢) طالبة ومعلمتين .

(١) كانت هذه المعاهد من نوع المدارس الدينية المقصورة على
تعليم الدين والقرآن الكريم . وكانت هناك بعض المدارس الخاصة
بالكبار ، تعلم العلوم الدينية والشريعة ، وما تحتاج اليه تلك
العلوم من مواد أخرى . وكانت غالبية هذه المدارس بنوعيتها
ملحقة بالمساجد . كما وجد في البلاد أيضاً (الكتاتيب) التي
يلتحق بها عادة أبناء الفقراء ، وتضم الأولاد والبنات على السواء .

(٢) اعترف الدستور العثماني المعلن عام ١٩٠٨ م بوجوب التعليم
الابتدائي الكامل للبنات .

(٣) د . عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث مسن
أول النهضة حتى النكبة . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت (د . ت) ص ٦٩ .

وفي متصرفية عكا ، أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية ، مدرسة للبنات ،
ومدرسة للراهبات اليسوعيات فيهما نحو (١٥٠) طالبة وسبع معلمات .
ويبلغ مجموع المدارس الابتدائية الحكومية في المتصرفيات الثلاث المذكورة
في العام الدراسي (١٩١٤ / ١٩١٣) نحواً من (٩٥) مدرسة تضم حوالي
(٧٧٥٨) طالباً منهم حوالي (١٤٨٠) طالبة^(١) ، كما تبين الأرقام
الواردة في النشرة الرسمية العثمانية للعام الدراسي نفسه ، أن مجموع
المدارس الابتدائية الطائفية في المتصرفيات الثلاث كان حوالي (٥٠٠) مدرسة
وأن عدد المعلمين والمعلمات حوالي (٧١٩) ، أما الطلاب والطالبات
فبيلفون حوالي (١٥٧٧٣) ، منهم حوالي (٨٧٠٥) في المدارس
الخاصة بالمسلمين ، وحوالي (٣٤٤٥) في المدارس الخاصة بالمسيحيين
وحوالي (٣٦٢٣) في المدارس الخاصة باليهود^(٢) .

وقبيل الحرب العالمية الأولى ، شهدت فلسطين - كغيرها من بلاد
الشام - تيارات حضارية ساعد على افرازها التنظيمات الجديدة التي
أصدرتها الدولة العثمانية عام ١٩٠٨ م ، وانتشار النهضة الأدبية والعلمية
في البلاد ، واحتكاك الناس بالجاليات الأجنبية ، وانفتاح بعضهم على
الغرب . وقد مَسَّتْ هذه التيارات الحضارية بعض واجهات المجتمع
التقليدية ، وساعدت على زيادة الوعي القومي ، والحس الوطني لدى الكثيرين .

(١) ساطع الحصري : حولية الثقافة العربية ، السنة الثانية ، القاهرة
١٩٥١ / ١٩٥٠ العهد العثماني ص ٦ .

(٢) حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

كما نجم عنها تطور في الأفكار ، وتغير نسبي في النظرة الى المرأة لدرجة
•••• أن الفتاة المسلمة التي كان محظورا عليها مبارحة دارها وحيدة ،
والتي لم تكن مسئولة عن الاشتراك مع والديها في أداء الواجبات الاجتماعية
صارت تشعر بوجودها ، وبالتبعية الملقاة على عاتقها فاذا بها تعمل
لحاضرها ، وتعمل لمستقبلها ، وتزور رفيقاتها ، وتستقبل ، وتهني وتتمزي ،
بالإضافة الى مشاهدتها الحفلات ، واشتراكها في الجمعيات •••• (١)

وحيث وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨م ، نشط
الأهلون في افتتاح المدارس الوطنية ، في كثير من المدن الفلسطينية
كما نشطت في ذلك الأوقاف الاسلامية ، والجمعيات المختلفة ، ووجد عدد
كبير من الأولاد والبنات طريقهم نحو التعليم ، حتى بلغ عدد الطالبات
في العام الدراسي ١٩٢٠ / ١٩٢١ ، (٢٧٨٦) طالبة مقابل (١٣٦٥٦)
طالباً أي بنسبة (٢٠.٤%) ، وهي نسبة كبيرة اذا ما قورنت بما كانت عليه
من قبل (٢)

وفي هذه الآونة ارتفعت الأصوات التي تنادي بحرية المرأة ، وبحقها
في التعليم وفي استكمال شخصيتها الانسانية ، وبدأت تلوح في البلاد ،
بواكير حركة نسوية ، لم يتح لها أن تأخذ مداها الطبيعي ، لأسباب عديدة
أهمها موقف بعض العائلات الوجيهة الخاضعة لتأثير مزيج من القيم الموروثة
والتفكير المتشدد بالمانعة في فسخ المجال أمام المرأة للانطلاق والمشاركة
في الحياة العامة •

(١) محمد جميل بيهم : مجلة العربي ، العدد الثاني والعشرون ، أيلول
سبتمبر ١٩٦٠ ص ١٣١ •

(٢) A.L. Tibawi : Arab Education in Mandatory (٢)

ونشطت الأقسام الشابة كتبت في أنجع السبل التي تساعد المرأة على
ولوج ميادين الحياة المختلفة ، وأخذت المجلات والصحف تنشر على
صفحاتها مقالات يبارك أصحابها الخطوات التي تخطوها المرأة في ميادين
الاجتماع والتعليم والسياسة . في مقالة بعنوان " أين هي " للكاتب
" جده (٤) " من حيفا ، يخاطب فيها ابنة بلاده ، يقول فيها :
" . . . يا ابنة بلادي ، مازلت أعتقد بوجودك ، على الرغم من هذا
السكون الذي يدومك ، وهذا الصمت الذي تحافظين عليه ، ترغيبين في
المساواة مع الرجل بل تريد من التفوق عليه ، ولكن كيف يتم ذلك ؟
وأراك لا تتزحزحين من تلك الزاوية المظلمة التي أقمت فيها ، بينما هو
يسمى ، ويدأب على الدوام . . . " (١) ويكتب " عبد اللطيف الجيوسي (٤) " مقالة
يقول فيها : " . . . اننا لانطلب من المرأة أن تخترق نطاق
البطولات ، كما فعلت جان دارك الفرنسية ، أو مبروكة الصربية في المصور
الخوالي ، انما نطلب منها تمزيق الحجاب والاقبال على العلم لتشارك زوجها
في أعماله خارج بيتها ، وإذا لبثنا نسير كالأعرج على ساق واحدة فلن
نتقدم ولن نتطور . . . " (٢)

ولم تفض سنوات قليلة على بداية الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ ، حتى
صادف المجتمع العربي الفلسطيني بعض التغيير في بنيته السياسية والاقتصادية
أثر على علاقة الاجتماعية وحياته الفكرية والثقافية ، وراح يعي خطورة الوضع
التعليمي في البلاد ويتلمس نقص المؤسسات التعليمية العربية المختلفة

(١) مجلة الزهرة : الممدد ٦ السنة الثالثة - أيلول " سبتمبر " ١٩٢٣ .

(٢) جريدة الكرمل : الاثنين ١٩ نيسان " أبريل " ١٩٢٣ .

فاندفع بحماس كبير ينشئ المدارس ويزيد في أعداد الصفوف، ويشترك في النفقات التعليمية، ويبدى " رغبة عجيبة في طلب العلم... ويدفع الحكومة دفعا لفتح المدارس... ويتبرع بالمال والأرض لاقامة أبنيتها... (١) كما اتجه لملء الفراغ الذي كان يشعر به في التعليم العالي، إلى إرسال أبنائه إلى جامعات الدول العربية، والجامعات الأوروبية والأمريكية. وصار عدد الذين يؤمنون الأزهر، وجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، والجامعتين الأمريكيتين في بيروت والقاهرة والجامعة السورية في دمشق، يتكاثر مع الأيام... (٢) وكان هؤلاء جميعا يعودون إلى الديار بما ثققوا به من علم جديد وما اطلعوا عليه من معارف حديثة، وما قرأوه باللغات الأجنبية التي تعلموها من اتجاهات فكرية وفنية معاصرة، ليشاركوا في بحث حياة فكرية ومصرفية جديدة، يعززها ما كان من تتابع وصول الكتب والصحف والمجلات الأدبية من البلاد العربية وخاصة مصر ولبنان.

وأضحى تعليم المرأة ظاهرة تكاد تكون طبيعية، بل تكاد تكون قيمة جديدة يتمسك بها الناس، وخاصة قاطنو المدن التي تميزت بوجود تجمعات مسيحية، كانت تشكل محاور نشاط اجتماعي واقتصادي وثقافي رئيسية. ولعمت في البلاد أسماء نساء^(٣) كن طلائع مسيرة كبيرة اقتحمت فيما بعد ميادين الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن، وكان لانفضاح نوايا

-
- (١) جبرائيل كاتول: التعليم في فلسطين (د. ن) القدم ١٩٤٧ ص ١٨٠.
 - (٢) د. ناصر الدين الأسد: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠ ص ٧٣.
 - (٣) من أمثال: كلثوم نصر عودة، غنيرة سلام الخالدي، جوليا البصول، نبيهة ناصر، ميشل مخنم، سانج نصار، مرتا عواد، غرة كبس، جوليا عزاج، منيرة الصفوري، زليخا الشهابي، رياض بدير، فاطمة الحسيني، زهية النشاشيبي، ماري صروف شحادة.

الاستعمار البريطاني الصهيوني ، أثر في تزايد النضال الوطني ، وفسى جيشان النفوس واهتزاز المشاعر ، وتفتح المقول ، وتنبه الوعي ، وحفز الجهود في شتى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية ، فقامت الجمعيات ، والنوادي ، والصحافة الجريئة ، وظهرت التنظيمات الطلابية ونشطت الاتحادات النسوية بصورة لم يشهداها الناس من قبل . الصحيح أن البلاد صادفت الجمعيات الطائفية ، وأعمال البرالجماعية في مستهل القرن العشرين ، وأن الدولة العثمانية أباحت للمؤسسات الأجنبية انشاء مراكز خيرية تابعة للفدارس أو الأديرة في عدد من المدن الرئيسية ، الا أن هذه المؤسسات تطورت في غضون ربع قرن من الزمن ، وازداد عددها وتلون نشاطها ، وترسمت غاياتها وامت حتى لا تكاد مدينة في فلسطين تخلو منها ، وصار عددها عام ١٩٤٨ ، ثمانين جمعية .^(١) ومن الطبيعي أن تهتم هذه الجمعيات بحال المرأة ، فدعت الى مساواتها بالرجل ، والى نيل حقوقها ، والى دعم وضعها المعنوي ، كما عملت هذه الجمعيات على مساعدة المعوزين ، وانشاء الملاجئ للعجزة ، ومراكز مكافحة الأمية ، وتعليم الأطفال الفقراء ، وتأسيس المشافي ، والنوادي والمشاغل ودور الأيتام ، ودور الطفولة والأمومة .

وفي أواخر الثلاثينيات وصلت النهضة الأدبية في البلاد " . . . الى درجة تكاد تكون مساوية للدرجات التي وصلت اليها أنشط الحركات الأدبية .

(١) زليخة الشهابي : مجلة رسالة الأردن - شباط " فبراير " ١٩٦١ ،

في الأقطار العربية الأخرى (١) . . . وساعد على اشراق هذه النهضة ، انتشار الجمعيات ، والنوادي الأدبية التي كانت تحيي المناسبات الوطنية ، وتقيم المهرجانات الشعبية ، وتبني الأجواء المناسبة لفرس بدور حركة مسرحية في البلاد (٢) ، واضطلعت الصحف والمجلات (٣) بدور مهم في دعم هذه النهضة ، وأتاحت فرصاً للأقلام الناشئة كي تنشر إنتاجها الأدبي والفكري ، وانتشرت على صفحاتها أسماء نساء (٤) كتبن في التربية والاجتماع والثقافة والوطنيات والنسويات والقصة والشعر وغير ذلك من الأشكال الأدبية مما سنتناوله في الفصول القادمة ، كما شاركت الاذاعة بدور فعال حين زودت الناس بثروة أدبية وعلمية جليلة وانطلقت من وراء الطذيباع أصوات نسوية (٥) تتحدث عن تربية الطفل ، ودور التربية في الأسرة ، وشخصية المرأة .

(١) مجلة الأديب : شباط " فبراير " ١٩٤٥ ، الجزء الثاني ، السنة الرابعة " دفاع عن الأدب الفلسطيني " بقلم ميشيل جبران - الناصرة .

(٢) كانت المرة الأولى التي ظهرت فيها سيدة على المسرح ، ففى آذار " مارس " ١٩٢٩ . ينظر :
- مجلة النفير : العدد ٢٣ آذار " مارس " ١٩٢٩ ، ص ١١ .

(٣) تجاوز عدد المجلات الفلسطينية في نهاية عام ١٩٢٩ " العشرين " كما تجاوز عدد الجرائد المحلية في نهاية السنة نفسها " الستين " . ينظر :

- حياة الأدب الفلسطيني . . مرجع سابق ص ٨٩ .

(٤) من أمثال : غبيرة سلام الخالدي ، ساذج نصار ، كريمة الصفوري ، رائدة جار الله ، زليخة الشهابي ، أسى طويس ، دعد كيالي ، فدوى طوقان ، نجوى قموار ، سميرة عزام .

(٥) من أمثال : أسى طويس ، ماري صروف شحادة ، قدسية خورشيد .

أما العناية بالتيارات الأدبية العربية والعالمية ، فقد أعانت على فتح نوافذ أطلت بالناس على الحياة خارج البلاد ، وقادت الى نشاط ملحوظ في الترجمة ، كان للمرأة نصيب السبق فيه .^(١)

ومن الطبيعي أن تمتد الى الفلاح الفلسطيني في قريته يد من التفسير قصيرة ، ساندتها وهي سياسي متمخض عن سنين طويلة من النضال ضد الاستعمار ، وازدهار نسبي شهدته البلاد عامة خلال سني الحرب العالمية الثانية وحسن من أوضاع الفلاح المعيشية ، بالإضافة الى نشاط المتعلمين الشباب من أبناء القرى الذين كانوا يشكلون نواة للتحديث في قراهم .

ولاحث لدى الفلاح ، اهتمامات بتعلم البنات ، ولكن الفرص التي توافرت للفتاة في القرية ، لم تكن كافية كذلك التي توافرت لزميلاتها في المدينة . لذلك نرى أن " ٥٠٠ عدد الطالبات في المدن ، في العام الدراسي ١٩٤٤/١٩٤٥ بلغ (١١٩١١) طالبة بالمقارنة مع (١٧٥٩٩) طالبا أي بنسبة (٦٧/٦٠ %) . أما في القرى فقد بلغ عدد الطالبات في نفس العام (٣٣٩٢) طالبة مقابل (٣٨٧٦٠) طالبا أي بنسبة (٧٨ %) وقد ارتفع عدد القرى التي تحققت فيها مدارس من (٢٥٤) قرية عام ١٩٢٦ الى (٣٥٤) قرية عام ١٩٤٥ م . ولكن (٤٦) قرية فقط ، احتوت عام ١٩٤٥ على مدارس للبنات . وهكذا كان حوالي (٩٥ %) من القرى بدون مدارس بنات . . .^(٢)

(١) ترجمت السيدة كلثوم نصر عودة عددا من القصص والمقالات العربية

الى الروسية وأخرى من الروسية الى العربية فكان لها :

- كتاب اللغة العربية للروس .

- المنتخبات العربية لدراسة آداب العربية .

- نقلت الى الروسية كتاب " الأرض واليد والماء " للكاتب العراقي ذي

النون أيوب .

ونقلت الى العربية مؤلفات المصاحبة كراتشكوفسكي عن " محمد بن عبيد

الطنطاوي " وهو أول عربي درس اللغة العربية في روسيا ، وكتاب " حضارة

العرب في الأندلس " وكذلك دراسة كراتشكوفسكي عن أقدم مخطوط

عربي في آسيا الصغرى .

- وترجمت السيدة روزحسون حكايات عن الانجليزية .

- وترجمت السيدة عبيرة سلام الخالدي سلسلة " كيف أنظر الى الحياة

" للكاتب الانجليزي هانن سوافر ، بجانب ترجمتها الاياداة والاوذية

والاينيادة .

(٢) مرجع سابق ص ٤٩ : Arab Ed. in Mandatory Palestine

وفي أواخر عهد الانتداب ، اتسع حجم التعليم نسيباً ، إذ بلغ مجموع المدارس العربية في العام الدراسي ١٩٤٥/١٩٤٦ * ١٠٠ (٨٢٧) مدرسة منها (٥١٤) مدرسة حكومية و (١٣١) مدرسة إسلامية خاصة و (١٨٢) مدرسة مسيحية خاصة ، ومع بداية العام الدراسي ١٩٤٧/١٩٤٨ كان في البلاد اثنتا عشرة مدرسة ثانوية عربية تامة ، وعشرون مدرسة تضم صفوفها ثانوية غير تامة * بجانب مركز تدريب المصلحات الريفي في مدينة رام الله ودار المصلحات في مدينة القدس * (١) ، وقد بلغ مجموع طلاب هذه المدارس وطالباتها * ١٠٠ (١٤٦٨٨٣) أي ما يعادل نسبة (١١,٣ %) من مجموع السكان العرب وتتنافس وهي نسبة تفوق النسب المقابلة لها في معظم البلدان العربية * (٢)

والمتبع لتعليم البنات الفلسطينيات ، بشكل عام ، يلاحظ أنه سار بطيئاً إذا ما قورن بتعليم الذكور ، فمثلاً كان عدد الطالبات في العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١ م * ١٠٠ (٢٧٨٦) طالبة مقابل (١٣٦٥٦) طالباً أي بنسبة (٢٠,٤ %) ، وأصبح في العام الدراسي ١٩٤٥/١٩٤٦ م (١٦٥٠٦) طالبة مقابل (٦٤٥٣٦) طالباً أي بنسبة (٢٥,٦ %) * (٣) ، وقد يعود سبب ذلك إلى أن تعليم البنات بقي خاضعاً حتى ذلك الوقت إلى متركبات اجتماعية وتقليدية بطيئة التغير .

-
- (١) حولية الثقافة العربية : مرجع سابق ، ص ١٠ وما بعدها .
(٢) نزيه قورة : تعليم الفلسطينيين ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٧٣ ص ٤٠ .
(٣) مرجع سابق ص ٢٧ ، Arab Ed. in Mandatory Palestine :

وأدت عملية اقتلاع الانسان العربي الفلسطيني من أرضه عام ١٩٤٨م ، الى اهتزاز في قدرته على التمسك بالملائق الاجتماعية السائدة في مجتمع (ما قبل النكبة) وصارت قضايا التفسير المرتبطة بحاجاته المستحدثة أكثر تبييرا والحاحا من تمسكه بعادات وتقاليد لا يربطها بالواقع الجديد سوى الوهم باستمرار الماضي المفقود . ومن هنا كان تقبله بعض التفسيرات الاجتماعية التي استدعاها الواقع الجديد منطقيا . وشهدت بضع السنوات التي تلت عام (النكبة) تمرد الشباب على الجيل القديم ، وانقلابهم على الوظائف الاجتماعية الأسرية ، وزيادة في درجة تحرر المرأة ولاسيما بمسند افعالها مبادئ العمل ، ومشاركتها في تحسين وضع الأسرة المعيشي . كما ولدت بضع السنوات هذه ، انعطافا لدى الفلسطيني ، بأن العلم والمهنة الحديثة هما الضمان الأساسي ضد مفاجآت الأيام ، فاندفع نحو التملص مواصلا اهتماماته السابقة به ، وساعده على ذلك عوامل عدة ، فالعالم العربي الذي عاش في وسطه فتح أبواب مؤسساته التعليمية له ، والتشتت الذي فرضه الاقتلاع أدى الى تجمع أكبر عدد من (اللاجئين) في المدن والمناطق المعمورة حيث تتوافر فرص تعليمية أفضل ، وحرمانه من مؤسساته الطبيعية وفقدانه لوسائل إنتاجه ، خلق أوضاعا اقتصادية جديدة أجبرته على أن ينظر للتعليم على أنه أهم سبيل تقوده الى ارتقاء اجتماعي واقتصادي . كما أن الاهتمامات الطبيعية التي تتابع عادة لافراد مجتمع مستقر لم تتوافر له ، مما دفع بجهته نحو البقاء في المدارس أطول مدة ممكنة للحصول على أعلى مستوى تعليمي ممكن .

وقد تولى شؤون تعليم الفلسطينيين في البلاد العربية بعد عام ١٩٥٠

الجهات التالية :

- البلاد العربية .

- المدارس الخاصة في كل من هذه البلاد .
- وكالة هيئة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (١)
(الاونروا UNRWA)
- دائرة الشؤون التربوية والثقافية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية (٢).
- السلطات الصهيونية في الأرض المحتلة .

ويصعب على الباحث أن يتتبع بانتظام تطور تعليم الفلسطينيين في السنوات التي تلت (النكبة) ، وأن يجمع أرقاماً ومعلومات دقيقة ، نظراً لتعدد الجهات المشرفة على تعليمهم ، وتباين اتجاهاتها ، عدا عن قلّة المراجع التي عنيت بهذا الموضوع بصفة خاصة .

وتشير الاحصاءات المتوافرة (٣) ، الى أن عدد الطلاب الفلسطينيين بلغ في العام الدراسي ١٩٦٩ / ١٩٧٠ م " ٥٥٠٠٠٠ حوالى (٦٠٠.٠٠٠) طالب وطالبة ، منهم (٧١.٩٥ %) في المرحلة الابتدائية و (٢٨.٠٥ %) في المرحلتين الإعدادية (المتوسطة) والثانوية .

(١) تشكلت وكالة الفوث الدولية بقرار من الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٨ كانون الأول " ديسمبر " عام ١٩٤٩ م . وحددت مهماتها في :

- (أ) تقديم الفوث للاجئين الفلسطينيين على أساس الحاجة .
- (ب) تنفيذ برامج تهدف الى مساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم لاعالة أنفسهم . وقد باشرت الوكالة أعمالها في شهر أيار " مايو " ١٩٥٠ م .

(٢) أشرفت هذه الدائرة على تعليم أبناء الفلسطينيين الموجودين في الكويت عام ١٩٦٥ . وقد اتسمت شبكة مدارسها بعد حرب حزيران " يونيو " ١٩٦٧ م .

(٣) د . ابراهيم ابو لند : صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية . السنة العاشرة ، أيلول " سبتمبر " كانون الأول " ديسمبر " ، العدد الثلاثون ١٩٧٢ ص ٦٥ .

ولم يجد الذين تصدوا لدراسة التعليم الجامعي للفلسطينيين منتجما سوى اللجوء الى تقديرات نسبية ، لعدم توافر المعلومات الدقيقة اللازمة بين أيديهم ، وسبب انتشار الطلاب الفلسطينيين الجامعيين في شتى بقاع العالم . ويرى الدكتور ابراهيم أبو لند " ٠٠ " أن عدد هؤلاء الجامعيين بلغ عام ١٩٦٩ م ، (٣٣٠٠٠) طالبا ، منهم (١٠٠٠٠) طالب في الجامعات المصرية المختلفة والخرطوم وبيروت و (٥٠٠٠) طالب في الجامعات الأردنية ، و (٢٥٠٠) طالب في جامعات سوريا ، وحوالي (٥٠٠) طالب في الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة ، و (٢٠٠٠) طالب في الجامعات العربية الأخرى ، وما تبقى منهم (١٣٠٠٠) طالب فسي الجامعات الأوروبية والأمريكية المختلفة " ٠٠ " ، ويرى الدكتور أبو لند أيضا " ٠٠ " أن واحدا من كل أربعة طلاب فلسطينيين جامعيين هم امرأة " ٠٠ " أي أن عدد الفلسطينيات الجامعيات بلغ عام ١٩٦٩ م حوالي (٨٢٥٠) امرأة .

(١) تشير البيانات الاحصائية الصادرة عام ١٩٧٣ م عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والاعلام في جامعة الدول العربية ، ص (٦٤١) التي أن مجموع عدد الطلبة الفلسطينيين في العالم العربي يصل الى (٥١٠) ألف طالب في المراحل التعليمية المختلفة ، من التعليم الابتدائي وما قبله حتى التعليم العالي والجامعي ، منهم حوالي (٣٣٠) ألف طالب في التعليم الابتدائي وحوالي (١٦٦) ألف طالب في التعليم المتوسط والثانوي و (١٤) ألف طالب في التعليم العالي والجامعي وقد اعتمد الباحث البيانات التي أوردها الدكتور ابراهيم أبو لند ، برغم حداثة احصائية المنظمة العربية للتربية والثقافة والاعلام بسبب اقتصار الأخيرة على بلدان العالم العربي فقط ، وسبب تقديرات الدكتور أبو لند " ٠٠ " للطلبة الذين يدرسون في جامعة بيروت العربية بالاضافة الى الأرقام الواردة في تقرير لجنة خبراء التربية والمختصين في التربية والتعليم تحول وضع خطة الخدمات التعليمية لأبناء فلسطين (جامعة الدول العربية - دائرة شؤون فلسطين) ١٩٦٩ م ، وبالاضافة أيضا الى البيانات الرسمية لجامعتي الأردن ودمشق ، والتي مشروع خطة السنوات العشر القادمة (١٩٧٣ - ١٩٨٢) الصادرة عن =

لقد سبق قولنا أن انقلاصاً طرأ على الوظائف الاجتماعية ، غير في مستوى الأدوار داخل الأسرة الفلسطينية ، وقاد الى مزيد من العناية بالمرأة على اعتبار أنها عنصر منتج لا تقل عوائد استثماره ، عن عوائد استثمار عناصر الرجال ، وساعد على تعزيز هذا الاتجاه ازدياد مطالب الحياة ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، وتوافر فرص العمل أمامها ، بالإضافة للقوانين والتشريعات التي أولت رعايتها للمرأة العربية عامة ، وضحتها حقوقاً لم يسبق أن تمتعت بها منذ قرون (١) .

ونظراً للاعداد الكبيرة من الفلسطينيات الحاصلات على شهادة الدراسة الثانوية ، ومراعاة لبدء العرض والطلب ، وتلبية لداوابع ذاتية وعائليية وقومية ، اتجه عدد من الفلسطينيات نحو ميادين التخصص ، وتعاطين المهن المتنوعة كالطب والصيدلة والهندسة والعلوم والحقوق وغيرها . كما اتجه (٢)

= وزارة التعليم العالي في مصر ، القاهرة ١٩٧٢م ص ٠٠٦٧ * ينظر : صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(١) نص ميثاق الوحدة الثقافية العربية عام ١٩٦٤ على : " أن تنهض الدول العربية بتعليم البنات وفق المبادئ الدينية والقيم العربية والتقدم العلمي الحديث مع مراعاة تزويد هذا التعليم بما تقتضيه رسالة المرأة ، بأن تكون أما ، ومواطنة صالحة في المجتمع لها من الحقوق ، وعليها من الواجبات ما يمتشى مع مسؤوليتها في المجتمع " .

(٢) كانت أول أستاذة جامعة في فلسطين ، قبل (نكبة ١٩٤٨) : كلثوم نصر عودة ، وأول مديرة أعمال للمستشفيات : أيفون خوري . وأول طبيبة : سلوى المتقى ، وأول محامية : جميلة الخوري ، وأول صحفية : جاكلين خوري ، وأول طالبة علم مسلمة تسافر الى بريطانيا : سائدة حسام الدين . وفي الأردن بعد عام ١٩٥٠م ، كانت أول مهندسة مدنية فلسطينية : لميس قومان ، وأول صيدلانية : أمل أبو غزالة ، وأول مهندسة كهربية : منى نجم ، وأول مهندسة الكترونية : يسرى الخشن ، وأول مهندسة كيمياوية : أمل عبوشي ، وأول أستاذة جامعة : نادرة السراج ، وأول صحفية : حنان المصري ، وأول مفتشة تربية وتعليم أولغا وهبي ، وأولى ممرضة : نابغة النجار ، وأول مديعة تلفاز : عائدة بسيسو . ينظر :

- أسى طوبى : عبير ومجد : مطبعة قلفاط ، بيروت ١٩٦٦ ص ٨٢ وما بعدها
كذلك : جريدة الدستور : العدد (٣٠٠٠) ٢ كانون الأول ديسمبر ١٩٧٥م

عدد آخر الى التدريب المهني ، والى مزاوله أعمال مختلفة تتلام مع الحاجات والأوضاع العديده المتغيرة التي يعيشها ، ان نظرة سريعة الى المجتمع العربي الفلسطيني المتأثر فوق الساج العربية ، توضح أن المرأة الفلسطينية أصبحت عضوا ايجابيا وقوة دافعة ليس فقط في مستوى انتاجية هذا المجتمع ودرجة حضارته ، بل في مستوى انتاجية المجتمعات العربية التي يعيشن وسطها ، ودرجة حضارتها ، فعلى سبيل المثال بلغ عدد النساء الفلسطينيات العاملات في الحقول الاقتصادية والاجتماعية المختلفة عام ١٩٦١ في الضفة الغربية (١٤٠٦٠) امرأة ، بينما بلغ عدد العاملات بالزراعة (٥٤٩٤٦)^(١) امرأة .^(٢)

وفي سوريا بلغ عدد الفلسطينيات العاملات في مثل هذه المهن عام ١٩٧٠ (٢٦٨٤) امرأة ، وتبلغ عدد هن في لبنان في نفس العام (١٥٧٥) امرأة ، وفي السعودية (١١٢٩) امرأة ، وفي الكويت (٨٦٣) امرأة ، معظمهن في حقل التدريس .

(١) لمزيد من التفصيل ينظر : احصاءات فلسطينية : سلسلة صحائفه وأرقام ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، الصفحات : ٦٣-١٨٥٤
٢٤٤٤٤٩٠٤٤٤٤
(٢) كان عدد النساء الفلسطينيات العاملات في الحرف والصناعات المختلفة عام ١٩٢٨ في فلسطين ٢٣٦ عاملة فقط ، وفي عام ١٩٤٢ بلغ عددهن ٧٧١ عاملة .
وكان عدد النساء الفلسطينيات العاملات في الملكيات الخاصة والمؤسسات العائلية والصناعية في نفس العام ١٥٢ امرأة فقط . وفي عام ١٩٤٢ بلغ عددهن ١٤٦ امرأة . وكان عدد النساء الفلسطينيات المزارعات (اللواتي يعملن بالزراعة ويملكن الأراضى عام ١٩٣١ في فلسطين ٣٤٠٢ امرأة ، وكان عدد الزراعيات (اللواتي يعملن بالزراعة ولا يملكن الأراضى) في نفس العام ٢٦٧٢ عاملة ، وكان عدد موجرات الأراضى (اللواتي يعتمدن في معيشتهم على تأجير الأراضى الزراعية للآخرين) ١٥١٤ امرأة . ينظر :

- عن العامري : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠-١٩٧٠ (بحث احصائي) منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ١٩٧٤ ، الصفحات (١٤٠٤١٣٩٤١٣٥٤١٣٤٤٨٩٤٨٣٤٨٢٤٨١)

أما في الأرض المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ م ، فقد أقام الصهيونيون دولة غازية بعد أن تشتت أهل البلاد ، عدا أقلية ضئيلة كان من حسن حظها أن ظلت تشبث بالأرض تشبث صخورها بها ، ولاقت هذه الأقلية شتى صفوف الاضطهاد والقهر ، في محاولات من السلطات الصهيونية لاذابة الشخصية الفلسطينية وابدانها ، وكان الحكم العسكري الذي فرضته السلطة بمثابة الجبل الذي قيدت به حركة هذه الشخصية ، وخنقت أنفاسها ووضعها تحت عدسة الملاحظة وفي بؤرة الملاحقة ، وزادت على ذلك سحب الأرض من يدها ، ومن تحت أقدامها ، ومحاولة غسل دماغها من ثقافتها القومية وشعورها الوطني .

وكان لهذا النهج الصهيوني المبرمج ، المرسوم بكل دقة وخبث ، أثر في خلق أية حركة ، مهما كان نوعها أو جنسها ، وخيم على مجتمع الأقلية العربية طوال مدة الخمسينيات ، مناخ خانق لم يفتح فيه أي نشاط سياسي أو اجتماعي ، ولم ترعرع فيه أية حركة ثقافية .^(١)

(١) يحدد الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في كتابه " أدب المقاومة في فلسطين المحتلة " ص ١١ " ستة من عناصر الحصار الثقافي الذي ضربته سلطات الاحتلال على عرب الأرض المحتلة ، منها ما هو ذاتي كافتقار القطاع الأكبر من العرب الى المستوى الثقافي الذي ينتج حركة ثقافية ، بحكم وضعهم الاجتماعي . ومنها ما هو موضوعي فرضته السياسة الصهيونية ، كتحويل المدن المجاورة للقرى العربية الى مدن محرمة وعدوة ، وانتصاب جدار من المقاطعة القسرية مع الأدب العربي وفرض الحكم العسكري نوعا من الانتاج وحجر مآعده ، وقلة وسائل النشر المتيسرة وخضوعها الدائم لمراقبة السلطة ، وضعف اتقان اللغات الأجنبية ، وينقل الدكتور عبد الرحمن ياغي عن توفيق زياد سببا آخر مهما ، هو أنه لا توجد مكتبة عامة عربية واحدة ، بلدية أو حكومية في كل القرى والمدن العربية .

لمزيد من التفصيل ينظر :

— عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الأرض المحتلة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٦٢٤ .

ومن الطبيعي الا يكون للمرأة في هذا المجتمع دور ملحوظ ، وخاصة اذا عرفنا أنها في غالبيتها مزق من المجتمع القروي الفلسطيني الذي لم تتفاعل معه خمائر الحضارة قبل النكبة الا بصورة سطحية وبطيئة . حتى في حقل التربية والتعليم ، الذي يعتبر المجال الأساسي لعملها ، ظلت عاجزة عن تجديد شيء ، وبقي دورها ممزولا عن الحياة ، يدور في حلقة مفرقة .

وحين نزلت (المهزيمة) بثقلها القاسي على النفس العربية ، وهدتها ، لم يقو على الوقوف من بين الأنقاض غير الشخصية الفلسطينية ، وقد تراخت عن عبقها يد الأنظمة العربية ، فهبت واقفة على قدميها تبعت الدف في ضمير الأمة ، وتنير أمامها مشعل الأمل . وهبت المرأة العربية الفلسطينية تأخذ مكانها بين الصفوف ، واضطلعت بالمد يد من المهام الاجتماعية والثقافية ، فعلت من خلال الجمعيات والاتحادات ، وأجهزة الثورة المختلفة ، على توفير الخدمات الصحية والتعليمية للمحتاجين من (لاجئين ونازحين) في أماكن معسكراتهم المختلفة ، ونظمت أعمالا دائمة للمديد من النساء المعوزات ، ودرست الفتيات على أنواع من الحرف اليدوية ، والأشغال النسجية ذات الطابع التراثي ، كما أشرفت على رعاية أسر الشهداء والأسرى ، ومقضى الحرب ، وسعت الى توثيق العلاقات والصلات مع التنظيمات النسوية العربية والعالمية ، وإلى توعية الشعب

(١) نحو : جمعية انعاش الأسرة في البيرة . وجمعية رعاية الأحداث في القدس ، وجمعية المناضل الجريح في غزة ، والاتحاد الفلسطيني في نابلس ، وفروع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في معظم البلاد العربية .

العربية والأجنبية بالقضية الفلسطينية ، مستغلة طرائق اعلامية مختلفة ،
من ندوات ولقاءات ومعارض وأسواق خيرية ومنشورات .

أما الأدبية الفلسطينية فقد شاركت - كثيرها من الأدباء - فى
اخصاب الأدب العربى ، الذى تزوجت أشكاله وأنواعه مع التيارات
السياسية والاجتماعية والفكرية التى هبت على الوطن العربى منذ أوائل
الخمسينيات ، ووجدت هذه الأدبية فى ذكريات الوطن أغلى ما حملته هى
وأهلها اللاجئون من الديار ، وخير ما يبقى على الرباط المقدس الذى
يحاول الأعداء نفيه ، ويتآمر الزمان على نسيانه ، فدارت فى فلك هذا
الماضى وفى نسج ذكرياته وأحلامه التى لا تنضب ، ولم يكن هذا الماضى
المزروع فى النفس مهما بالنسبة للأدبية التى عاشته فقط ، فهو بنفس المقدار
من الأهمية ان لم يكن أكثر بالنسبة للأدبية الطالمة التى فتحت عينيها
على أرض المنفى ، وعالم الضياع ، فمن خلال ماضى الأب والجد والأهل ،
تعرفت هذه الأدبية على الوطن الذى لم تره ، ومن ثنايا الحديك والحكايات
ارتسمت فى ذهنها صور ربوعه ، وتجسدت معالم القرية والدينة والبيت
والبيارة والشاطىء ، وأكثر من ذلك ، عثرت الأدبية الفلسطينية على
الشخصية الوطنية لشعبها ، وتلمست ملامحها بنبت ما لحقها من اذلال وهوان
وبث روح القوة والأمل والصمود فيها ، وأبراز ما ظل يؤرقها من الشـمـور
بالاغتراب والاحساس بخيانة الصمت الذى فرض على قضيتها طوال سننى
المنفى .

((الفصل الثالث))

دور المرأة الفلسطينية في الحياة السياسية

ماكاد شبخ الحرب العالمية الأولى يتواري ، ويلتقط الشعب المرسى
اللسطينى أنفاسه المنهكة ، حتى نكب بنكت بريطانيا ليهودها مع العسرب
وتصميمها على تنفيذ المخططات الصهيونية الاستيطانية ، وتجلت خيبة أمل
هذا الشعب فى ردود الفعل التى تمثلت فى الاحتجاجات المريرة ،
والمظاهرات الصاخبة ، والاضطرابات الدموية ، والثورات المسلحة المتلاحقة
التي تفجرت فى وجه الاستعمار البريطانى الصهيونى ، وطبعت تاريخ
فلسطين بطابع مميز .

ولقد قدر للمرأة العربية الفلسطينية أن تشارك فى الحركات الوطنية
المختلفة فى وقت مبكر ، وقبل أن تتال أى حق من حقوقها ، أو يعترف لها
بأى دور خارج أسوار بيتها ، فشاركت فى الوفد الذى قاهل المندوب السامى
البريطانى ، فى تموز " يوليو " عام ١٩٢٠م ، مطالباً بالغاء وعد بلفور
ومحتجاً على "رسالة ملك بريطانيا بشأن فلسطين" التى أكدت " .. حرص
الدول المتحالفة على اتخاذ التدابير اللازمة لتضمن تأسيس وطن قومى
للإهود بالتدرج .. " (٣)

ومع تزايد الصراع بين الفلسطينيين العرب من جهة ، والمصائب
الصهيونية المدعمة بقوات الانتداب البريطانى من جهة أخرى ، ومع انتشار

(١) تفجرت أول ثورة فلسطينية يوم ٤ نيسان "ابريل" عام ١٩٢٠ بمناسبة
احتفال العرب التقليدى (بالنبي موسى) واعتراض بعض اليهود لهم .

(٢) كان أول مندوب سام لفلسطين : السير هربرت صموئيل البريطانى
الصهيونى .

(٣) جريدة الدفاع الدمشقية عدد (١٥١) ١٣ تموز " يوليو " عام ١٩٢٠ .

الجمعيات ، والاتحادات النسوية ، والتنظيمات الطلابية في كثير من المدن ، شكلت المرأة الفلسطينية عنصرا سياسيا جديدا ، وقف الى جانب الرجل في صراعه من أجل حريته واستقلاله وحفاظه على أرضه .
وعلى أثر ثورة عام ١٩٢٩ م^(١) ، وعلان المندوب السامي البريطاني (تشانسلر) منشوره الذي هاجم فيه الفلسطينيين " .. الأشرار ، سفاكى الدماء ، عدوى الرأفة الذين ارتكبوا أعمالا وحشية ضد أفراد الشعب اليهودي " ..^(٢) قامت النساء بمظاهرة كبيرة في مدينة القدس ، شجبن فيها ماورد في منشور المندوب السامي ، وهتفن بسقوط (وعد بلفور) وطالبن بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين . وقد أرسلن برقيات بهذا الشأن الى ملك بريطانيا ، والى عصبة الأمم ، وقابل وفد من المندوب السامي ، وألقت إحدى السيدات كلمة قالت فيها : " .. ان نساء العرب سيقمن أنفسهن في خدمة الوطن ، وهن عازمات أن يقدمن كل تضحية .. والنساء الفلسطينيات يطالبن بتتحية (المستر بنتوش) النائب العام فوراً^(٣) لانه ينتمى الى اليهود " ..

(١) تفجرت هذه الثورة يوم ٢٠ آب " أغسطس " ١٩٢٩ ، عندما قامت معركة عنيفة بين العرب واليهود عند مرور البراق في مدينة القدس .

(٢) د . أحمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، منذ نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ . معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٢٣ .

(٣) سميرة أبو غزالة : نضال المرأة الفلسطينية ، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية القاهرة ١٩٧٠ ص ٥ ، كذلك ينظر : د . اجلال خليفة : المرأة وقضية فلسطين (د . ن) القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٩ .

وبتاريخ ٢٦ تشرين الأول " أكتوبر " عام ١٩٢٩ م عقدت النساء الفلسطينيات أول مؤتمر لهن في مدينة القدس حضره نحو من (٢٠٠) امرأة يمثلن مختلف المناطق الفلسطينية ، وتم انتخاب السيدة عقيلة موسى كأظم الحسيني رئيسة للمؤتمر ، وأصدرت المؤتمرات قرارات دعون فيها الى رفض (وعد بلفور) والهجرة اليهودية ، واعتبار (صك الانتداب) بالشكل الذي تطبقه الادارة العامة في فلسطين المسئول الرئيس عما يجري في البلاد ، كما دعون الى اقامة حكومة وطنية ، مسئولة أمام مجلس تشريعى وقيام حركة قومية توحد جميع جهود المنظمات النسوية في فلسطين ، وتشجع السيدات العربيات على تنمية الصناعات الوطنية ، وتطويرها (١) .

واستمرت سياسة الانتداب البريطانى تعصف بالشعب الذى كان يخوض معركة غير متكافئة ، فاعتقل مئات من انشباب العرب ، وصدرت أحكام بالسجن على الكثيرين تراوحت مددها بين ثلاث سنوات ومؤبد ، وفرضت غرامات مالية على القرى ، وحددت اقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية من فلسطين (٢) كما صدر حكم باعدام عشرين عربيا من بينهم : فؤاد حجازى ، وعطا الزير ، ومحمد حمجوم ، الذين نفذ فيهم حكم الاعدام في يوم الثلاثاء ١٧ حزيران

(١) جريدة الدستور : عمان العدد ٣١١٥ بتاريخ ٣٠ آذار " مارس " ١٩٢٦
كذلك ينظر :
وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطانى والصهيونية (١٩١٨ - ١٩٣٩) منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ببيروت ١٩٦٨ ص ٣٤٦ .

(٢) اميل النورى : المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ومحق العرب ، دار النيل للطباعة القاهرة ١٩٥٥ ص ٦٨ .

" يونيو " ١٩٣٠ م . وقد أظهر هؤلاء الأبطال الثلاثة وقت اعدامهم شجاعة كبيرة لم يقفها سوى شجاعة امهاتهم وقد تحلقن مع عشرات من النساء حول سجن عكا ، يزغردن كلما ارتفعت راية سوداء تعلن أن واحدا من الأبطال قد علق .^(٢)

وفي أول الثلاثينيات تكشفت للناس كافة سياسة الحكومة البريطانية ، وافتضحت نواياها في موالة الحركة الصهيونية ، وتشبيت خططها وأطماعها في إقامة الوطن القوي . وقامت سلطات الانتداب بفرض الضرائب الباهظة على الفلاحين ، مما اضطر بعضهم الى بيع أراضيهم الى الملاك الصرب الكبار .^(٤)

(١) في هذا ، قال الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان قصيدته المشهورة (الثلاثة الحمراء) وفيها يقول :

... أنا ساعة الموت المشرف كل ذي فعل جـــــور
بطلى يحطم قيده رمزا لتحطيم القيود
قسما بروح محمد تلقى الردى حلو السورود
قسما بأمك عند موتك وهي تهتف بالنشيد
مانال من خدم البلاد د أجل من أجز الشهيد ...

(٢) هزجت النساء في تلك الحادثة أهزوجة فلسطينية محلية تقول :

آيه يا ... والمشنقة تاجك
آيه يا ... والقيد لك خلخال
آيه يا ... وموتك عن بلادك عز
آيه يا ... يازينة الرججال

ينظر : عيبر ومجد .. مرجع سابق ، ص ٣٣٣ .

(٣) يقول الشاعر ابراهيم طوقان مخاطبا الانجليز ومددا بالهجرة الصهيونية ووعدهم بلفور :

... منذ احتلتم وشؤم الميش يرهقا فقرا وجورا واتعاسا وانفسادا
بفضلكم قد طفى طوقان هجرتهم وكان وعد تلقيناه ايمادا ...
ينظر : ديوان ابراهيم طوقان ص ٨٣ .

(٤) يقول (فؤاد ساي) في شهادته أمام اللجنة الملكية : " ان السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية ترمي الى وضع الفلاح في حالات اقتصادية تضمن انشاء الوطن القوي لليهود " . ينظر :

— مجموعة شهادات الحرب في فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية : مطبعة الاعتدال ، دمشق ١٩٣٨ ص ٦٢ ، ٦٣ .

وكانت من قبل قد سنت قانون نزع الملكية في آب " أغسطس " ١٩٢٦ م ،
الذي يسهل للصهيونيين وضع أيديهم على الأراضي العربية ، كما طبقت
القوانين التي تحرم على العربى التظاهر ، وحمل السلاح ،^(١) في حين سمحت
للسهيونى بذلك ، بالإضافة الى أنها صرفت النظر عن مراقبة الهجرة اليهودية
التي أخذت تتزايد حتى بلغت عام ١٩٣٣ ، (٣٠٣٢٧) يهوديا ، عدا
المهاجرين غير الرسميين .^(٢)

وتفجرت البلاد بأعمال العنف ، ولبست المقاومة طابع العصيان المسلح ،
وتقاطر المؤات من المسلحين للاتحاق بجماعات الثوار المنتشرة في الجبال ،
تدهم نساء القرى بالطعام والكساء ، والذخيرة أينما اتجهوا أو ساروا . وشهدت
المدن مظاهرات متوالية ، كان أكبرها تلك التي قامت يوم الجمعة ١٢ تشرين
الأول " أكتوبر " ١٩٣٣ م حين خرجت جموع المصلين من المسجد الأقصى ،
وانضم اليهم آلاف المواطنين ، وخمسون امرأة كن ينتظرن في ساحة الحرم ،
وراح الجميع يرددون الهتافات المعادية للاستعمار ، وينادون بالاستقلال ،
ووقف الهجرة اليهودية ، غير مباشرين برصاص السلطة واجراءاتها القمعية .^(٣)

(١) بموجب هذه القوانين صدرت أحكام تمسفية بحق بعض المواطنين العرب
على النحو التالى : " ٠٠ ست سنوات حبس لحيازة معدس ، اثنتا عشرة
سنة لحيازة قبلة ، خمس سنوات مع الأشغال الشاقة لحيازة (١٢) رصاصة
ثمانية أشهر بتهمة تضليل فريق من الجند عن الطريق . تسع سنوات
بتهمة حيازة مفرقات ، خمس سنوات لمحاولة شراء ذخيرة من الجنود أسبوعاً
حبس لحيازة عصا " ٠٠٠ ، ينظر :

- عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، مكتبة
فلسطين الجديدة ، يافا القاهرة (د . ت) ص ١٥ .

(٢) جامعة الدول العربية : الامانة العامة للادارة فلسطين . الهجرة اليهودية
في فلسطين ، القاهرة (د . ت) ص ١٥ .

(٣) عبد القادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطينى قبل عام ١٩٤٨ . منشورات
مركز الأبحاث الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٤ .

(١)
وكان للتحدى الذى مثله استشهاد الشيخ عز الدين القسام ، والاختافات المتلاحقة التى منيت بها الحركة الجماهيرية فيما يتعلق بمطالبها الوطنية ، عظيم الأثر فى اعلان الاضراب العام فى جميع البلاد ، يوم ١٩ نيسان " ابريل " ١٩٣٦ ، مدة ستة أشهر ، وفى اندلاع الثورة الكبرى التى دامت حتى عام ١٩٣٩ م وفى وسط هذا الجو الملبد بالعواطف الثائرة ، والمشحون بأقصى حالات الخداع والتضليل اضطلمت المرأة الفلسطينية بدور كبير فى مجابهة الخطط الاستعمارية والأطماع الصهيونية فأخذت تنبه الى أخطارها ، وتحذر منها ، وتدعو الى مقاومتها . وفى ٦ أيار " مايو " ١٩٣٦ م قامت طالبات المدارس بمظاهرة كبيرة فى المدن الرئيسية احتجاجا على السياسة البريطانية ، و (وعد بلفور) ، وفى ١٤ أيار " مايو " من نفس العام ، عقدت النساء اجتماعا كبيرا فى مدينة يافا حضره نحو من (٦٠٠) امرأة ، وفى هذا الاجتماع أيدت النساء العصيان المدنى ، وطالبن بوقف الهجرة اليهودية ، والحفاظ على فلسطين عربية ، وألقت الآنسة (أسمت الهباب) رئيسة الاتحاد النسوى كلمة قالت فيها :

(١) من مواليد قرية (جبله) السورية ، قضاء اللاذقية عام ١٨٧١ م . قدم مع الشيخ محمد الحنفى المصرى والشيخ على الحاج عبيد الى حيفا عام ١٩٢١ م ، واستشهد مع رفاق له فى معركة مع الجنود البريطانيين فى ٢٥ تشرين ثانى " نوفمبر " ١٩٣٥ م ، وقد لعب الشيخ القسام دورا مهما فى تقريو شكل متقدم من أشكال النضال الفلسطينى ، ووضوح فيه الزعامات الفلسطينية التقليدية المتفسخة حينذاك أمام امتحان لا يمكن الفرار منه . وتشكل شخصية القسام نقطة التقاء لعوامل متداخلة تتعلق بالقضية الفلسطينية (فسوريته) تمثيل للعامل القومى العربى فى المعركة . و (أزهريته) تمثيل للعامل الدينى الوطنى الذى كان يمثله الأزهر فى بداية هذا القرن ، و (نضاليتته) تمثيل لوحدة النضال العربى ضد الاستعمار بأنواعه وأشكاله المختلفة .

(٢) ميسون شعت : دور المرأة الفلسطينية فى الثورة المسلحة . نشرة الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية بالقاهرة ١٩٧٥ م .

••••• لقد لاحظنا أن الأمة قررت التمرد على الاستعمار الفاشم وتحطيمه ،
•• نطالب التمتع بقسطنا في الحياة ، واننا على أتم الاستعداد لدفع أغلى
الأمثان من أجل تلك الحرية ••••• وقالت السيدة (صفا الدباغ: •••••
ان مستقبل البلاد متوقف علينا ، فيجب أن ننظر بعين الحكمة والدراسة
الى مستقبل أولادنا الذين اذا بقيت الهجرة الصهيونية ، سيصبحون الأقلية
ويضطرون للنزوح عن بلاد أجدادهم ••••• (١)

ومع تصعيد الثورة نشطت الجمعيات النسوية في المدن والقرى ، وأخذت
فئة المثقات تنشر الوعى القومى بين النساء ، وتزور السجون والمعسكرات
وتساعد عائلات الثوار ، وتشكلت فرق الاسعاف والتمريض للمنايا بالجرحى
وتزعمت السيدة (مريم هاشم) رئيسة جمعية السيدات الصريبات في نابلس ،
حركة نسوية نشطة ، أمدت الثوار في القرى والجبال بالطعام والماء والمال
والسلاح ، ووفرت لهم المخايب ، تحميمهم من بطش سلطات الانتداب حين
كانت تتعقبهم •

وشهدت المدن والقرى موجة حماس عارمة ، تبرعت فيها النساء بالحلى
والجواهر من أجل توفير البندقية والذخيرة للثوار • ودارت على ألسنة الناس

(١) كفاي الشعب الفلسطينى قبل عام ١٩٤٨ ، مرجع سابق ص ١٨٢ •

(٢) صارت البندقية (البارودة) في نظر الانسان الفلسطينى ، الرمز الذى يحدد
وعد المستقبل ويحطم القيد والاستكانة ، ويثبت الصمود حتى الرمق الأخير •
ولقد تناولت الأهازج الشعبية هذا الرمز في كل المناسبات وصار الناس
يفنون :

••• يا عرسى يا ابن الجرودة
والبارودة أحسن من أمك
كما غنت المرأة :

••• طلت البارودة والسبع ماطل
بارود تو بيد الدلال أرتيها
بارود تو لقطت صدى عترابها
يا بوز البارودة بالندى مبتل
لا عاش قلبى ليش ما شرتيها
لقطت صدى واستوحشت لأصحابها •••

ينظر: نمر سرحان: أغانيها الشعبية ، وزارة الثقافة والاعلام الأردنية • عمان (د.ت)
ص ١٥٧ •

حكايات شجاعة لنساء كابدن الحزن والشدة ، وتبرعن بما يمكن في سبيل
نصرة الثوار ، فلك " ٠٠ القروية التي وقفت الى جانب جثث الشهداء ،
تشير بيدها الى احدي الجثث وتقول : انه يشبه ابني . ٠٠ ثم تدخل
القرية وهي تزغرد بعد أن تبين لها أن الشهيد كان ابنها فعلا . ٠٠
وتلك المروس الشابة زوجة (محمود شحادة النابلسي) التي لاحظت حزن
زوجها حين لم يجد بندقية يشارك فيها الثوار أمجادهم ، فباعت بيتها
الموروث عن أبيها ، واشترت بثمنه بندقية وذخيرة وشجعت على اللحاق
بالثورة ، حيث أسهم بشجاعة ومطولة حتى استشهد في معركة (وادي الطواحين)
بتاريخ ١٣ تموز " يوليو " ١٩٣٦ م . ٠٠ (١) وحملت هذه الحكايات أيضا ،
أخبار (فاطمة خليل غزال) التي سقطت برصاص الانجليز وهي تحمل على
رأسها الطعام والماء للثوار في معركة (وادي عزون) بتاريخ ٢٦ أيار
" مايو " ١٩٣٦ (٢) ، و(عائشة أبو حسن من عطارة ، وعزية محمد علي سلامة
من قالونية ، وجميلة محمد الأزعر من صور باهر) اللواتي قضين في معارك
القدس عام ١٩٣٦ م ، وهن وسط صفوف الثوار ، يزغردن لهم ويمثن في
نفوسهم الحماس والحمية . ٠ (٣) وكذلك (بهجة الشيخ أحمد ، وجميلة حميد
الصالح ، وزينب الشيخ عبد الله ، وعيدة زوجة أسعد القطبي ، ومريم عبد المالك
المحاميد من قرية أم الفحم) اللواتي أمضين ساعات طويلة على أرض معركة
(خلة الحمار) يزودن الثوار بالذخيرة والطعام ، وعلى رأسهن (حليلة
خشروم المحاميد) التي فقدت الوعاء الذي كانت تنقل به الماء فاستعان

(١) صالح مسعود أبو بصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . دار الفتح

للطباعة والنشر ، بيروت (د . ت) ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) عيبر ومجد . ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ٣٣١ .

(٣) نضال المرأة الفلسطينية . ٠٠٠ مرجع سابق ص ٢

بخطأ رأسها وزنارها ، تشويهما الماء ، من نبح بعيد ، وتمود مسوعة السى
أرض الممركة ، وتمصر الماء على وجوه الجرحى وأبدانهم .^(١)

وقد شكل دور المرأة فى سنى الثورة هذه مادة غنية للصحافة المحلية ،
فأبرزتها كعنصر فعال لا يقل شأنًا عن الرجل فى ميادين القتال ، كما نشرت^(٢)
على صفحاتها مقالات وطنية سطرتهما أقلام نسوية ، هاجمت فيها الاستعمار
البريطانى الصهيونى وكشفت الاعيهه ومخططاته الرامية الى سلب الأرض ،
والحيلولة دون حق الشعب فى الاستقلال ، وفى مقال بعنوان ((نداء السى
العدل الانسانى)) كتبت (أم) تقول : " لا يوجد أى انسان يمكنه

(١) شهادة سماعية : عن يوسف حسن شريم من قرية أم الفحم ، وأحد
الثوار الذين اشتركوا فى الممركة التى وقعت ظهر يوم جمعة من أيام
تموز " يوليو " ١٩٣٧ م . فى مكان قريب من القرية يدعى خلة الحمارة

(٢) يقول الشاعر محبى الدين الحاج عيسى مخاطبا المرأة الفلسطينية
التي خرجت تناصر الثورة عام ١٩٣٦ :

عودى لخدرك يا أخت المها عودى
فى الحى ماشئت من شوس ومن صبيد
تبارك الله اذ أهلبت مفضبة
والحسن يشرق من طرف ومن جبيد
فكفكى الدمع من عينيك واطرحسى
عك الأسى لتؤاسى قلب معمود
... أما رأيت ليوت الحى قد بـرزوا
حمر المناصل فوق الضمـر القـود
فتيان قومك كم خفوا لنائبية
فى كل يوم من الأيام مشهود ...
ينظر : محاضرات فى الشعر الحديث .. مرجع سابق ص ١٠١ .

أن يرى بينه يؤخذ ضوة منه ، ويشير حق ، ويمطى لغيره ، ويبقى صامتا . . .
انه لمن العار أن تأتي بريطانيا بهذا العدد الضخم من جنودها لاحتلال
بلادنا ، واخماد صوت الشعب الذي يناضل لأجل استقلاله ووجوده . . . (١)

وفي هذه المرة كانت سلطات الانتداب ماتزال تصعد عسفها بصورة
جنونية ، وتواصل بطشها المحوم بالشعب ، . . . فحكمت بالسجن المؤبد
على أكثر من (٢٠٠٠) من الشيوخ والشباب والنساء ، وأعدمت في سجن
عكا (١٤٨) شهيدا ، وهدمت أكثر من (٥٠٠) بيت ، وبلغ عدد المعتقلين
العرب أكثر من (٥٠٠٠٠) . . . بالإضافة الى التحذير الوحشي ، وكس
الأجسام وخلع الأظافر وهجر اللحم ، وحرق اللحي والشوارب . . . (٢)

ولم تنج المرأة من هذا المصاف ، ففي ٢٥ شباط " فبراير " ١٩٣٩ م ،
سجنت سلطات الانتداب السيدة (ساذج نصار) سكرتيرة الاتحاد النسوي
في بيت لحم ، بتهمة التحريض ضد السلطة فسجلت بسجنها هذا أول حادثة
استعمل فيها قانون الدفاع الفلسطيني ضد امرأة ، وحكم عليها لمدة ثلاثة
أشهر ، جددت الى ستة أخرى . . . (٣)

وحيث نشبت الحرب العالمية الثانية في شهر أيلول " سبتمبر " ١٩٣٩ م ،
كان العنف الصهيوني قد بدأ يتصعد باطراد ، وواجهت الثورة الفلسطينية
محمل حقائق قصادت الى فشلها ، وضرب عفاصلها ذاتيا وعربيا ودوليا ، فقد عانت
من غياب القيادة الثورية الواعية ، ومن تواطؤ بعض الأنظمة العربية ، وعدم

-
- (١) تاريخ الصحافة بفلسطين . . . مرجع سابق ص ١٠٥ .
(٢) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . . . مرجع سابق ص ٢٤٧ .
(٣) جريدة فلسطين : بتاريخ ٢٨ أيلول " سبتمبر " ١٩٣٩ .

تفاعل جماهيرها الضعيفة مع الثورة الا بصورة هامشية وذاتية ، كما " ٠٠٠
تعب الشعب من الضغط العسكري المتواصل ٠٠٠ .بالاضافة الى معاناته
المجز من الأسلحة والذخائر ، واقدام الفرنسيين على قمع مقر رئاسة
الثوار في دمشق قمعاً تاماً ٠٠٠ (١) .

ووجد الصهيونيون أنفسهم أمام حركة وطنية فلسطينية مدججة بصورة
تكاد تكون نهائية ، فقد كان رأسها مهشماً ، وقاعدتها مهترئة ، ندخلوا
الميدان بسهولة تساندتهم أجواء ملائمة من التعاطف النفسى والسياسى
المالى الذى ولدته سياسة هتلر نحوهم ، بالإضافة الى أنظمة عربية محيطة
عاجزة بلا قوة حقيقية رادعة . (٢)

وخلال بضع السنوات التى أعقبت فشل ثورة عام ١٩٢٦ م ، وانتهت
(بنكبة ١٩٤٨) وعلى الرغم من الحال التى وصل اليها الشعب الفلسطينى ،
والمآزق السياسية والعسكرية والمعنوية التى عاشها (٣) ، فقد استمر على وصل
المعارك والفرع لها ، والتنادى اليها من القرية والمدينة وكل حى ، حتى

(١) د . عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث . المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٥٩ .

(٢) يخاطب الشاعر ابراهيم طوقان الزعماء الفلسطينيين والصرب فى
سخرة الاذاعة ويقرر الحال التى وصلوا اليها :

٠٠٠ أنتم المخلصون للوطنية
أنتم العاملون من غير قول
و" بيان " منكم يعادل جيشاً
و" اجتماع " منكم يرد علينا
فى يدنا بقية من بلاد
أنتم الحاملون عبء القضية
بارك الله فى الزنود القوية
بمعدات زحفه الحربية
فأبرامجد من فتوح أمية
فاستريحوا كى لا تطير البقية ٠٠٠

- ديوان ابراهيم طوقان : ص ٧٦ .

(٣) كتبت الأدبية الفلسطينية سميرة عزام فى مجلة الاسبوع العربى اللبنانية
كانون الثانى " يناير " ١٩٦٢ ، رداً على مقال للكاتبة اللبنانية =

بعد دخول الجيوش العربية المنقذة أرض فلسطين في ١٥ ايار "مايو"
(١)
١٩٤٨

أما المرأة الفلسطينية ، فقد قامت بنشاط ملحوظ شمل كافة البلاد ،
فتأسست جمعية التضامن النسوي برئاسة السيدة (لولو أبو الهدى) ضمت
عددا كبيرا من السيدات اللواتي قمن بأعمال التمريض والاسعاف ، ومد يد
المون لأبناء الشهداء واسوهم ، (٢) كما اهتم الاتحاد النسوي في مدينة
القدس بتوعية الجماهير ، وفضح الاعيب الاستعمار وأساليبه ، والدفاع عن

ليلى بملبكي ، جاء فيه :

والجواب قصة طويلة ، كانت تلهب خيالنا ونحن صفار ، نتلقف
بعض قصص الممارك الحقيقية التي تنتصر فيها البنادق العتيقة
اذ يقف وراءها حق . أتعلمين متى بدأت البنادق العتيقة تصبح
دس خشبية ؟ ١٩٠٠ انها يوم كانت تستجدي الطلقات من كل عاصمة
عربية فلا تفوز بأكثر من وعود عقيمة جوفاء ، أتعرفين متى ترك شعب
بكامله ساحة الحركة ؟ انه يوم شاءت ارادة سبحانه ان تمسح
الثورة الكبيرة الى حرب تتولى أمرها جيوش عظيمة تحوكها سياسات
اذالم تكن السذاجة من خصائصها فالتواطؤ ؟

(١) من الضرب أن تسير الجيوش العربية (المنقذة) على نفس النهج
الذي رسمه المستعمرون لابعاد الشعب الفلسطيني عن مسرح القتال
والحيلولة دون معالجته قضيته بنفسه . اذ لم تكف هذه الجيوش
تدخل أرض فلسطين حتى بادرت الى حل المنظمات العسكرية والسى
نزع السلاح تدريجيا من الثوار ، واتصائمهم عن الحركة ، ينظر :

— عبد الله التل : كارثة فلسطين ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٣٦٠
كذلك :

— كامل اسماعيل : صفحات من التاريخ الاسلامي (د . ن) القاهرة ١٩٥٣
ص ٧٠ .

(٢) نضال المرأة الفلسطينية ١٩٥٠ مرجع سابق ص ٧٠

الحق الفلسطيني محليا وعربيا ودوليا ، وفي ١٦ تموز "يوليو" ١٩٤٦ م ، دعا الاتحاد الى عقد مؤتمر عام حضرته وفود من كافة البلاد العربية ، وقد بلغ عدد المشتركات نحواً من ثلاثة آلاف سيدة ، والقيت في هذا المؤتمر كلمات : مندوبة المغرب (هند فتياى) ، ومندوبة سوريا (حياة حمزة) ، ومندوبة مصر (أماني فريد) ، وكلمات عدد آخر من المندوبات دعون فيها الى مساندة الحق العربي ، ونصرة الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الاستعمار البريطاني والصهيوني الاستيطاني (١) ، وكذلك استغلت الاتحادات النسوية المختلفة في مدن فلسطين المناسبات الدينية والقومية وترفع فيها مذكرات الاحتجاج الى حكومة لندن ، والمندوب السامي في فلسطين ، وتتعدد بتصرفات الجند والبوليس البريطاني ، وتحيزهم للصهيونيين ، وتطالب بانها الانتداب واستقلال البلاد ، وفي ٧ كانون الثاني "يناير" عام ١٩٤٨ م وجه الاتحاد النسوي في كل من القدس ونابلس برقية الى المندوب السامي البريطاني جاء فيها : " .. المنصر الذي جمعتموه بعد اذلال واقتطعتهم ووطنا ، قد فاضت أوزاره ... ان الاعمال الاجرامية التي تفدر بهيولاً الأبرياء ، والعدوان المستمر بصورته الوحشية ، والاثم المقترف بين حين وآخر يضر بسمحة حكومتكم ، وهي مسئولة عنه ، ونلقى تبعته عليكم .. ان الرضا بالعدوان وعدوان والسكوت عن الاجرام لا يفتقر ... " (٢)

وعلى صعيد المعارك ، استمرت المرأة تردف الثوار بالسلاح والمؤن والذخيرة ، والكساء وتشاركهم اسعاف الجرحى ، وحفر الخنادق ، وفي مدينة

(١) عبير ومجد ... مرجع سابق ص ١٥١ .
كذلك ينظر : المرأة وقضية فلسطين . مرجع سابق ص ١١٠-١٣٤ .
(٢) جريدة الدفاع : الأرياء ٧ كانون الثاني "يناير" ١٩٤٨ العدد ٣٨٥١ .

يافا تشكلت عام ١٩٤٧ م منظمة نسوية سرية باسم (زهرة الاقحوان) كانت السيدتان (جهينة خورشيد ، وعربية خورشيد) على رأسها ، واضطلعت هذه المنظمة بالتدريب على القتال ، وسد الثوار بالأسلحة والذخائر ، كما انخرطت بعض النساء في صفوف المقاتلين ، أمثال : (فاطمة أبو الهدي ، وعدله فطير ويسرى طوقان) اللواتي عملن مع جيش الانقاذ في الجبهة السورية ، وقمن بأداء وارس عسكرية منحن على أثرها أوسمة من الحكومة السورية .

وجاء عام ١٩٤٨ م ، ليشهد خواتيم فصول دموية طويلة ، فقد تكالبت هجمات الاستعمار الامبريالي الصهيوني على شعب فلسطين ، ولجأت المصابات الصهيونية الى أبشع الوسائل الاجرامية والخلقية ، للاسراع في تفرغ البلاد من أصحابها الشرعيين ، ولا حراز مكاسب أكثر من شأنها التخفيف من حدة القناعة التي يمكن أن تنشأ حول وجود مجتمع يملك الحق في البلاد .

(١) خديجة أبو علي : مقدمات حول واقع المرأة وتجرمتها في الثورة الفلسطينية ، منشورات الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٥ م ص ٤٥ .

(٢) أقدمت المصابات الصهيونية على ارتكاب عدة مجازر بشعة أهدت بحياة مئات من النساء والشيوخ والأطفال ، ومثل ذلك مجزرة دير ياسين التي وقعت في ٩ نيسان " ابريل " ١٩٤٨ م وذبح فيها الصهيونيون (٥٢) امرأة مريض ، و (٢٥) امرأة حامل ، و (٦٠) فتاة وامرأة أخرى . ويصف الشاعر محيي الدين الحاج عيسى هذه الذبحة في قصيدة يقول فيها :

لم تكن تنهض من طيب الكرى
من بنيتها الصيد أبطال الوغى
بصبي ورضيع مأجبا
دهره ضعفا وأضواء الضوى
دمها يصرح ياتأثر الدما
وجه صهيون على طول المدى

فأتوها وهي في قفلتها
بعد أن بارحها فتانها
يأذتابا عملت أنيابها
ويشبح عاجز أنهبها
ونساء محصنات لم يزل
انها مجزرة قد لطخت
ينظر : مسرحية أسرة الشهيد للشاعر .
كذلك :

فايزة عبد المجيد : المرأة في عيادين الكفاح (د . ن) ١٩٦٨ ص ٢٩ - ١٣٠

وحفظ التاريخ أسماء نساء سطن بطولات نادرة في معارك كثيرة ، أمثال :
(حلوه زيدان) التي وقفت مع حامية قرية دير ياسين تتصدى للعصابات
الصهيونية المهاجمة ، بعد أن استشهد زوجها (عايش) ، وولدها
(محمد) ، وبقيت تقاوم حتى سقطت شهيدة مع (حياة بلبيسى) معلمة
القرية ، وابنه الثمانية عشر ربيعا ، والتي قضت وهي تسعف الجرحى من النساء
والشيوخ والأطفال . أما (جميلة صلاح ، وذبية عطية) فقد أصيبتا بجراح
خطيرة أثناء قتالهما في نفس المعركة ، كما استشهد كل من (مريم أحمد
عميرة ، وعلياء علي جار الله ، والحاجة حلوه مبارك) وهن ينقلن الطمسان
والذخيرة لثوار معركة صور باهر ، واستشهدت أيضا (حلوه السالم) وهي
تقاتل مع الثوار في معركة المالحه في ٧ حزيران " يونيو " ١٩٤٨ م .^(٢)

ومع كل هذه التوقيعات الشجاعة التي مهتت بها المرأة العربية الفلسطينية
صفحات نضالها المايئة بالمحانة ونزف الدم ، إلا أن الحركة النسوية
عموما - كغيرها من الحركات الأخرى - لم ترق الى مستوى التحديات
التي فرضت على الوطن ، وما كان لها أن ترقى ، وهي أسيرة عواطف آنية ،
وتفكير سطحي لا يتناول جذور الصراع مع الاستعمار البريطاني الامبريالي
الصهيوني ، ولا يحلل أسباب الفشل المتكرر للثورات الشعبية الفلسطينية .

(١) عبير ومجد . . . مرجع سابق ، الصفحات : ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٢ .

(٢) هناك عشرات من الشهيدات الجبهولات ، والمناضلات اللواتي لا يستطيع
الباحث أن يأتي على ذكرهن ، وشهد لهن العسكريون والمدنيون
والمؤرخون من الأصدقاء والأعداء ، يقول (موشيه شاريت) الصهيوني ، في
يومياته ، مشيرا الى مشاركة المرأة الفلسطينية في شتى مجالات الثورات
المتعاقبة قبل عام ١٩٤٨ : " ان هذه المشاركة أكسبت الثورة الفلسطينية
طابعا ثوريا " ينظر :

Laqur, Walter, A History of Zionism-Weidenfeld and
Nicolson-London, 1972 P. 264.

وحين فجع الانسان العربي الفلسطيني (بنكبة ١٩٤٨) اعتراه ذهول دام بضع سنوات ، لم يلبث بعده أن صدمته صحوه مضادة ، بعثت من جديد جذوة النضال في صدره ، على تفاوت في كمها وكيفية ، وصارت قضية فلسطين والعودة الى الأرض السليبة قطب الرحى في حياته ، ومحورا متقدما لطموحه وتطلعاته ، ولكن الواقع العربي بأنظمته المختلفة ومشاربه المتباينة ظل يقف حائلا دون تحركه نحو هذا المطمح . ولم يكن أى عمل على مستوى الجماهير العربية قادرا على مجابهة العدو والصهيوني مباشرة ، حتى ولا مجابهة نفوذ الاستعمار المتحكم بأجزاء كثيرة من الأرض العربية ، الا من خلال الاصطدام بالسلطة الحاكمة في هذا البلد العربي أو ذاك ، وهكذا فان بعض الأنظمة العربية بالاضافة الى أنها لم يكن في مقدورها أن تفكر أو يخطر في بالها أن تفكر جديا في الاستعداد لتحرير فلسطين ، فانها كانت درعا واقية تحمي العدو من أى عمل شعبي ضده ، بل مثلت في هذا السبيل دور جهاز رادع يمنع أى تفكير في هزل هذا العمل ، فتلاحقه وبقممه في مهده . ومن هنا كان لا بد لأية حركة وطنية من الاصطدام بأنظمة الحكم هذه ، وقد فرض هذا الاتجاه ، وساعد على التحكم فيه أن المدّة التي تلت (النكبة) كانت مدّة نضال شعبي ، وتحرر وطني من الاستعمار ومخلفاته في كافة أنحاء الوطن العربي .

ولما كان الانسان الفلسطيني قد توزعت (المنافع القومية) فقد وجد نفسه ، ينخرط في الحركات العربية والأحزاب السياسية ، للعمل على تحرير البلاد العربية التي تقف حكوماتها درعا تحمي بصورة أو بأخرى دولة المدوان على أرض فلسطين .

وكان من الطبيعي أن تخوض المرأة العربية الفلسطينية ، وخاصة قطاعها المثقف ، هذا الممترك الجديد ، وأن تطور مفهومها للوطن والمجتمع والأمة (١) والوحدة العربية ، والاستعمار ، وأن تعمق اقتناعها بجدوى العمل المنظم المنبسط عن وعي وإدراك ، فحددت انتماؤها ، ونظمت عواطفها وتفكيرها ، وقرأت ، وناقشت ، ووزعت المنشورات ، وقادت المظاهرات ، وتددت بالمشاريع بالاستعمارية واحتجت على الأحلاف العسكرية ، وتعرضت في سبيل ذلك الى الضرب والطرود والاعتقال والاستشهاد . (٢)

(١) لمزيد من التفصيل ينظر :

- غازي الخليلي : المرأة الفلسطينية والثورة ، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٩٥ - ١٠٥ .

(٢) مثل ذلك : الشهيدة رجاء أبو عماشة التي سقطت برصاص السلطة في عمان عام ١٩٥٥ م وهي تنزق العلم البريطاني من على سطح السفارة البريطانية ، تمبيراً عن سحق الجماهير ضد دخول الأردن حلف بغداد . وفي هذا الحادث يقول الشاعر عبد الكريم الكرملي (أبو سلمي) :

... منسية مثل بلادي رجاء مرت كما مر شعاع الضياء
أعفت على صفح أريحا دما من أدمع الدموع السماء
ولفها الليل برفق ومسا من مؤنس الا النجوم الوضياء
ولما جفاها كل قلب حنسا قلب فلسطين كما الحب شاء
وضمها بل ضم تاريخه قلبان ظلا ينزفان الدماء

ينظر : ديوان المشرد للشاعر ص ٩٢ .

وما أن جاءت أواسط الستينيات حتى كانت جذور الخلاف العربي قد امتدت الى القاع يجسدها الصراع الحزبي ، ويغذيها تباين مشارب الحكام وتبعياتهم ، وظهر الواقع العربي في أقصى حالات الخداع والتضليل ، الأمر الذي أفسد كل معاناة جماهيرية ، وحول الطاقات الوطنية الى معارك جانبية تستنفذ كل جهد وتستهلكه . ووسط هذا الواقع المتفسخ ، سارت المرأة الفلسطينية ، تستتبت القلق في الجماهير ، وتثبت فيها الشعور برفض الواقع وعدم الاطمئنان اليه ، والعمل على تغييره ، ملاقية في سبيل ذلك أنواعا مختلفة من الاجراءات القمعية .^(١)

أما في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ م ، فقد عاش الانسان الفلسطيني رهينة معتقل كبير وواجه عدوا شرسا يحطم في طريقه كل وعى وحيوة ، فاضطر - ولم يكن يستطيع غير ذلك - أن يركن فزعا مقهورا الى صمت عميق وواع ، تدرع بلاكصدفة المحار لينجو من ويلات العدو وعسفه ، ومضت عليه بضع سنوات ، انتظمت خلالها عواطفه ، وتحدد تفكيره ، وتبلورت معاناته في تماثل وانسجام ، ولم يلبث أن اعترته حمرة حذر ، سجل فيها بوضوح النضالات السلبية ، وشاركت فيها المرأة ، بشكل هامشي وفردى ، من خلال

(١) في عام ١٩٦٦ م ، سجن العديد من النساء في حطبة الاعتقالات التي شملت كافة الأحزاب الوطنية في الأردن وتعرضن لأنواع عديدة من القسوة والتعذيب .

(حركة الأرض)^(١) التي وصلت السيدة (نجلاء الأسمر) الى وضوح قيادى فيها .

وحيث انحسرت (هزيمة حزيران " يونيو " ١٩٦٧) عن ولادة جديدة للقضية الفلسطينية ، توحد كثير من الأطر الفلسطينية الفارقة في لجة من التخبط الحزى ، وفى اتجاه عملى نحو فلسطين ، وبرزت بندقية المقاومة تتحدى بشجاعة وكبرياء مختلف أسلحة القهر الامبريالى الصهيونى ، وأصاب المرأة العربية الفلسطينية تغيير نوعى فى ممارسة دورها النضالى فاندفعت تبحث عن مكان لها فى صفوف الثورة تشارك فيه ضمن امكانياتها وحددها فحملت السلاح ، ونفذت العمليات العسكرية ، وقصدت لمشاريع التسوية التى استهدفت تصفية القضية أو مسخها بمشاريع الكيانات والدويلات التابعة . كما وقفت تقاوم سياسة التهويد وتفريغ الأرض من سكانها الشرعيين .

فمنذ الأيام الأولى للاحتلال الصهيونى لباقي أجزاء فلسطين واجهت سلطات الاحتلال عصيانا جماهيريا تمثل فى الاضرابات ، والمظاهرات والامتناع عن دفع الضرائب . وكانت المرأة أول من دعا الى الاضراب ، والامتناع عن العمل ، احتجاجا على ضم مدينة القدس للمنطقة المحتلة سابقا . ووقعت

(١) حركة الأرض : منظمة قومية عربية مستقلة ، انشئت داخل الأرض المحتلة

فى نيسان عام ١٩٥٩ م .
ومن مؤسسيها : حبيب القهوجى ، منصور كردوش ، حنا مسمار ، محمود السروجى ، عبد الرحمن يحيى ، توفيق سليمان ، زكى البحرى .

ومما ورد فى دستورها : " للفلسطينيين الحق فى تقرير مصيرهم فى نطاق الأمانى العليا للأمة العربية " لمزيد من التفصيل ينظر :

- مجلة شئون فلسطينية : القصة الكاملة لحركة الأرض ، مطبعة الخريب بيروت العدد الأول ، آذار " مارس " ١٩٧١ ص ١١٢-١٢٥ .

بهذا الشأن مذكرة الى الحاكم العسكري الصهيوني بتاريخ ٧ آب "اغسطس" ١٩٦٧م سجلت فيها * ٠٠ شجبها للاجراء الذي أعلنت فيه السلطات المحتلة ضم القدس العربية الى القطاع المحتل ، متجاهلة بهذا لا الواقع التاريخي للمدينة فحسب ، بل القوانين الدولية ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، كما جاء في ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ومتجاهلة أيضا قرارى هيئة الأمم المتحدة ، بدورها الطارئة المنمقة ما بين ١٧ حزيران " يونيو " و ٢١ تموز " يوليو " عام ١٩٦٧م ، بعدم شرعية ضم القدس العربية لاسرائيل * * (١)

(٢)
وتوالى المظاهرات ، والمسيرات ، والاعتصامات النسوية ، التي عبرت فيها المرأة عن سخطها على الاحتلال ، وممارساته غير الانسانية ، وعلى قتل المواطنين وعمليات الاعتقال ، ونسف البيوت ، وفرض الاقامات الجبرية . وخابت تقديرات العدو الصهيوني وتوقعاته ، حين توهم أن المرأة الفلسطينية لن تجرؤ على القيام بأى عمل أمام السياسة التي يمارسها ، وزاد في خيبة أمه ، أن المرأة لم تكف بالمشاركة في المقاومة السلبية فحسب ، بل شاركت الرجل في العمليات الفدائية المسلحة ، وفي دراسة المواقع العسكرية ، ورصد تحركات العدو ، وزرع الألغام ، والقاء المتفجرات

(١) وثائق مقاومة الضفة الغربية للاحتلال الاسرائيلي : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧م ، ص (٢١ - ٢٣) .

(٢) مثل ذلك : مسيرة ٥ حزيران " يونيو " ١٩٦٨ ، بمناسبة ذكرى (الهزيمة) والتي اتشحت فيها النسوة السواد تعبيرا عن الحزن . واعتصام كنيسة القيامة شباط " فبراير " ١٩٦٩ احتجاجا على العرض العسكري الصهيوني ، ومظاهرة ٢٨ شباط " فبراير " ١٩٧٢ رفضا لمشروع انتخابات مجالس البلديات .

في أماكن مختلفة على جنود الاحتلال ، واخفاء رجال المقاومة ، والتستر عليهم . وشهدت العدة بين ١٩٦٨-١٩٧٠ م أعمالا عسكرية قدمت فيها المرأة تضحيات كبيرة ، لجا المدور الصهيوني على أثرها الى اجراءات (١) محومة غير انسانية ، وأصدرت محاكمه العسكرية بحق مئات من النساء ، وطالبات المدارس أحكاما جائرة بالسجن ، أو الابعاد ، أو الاعتقال (٢) .

أما في خارج الأرض المحتلة ، فقد جهدت المرأة الصربية الفلسطينية على أن تلتزم بالثورة بعيدا عن كل تناقض يعميق من حركتها سواء على صعيد الساحة الفلسطينية أو على صعيد الساح المرية ، وقد فرض عليها هذا الالتزام مزيدا من الاهتمام بالقضايا الاجتماعية انطلاقا من أن المشاركة في هذا الميدان هو جزء من مجمل العمل الثوري ، وتدخل في نطاق تعبئة الجماهير الفلسطينية ، وتفجير إمكاناتها النضالية . وعملت على توعية الجماهير سياسيا وفكريا عن طريق اللقاءات المستمرة مع القيادات الثورية وأصحاب الفكر والرأي ، كما شاركت في المؤتمرات السياسية الصربية والدولية وسعت الى بلورة مفهوم اجتماعي واضح مرتبط باستراتيجية سياسية نضالية ، بخية تطوير وضع المرأة الفلسطينية عامة ،

(١) مثل ذلك : وضع المتفجرات في الجامعة العبرية ، ونسف (السورسول) بالقدس ، وضرب القنصلية البريطانية ، ووضع المتفجرات في سينما (زيون) ، والقاء القنابل على الدوريات العسكرية .

(٢) لمزيد من التفصيل ينظر :
يوميات فلسطينية : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ،
بيروت ١٩٦٨/١٩٧٣ .

ودفعها نحو مزيد من المشاركة في النضال الثوري ، وسمت أيضا الى الالتقاء مع المرأة العربية ، والتعاون معها ، ايمانا بأنه لا يمكن لها أن تعمل بمعزل عنها ، فالمشكلات واحدة ، والمعاناة الاجتماعية والسياسية والفكرية ينبغي أن توحد الجهود للوقوف صفا واحدا في وجه العدو المشترك .

بالإضافة لهذا كله ، قامت بحمل السلاح ، وشاركت في العمليات العسكرية في داخل الأرض المحتلة ، وتدرت على أساليب النضال المختلفة التي تؤهلها للقيام بأعمال فدائية جريئة .^(١)

وعلى صعيد الكلمة ، لم تتوان المرأة العربية الفلسطينية من تسخير الأدب بأشكاله المختلفة من شعر ، وقصة ، ومقالة ، فكتبت عن الثورة ، وتخلت بالصمود ، والمقاومة ، وكثيرا ما لجأ بعضهن الى استنطاق تجاربهن العملية في أعمال أدبية تجسد النضال وتشهر الحق ، وتمرز ثقسة الانسان الفلسطيني بنفسه ، وقدرته على تحرير أرضه .^(٢)

(١) نشرت جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٢٧ تموز " يوليو " ١٩٦٩ خبرا قالت فيه :

" .. ان اتفاقا تم في لقاء بين وفد من نساء جبهة تحرير فيتنام والاتحاد النسوي الفلسطيني على أن يتصل الوفد بالمسؤولين في فيتنام من أجل ارسال مجموعة من الفتيات الفلسطينيات للتدريب هناك على حرب العصابات ، تمهيدا لتكوين أول قوات نسوية فدائية فلسطينية .. " .

(٢) نحو ما فصلته الفدائية ليلى خالد ، حين خصصت الفصل الخامس من كتابها باللغة الانجليزية " My People Shall Live "

فحدثت عن القصة الكاملة لاختطافها مع زميل لها طائرة البوينغ الأمريكية في ٢٩ آب " اغسطس " ١٩٦٩ .

وقد نشرت هذا الفصل كاملا بالعربية في مجلة : شؤون فلسطينية العدد ١٣ أيلول " سبتمبر " ١٩٧٢ ، ص ١٥٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب الثاني)

=====

” المرأة الفلسطينية والشعر ”

(الفصل الأول)

====

المرحلة الأولى ١٩١٤ - ١٩٤٨

=====

عرف الأدب الفلسطيني الشعر ، قبل أن يعرف الفنون الأدبية الأخرى ، من مقالة وقصة ورواية وغيرها . عرف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والبلاد تصطرع بالفساد والفسوق والتخلف ، واستبداد الحكام العثمانيين ، ولم تكن هذه المعرفة في واقع الأمر وليدة تلك المرحلة الزمنية ، وإنما هي امتداد لها سبقها من مراحل تعاقب فيها الشعراء والكتاب من أبناء فلسطين (٢) .

(١) د . كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٣ ص ١٣ .

(٢) من هؤلاء الشعراء : كساجم الرملق المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، شاعر أبي الهيثجاء ، وأبيه سيف الدولة ، وأبو اسحق الخزي ، السندي بعده الدكتور اسحاق الحسيني من طبقة المثبي ، وأبو عبد الله محمد بن ناصر القيسراني المولود في عكا سنة ٤٧٨ هـ ، والنسب إلى قيسارية حيث نشأ .

ومن الكتاب : القاضي الفاضل المولود في عسقلان سنة ٥٢٩ وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي المولود سنة ٣٣٦ هـ ، وصالح الدين الصفدي المولود في صنف سنة ٦٩٦ هـ ، وشهاب الدين أحمد بن علي بن الكناني المشهور بابن حجر المسقلاسي والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، ومحمد الدين بن محمد بن عبد الله الديري ، جد الاسرة الخالدية بالقدس والمولود في القدس سنة ٧٦٨ هـ ، وشهاب الدين الرملق المتوفى سنة ٨٨١ هـ ، وأبو اليمن عبد الرحمن بن محمد ابن مجير الطليبي المولود في القدس سنة ٨٦٠ هـ ، ومرعي بن يوسف ابن أبي بكر الكروبي المولود في طولكرم ، وخير الدين الرملق المولود في الرملة سنة ٩٩٣ هـ ينظر :

د . ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن . معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٧ . الصفحات (١٢-١٧) كذلك :

د . اسحق موسى الحسيني : هل الأدباء بشر . بيروت ١٩٥٠ ، الصفحات (٣٠-٣٣) .

ومن الطبيعي أن يسير شعر هذه المرحلة حتى مطلع القرن العشرين على النمط الذي سار عليه الشعر في عصر التدهور والانحطاط، وأن يكون انقطاع صلته بينابيع الشعر العربي العريق قد مسخ صورته، وشوه مضمونه ليأتي في غالبته كلاماً تقريريًا هادئ الصوت مطفئ في الجذوة، ليس له ظلال نفسية موحية، ولا آفاق ممتدة مشرقة. أما الشعراء أنفسهم فكانوا في أكثرهم من بين الشيخ أو رجال الدين الاسلامي، ومن بين القسوس أو رجال الدين المسيحي^(١). وكان لجهد هؤلاء الشعراء بالحركات الفنية المختلفة، ولضعف تفاعلهم مع الأحداث من حولهم، وجريبتهم على الدروب التي عهد لها لهم شعراء العصور السابقة، أن توقفت دنيا الشعر في ناظرهم عند الرياضة اللفظية، والتصنع المكثف، والتكلف المفرق والأبيات المعجمة المليئة بالألفاظ والأحاجي والتأريخ، وما يقرا منها عكسا على وجه، وطرذا على ضده، وما يقرا على وجه واحد في كلا الوجهين. أما مضامين أشعارهم فقد جاءت مثقلة بالقيم الدينية الرأبجية في تلك الحقبة، مليئة بمدح سلاطين المثمانيين، وبالفخر الشخصي الذي تصل فيه المبالغة حد الضرر بالاضافة إلى الشعر الذي تتناولوا فيه حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وما قالوه في المناسبات الاجتماعية الخاصة والمراثي وتبادل الرسائل. ولكن مهما يكن من أمر هذا الشعر، فإن له قيمة تاريخية لا ريب فيها، ذلك أنه يصور مستوى الحياة الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ويوضح عمق التشويش الذي أصاب الشعر في عصر الانحطاط، ويصين على فهم تطور الحياة

(١) من أمثال الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني، والشيخ أبو الاقبال سليم ابن الشيخ حسن اليعقوبي والشيخ عباس الخماش، والقس الياس مرمورة، والإستاذ جرجي عطية. ينظر:

- حياة الأدب الفلسطيني. مرجع سابق ص ١٢٥.

الأدبية عامة ، والشعرية خاصة ، وعلى تتبع المراحل التي مرت بها هذه الحياة ، بجانب أنه يزود الباحث في تاريخ هذه الحقبة بمادة خصبة يجدها في كتب التاريخ ، فيستطيع أن يجلو كثيرا من خفايا الظروف السياسية ، ودقائق الحياة الاجتماعية (١)

وقبيل الحرب العالمية الأولى ، شهدت بلاد الشام عامة اتجاهات جديدة لم تكن سائدة من قبل ، وأخذت قضايا القومية العربية والوطن والنضال وبواعثه تتدافع بلطف حيناً ، وبصنف حيناً آخر ، كما تيسر لكثير من الناس قدر من الثقافة الغربية ، وانسلت إلى شعر بعض الشعراء روح جديدة ، أخذت تنحى على الأثر كتمصهم للجنس الطوراني وتراوح ما بين المتب والنقد والتنديد واليأس ، وبين الاستقلال والاقليمية المحلية .

وتوجه عدد من الشعراء الفلسطينيين - كثيرهم من بعض الشعراء العرب - يدرأون عن الشعر ما تسرب إليه من فساد ، ويبرئونه من السطحية ، والقصور ، والأساليب المهزلة ، وبرزت في شعرهم آثار الثقافة الجديدة التي اكتسبوها ، فالذين درسوا إحدى اللغات الأجنبية وتيسر لهم الاطلاع على آدابها (٢) ، اطلوا على آفاق جديدة ، تمثلتها نفوسهم وجاشت بها صدورهم ، فكانت عاملاً في إرهاف حسهم ، واخصاب مشاعرهم ، فالتحموا بالحياة من حولهم ، وتخطوا الأسوار التي حصر شعراء

(١) محاضرات في الشعر الحديث . . . مرجع سابق ، ص ٢٧ .
(٢) من أمثال : خليل السكاكيني الذي أجاد الانجليزية ، واسحاق التاشيشي وسليمان التاجي الفاروقى اللذين أجادوا الفرنسية بجانب أجادتهم الانجليزية . ينظر :
الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر . . . مرجع سابق ، ص ٥٥ .

الحقبة السابقة أنفسهم داخلها ، واستطاعوا بذلك أن يتصرفوا في السوان
جديدة من القول ، وأن يتناولوا أغراضا أوثق اتصالا بالحياة ، وأصدق
تهييوا عن المواطن والأحاسيس الخاصة ، بل لقد فطن بعضهم إلى الخطر
الصهيوني الذي بدأ يظهر ماثلا للميان في ذلك الوقت ^(١) ، فاتجهوا
إلى القول في هذا الموضوع الجديد الذي صار فيما بعد من أهم
الموضوعات التي سيطرت على الحياة الأدبية الفلسطينية عامة والانتساج
الشعري بصفة خاصة . أما بعض هؤلاء الشعراء الذين لم يتح لهم معرفة
لغة أجنبية ، أو لم ينالوا قسطا من الثقافة الأجنبية تهيئهم لما سلف ^(٢)
فقد انصرفوا إلى التراث القديم واتصلوا به اتصالا وثيقا ، حتى امتزجت
به أنفسهم ، فأمدوها برواقه جديدة بحيث الحياة في حسيهم وأخصبت
طاقتهم الشعرية ، واستطاعوا بذلك أن يتحرروا من كثير من القيود التي
فرضها شعراء المرحلة السابقة . ^(٣) ولا يعني قولنا هذا أن شعر هذه
المرحلة قد خلا من الصناعة اللفظية ، أو خلس من الأغراض التي استفرقت
شعر المرحلة الأولى ، إذ كثيرا ما يقع الباحث على قصائد المديح ، وتفرغ
الكتب والصحف والثناء على مؤلفيها في أسلوب خامد الماطقة تشويبه
سطحية هي وليدة عجز بعض الشعراء عن الاحاطة بأسرار اللغة ، وقصورهم
عن تحقيق اليها التعميري الجميل .

(١) أمثال اسحاق النشاشيبي في قصيدته : " يا فتنة الحي " . . . ينظر :

النقائس المصرية - الجزء الثاني عشر ، تشرين الأول " أكتوبر " ١٩١٠
المجلد الثاني ص ٥٧٦ .

(٢) من أمثال : الشيخ سعيد الكروبي ، والشيخ صالح التميمي ، والشيخ
محيي الدين الطلاح ، والشيخ علي الريماوي ، والشيخ رفعت شحاحنة
والشيخ عبد الرحمن عزيز .

(٣) محاضرات في الشعر الحديث . . . مرجع سابق ، ص ٦٧ .

ولم تسجل لنا هذه المرحلة شمرا نسيا فلسطينيا ، وورد ذلك في تقدير الباحث أن المرأة الفلسطينية - شأنها شأن المرأة العربية عامة - كانت تشغلها هموم حواء ، وما تلاقيه من ضغط الظروف الاجتماعية عن الشعر وقرضه بالاضافة الى أنه لم يتوافر لها حتى ذلك الحين قـدر من التعليم والثقافة ، والمعرفة ، وتمق الاحساس بوجودها ، وتضيف الى خبراتها المزيد من التجربة وتمييزها على تفهم الحياة من حولها وتدفعها نحو الالتحام بالجملة والمشاركة في قضاياهم الحادة ، ولما كانت المهرجانات الشعبية تـكاد تكون الرسمية الوحيدة ^{ناردين لورسن} لنشر الشعر وتثبيت أقدام الشمراء فان ظهور المرأة فوق المنبر حينذاك خرج عن الحرف والتقاليد لـجتماع لا يزال يؤر لبناء التحفظ في السلوك وفي القول .

ونتيجة لوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، والاعداد السياسي والاقتصادي والاداري المظلم لانشاء وطن قومي صهيوني فيها ، ومن جراء التفاعلات المتشابهة الناجمة عن التغييرات الثقافية والاجتماعية الطارئة عليها فقد برزت مواقف جديدة عند الشمراء الفلسطينين ، وتناولوا موضوعات اقتضتها ظروف الحياة الجديدة ، وفوضت على شعرهم أن يكون وسيلة من وسائل النهوض واليقظة القومية ، والثورة على الظلم ، وكان هذا سببا في وجود شعر عربي فلسطيني ذي شخصية مستقلة وأغراض جديدة لم تشمل عليها فصول الشعر من قبل ، وهي الفصول التي هانت فيها همم تضم الشعر الوطني والشعر الاجتماعي والشعر السياسي . الا أن شمراء هذه الحقبة ^(١) ، لم يخرجوا عن حدود من سبقهم ، على الرغم مما أضفوا

(١) من أمثال : الشيخ ابراهيم الدباغ ، ومحيي الدين الحاج عيسى ، ومحمد المدناتي .

من جديد يتعلق بموضوع الشعر ، ولذلك ظلت تجاربهم غير مكتملة ، وظلوا ملتزمين الى الخيال والتصوير ، بدلاً من الاخبار والتقريب ، وقاموا بوظيفة الدعاية والخطيب ، أكثر من قيامهم بوظيفة الشعر الفنان ، وقيمت القصيدة الشعرية تأخذ شكلاً واحداً لديهم ، لم يطرأ عليها سوى تضييعات طفيفة لامست السطح ، كالتموج في القوافي داخل اطار الوزن الواحد ، والافتتان في التوشيح داخل القصيدة الواحدة ، ولكن القصيدة التقليدية بقيت عمود العمل الفني ، ولم يفارقها منهم أحد . (١)

وفي أواخر الثلاثينات ، كان الشعر الفلسطيني عامة ، يسير على النسق الذي يسير عليه الشعر العربي في مصر والشام ، متأثراً به ، محتدياً بانجازاته ، يقلدها ويستوحىها أو يضيف اليها ، دون أن يخرج عنها بالرغم من بعض الملامح الخاصة التي فرضها واقع فلسطين ، وثورة شعبها واضطراب الحياة فيها . ومن الطبيعي أن يوظف الشعراء الفلسطينيون أنفسهم في خدمة الحياة الملتهبة من حولهم ، وأن يكون وطن الشهيد والحث على الثورة وتخليد البطولات ، وفضح المستعمرين ونوابلهم ، مسن القضايا التي تلوح لهؤلاء الشعراء ، وتدعوهم الى تلوينها والدوران بها مع اختلاف طفيف في النغمة من شاعر الى شاعر ، ومن حالة الى أخرى

-
- (١) حاول الشاعر اسكندر الحوري البيتجالي أن يعالج القصة الشعرية في محاولات ضحلة لم يكتب لها النضج ، وقيمت ضوياً من السرد المفتقر الى البناء العضوي المتكامل ، كما في قصيدتي : أيها الشرق المذل السيدات ، والسيدات والمص ، (ديوان دقات قلب - القدس - ١٩٢٣ ص ٣٥ ، (٨) كما حاول الشاعر برهان الدين الميوشى من بعد ، فكتب مسرحية الوطن الشهيد ، طغى عليها الوعظ والخطابية وانتقلت الى الترايط والتشخيص الحوارى .
- (٢) من أمثال : عهد الكريم الكروى (أبو سلى) ، ابراهيم طوقان ، عهد الرحيم محمود ، برهان الدين الميوشى .

ولقد ظنى على هذا الشمر الحماس والخطابية بصورة عادة ، وصار لا يختلف
فى جوهره عن ذلك الشمر القبلى القديم الذى كان يلهب العواطف
ويدعو الى الأخذ بالثأر والذود عن الحص والثغنى بالأمجاد ، وقد
شه الدكتور ناصر الدين الأسد ، معظم الشمر الفلسطينى فى هذه
المرحلة من حيث ملاحقة الشعراء لدواعى الحياة الوطنية ومتطلباتها
” .. بذلك الرجز الذى كان المرمى ينظمه وهو يواجه خصمه فى
المعركة ” .. (١) . ومن الطيبى أن يحجب هذا الشمر - مهما كانت
درجة دواعى الصدق فيه مليحة - التفكير والتأمل ، وأن يكون تفسير
قادر على تحقيق التوازن بين الفكر والشعور ، وان كان يلجى حاجة
الناس ومستواهم الثقافى فى ذلك الوقت .

وفى هذه الحقبة على وجه التحديد ، ظهرت الشعرة الفلسطينية
حيية ، مقلدة فى بادىء الأمر ، وكان ظهورها فى هذا الوقت استجابة
لهوائت النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية التى عمت البلاد ، ووقفت
هذه الشعرة فى الخطوط الخلفية ، لا تسحفها الظروف على أن تستجيب
للنداءات من حولها ، وتلمى عليها أن تبوح بصراحة عن مكنون نفسها
أما شعرها فقد تنازعت عاطفتان : عاطفة الابقاء على القديم واحترام
العروش وتقليده ، وعاطفة الذات المتفتحة على متطلبات الحياة من حولها

(١) محاضرات فى الشعر الحديث ٠٠٠ مرجع سابق ص ٢٥٨ .

وهي لنا قصيدة الشعرة فدوى طوقان (١) (الله فيك وفي بنيك) والتي
تعد من بواكير شعرها المنشور ، تبين الوجه الصبغى الذى تنفست
به الشعرة فى بناء القصيدة ، وفى رسم أجزاءها ، وتعيد الى أذهاننا
نفحات شوقى وديباجتة المملوكة التى تجمع بين اللوعة والمتانة . تقول
فدوى :

وطنى لئن عصفت بك الأيام
(٢) فالدهر حرب تارة وسلام
وعلاك لم يخضع بنوك ولا وئت
هم لهم كالرأسيات عظام
... عبت المفروق بالديار وأهلها
فالحق يسلب والميز يضاف
وأنت يد التمشيت تصدع شلمهم
قد أيدتها قوة ونظام
الله فيك وفي بنيك لشد ما
بالظلم قوض صرحك الظلام

(١) هى ابنة عبد الفاح طوقان ، وشقيقها الشاعر المرحوم ابراهيم طوقان
ولدت بمدينة نابلس ، ولم يتمها لها فرض الدراسة فى المدارس ولكنها
درست على نفسها ونالت قسطا من الثقافة ، وانكبت على قراءة الكتب
والتحقت بمدة دورات خاصة فى الادب الانجليزى بجامعة أكسفورد .
قالت الشعر فى سن مبكرة . وقد تصدتها أخوها الشاعر ابراهيم طوقان
بالصقل والتهذيب حتى أصبحت شاعرة كبيرة " لها عدة دواوين
مطبوعة .

من رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ٢٠ كانون الثانى " يناير "

١٩٧٨ .

(٢) الأملى : السنة الأولى عدد ١٣ بيروت ٢٥ تشرين الثانى " نوفمبر "

١٩٣٨ .

... الشرق يحمل ما تنوء بحمله وله اليك تطلع وقياس
شكواك شكواه وجرحك جرحه

تؤديه أن طافت بك الأيام
بغداد مصر والحجاز كلاهما والمسجد الأقصى هم والشام
قد ألفت ما بينكم لفنة وان شطت ديار أو نأت أجسام
هتف البراق بشجوه لمارأى للهنى أركانا عليك تقام
فاستمبر البيت الحرام وأقول الجبل الأشم وضجت الأهرام
وبكت باندلس محالم مجدها وبكت بنجد أروع وخيام

... لا بد من يوم أغر مشهر ضاح تردد ذكره الأيام
للحق فيه راية خفاقة تحنى رقابهم لها والهيام
يوم يجيش بكل أروع فارس سيان ذل عنده وحصام
تا الله ليس يذل شعب له هدى الكتاب وضمه الاسلام

وكانت الشاعرة الفلسطينية ، في هادي ، الأمر ، تشتقر الى عسى
سياس له أهمية في القضاء على الثنائية التي تحياها ، ويقل من
شأن الانفصام بين وجودها الفردي ووجودها الاجتماعي ، وقد قادها
هذا الى أن نحيا حياة مستقلة عن انتاجها ، وأن تتعامل مع الأحداث
من حولها تماما خارجيا ، وأن تتناول قضايا الوطن والوطنية بالتبصر
لا بالالتزام ، وبالمحافظة لا بالتخطيط الواعي . تقول فدوى طوقان في
يومياتها ^(١) : " ... كان أبي يخشى على كتابة الشعر السياسي والوطني
كما كان يفعل شقيقى الراحل ابراهيم ، فلما برزت مناسبة سياسية

(١) مجلة شعور فلسطينية : عدد (٨) نيسان " أبريل " ١٩٧٢ ، ص

أو وطنية ، طلب مني نظم قصيدة في الموضوع ، وكانت أعماقي تخرج وترفض وتمتد ، كيف يريدون مني كتابة الشعر السياسي وأنا سجين في الجدران ؟ من أين أستمد مادة الشعر ؟ من مطالعة الصحف ، ان المطالعة - على أهميتها - غير كافية لانهاك جذوة الشعر ، والشاعر لا يستطيع أن يكتب عن الحياة والمالم من حوله قبل أن يعرفها معرفة مباشرة . . . فكيف يطالبني أبي بالكتابة في موضوع لا تفقهه سني ، ولا له أية علاقة أو صلة بالحركة النفسية في داخل ؟ . . .

وهكذا جاء الشعر السياسي والوطني للشاعرة الفلسطينية - على قلته - قائما مضطربا لا يمس إلا سطوح الاشياء ، ولا يدخل في تركيب النفس من الداخل فيتفاعل معها ، وتتفاعل معه ، تقول فدوى طوقان من قصيدة لها بعنوان " أبي " كانت أهدتها الى أبيها وهو مريض في السجن :

. . . وطني هي مما عراك شجون

(١)

وقلبي عما هناك كل يوم

الزوايا حلت بساحك والأيام جارت والبسوس فيها عميم

الأيام هنا لبسوس الأيامي خضب الأرض ومعها المسجوم

(١) نقل عن إبراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية
ناهى الاخاء العرب حيفا (د . ت) ص ٦٩ .

رفرفت حولها فراخ مهازيم لبراها الشقة فهو رسوم
أجنت ما نمت فوقها التزغب وقد هاضها العصاب الجسم
هاضها اليتيم وهي في جدة الريش، ويأشد ما يلاقى اليتيم
والنسر الاباة لما استضيمت ضاق عنها في الأرض هذا الأديم ٠٠

سرع للمعاناة العلية التي تغمرها ساعة الظلمة في هذه الحبة ما يصح بما نراه من العبرة يبعثها ما سـور
أرشقة الأسر، وأحس بثقل القيود، فتأقت نفسه إلى الحرية والانفلات
من بين الجدران، تقول فدوى :

(١)
٠٠٠ بنته يد الظلم سجننا رهيبا لواد البرهشات أمثاليه
وكرت دهور عليه، وما زال يثقل كاللحمة الباقية
وقفت بجدرانها العابسات وقد عُفرت بتراب القـرون
وصحت بها يا بنات الظلام، ويا بدعة الظلم والظالمين
لمنت، أحجبي نور حريتي وسدى على رحاب الفضاء
ولكن قلبي هذا المفرد لن تتطفي فيه روح الخناء
فقلبي يد الله صاغته لحنا تدفق من عمق نوح الحيلة ٠٠٠

ولأن الشعرة لم تكن بقيادة على تحقيق رغبتها في البوح والانطلاق فقد
انكأ على نفسها، وانسل إلى شعرها الحزن والكآبة، والوحدة
والشوق إلى المجهول، ومناجاة الطبيعة، وكان ذلك كله وسيلة للتفيس
عن المكبوت من أحاسيسها وعواطفها وآمالها وأحلامها :

(١) ديوان وحدي مع الايام، دار العودة، بيروت ١٩٧٤، ط ٤، ص ٨٤.

(١) ... ذنبي ؟ وما ذنبي ؟ الا وبيلاه من ظلم القبيح
ما حيلتي والفصل في عنقي على حمل الوريد
أواه حتى أنت لم تنصف هوى قلبي الشهيد
أواه حتى أنت تظلمني مع القدر الحبيب
قلبي يئن ، يلوب في ألم يسأل في شـرود
لم لا يعود ؟ فلا يجيب سوى الصدى " لم لا يعود "
وأروح في شفتي أشعار وفي كفي عـود
ولعنتب الأيام والزمن المفرق والوجود ...

وفي هذبات ملهية بالصدق والعاطفة والانفعال ، تعطينا الشاعرة
تجربتها بكل ما فيها من حركة نفسية ، وتوهج شعوري ، هذه فدوى في
قصيدتها " على قبره " ترثي أباها إبراهيم بأسلوب صاف تظهر في
شأيا رومانسية " مدرسة أبولو " وأنفاس ايليا أبي ماضي جليسة
واضحة :

... أه يا قبراً له اشعاع نور

(٢) لا أرى أجمل منه في القبور

فيك أحباب وفي قلبي الكسير ماتم ما انفك مذ ماتوا لديك

فانما يأخذ مني بالوتين

وإذا ينزف دمع المقل يجهبش القلب أسى ما يأتلى

-
- (١) ديوان وحدي مع الأيام ... مرجع سابق ، ص ١١١ .
(٢) جريدة الدفاع : ١٤ أيار " مايو " ١٩٤٤ العدد ٢٧٤٨ .

نادها عندك أشهى أمل باكيا فيك نصيري وظهــــــــــــيرى

ساكبا من ذوبه غير ضــــــــــــين

زهرة عطرت الدنيا بنشــــــــــــر ثم مالت بين أحلام وشــــــــــــر

وذوت عن عُصْر للزهر نضــــــــــــر هكذا تنفد أعمار الزهــــــــــــور

والشذى باق بسروح المابــــــــــــرين

كلما أشرق فى الليل القمر مُتَّعِبا بالنور اعصاب الزهــــــــــــر

أظلمت نفسى وهاجتنى الذكر كيف غيبتك فى ظلمة قــــــــــــير؟

كيف أسلمتك للستوب المهــــــــــــين ؟

... أيها الهاتف من خلف الغيوب ما ترى نبع حياتى فى نضوب

لم أزل أضرب فى عُش حبيب موحش كالقفر موصول الشقاء

منذ أمسى نجمه فى الآفــــــــــــين

أين ابراهيم منى لات أين حبة القلب ونور الناظــــــــــــرين

أنا من عيش وموت بين بيــــــــــــن فحمل الحين موف عن قريب

يمسح الجرح وآلام الحنــــــــــــين

وكثيرا ما جاء بناء القصيدة مسطحا ، ليس له ذررة ولا سفع ، والتشبيهات

مباشرة ، والمعالجة عقلية ، والتجربة ذاتية تلجأ فيها الشاعرة الى المرض

الخارجى ونقل الحوادث بصورة تقريرية ، تقول الشاعرة دعد كىالى (١) فى

الطبيعة :

(١) هى ابنة عبد الحى الكىالى : من مدينة يافا ، ولدت عام ١٩٣٤ ،

ونظمت الشعر وهى صغيرة ، ونشرت لها الصحف أولى قصائدها

قبل ان تتجاوز الثالثة عشرة ، تخرجت من قسم الاداب فى جامعة

القاهرة عام ١٩٦٣ وكانت قبل ذلك قد عملت مدرسة فى مدارس

الكويت . ودعد شاعرة كثيرة الانتاج ولها ديوان (ولم تعطى ياغيوم)

- من رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ٢٦ كانون الأول -

" ديسمبر " ١٩٧٧ .

(١) أترى هذه الغيوم دهاليز بقصر/شيد في الظلماء^{قد}
وأنين الرياح هل هو اسطورة حرب في مسع الفبراء
أترى هذه السيول دماء
من حرب الاسطورة الشعواء
وزئير الرعود يقصف قصفاً
أتراه قذائف الأعداء
أعواء الرياح ضحكة هـزء
أطلقتها شفاء دهر حقود
أوقف الرعود ثورة جن
صعدتها قمام من حديد
فانبرت تحطم الاسار وخفت
كالأطير هومت في الرعود
... أنا أهوى طبيعة الكون غضبي
أنا قلبي صب بكل غضوب
أنا أهوى الجمال طلقا غيدا
أنا قلبي الف النضاء المهيب
أيهذي الغريبة الحسن هيا
اعزفي لي لحن الجمال الجيب
أيهذي الغضوب ذات الأحاجي
ذكريني بهول يوم عصب
حطى الصرف واندهبي فتفسي
عبدات المهوى بحين الرقيب...
.....

وشعر كهذا ، لا يعمدو أن يكــــون تهمومات ساذجة ،
ينعدم فيها الاحساس بموسيقى الألفاظ ، والصور الشعرية فيه غائبة
غريبة ، يلغها تنافر بين أجزاء العبارة الواحدة ، تجعل معنى البيت
يضيع في نصفه الثانى .

بل كثيرا ما طالعت الصحف المحلية قراءها بمحاولات شعرية لبعض
النساء ، هى أبعد ما تكون عن الشعر ، وتحمل في ثناياها رواسب شعر
المرحلة الاولى . وهذه إحدى القصائد المطرزة (١) ، كانت جريدة
الدفاع نشرتها ، تحت توقيع (محفوظة سعيد ، مديرة مدرسة الطــــيرة -
حيفا) نظمتها بمناسبة مرور الأربعين على وفاة صديقة لها تدعى
(حسنية أمين الصالح) ، وتتناول أبيات القصيدة (!) في أوائلها حروف
اسم التقيدة ، بأسلوب هزيل بادى التكلف ، سقيم النظم والمعنى ،
ملس ، بالأغلاط اللغوية والشعرية :

(ح)	حننت اليك يا زين السلاح	ويا ذات المكارم والسماح
(س)	سألت البدر عن مأراك لما	أطلت النأى والهجر البهاح
(ن)	ناديته والقلب يقطر بالدمما	هلا رحمت السائل النواح (٢)
(ي)	يا اهل ترى هل فى وجوهك ريبه	أم قد علمت مصيرها يا صاح
(ه)	هيهات قد علقتك أسباب الردى	واختار روحك قابض الأرواح
(أ)	أيا خير الأوانس دون ريسب	ويا أبهى المرائس والصباح (٣)

- (١) جريدة الدفاع ، الثلاثاء ، ٢٥ نيسان ، ١٩٤٤ العدد ٣٧٣٢ .
(٢) انتقال من البحر الواقى الى البحر الكامل .
(٣) عود الى البحر الواقى .

- (م) ما كان أغضاك عن هذا الغياب فما خلفت غير مجالس الأثراج (١)
 (ي) يا ويح قلبي كم يلوكم وكم يعتب (٢) عليك أيا ندية راح
 (ن) نار تآجج في العيون ومثلها نيران تترك في الفؤاد جراح
 (ال) الروح فاضت والعيون بواكيا (٣) والقلب مثل زجاجة المصباح
 (ص) صاحت من ناداك من قبل السما طوع الردى من شدة الالحاح
 (ا) أنت الشمسية بين أتواب وقد غيبت في جدك بلا مصباح
 (ل) لذت بالرضوان في خلق الرضا ما أزينت لك في النسيم نواح
 (ح) حنانيك ياملك التشتت واللقا رقفا بها يا فالحق الاصباح (٢)

وفى السنوات القليلة التي سبقت (نكبة ١٩٤٨) كان الاحساس بخيبة الأمل يملأ قلوب الناس جميعا ، وقد تضخم هذا الاحساس في نفوس الشعراء الفلسطينيين عامة ، حتى أوجد بينهم اتفاقا غير معلن : أن النكبة آتية لا ريب فيها ، وأن طبيعة الكفاح وأسلمه وقادة سراياه ، لا تستطيع جميعها درء هذا الخطب الجلل ، وراحت تهتم في أعمارهم أنفاس الأندلس ، يتشققون بها المجد المفقود ، والكارثة قبل وقوعها ، وتضرب أشباح النكبة رؤى الشاعرة ، فتفيض التساؤلات على لسان فدوى طوقان عن (الرض المستباح) :

... أين الغناء الحذب يا طائري تسبق فيه كل شاد طروب (٣)
 وأين أفراح الصبا الزاخر يا للهوأم أين العراج الدؤوب
 مالك تلقى نظرة الحائس يريد يستجلي خفايا الضيوب
 وما الذي في قلبك الشاعر قل لي ، فان الميت يشفى القلوب

- (١) خلل في الوزن الشعري
 (٢) خلل في الوزن الشعري
 (٣) جريدة الدفاع : ٣١ آب " أغسطس " ١٩٤٤ ، العدد ٢٨٤٢

... ماذا أرى أذاك (يوم) غريب

منطلق جهم المحيا وقاح

يطل من عينيه قلب جديب لكنه أرعن فيه جناح
اقتحم الباب اقتحام الفضوب وجاس في الروض طليق الجناح
عيناه إذ رأأتا جمـرتان قد شبتا ما تطهمان الكرى
عن وكرك الرطلول لا تحسران تطلعا يا طائري منكرا
أشوع مقارا كحد السنان مضاهمه ماتمورا أحمر
ومخلبا يصرع قلب الأمان يا ضيعة الوكر قد أشهر
... أنفـس جناحيك من الرقـدة يا طائري أخشى عليك المصير
لا تمكن (اليوم) من الروضة أرى لذاك (اليوم) شأنا خطير

عليك بالحذر فكم قلـبة يوءخذ منها المرء أخذا تكير
ويلك لا تأمن غريب الديـسار فخلفه من مثله محشـر
يا طائري ان واء البحار مثل عديد الذر لو تنظـر
توصوا في لهفة وانتظـار ودبروا للأمر ما دبـر
تحفزهم تلك الأمانى الكبار وأنت أنت المطمح الأكبر
ويطقوا الألم المرير على لسان دعد كيالى وهى تسأل فى قصيدتها
(وداع دار) :

(١) أحقا ساهجر دار الطفولة تلك التى عشت فيها طويلا ؟

(١) مجلة الأديب : حزيران " يونيو " ١٩٤٧ ، الجزء السادس ، السنة السادسة ، ص ٢٩ .

أفي الحق هذا؟ أفق يا فؤادي كذاك سكونا كذاك ذهبولا
عزيز على الوداع الأخير فلا تك بالشرق قلبي بخيلا
... بها كم قضيت الليالي الطوال أبت النجوم جواي الدخيلا
وأسأل أيامنا عـودة فيا هذا لو مكن قلبيلا
لها الله من ذكريات مضت ستبقى الحياة لقلبي مقيلا

وهكذا ما أن حل عام ١٩٤٨ ، حتى كان اتفاق الشراء عامة على
ما سيحدث قد حدث ، فكان ذلك دليلا على أن نبواتهم صادقة .

(الفصل الثاني)

المرحلة الثانية : ١٩٤٨ - ١٩٦٢

انتهت أحداث عام ١٩٤٨ بنهاية مأساوية ، صدمت عقول الناس وأفقدت الأدباء والشعراء الفلسطينيين توازنهم النفسي مدة من الوقت لم يتروكوا فيها أسلوب البكاء والتفجع لما حدث ، الأمر الذي أوقفهم في تناقض كبير بين توقعهم لهذه النهاية ، ودهولهم لها بمسند ذلك .

وقد أنساق هؤلاء الأدباء والشعراء ، وراء الأحداث من حولهم دون أن يعرو مفطتها ، وأصبح قبولهم أو رفضهم وثقنا بالأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة ، يصفون احساسهم بصورها وبمهبوطه بمهبوطها .

وشهدت السنوات التي أعقبت عام (١٩٤٨) ولادة عدد من الشواعر الفلسطينية " . . . كان لهم دور في النهوض بالحركة الشعرية الفلسطينية " (١) . فقد نظمن الشعر مع الرجال ، ونشرنه في الصحف والمجلات ، وجمعه في دواوين صدرت في مختلف الأقطار العربية وجاء شعر هؤلاء الشواعر جزئاً لا يتجزأ من حركة الشعر العربي الحديث واستمرارا لصوت الشعر الفلسطيني في أطوره الفنية قبل النكبة . ومن الطبيعي أن يستأثر الواقع الجديد بإيماده المختلفة بحجم كبير من التأثير على هذا الشعر ، وأن يملى على الشاعرة - مثلما أملى على زميلها الشاعر - كثيراً من مادتها الشعرية ، فارتفع الصوت الفلسطيني المأساوي في قصائدها ، وارتسمت في ثناياها صور الحنين والذكريات ، والمشرديين ومخيمات اللاجئين ، والتشهير بالانتصار .

(١) مجلة صوت الأرض المقدسة ، (١ عدد مقارن) كانون الثاني " يناير " . ١٩٧٠ .

والمتبع لهذا الشعر ، يطالعه احساس عارم لدى الشعائر ، يضبط
على نفوسهن ، احساس مزيج من الحزن والحيرة والقلق ، والانفجار فسي
اللوعة ، والحسرة على ما فات .

وتقدم لنا الشاعرة سلمى الخضرا الجيوسي^(١) نموذجا قاتنا لهذا
الاحساس تصور فيه انتقال الانسان الفلسطيني من العواطف الى اللجوء
وما رافق هذا الانتقال من جوع وألم واندحار ، تقول متحسرة على ما فات :

... حاجلات الخيل من شربها عن مرقاها^(٢)

من ربي فرسانها عنها ، ومن في عرسها يعلفها

والذرى الخضراء من يعرفها ،

كان في أرجائها شصب عزيز ثم ... تاهها

وتصور اللجوء ، وقد ألمات العواطف ، وأحال الحب الى علاقة آلية للأطفال
فيها :

... ولدوا دون جذور أو غدد

من شهوة لا حب فيها . . .

(١) هي ابنة صبحي الخضرا ، أحد وجهاء مدينة صدد ، ولدت عام ١٩١٨
وتلقت تعليمها في صدد ، ثم في الجامعة الاميركية ببيروت ، عاشت
في اسبانيا والكويت والسودان وامريكا ولندن ، حصلت على درجة
الدكتوراة ، وعاشت التدريس في جامعة الخرطوم والجزائر وامريكا
وقد قالت الشعر بعد نكبة فلسطين ، لها مؤلفات وترجمات عديدة
ولها ديوان العودة من النهج الحالم ، وهي شاعرة مجددة في الشكل
والمضمون .

— رسالة شخصية الى الباحث من الشاعرة بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٧٨ .
— كذلك ينظر عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١ ١٩٦٥ ص ٢١٤ .
(٢) ديوان العودة من النهج الحالم ، دار الاداب ، بيروت ط ١ ،
١٩٦٠ ص ١٤٦ .

وجمل من الشعب أشباه موسى :

... يا بني الموتى .. أموتى مثلهم
أم يتامى ؟ أم بقايا الجرح في شعب حزين ؟
نحن هذا كله ،
كلمة مهجوة الجرح ، نشاز جمعتنا
" لاجئين "

أما الشاعر عدوى طوقان فقد غمر روحها يأس حزين ، فراحت تبحث
حولها تحاول استشفاف حجب الغيب ، وما سيؤول إليه مصير شعبها
المشرد ، بعد أن اقتلع من أرضه ، وتشتت في مفايق الجديدة ، تقرب
مخاطبة روح أخيها إبراهيم :
(١)

(٢)
... وأرسلت عيني حيث زنوت وقد دب ثقل خفي بقلبي
خلال دخان علا واستدار رأيت الحصى خربة ماطة
على العتبات تدب هوام وتمبر قافلة قافلة
وأبصرت أشلاء قومي هنا وهناك على طرق السابلة
عيون مفقاة بحثت على الأرض حياتها السائلة

وترى قومها وقد أمسوا يعيشون كلقطمان الضالة ، تتحدث ، طالبهم
بالطعام بعد المسيفة المذلة ، وبالماوى بعد التشرد القاتل :

... قطع وديع بقية قومي فهذا شريد وهذا طريد
تظلمهم في الصراخ الخيام وقد أخذوا في هدوء بليد
بناكين خامدة لا تفور استحمال اللظى في حشاها جليد
قصارى مطامعهم لقصة مغمسة بهوان الصبيد

(١) الشاعر إبراهيم طوقان .

(٢) ديوان وحدي مع الايام ... مرجع سابق ص ١٤٤ .

ويسكن قلب سميرة أبوغزالة^(١) حزن أسود ، تصور من خلاله اللاجئة
(سلمى) وطفلها الرضيع ، وقد ارتسمت على وجهيهما علائم اليأس والشقاء
والنعميم الزائل :

٠٠٠ وشاح الشقاء على جسمها وفوق المحيا وشاح المنيب (٦)
وفي صدرها أنة الفاقصات وقصة ذاك النعميم السليب
(سلمى) تمنق أقصى الرزايا تشد الى الصدر طفلا رضيع
وقد أسلمت روحه للاله ومالت عليه بشكل مريع
وفي الجسم من طعنات الرزايا بقايا حطام النعميم المريع

ويصبح النفي ، والافتلاع من الأرض عند الشاعرة سلمى الخضرا ترزقا
روحــــــــــــــــيا وتلح على نفسها أسئلة حائرة لاتلته أن تتلاشى
وسط الضياع وخيبة الأمل :

٠٠٠ من يزرع الصبر القنوع بترســــــــــــــــة الالام ؟ (٣)
ويهدد النيران في قلب الفجــــــــــــــــة ؟
من يمسح الدمع المرير عن القــــــــــــــــوب

(١) من مواليد مدينة نابلس، أنهت دراستها الابتدائية في نابلس والثانوية في
مدينة الرملة ، تخرجت من دار المعلمات في مدينة القدس وعملت مدرسة
في مدارس الرملة واللد فالمدرسة المؤمنية في مدينة القدس قبل عام
النكبة ١٩٤٨م ، حصلت على شهادة الماجستير في اللغة العربية من
الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وتعمل حاليا في المجلس الاعلى لرعاية
الفنون والاداب بالقاهرة وتلقى محاضرات على طلبة الجامعة الأمريكية
فيها ، لها نشاط اجتماعي ووطنى ملحوظ .

- مقابلة شخصية مع الباحث في القاهرة بتاريخ ٢٠/٣/١٩٧٦ .
(٢) مجلة الرسالة : العدد ٩٤٩ ، ١٠ أيلول "سبتمبر" ١٩٥١ .
(٣) ديوان العودة من النهج الحالم ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ٧٥ .

ويرتل الآيات في سمع الثكالى
من يبدع الأحلام في ظن الفقير
من يسند الطاووس في أحلام يقظتهم
الفازلين من المحال رؤى عجيبنة؟

ويوحى الضباب والمطر والكهف والصقيع واللاجئون الى فدوى طوقان
بقصيدة (رقية) فتحاول أن تجسد مظاهر ذل اللاجئ وتشرد، وحرمانه
في حياته الجديدة :

(١) ... هنالك تحت الضباب المسف والأرض غرقى يدقق المطر
كأن الرياح الملى يحيون السحاب تهكى شقاء البشر
هنالك ضم (رقية) كهف رهيب عميق كجح القدر
تدور به لفحات الصقيع فيوشك يضطك حتى الصخر
وتجمد حتى عروق الحياة ويظفأ فيها الدم المستمر
(رقية) يا قصة من مآسي الحصى سطرتهما أكف النخير
وباصورة من رسوم التشرد والذل والصدقات الاخر
طنى القسرفانطرحت هيكلًا شقى الظلال شقى الصور

وفى منتصف الخمسينيات ساد العالم المربى حماس طاغ ، ضلأ
قلب الشاعرة الفلسطينية - مثلما ملأ قلوب غيرها من الشعراء - فاندفمت
تشارك الجماهير المربية احساسها بأنها زاخرة على فلسطين لتحريرها
من الفاصيين ، ويتضخم هذا الاحساس أكثر وأكثر بعد أن أخذت
تتلور لدى الجماهير المربية صورة الهطل المنقذ (٢) ، المقترنة بصورة
الفتاح المربى القديم . وفى رؤية سطحة للمستقبل ، تقول فدوى طوقان

(١) ديوان وحدى مع الايام ... مرجع سابق ص ١٤٤ .
(٢) المرحوم جمال عبد الناصر .

مباشرة وطنها بفجر قويب :

(١) ستجلى الصمة ياموطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم
والأمل الظامى* مهما ذوى سوف يـروى بلهيب ودم
فالجوهر الكامن فى أمتى ما يأتلى يحدل معنى الصوم

ذلك أن الاحرار لا يقيمون على ضم ، ولا يد للصوب من ثار قويب :

..... لكن للثار غدا هـيـة جازقة الهول عصفوا عصم
فالنضرة الصمـة قد المهيت فى كل حرجذوة تضطرم
لن يقعد الاحرار عن ثأرهم وفى دم الاحرار تغلى النقم

(٢) أما الشعرة هدية عبد الهادى : ، فتذكر العالم بأنه سيرى الصجب
حين تنور الجواهر المصرية ، مقطعة أصفاد المبودية :

(٣) سيرى العالم منا عجبا ان عزفا عزفا (٤) فل الحديد
وتعم الكون أمجاد لنا من صداها باتت الأرض تميد
لست أرض العيش فى دنيا الخنا لست أرضى حل أصفاد الحديد
بت بركانا يدوى باللظى ملو جمر وثار ووعيد

- (١) ديوان وحدى مع الايام مرجع سابق ص ١٣٦ .
(٢) من مواليد قرية عراية قضاء جنين ، ولدت عام ١٩١٩ ، وأنهت دراستها
الابتدائية فى جنين ، وبعدها واصلت تثقيف نفسها ، عملت مدرسة
فى عدة مدارس ابتدائية واعدادية ، ثم مديرة مدرسة وهى تقسيم
حاليا فى الجمهورية المصرية . ولها أربعة دواوين شعرية
مطبوعة .
- رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ١٧ تشرين الأول "اكتوبر"
١٩٧٧
(٣) معا الى القبة * تمثليات وشعر * مطبعة المعارف . القدس (د . ت)
ص ٩٢ .

وتتعد الفاصيين وتستهلمهم يوماً قريباً :

- (١) ٠٠٠ سأشب ناقمة أمزق صرحهم وجوانبهم
سأثور كالبركان صب على الوجود مصائبهم
يا ورح خصمي من غد يا ورحهم من غاضبة

وتعلل الشاعرة دعد كيالى موطنها بخلاص قريب :

- (٢) ٠٠٠ فلسطين يا مهبط الأنبياء ومسرى النبي نبي المصرب
إذا لم نسدك فلسطين بحرب ولسنا بنى الخالدين النجب
ولسنا الاياة ولسنا الكصاة ولسنا المضراغم فى كل حرب

وفى حماس طاغ تخاطب الوطن والشعب فتقول :

- ٠٠٠ فيا وطنى يا عربن الاسود سيرجع قومك ما قد عصب
وسوف نجمع كل الحشود ونثار من أهانوا المصرب
وسوف نلقنهم أى درس عسير سيبقى حديث الحقب
غدا سنمود ، غدا سنمود فيا شعب هلل وياقلب طب

وفى وسط المد الحماسى هذا ، كانت فلسطين قائمة فى النفوس
دوما ، تميش مع الناس فى كل فعل يهوى ويلا وى ، وصارت " النكبة "
ومؤامرات الاستعمار التى لاتنقطع دروسا وعبرا يتذكرها الشعراء فى كل
مناسبة ، وشاركت الشاعرة بقسط وافر من قصائد المناسبات ، متخذة
من الذكرى سلوى وتمويضا لها عن فهم حركة الواقع من حولها سياسية
كأبت أو اجتماعية :

(١) معا الى القبة " تمثليات وشعر " مطبعة المعارف . القدس (د . ت)

ص ٨٦ .

(٢) ديوان ولم تمطوى ياغيوم ، دار العلم للطالين ، بيروت (د . ت) ،

ص ١٤٢ .

تقول هدية عبد الهادي في احدى قصائدها بمناسبة (وعد بلفور) :
(١) . . . وذكرته وعدا تصيح حروفه هل في الكهائر مثل بيع شعوب
بيع الثرى المحبوب وهو مقدس وله من الامجاد كل نصيب
واقيم رغم ابائنا في أرضنا وطن لقوم السوء والتخريب
" بلفور " خذها لمنة أبدية من كل جفن ساهد مكروب
من كل طفل لا يلاقى ملجأ قد أهدوه عن الحى المصلوب
سامزق الوعد المشوم واننى سأشق بالعزم المنيد دروسى
انى نذرت النفس للقيام غدا وحلفت أن يبقى الجهاد نصيبى

وتجيش في صدر أسى طوى (٢) ذكريات اليقل (١٥) أيار " مايو " شهر المذلة والخيانة والسواد ، فنقول في المناسبة :

(٣) . . . وبثيرها في عمق أعماقى زواجع عاصفات
وتود لو تحمو ، تدك حصون أعدائى الطفافة
وتجلجل الذكري فتتهنج في كيانى ثورة
تشدو غدا يروى الرواة

. . . أيار يا شهر المذلة والخيانة والسواد
أيار يا شهر القوافل نازحات في حداد

-
- (١) ديوان مما الى القمة : . . . مرجع سابق ص ٨٧ .
(٢) من مواليد مدينة الناصرة ، درست الانجليزية واليونانية في مدارسها ثم ارتحلت الى عكا ، وهناك درست القرآن الكريم لتتمكن من ناصية اللغة العربية . كتبت كثيرا من المقالات الصحفية وشرتها في صحف فلسطين ومجالاتها . وفي عام ١٩٤٨ نزحت الى بيروت واستقرت فيها . لها نشاط ادبى وثقافى واسع .
- مقابلة شخصية مع الباحث في بيروت بتاريخ ١٩٧٨/٩/٩ .
(٣) عيبر ومجد . . . مرجع سابق ص ٢٤٧ .

أيار .. لا أهلا .. ولكن لا .. فكرهك زادنا
أنا مؤجنا كره أيار بكل حياتنا
أيار مهلا لا مفر ففى غد تروى الرواة

وتسترجع الشاعرة هيام رمزي الدردنجي (١) ذكريات الوطن ، وتروى نفسها
وهى تسير مع شعبيها فى موكب ضخم :

... الى سهل حيفا الى " الكرمل " (٢)

(٣) الى دفا يافا الى الرملة

الى موكب العائدين الائمة الى المجد والنور والمنة

الى امة مل* عين الزمان تشق الطريق الى القصة

جموع تهب بروح الحياة تزكى المسير الى المودة

... وأجلس فى اميات الربيع ارده فى المسج انشودتى

أقول رجمننا نكيد الطفافة الى شط يافا الى بلدتى

رجمننا نهده عهد الظلام ونهيك مجدك يا أمتى

(١) من مواليد مدينة يافا عام ١٩٤٢ . نزلت الى ليبيا اثر (نكبة ١٩٤٨) ،
وسكنت مع أهلها هناك . أتت دراستها فى مدينة طرابلس وحصلت
على اجازة التدريس الخاصة عام ١٩٦٥ . وهيام متزوجة من رجل
أعمال ليبيا ، وتسكن حاليا مع زوجها القاهرة . لها اعمال شعرية
وقصصية مطبوعة .

- رسالة شخصية الى الباحث بتاريخ ١٥ أيلول " سبتمبر " ١٩٧٧ .

(٢) جبل عال مظل على البحر تمتد مدينة حيفا على سفحه .

(٣) ديوان زهراء من ربيع الممر ، منشورات مكتبة الفرجانى - طرابلس
ليبيا ط ١ ، ١٩٦٦ ، ص ١٧ .

أما سلى الخضرا ، فهي دائما على موعد مع الفد ، فلا تمر مناسبة
أو ذكرى الا وألمحت الى هذا الفد المحمل بالرجاء والأمل ، الفد
الذى سيبحث في أوصال شمها رجع الحياة :

... وفد لنا (١)

لا ريب أن غدا لنا

فالدهر دار ، وعاد يلثم فرقنا

والدهر فى دوراته

كالنجم فى جريانه

كالنجم فى جريانه

... واليوم عاد لجفن ناظرنا وسيس من ضياء

واليوم عاد لجفن صارمنا وسيس من مضاء

وغدا سيبزغ نجمنا

وغدا سيشرق نجمنا

وغدا عظيم يومنا

فغد لنا

لا ريب أن غدا لنا

وتمر سنوات أخرى بطيئة ثقيلة ، وينتقل اهتمام بعض الشعراء الى
أحزان الناس وهمومهم ، خاصة بعد أن استقرت عواطفهم وصار فسى
مقدورهم أن يراقبوا ويتأملوا ، ويحاكموا الامور ، واتجه شعرهم نحو واقعية
أقرب ، والحواء على تصوير مظاهر الفقر والحرمان فى مخيمات اللاجئين

(١) العودة من النهج الحالم ... مرجع سابق ص ٢٥ .

وما يمتري هؤلاء اللاجئين من شعور بالخربة ، وخوف من المجهول • وقد وصف الدكتور ماهر حسن فهمي هذه الحال التي راح الشعراء يحبرون عنها ، بأنها " •• غربة شعب مزوج بعذاب لانهاية له •• " (١)

ومن الطبيعي أن تشارك الشاعرة في تصوير تلك المظاهر ، دون أن تتحول هذه المشاركة الى هاجس فكري تأملى ، ذلك أنها كتبت مشاهداتها فقط لاتجربة معاناتها الواقعية ، فجاء^ت أشعرها حسيا من غير أن يستهطنها ، هذه الشاعرة فدوى طوقان تصف في قصيدتها " لاجئة في الميد " وضع اللاجئين الفلسطينيين عادة ، وما هو عليه من بؤس ، وما يستشعره من مرارة وغربة ، حين تعرض له مناسبة ابتهاج محاولة أن تثير الشفقة عليه وأن تدين أهله من الأغنياء والمترفين بأسلوب يمتد الوصف الخارجى الذى لايتفاعل مع النفس ومشاعرها ، تقول الشاعرة :

(٢)
••• أختاه هذا الميد رف سناه في روح الوجود
وأشاع في قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد
وأراك ما بين الخيام قهمت تمثالا شقيا
متهالكا يطوى وراء جموده ألما عتيا
يزنو الى اللاشيء •• مفرحا مع الافق البعيد
أختاه مالك ان نظرت الى جسوع المايرين

(١) د • ماهر حسن فهمي : الحنين والخربة في الشعر العربي الحديث
معهد البحوث والدراسات • جامعة الدول العربية • القاهرة
• ١٩٧٠ • ص ٨٦ •

(٢) ديوان وحدي مع الايام ••• مرجع سابق ص ١٣٨ •

ولمحت أسراب العهايا من بنات المترفين
من كل راقصة الخفى كادت بنشوتها تطير
الميد يضحك في حياها ويلتصع السرور
أطوقت واجعة كأنك صورة الألم الدفين؟
... اختاه هذا الميد عيد المترفين الهائنين
عيد الالى بقصورهم وبروجهم متنعمين
عيد الطلى لا الحار حركهم ولا ذل المصير
فكأنهم جثث هناك بلا حياة أو شعور...
وبأبيات تظو من حرارة المعاناة ، تصف الشاعرة هيام رمزي

الدرديعى ، كيف يرقد طفل فلسطينى هزيل مع جده الشيخ :
(١)
... فى خيمة لمبت بها رزم السنين
وبدا عليها الفقر فى شكل مشين
رقد الصغير وقربه شيخ ميسين (١)
قد هزه الشوق وأضناه الحنين
والريح تمبث بالفتاء وتستهبين
والرعد يقصف والزوابع لا تلسين
وترفض الشاعرة هذه الحياة المهينة ، وتتوق بحياة هديلة

ملؤها السعادة والسرور فوق ربوع الديار الحبيبة :

... لا لن نعوت ورغم ظلم الظالمين
ورغم الشقاء الفظ والميش المهين
ومؤامرات القرب والحقد الدفين

(١) ديوان زهرات فى ربيع الحمر ... مرجع سابق ، ص ٣٧ .

بل سوف نحيا ، سوف نحيا سالمين
ونعود للأفراح للبلد الأميين
ونعيش أحرارا اباء فاتحين

أما الشاعرة كلثوم مالك عرابي^(١) فقد راحت تحمل نفسها ، وتملئ
طفلها بالعودة الى الوطن لتلتقي هناك بأبيها الشيخ ، وأخيها الشاب
وأُمها الحزينة :

... أسائل ربي ماذا جنيت لأرقد أرضا غشاها التراب^(٢)
وأسكن في خيمة من قماش رخيص وأرقب هذا الدباب
يحرم علينا كأننا لحوم رمتها الكلاب لبعض الذئاب (١)
وطفلى المبيض يئن ويبكى ويغمز خيمتنا يا ضراب (١)
ويتسرب دبيب اليأس الى نفسها ويكاد يفقدها الأمل فتسال :

... ترانا سنخرج يوما هناك ونحرق أرضا ثراها يباب؟
فالتقى أمي باسمها في أساء وألقى أخي في ربيع الشباب
وأوى الحزينة تهكى أسى بقلب لهوف لظو الايباب
بني قريبا نعود ليافا ونبنى الهبوت ونحوى الرغاب

وفي قصيدة أخرى تحاول الشاعرة ان تحدد ملامح جديدة لهوية
اللاجئة في غربتها :

(١) كلثوم مالك عرابي : من مواليد مدينة حيفا عام ١٩٣٦ ، نزلت الى بيروت
بعد النكبة ، وهي تحمل اجازة جامعية في الأدب العربي . لها
نشاط في حقول الصحافة والاذاعة والأدب ، ولها ثلاثة دواوين مطبوعة .
- من رسالة شخصية الى الباحث بتاريخ ١٧ تشرين الثاني "نوفمبر"
١٩٧٧ .

(٢) مجلة الافق الجديد - المدة الثالث - آذار "مارس" ١٩٦٥ .

(١) ... أنا من أنا يا أخى ها هنا

أنا ابنة جوع وعرى حقيير
أنا ابنة هذى الخيام التى
تراها تكن بصمت القبور
أنا ابنه يوم رهيب أتسى
ليلقى الخراب بريح نضير
ويبمك رعبا ويلقى الأسى
ويلقى الدماء ، دماء تفور

وفى أواخر الخمسينيات كثرت أعمال الفداء الفردى ، الجسد
لحالات التملل والتحفز داخل خيام اللاجئين ، وبروح منتشية بجمال
الفداء وسحره ، تقدم لنا فدوى طوقان صورة عن إحدى الحملات الفدائية
الفردية ، وتروى قصة "عائد" استهد به الحنين ، وأخذت تلوح لسه
ربوع وطنه ، وهى ملهة بكوز السنابل وشجر البرتقال ، وثورة عواصف
لاستقر من التشريد والضياع طوال سنوات سبح طواها بصبر ذليل فترك
يوما خيمته :

(٢) ... وأغل تحت ضياء النجوم

يمشى ويمشى كمن يحلم
وكان بعينه يرسم شمس
ثقيل كالأمه ، مظلم

(١) ديوان مشردة (د من) ، بيروت ١٩٦٤ ص ٥١ .
(٢) ديوان وجدتها : دار العودة ، بيروت ط ٥ ، ١٩٧٤ ص ٩ .

لقد كان يروى سبيع سنين
انتظار طواها بهمبر ذليل
تخدره عصبة المجرمين
وترقده تحت طم ثقیل

واندفع متخطيا الحدود :

... وما زال يمشى سليب الارادة
تدفمه قوة لا تدره
الى أين لم يدر، كأن الخين
نداء السح به وأستبد ...

ولمخ أرضه ، وعهقت رائحتها الزكية فى أنفه :

... وأهوى على أرضه فى انفعال يشم ثراها
يعانق أشجارها ويضم لآلى حصاها
ومرغ كالطفل فى صدرها الرحيب خدا وفم
وألقى على حضنها كل ثقل سدين الألم

ولكن عيون الصدو :

... رفته بنظرة حقه ونقهمة
كما يرشق المتوحش سهمه
ومزق جوف السكون المهيب صدی طلقين

وحين هذا الفجر ، ومر بطى الخلى ، شوهدهات الأرض :

... مضمخة بنجيع نفوس
تلف ذراعين مشتاقتين
على جسد هامد مسـتريح

وفى نظرة تحمل فى طياتها رؤى ضبابية للمستقبل ، وامانى عذبة
عصية التحقيق ، ترى سلى الخضرا من خلال هذا الفدائى ، ودمائى
الزكية ، بارقة أمل وبداية يقظة :

(١) ... ألا تسمعون النداء اللحوح

تبارك ذاك النداء وحق الفداء

وسورك كف القدر

ينورنى بالطموح الرفيع ، ويختارنى للمطام الأغر

ليحمل شمبى الفدى بأن دم المرمى القليل

يحول شعاعا يضى الفياهب من نوره

ويؤمن شمبى أن بأعماق ديجوره

السوف الشمس

ستهتك ستر الظلام المبهوس

وتفتق سدا منيع الحواجز من سور

ليدفن عمر الضياء العظيم على الجانبين

وفى ظل الحياة الكئيبه التى استفرقت عشر سنوات ونيفا ، وجد
عدد من الشعراء أن المصالحه التى كانت قائمه بينهم وبين مايجرى قد
انتهى شوطها ، وحل محلها نفور وازوار وفقدان ثقه ، وكان عليهم والحال
هذه ، أن يؤدوا مهمات جديدة ، وأن يحولوا شعورهم الى اداة كشف
للواقع الزائف ، ويفضحوا للناس الانقسام بين الكلام المخادع والفم
الحقيقى .

(١) ديوان المودة من النبع الحالم : ... مرجع سابق ، ص ٦١ .

وأصيبت الشاعرة الفلسطينية بخيبة أمل كبيرة ، وتبخرت أحلامها ،
وصارت تشمر أنها تعيش وسط عالم مليء بالكذب والخداع ، فتحولت
راحتها الى قلق ، واطمئنتانها الى شك ، الأمر الذي ولد عندها احباطا
كبيرا .

وينفذ صبر الشاعرة هيام الدردنحي وهي ترى امتها المربية
وقد فقدت علائم الحياة ، والسنون تمضي دون أن ترى الجماهير المربية
شيئا يبحث على الفرحة ، فتنادى الرجال الذين تهللت نفوسهم ، وقعدت
همهم :

... أيا أمة نهشتها الذئاب وجارت عليها يد الغفلة (١)
ونامت عن الغاب عين الاسود فهل آن لليث من يقظة
الى أين يا قوم تمضي السنون ولا شيء يبعث بالفرحة (٢)
الى أين يا قوم هذا الضياع وهذا التشدق بالقوة ؟
الى أين تلك الوجود المذاب وتلك القرارات فى الجلسة ؟
كلام كثير وفعل قليل واوراق (٣) مصقولة الرقمة
وهى ترى أن :

... فلسطين يا اخوتى ، لاتمود ولا يشرق السلم فى بلادتى
بغير السلاح ، بغير النطمان بغير المدافع والقسوة ...
أما كلثوم مالك عرابى ، فقد انتفأت على نفسها ، ووجدت فى ذكريات
الوطن والماضى البعيد ، أغلى ما يصر قلبها ، ويؤنسها فى غربتها
ووجدتها ، وخير ما يبقى على الرباط المقدس الذى يحاول الاعداء والمتخاذلون
فصمه ، فنراها تتاجى وطنها قائلة :

(١) ديوان زهراء من ربيع العمر ... مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(١) ... وطنى نذرتك بلسمًا تشفى الجراح الدائمة
وطنى عهدك منهنم لا يسقى الخروس النامية
وطنى شهابك ثائر تحده ذكري قاسية
ذكري التشرد والاسى ذكري الشجون الخافية
اذ طمانوك بوعدهم وتراجموا فى ثانية

وتتوسل الشاعرة دعد كىالى للريح أن تروى لوطنها ما شئت عنها
وعن وجدها ، فحبه يسرى فى عروقها ، وقلبها الذى يسع الدنيا وأحزانها
لن يضيق بموضات شوق الى ربوعه الجميلة :

(٢) ... أيا ربح الشمال صها فؤادى لموطن صهوتى وحين قلبى
أيا ربح الشمال فلفغيه تها ربحى وأشواقى وحبى
وقولى اننى قدمت وجدا به وفقدت أحلامي ولسبى
أيا ربح الشمال ونشقينى اذا ماعدت زهر البرتقال
وزهر اللوز والليمون صها ولا تسى أزهير الجبال
أيا ربح الشمال واسمحينى حين الطير فى تلك المجال
أيا ربح الشمال وخبرينى فانى قد ضعفت من السؤال

وفى السنوات القليلة التى سبقت عام ١٩٦٧ • ازداد تكالب الأعداء
على وضع حد للقضية الفلسطينية ، وتدويب أصحابها وتوطينهم ، وادخال

(١) ديوان مشردة ، ... مرجع سابق ، ص ٣٨ .
(٢) نقل عن : د . كامل السوافيرى : الشعر المربى الحديث فى مآسة فلسطين
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ط ١ ، ١٩٦٤ ، القاهرة ص ٤٨١ .

اليأس الى قلوبهم من امكانات المودة الى ديارهم ، وطفى جو من
الارهاب المرى ، اختص فيه الفلسطينيون بالحجر الكامل ، على كل تفكير
بالقضية الا ما كان متمشيا مع المخططات المرسومة ، ووجدت الشعرة
الفلسطينية نفسها - كغيرها من الشعراء - مضطرة في غالب الأحيان
الى فضح هذه المخططات ، والى مهاجمة بعض الحكام المرء ، واعلان
النقمة عليهم ، وتصوير عسفهم وخفقهم الحريات الشخصية . وينتاب
الشاعرة سلمى الخضراء شعور مظلّم تحس معه بأنها تعيش وسط عالم
شرس ، بنى فيه حكام مزيفون ، فتقول :

... من أحمق أنفاسي الحقيقة ؟ (١)

وأثار الرجفة في قلبي

وبنسى ، وتنا

وامتص دمي

وتجدد نفسها وقد أصبحت لا تقدر على محاكاة الامور ، ولا تتمكن
من التزام موقف واضح ثابت ، بعد أن تمادى هؤلاء الحكام في تسفيه
عقول الناس وتسخيف آرائهم :

... عراف الريح يمدبني

ويداورني ويخادعني

ويحدث أخبارا كسبرت

(١) مجلة شؤون فلسطينية . العدد الأول ، آذار " مارس " ١٩٧١ ،
ص ١٠٧ .

فقد استشع مجحة

رايات الشمس على مدنى

وغدا سأحرر من كنى

واكذب

أصدق

وأنا لا أرض ولا أحباب ولا مصباح يظلمنى

وأنا فى اللجة أشعة

توتاد اليم بلا سفن

أصدق

وأنا أقات على الصنى

أصدق أن غدا وعد

وسترسخ فى الدنيا قدسى

سأكذب

فالعالم يمت والبيرد

قد عرش فى عرق الرحم

وتضيق دعد كىالى بقيود الأسر التى كهل بها بعض الحكام أبناء

شمها فتقول ساخطة :

(١) ... أخرستو لحنى الوليد بقيدكم وحبالكم لا أستطيع

(١) ديوان ولم تطرى يا غيوم ، ... مرجع سابق ، ص ٤٣ .

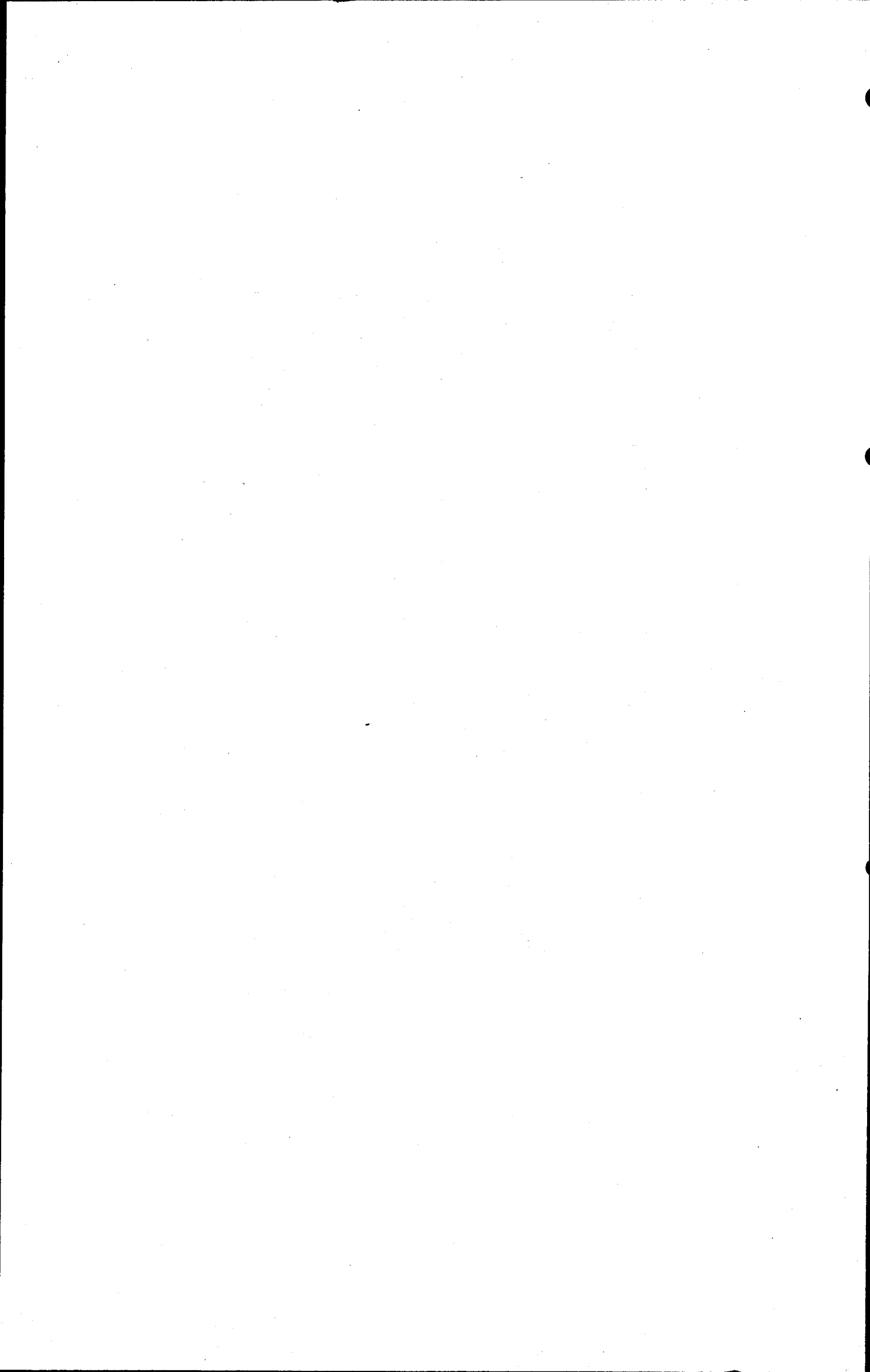
أشدوا ولا أبكى ولا اهفوا ، ولا أرجوانا ، لا أستطيع
بسجونكم هذى الطليقة ، كيف أصنع منه ألوان الصبغ؟
وأبته فى عطر روحى وهى مرهفة الشمور ...
الصمت أحيانا يمد جرية لكننى لا أستطيع
أشدو بلحن غير لحن الصمت بعد ، وكم أغان كم أغان
أسقطتها من قبل أن تصل الشمور
لا تسألونى أن اغرد أو اطق أو أطير
وأنا أعيش هنا بأعماق القبور ...

وينقلب موقف هدية عبد الهادى الى تحد ومطالبة ملحة بمستقبل
واضح ، وتصم على أن تحتفظ بآمالها يانعة ، وأن تتمسك بالحق على
الرغم من كل الصواب . فنراها تصرخ :

... لا ، لن أهون ولو سقانى الدهر كأس الخطب مرا (١)
ولتلمن يادهر أنى لم أضق بالخطب صدرا
زد ما أردت من الأسى لا ترخصن يادهر حبرا
أنا ما كهوت ولا رأيت لكبرية الأحرار عذرا
وأذا شحذت نصال سيفك تبتغى حريا وقهرا
فأنا لقيتك عنى ولقيتنى يادهر غدرا
مهما تتاصبنى المدا فلست أبغى أن أفرا

x x x x x x x

(١) ديوان مما الى القبة ، ... مرجع سابق ، ص ٩٥ .



كلما ناديتني جئت اليك
بكوزي كلها ملك يديك
بيتابيبي ، بأثاري ، بخصبي
يا حبيبي ٠٠٠

وقد نقلتها هذه المشاعر الجديدة ، على حد تمبير الشعراء
المصرية ملك عهد العزيز " ٠٠٠ " من مرحلة الفتاة الصغيرة العابدة المطلقة
الى المرأة التي تحطى وتمنح ، مثلما تأخذ ، المرأة التي تملك الينابيع
والخشب ، وتملك الهندل مثلما تملك التلجى ٠٠٠ " (١)

وتكاد تكون قصتها الشعرية الطويلة " هو هي " (٢) ، خلاصة صورت
فيها انطلاقها من أسر التقاليد ، حين تتحدث عن امرأة فلسطينية
التقت بمفاضل مصري على ضفاف النيل ، وعن الحب الذي ربط بينهما ،
ففي هذه القصيدة " ٠٠٠ " تتحول الصوفية من الاستفراق في الطبيعة ،
الى الاستفراق في الحبيب ، ليحبر هذا التحول عن الصراع بين القيد
واطلاق الحرية ٠٠٠ " (٣)

تقول فدوى بأسلوب بسيط عفوي تمتزج به صور الطبيعة بالاحساس
الانسانى ، والخيال بالحلم :

٠٠٠ وأقبل يوم رأيتك فيسه (٤)
يظلل وجهك لون الألم

-
- (١) مجلة الاداب الممدد الاول ، كانون الثانى " يناير " ١٩٦١ .
(٢) ديوان وجدتها ٠٠٠ مرجع سابق ، ص (١١٨ - ١٥٥) .
(٣) محاضرات في الشعر الحديث ٠٠٠ مرجع سابق ص ٢٣٠ .
(٤) ديوان وجدتها ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

بأمواج عينيك تدنو وتبمد
أصداء لحن حزين النغم
فأحسست جذبا غريبا اليك
يشد كياني روحا ودم
ومر بقلبي نداء العناصر
في خفقة عبرت كالطعم
بأن العقادير قد وضعتني
أمامك

يا ليل هذا قســــــــــــــــم :
سيهواك قلبي ، سيهواك مــــــــــــــــا
تنفس عرق به واضطــــــــــــــــم
هوى سوف يرويه جيل لجيل
قصائد حب تحدى المدم

وهنا اعتنق الروحان في سُكْرِ غريب لفريسة
هي في " جزيم " يقصدها النوى وهو بطيبة (١)
على حلم الفراديس الحميدة
خلف أسوار السمــــــــــــــــاء
وهناك

في رؤى حلمهما ، وقت غلالات صباح لؤلؤي
وبدا عش على تفاحة خلف سياج ذهبي

(١) جزيم : جهل مطل على مدينة نابلس ، وطيبة : أرض مصر .

عند ينهوع ضياء

طفقا بالظن والوهم يحهان رحيقه

وينفييان مع السكره فى دنيا سحيقة .

أما سلمى الخضراء ، فهى مفتحة فى عواطفها ، سواء تجاه الحبيب
أو الاشياء من حولها ، تقول الناقدة اللبنانية خالدة سميد
عن شعرها " . . . انه ينهع من مشاعر ريانة ، طائفة ، أرتوت حتى باتت
تل المطا ، وتشتاق الحرمان والتنى . . . " (١)

والقارى لشعرها يحس الفهدو فى قصائدها الحماطية ، وبالايقاع
الثقيل المعبر بحمق مما ينفل فى نفس المرأة من أحاسيس ، يخطرهما
مجتمهما الى أن تداويها وتكبتها ، تقول سلمى مخاطبة الرجل :

(٢)
... الوجد فى عينيك نار تضرم

ينوى ، ويطلب يستبد ويستجيب ويحكم

أما بأعيننا ، فان الوجد لفر مهم

وبحيرة النفس العميقة موطنه

دكاء كالأحزان هادئة المياه

أمواجها المتلهفات الى الحياة

يبلعن فى صمت صدى الآهات فى أغوارها

فكان هذى النفس ينهوع الهيام ومدفنه

تثوى الثمار ولا تطيق وشاية بثمارها

(١) شاكر النابلسى : فدوى طوقان فى الشعر الاردنى الحديث - الدار

القرمية للطباعة والنشر - القاهرة (د . ت) ص ٣٤ .

(٢) ديوان الصويدة من النبع الحالم . . . مرجع سابق ، ص ٨١ .

وتعيش الشاعرة الممر ، لا تحظى بمن تهوى ، سوى في أطراف
الذكريات ، والسعادة في نظرها دنيا محرومة ، والشقاء قدر مكتوب ، والأيام
وحدة ووحشة وغربة :

(١) ... ولأنت وحدك أنت وحدك دون محراب المهادنة
والرحشة الصماء تفرق ليلك المر الطويل
محجوبة عن روحك النسمان أضواء السعادة
فاقتى بقية كبرياتك واصمتي .. صبر جميل
... أبداً أسيرة حاجة تيقين صائمة غريبة
هناك مظلمة ، ومحتوم عليك ولوجهنا
فانسى نجيماً لاح في أفق على دنيا قريبة
قلبي .. فيومك قصة عمقت وانفسر مستبداً
أبكي عليك وأتقى نجواك ما من ذاك بعد
فأهدأ .. فيومك قصة عمقت وحكم لا يبرد

ويكاد الأسر الممض ، والخربة الموحشة ، يحتصران قلب الشاعرة
فتخاطب جارها " الراهب " الذي كان يخج كل مساءً الى سطح الدير
أمام نافذة بيتها في (مدريد) :

... رأيتك تخشى عليك لحاظي
(٢) فتعرض عني كالمهارب

أما اسطمت بعد المراس الطويل
خلاصاً من اللهب الراغب

(١) ديوان المودة من الذبح الحالم ... مرجع سابق ، ص ١٩٦
(٢) المرجع السابق ص ١١٠

أدّام آدم فسى كــــل درب
يميش أسير الهوى الساغب
يخاف الفوايئة يا ضمفــــه
ولو كان فى بردة الراهب
رويدك لاتخمش من فتنــــة
تقيدها ريقة الواجب
فقلبي طفـل برىء الهوى
وخسرى تمسز على الشارب
... كلانا وحيد فيا وحشــــتى
غريبة دار بلا صاحب
ولعل أجمل ما فى شعر كلثوم مالك عرابى حديثها عن عواطفها
الروّانة ، ذات الشفافية الرقيقة ، وانسيانها وراء قلبها المشاق ، لحبيب
أسطورى الجمال :

(١) ... عينا رفيقى زورق يخيب بى
فى رحلة خريبة المذاق
أغرق فى دنياهما وأتمب
ولسذة المنا
تعش بى ، أحسن بى
إغماة ، إغماة .. غيوم

(١) ديوان مشردة ٢٠٠٠ مرجع سابق ، ص ٩٥ .

مطـر ، مطـر

وأستفـيق

وتسترجع اللحظات الحلوة التي قضتها بين ذراعيه :

••• تلفني ، تطير بي

أحس أنني أسامر النجوم

عصفورة آنيـة

وأمتطي النسـيم

وهمسك الريحـع

وبسمة أنظـمها

أودعها ، قصائدى المبهمة •••

وحين شور في نفس دعد كياتي نوازع الشباب ، وتسترجع ذكريات

الصبا ، تتدفق مشاعر قلبها المتوهجة ، تنادى :

(١)

••• يا بحر

وجهي يشبه وجهك ساعة صفوك

لكن لى آفاق يا بحر لى أعماق

مثلك

يتوهج فى اللهب ، كما تتوهج فيك

شمس المرجان

وبصفحة وجهي تشرق شمس الحب كما ينعكس عليك

ضوء الشمس الفتان

* . * *

(١) ديوان ولم تطري ياغيوم ••• مرجع سابق ، ص ٧٤ •

جاء تكون الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة بمد عام النكبة
بالخ الخصوصية ، فقد حمل هم المواجهة المباشرة ، والقمع الشامل ،
والحصار الثقافي الصهيوني بشتى أنواعه وأساليبه ، وبعيد الاحتلال ، وعلى
وجه التحديد عام ١٩٥٤ ، ثم تأسيس (رابطة شعراء العربية) وبدأت
المهرجانات الشعبية تقام في القرى العربية ، وأخذت مظاهر التحول تبدو
تدرجيا على ما يكتبه الشعراء العرب هناك ، ذلك أن تأسيس هذه
الرابطة كان نقطة تحول في الشعر الفلسطيني ، فقد نقلت الشعراء
مباشرة من عزلتهم التي انكأوا فيها على انفسهم الى صفوف الجماهير
في كل مكان ، فوقفوا على حاجات الناس النفسية والمادية ، مما ولد
تفاعلا حيا بينهم جعل الشاعر يقف في قلب الصورة ، ويستلم مادته
الشعرية من الحياة نفسها بكل مظاهرها وألوانها المختلفة ، حتى غدا
الشعر صوتا جماعيا شاملا ، وممارسة سياسية مباشرة ، وتوجه الشعراء الى
تحريض الناس والهأب عواطفهم ، وحشهم على التعلق بالأرض ، وعلى الانتماء
القومي ، والالتحام بأية منجزات حقيقية في المحيط العربي .

ولقد كان للعلاقة الصادقة بين الجماهير والشاعر في الأرض المحتلة
دور رئيس في تحديد نوع الشعر ، وجنس الشعراء أيضا ، ذلك أن
هذه العلاقة ظلت مباشرة وليست من خلال كتاب أو صحيفة ، فكانت
الساحات العامة والقرى ، والمنتديات والاحتفالات العامة ، دار النشر
للشاعر ، وديوانا لقصائده ، الأمر الذي تطلب لونا معيناً من الشعر
يسيطر عليه الحماس الدافق ، والنبوة الخطابية ، والصراخ العتور ، كما
تطلب أيضا سلوكا خاصا من الشاعر كان فيه دائما عرضة للسجن وتواجهته

نوازع الشر ، سلوكا لا يتسنى للمرأة هناك أن تمارسه ، خاصة وأنها تعيش وسط أقلية عربية تحاول أن تتمسك بتقاليدها وعاداتها ، وتدرأ عنها كسل ما يخذل وجه هويتها القومية . لهذا لم تسجل لنا هذه المرحلة صوراً نسويها شاعرا في الأرض المحتلة يشارك أصوات الشعراء في قتل الصمت من حولهم ، ودحر مشاعر الاحباط والضيق من نفوس الجماهير .

* * *

تهيأ لكثير من الشعراء الفلسطينيين أن يتقلن عبر أقطار عريضة وأجنحية كثيرة ، فتمكن من الوقوف على أنواع من الثقافات الفكرية ، والاطلاع على تيارات المدارس الأدبية المختلفة ، كما اتاحت لهن فرص الاطلاع على انجازات رواد الشعر العربي الحديث من أمثال نازك الملائكة والسياب وصالح عبدالصبور وغيرهم . وقد طمحت معظم الشعراء الى التجديد في شكل القصيدة ، دون أن يتقيدن بحدود شكلية معينة ، فمن التزام بمحمود الشعر ، الى تنوع في نظام القوافي أو اتخاذ المقطع (Stanza) الوحدة البنائية للقصيدة ، ومن وحدة بيت الى وحدة موقف ومن اعتماد البحر الخليلي الى اعتماد التفعيلة المروضية الواحدة ، الأمر الذي أكسب قصائدهن ملامح متموجة وجعل منها برزخا بين التقليد والتجديد من غير أن تظهر بظايع مستقل يشكل مدرسة واضحة المعالم . وعلى الرغم من الصوت الخاص الذي طبع عطاء الشاعرة الفلسطينية ، إلا أن غالبية قصائدها تكاد تفرق في الضرب والسطحية ، وكثيرا ما تتنخم الذات غير المتفاعلة في هذه القصائد لتصبح وحدها نقطة البداية والنهاية ، ومحورا تدور حوله الشاعرة ، دون عمق في الاحساس أو اتساع في الرؤية أو قدرة على طمس

الحدود الفاصلة بين التجربة الشخصية والقضية العامة وحسين
تتضخم الذات ، ويتعامل الشاعر مع الأحداث من حيث كونها أبعـاـدا
خارجية لا تدخل في تركيب النفس ، ولا تلتحم مع حرارة الانفعال الشخصي
فانه يقع في سلبية الانخلاق ، وعندها تفقد الأشياء حجمها الحقيقي
وتصبح الامور في كثير من الأحيان قائمة ، ولا يلح في انتاج الشاعر
أى صدى لرؤية جديدة (١)

ولحل هذا مايفسر لنا عدم تمكن معظم شواعر هذه الموجة من
نقل صورة واقعية صادقة لمشاعر الانسان الفلسطيني في منقاه ، ولوضعه
النفس ، وعلاقتها بالآخرين ونظرته الى المستقبل ، ان ظلت تفاصيل
قسماته غائبة الى حد كبير .

x x x

(١) د . عبد المحسن طه بدر : حول الاديب والواقع - دراسة تطبيقية -
دار المعرفة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧١ ، ص ٣٤ .

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة ۱۹۶۷ - ۱۹۷۴

عكس الشعراء العرب عامة والفلسطينيون خاصة واقع السنسورات التي سمقت (حرب حزيران " يونيو ١٩٦٧) واتخذوا منه موقفا فيه تمرد عليه ، وادانة له ، الا أن موقفهم هذا لم يكن نابعا عن التزام ثابت أو معين ، وإنما عن تصور فردى قائم على نوبات عاطفية تأتي وتغيب .

وبالقدر الذي ظلت فيه الشواعر الفلسطينية محافظات على نسقهن الشمري ، من اصدار للأحكام العامة ، وتصوير للانفعالات الذاتية والرؤية التقليدية ، فان بعضهن قد نجح نجاحا نسبيا في تقديم بعض النماذج الشعرية ، بلا بهرجة من لفظ أو تضخيم لاحساس ، ولعل أفضل هذه النماذج وأكثرها التحاما بالواقع ، قصيدة للشاعرة فدوى طوقان بعنوان :

" اردنية فلسطينية تميش في انجلترا " ، فقد تمكنت فدوى في هذه القصيدة من جعل ذاتها الخاصة مطلقا الى العام ، حين عرضت فاجحة الانسان الفلسطيني ، وضياح هويته من غير انفعال أو عودة الى ماض ، أو هرب نحو مجهول ، وتبدأ القصيدة بسؤال يسأله انجليزى عن وطن الشاعرة ، ومن هذا السؤال تنتقل فجأة لنجد أنفسنا أمام القضية ، قضية الذات ملتحمة بقضية الشعب كله ، تقول :

(١) طقس كيب

وسأري أهدا ضبابية

من أين ؟ أسبانية ؟

- كلا من ٠٠٠ الاردن

- عفوا من الاردن ؟ لا أفهم ٠٠

(١) امام الباب المفلق : منشورات دار الاداب ، بيروت ط ١ ، ١٩٦٧

- أنا من روايى القدس

وطن السنا والشمس

- يا ٠٠٠ يا عرفت ، اذن يهودية

يا طمئة أهوت على كهدى صماء وحشية

وتتابع الشاعرة فتسجل عجزها عن تحقيق هويتها ، وهوية شعبها

المشرد :

٠٠٠ انى من القوم الذين

من الجذور اقلعوا ، من الجذور

وأصبحوا على مدايح الرياح

مبعثرين ها هنا وها هنا

لا ينتمون

الى وطن .

حقيقة فيها نغالت النفوس

ندعى

أنا كهاقى الآخريين

قوم بلا وطن

وعندما وقعت (هزيمة جزيران " يونيو " ١٩٦٧) بثقلها القاسى على العرب ، أحدثت منمطفات عميقة على الصعيد السياسى والمسكرى والأدبى عامة ، وشكلت هذه (الهزيمة) خطأ محوريا فى ساحة الكلمة المربية سواء فى النشر أو الشعر ، واستطلعت أن تعدل على عيون بعض الشعراء العرب ، ستارا من التعمية ، حتى بدت لهم وكأنها الحقيقة الوحيدة ، وأنها قدر غيبى لا خلاص منه ، لذا جاءت جل قصائد

حولها وحول الحرب الخاطفة التي وقعت ، مهتورة الصلة بالمستقبل ، بل
وبالماضي أيضا ، ولم تلامس هذه القصائد الا سطوح الأشياء ، ولم تتوغل
الى ما تحت الأنقاض . أما الشعراء الفلسطينيون فقد كانوا أكثر قربا من
الحقيقة التي رأوها ، وأقرب استجابة والتحاما بالواقع الجديد ، فحاولوا
استخدامه في اغناء تجاربهم وتجسيد معاناتهم الفنية ، وتمكروا الى حد
كبير من تعبئة الفراغ الذي أحدثه صعود الحركة الشعرية المريسة ،
وتواجهها في عملية بحث عن الذات ، فكان شعرهم في هذه المرحلة
هو شعر الواقع الجديد وصوته المميز .

ورقت الشاعرة الفلسطينية تواجه نفسها وما يدور حولها في محاولة
صعبة للخروج من دائرة الانغلاق وأسر الرؤية التقليدية ، فنجد اللحظات
الاولى للاحتلال ، أخذت تواكب الأحداث مواكبة تكاد تكون تفصيلية ، وتصوغ
بعض ملامح الواقع الجديد شعرا يتصف بالحضور الكامل والمعاشة
الصادقة لمهوم الناس وأحزانهم ، وأصبح الوطن عندها عذابا روحيا
ونبها دافقا لاستمرار الحياة في عروقها ، ويتشابه صوت الشاعرة فدوى
طوقان مع أصوات الشعراء في الوطن المحتل وتتصدى للانسحاق المحاجر
الذي خلفته (الهزيمة) المقطولة في النفوس ، مؤكدة أن خسارة معركة
لا تمنى بالضرورة خسارة الحرب وانتهاء الرجال ، تقول فدوى :

(١)

... هت الشجرة

والجذع الطود تحطم ، لم تبقى

الأنسواء

(١) ديوان الليل والفرسان : منشورات دار الادب ببيروت ط ١ ، ١٩٦٩ ،
ص ١٨ .

باقية تحياها الشجرة
هـوت الشجرة؟
عفو جدا ولنا الحمراء
عفو جذور مرتوية
ينبذ سفحه الأشلاء
عفو جذور عريضة
ترغسل كصخور الأعماق
وتمد بحيدا في الأعماق
ستقوم الشجرة
ستقوم الشجرة والأغصان
ستنمو في الشمس وتخضر
وستورق ضحكات الشجرة
في وجه الشمس

وتفنى الشاعرة ليلي المقدسية (١) ، للوطن الذي ما انفك يواصل
الازهار والاشمار برغم محاولات المهدم ، وصور الموت والدمار وطمس تاريخه
العربي ، وتمثال في خاطرها كل أحلامه الوردية ، حين تقع عينها على
سفوح (جبل الكرمل) بعد مرور عشرين عاما على فراقه :

(١) هـسى الشاعرة سميرة الخطيب ، من مدينة القدس ، ولدت
عام ١٩٤٨ وأنهت دراستها الابتدائية والثانوية فيها ، ثم ارتطت إلى
أمريكا وقضت ثلاث سنوات في دراسة الهندسة الميكانيكية ، عملت
مساعدة إدارة في التعليم بالقدس المحتلة عام ٦٩ - ٧٣ ، ثم تولت
إدارة مكتب (الكويكرز) للخدمات المجانية في القدس ، لها مجموعة
كبيرة من المقالات السياسية والاجتماعية ، ولها ديوان شعر مطبوع بعنوان
القرية الزائفة - مقابلة شخصية مع الباحث في مدينة عمان بتاريخ

(1) يا كرملى

غامرت كى آتيمه
أتقنت التحمدى
عشرون عاما فى الأسى
أتقنت ... أتقنت التحمدى
... وطن على جنبااته
أرتاح من سيرى الطويل
وطن ككل مواطن الدنيا جميل
وطن كرم
يعطى الثمار لأهله ... لا للدخيل
ويظل يورث خيرته لبنية جيلا بعد جيل
... والهفتى يا كرملى
أنا فى هضابك كالتيممة
لغنى بسعهم لها وقع الجريمة
وخطى واهى واجممة
مذبذبة
سقيمة
فالام يا وطنى الام
يصمنا ضحك الهزيمة ؟!

(1) ديوان القرية الزانية : منشورات دار الفكر الجديد ، القدس ط ٢
١٩٧٧ ص ١٠٦ •

ويهم أن المحتلين يطمعون الصبح في كل ربوع الوطن ، ويخنقون
نداءات الأرض المتعالية ، فان الشاعرة ليلى علوش ^(١) ، تقف بثبات وعزم
صارخة في وجه الدخيل :

(١)
... يا اله الشوك حدى
رغم سقمى
سأهوى ما زال أقوى
خلفى اللحن ضرير
انما ذاك الهدير
خلف باب الليل أقوى
... فى انتظار الفجر أقوى
دائما ، رغم المأسى
دائما أقوى وأقوى ...

ويبقى الوطن وجدانا داميا فى كيان الناس ، وتخلط فى نفوسهم
مشاعر عنيفة من القهر والحقد على المدو ، وتكثب الشواعر جرائم النازيين
ويطشهم بدما ، أعصابهم ، ويهزأ بجرائمه القمعية ، وأحكامه التمسفية
التي يصدرها بلا تمييز على الرجال والأطفال والنساء ، ويمتلئ قلبه
المدو غمظا وهو يرى السخرية وعدم العيالة التي يقفها هذا الشعب

(١) ليلى علوش : من مدينة القدس ، ولدت عام ١٩٤٨ فى عمان ، وأنهت
دراستها الابتدائية فى مدارسها والثانوية فى مدينة القدس ، التحقت
بالجامعة ولكنها انقطعت عنها بسبب أحداث ١٩٦٧ ، عملت مدرسة
واشتغلت بالصحافة والرسم ، ولها مقالات أدبية منشورة ، وأرجمت
دواوين شعرية مطبوعة .

— رسالة شخصية الى الباحث بتاريخ ١٩٧٧/٥/٢٦ .
(٢) ديوان بهار على الجرح المفتوح : المطبعة الفنية — القدس ، ١٩٧١ ، ص ١٩ .

المقام ، وتصور لنا الشاعرة زينب حبش^(١) ، موقف أحد الصامدين وهو يستمع الى الحكم الصادر بحقه من احدى المحاكم العسكرية :

(٢)

... احكم بالسجن

احكم بالنفسي

احكم بالموت

فبلادي بالسورد غنية

وشذاها يحرق حية

رغما عنكم

رغما عن نصركم المزعوم

فغدا سيطل الفجر

وغدا سيطل الفجر

فاحكم ما شئت

فلن أمتم

وحين برزت بنادق الفدائيين بعد ثلاثة أشهر من (الهزيمة) لتقوم بأول رد على على العدو ، شكل الشمرء للفداء ، والفدائيين صوتا خاصا زعموه في خارطة الشعر العربي ، وأخذت الشاعرة الفلسطينية تمجيد بطولات الفدائيين وتصف ولادتهم من أعماق الحجز ، وتتغنى الشاعرة

(١) زينب حبش ؛ من قرية بيت دجن ، قضاء يافا ولدت عام ١٩٤١ وتزوجت مع أهلها وهي صغيرة أثر النكبة ، وسكنت مدينة نابلس . أنهت دراستها الابتدائية والثانوية هناك ، وحصلت على إجازتها الجامعية في الأدب الانجليزي من جامعة دمشق . تعمل حاليا مشرفة تهوية في مدينة رام الله .

- رسالة شخصية مرسلة الى الباحث من الشاعرة بتاريخ ١٩٧٧/٧/١ .
(٢) جريدة الاتحاد : العدد (١٦) السنة (٢٥) . تاريخ ٩ تموز - يوليو

سنة ١٩٦٨ .

هدية عهد الهادي بأولئك الرجال الذين اختاروا طريقهم ، وعشقوا الصوت
فوق الأرض الطيبة كي يبعثوا العشب على ترابها ، والأزهار بين يدي
أطفالها ، وتصور استبسالهم في (معركة الكرامة)^(١) ، وما صنعوه من
بطولات ، تقول :

... حملوا الخضاب مطيبا ومعتبرا
(٢) وتسبقوا في موكب غلى الثرى
هذى عروس المجد حان زفافها
لبست ليموم المرس ثوبا أحمر
وتجمعت حول العروس فوارس
من أهلها كي تطعن وتفخر
... يا من وقفت بحرسها متأهبا
وهديجا في ساحها ومكبرا
من أنت ؟ مثل النسر ألا أنت
عرق الجهاد علا جبيننا أسمر
من أنت ؟ كالفلواز تمسك مدفعنا
وبقضيتك أرى الحديد تكسرا
لله أنت ، وبألبرعة صامدا
لله أنت برزت سيفا مشهرا

(١) معركة الكرامة : معركة عنيفة دارت حول مخيم كبير للاجئين الفلسطينيين
على الضفة الشرقية لنهر الأردن ، بين العدو الصهيوني من جهة

ومقاتلي (فتح) وقطاعات من الجيش الأردني من جهة أخرى وذلك
بتاريخ ٢١ آذار (مارس) ١٩٦٨ ، وقد أسفرت المعركة عن انسحاب
العدو بعد أن خلف وراءه عددا كبيرا من القتلى والسلاح .

(٢) رجال من صخور : جمعية المصريح الصوري الفلسطينية بيروت -
١٩٦٩ ص ٢١ .

أنت الفدائي ، والفدائي طيممة

في اعماق الأعماق لن يتفيرا

وما دام الناس يحبون الفدائيين ، فلا بد أن يزهر في نفوسهم الفرح
المائد من سنوات الخبرة والتشرد ، وأن يولد من فوهات البنادق تاريخ
جديد ، تقول الشاعرة مى صايخ^(١) ، في معركة الكرامة أيضا :

(٢)
و (بييت لحم)

حدث الجيران عن نجم جديد

يستوى فوق الكرامة

وبأن جبرائيل بشر ضفة الاردن

أعطاهم علامة

هي غصن زيتون ٠٠٠ ورشاش

وحريمة

واسم فتح

فالليل ينقش في حوافي الصبح تاريخا جديدا

تتلاحق الخفقات جذلي في عميق النهار

طوى للضفاف الوارشات الأرض

تقتلع المأساة

من جذور الدموع

(١) مى صايخ : من مواليد مدينة غزة عام ١٩٤٠ ، أنهت دراستها الثانوية فيها ثم انتقلت الى القاهرة ، وحصلت على إجازتها الجامعية فى اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة ، نظمت الشعر فى سن مبكرة ولها ثلاثة ديوانين مطبوعة ، وبعد عام ١٩٦٧ وجدت لها مكانا فى صفوف (فتح) .

— رسالة شخصية مرسلة الى الباحث من الشاعرة بتاريخ ١٩٧٨/٤/٣ .
(٢) ديوان الكليل الشوك : دار الطليعة بيروت ١٩٦٩ ص ٨٧ .

تفتح ألف درب في سما الكون
ما انفتحت سوى للأنبيا...٠٠٠

وترى الشاعرة ليلي علوش في ظهور بندقية المقاتل الفلسطيني ، بمد
سرور عشرين عاما من السهات الذليل ، ابداعا لحياة جديدة ، وابـرازاً
لشخصية فلسطينية جديدة . تقول :

(١) ... في حزيران خلقت

ولهمـذا

دمعة الشوك تراها في جبهيني

ولهمـذا

أرصد الفجر لأجلى

ظلمة الليل الممّنى عن عيوني

في حزيران خلقت

في حزيران بمثلت

ولهمـذا

أرصد الدرب الى الفجر

بأعصابى ولحمى وعيونى

... ولهمـذا

غصن زيتونى التايـد

بمد عشرين سنة

أيقظتـه

هزة الخلق فأضحى

سوط نار فى يمينى .

(١) ديوان سنى القحط ياقلبي : مكتبة المحتسب . القدس ط ١ ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٧ .

وتجسد الشاعرة فدوى طوقان الملائكة الوثيقت بين الفدائى
الفلستينى والأرض ، الفدائى الجديد الذى يحمل هم شعبه وأرضه وكل
أشتات المنى المبعثرة ، على نحو يختلف أشد الاختلاف عن فدائى
الخمسينيات ^(١) ، ذلك المغترب بلا سلاح سوى الذكريات ، ان فدائى
الثورة الجديد ، قد ملح نفسه بالسلاح الذى يفهمه العدو ، ولم
يذهب وحيدا الى أرضه وإنما بمصاحبة رفاق يقاتلون ، فلا ترسم دماؤه
على الأرض الحبيبة شاهد قبره ، وإنما ترسم علامة الشوط الذى تقطعه
رحلة الشعب نحو هدفه العظيم . وتتحدث فدوى عن معركة الفدائىين
فى قرية (طوباس) ^(٢) وعن استشهاد الفدائى الهملى (مازن أبوغزالة)
الذى غطى انسحاب رفاقه من أرض المعركة التى استمرت ثلاثة أيام ، ثم
فجر نفسه ومزق محه عددا من جنود الأعداء المحيطين به ، تقول :

(٣)

... وهب مازن الفتى الشجاع

يحمل عبءاً حـمـمـه

وكل هم أرضه وشعبه

وكل أشتات المنى المبعثرة

— ماض أنا أمـاه

ماض مع الرفاق

لمـودى

راض عن المصير

(١) ينظر الجزء الذى اثبتناه من قصيدة (نداء الأرض) ص (٩٣) من
هذه الدراسة .

(٢) قرية فى قضاء جنين .

(٣) ديوان امام الباب المخلوق ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

أحله كصخرة مشدودة بحلقى
فمن هنا مطلقى
وكل ما لدى ، كل النبض
والحب والايثار والمباعدة
أبذله ، لأجلها ، للأرض
مهرا ، فما أعز منك يسا
اماه الا الأرض

ولعل صور الموت الذى يخيم على الوطن ، والرجال الذين يحبرون
الليل وهم يحملون فى قلوبهم الحياة والحب والايمان ، من أكثر الصور
التي تستحوذ على ذاكرة مى صايغ :

..... حين يصير الموت رفيقا (١)

فوق وجوه الأحاب كخيوط شماع غارب
حين تصير حدود بلادى ، أجنحة الطيارات .. الأرقام
الأوراق السريرة
وتصير نوافذها أبعد من شوقى
أبعد من حبنى
هل يكفى أن تبسط كل حدود الأفق القزحية؟

وعلى الرغم من كل أنواع التثكيل والاضطهاد الذى ابتلى به الانسان
الفلسطينى واكتوى بناره ، فانه ثابت كالضخوة ، باق كبقاء الأرض . وترينا
فدوى طوقان نموذجاً لهذا الانسان فى قصيدتها (حمزة) الذى التقى

(١) ديوان قصائد حب لاسم مطارد : دار الطليعة - بيروت ١٩٧٢ ، ص

بها ذات يوم وهى تتخط (فى تيه المهزمية ٠٠) فيحدثها عن الأرض التى
(تحصدها نار الجريمة ٠٠) والتى ستبت (الشعب المقاتل ٠٠٠٠) . تقول
الشاعرة :

(١)
٠٠٠ دارت الايام لم ألتق فيها بأبن عمى
غير أنى كنت أدرى

أن بطن الأرض تملو وتميد

بمخاض وميلاد جديد

ويزداد صمود (حمزة) ، كما لو أنه لا يتعوض لهذا الاضطهاد

والعسف النازى :

٠٠٠ كانت الخمسة والستون عام

صخرة صماء تستوطن ظهره

حين ألقى حاكم البلدة أمره

(انسفوا الدار) وشهدوا

ابنه فى غرفة التعذيب

القسى

حاكم البلدة أمره

ثم قام

يتخفى بمعانى الحب والأمن واحلال السلام

وعلى مرأى من عيون الجند ، وقبل أن يخلو (حمزة) داره ، وقف

على شرفتها ونادى بأنه وأولاده فداء فلسطين وتمهتز أعصاب البلدة

ويسيطر عليها الخشوع وتمضى :

(١) ديوان الليل والفرسان ، ٠٠٠ مرجع سابق ص ٨٩ .

... ساعة وأرشفمت ثم هـوت

غرف السدار الشهيدة

ويجتاز (حمزة) التجربة القاسية بصمود وكبرياء ، ويبقى مرفوع

الرأس :

... أمس أبصرت ابن عمى فى الطريق

يدفع الخطو بمزم ويقين

لم يزل حمزة مرفوع الجبين

وكان لتجربة (أيلول " سبتمبر)^(١) ، وما تلاها من اجراءات شرسة

استهدفت الأمل الأخضر الذى تحاول المقاومة الفلسطينية انماه فى
النفس الحربية ، أشر عميق فى نفس الشاعرة الفلسطينية ، ولد عندها
شعورا بالمرارة والتشاؤم ، وأحدث تحويلا وتديلا فى آمالها وتطلعاتها
بل لقد أوجد عندها نوحا من ازدهاجية الرؤية والاحساس ، وجمـل
شمرها حافلا بصور متناقضة تعبر عن المذاب وخيبة الأمل وعدم الثقة
بالنفس ، والثبات والتشاؤل وإرادة التحدى . ومن هنا عم فى كثير من
قصائدها نزعات هروبية ، لجأت فيها الشاعرة الى الماضى المجيد تسترجع
البطولات الحربية والمجد الفاير ، أو الى عرب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨
الذين استطاعوا البقاء تحت وطأة ظروف مضطربة قاسية ، تستلهمهم القوة
والصبر ، أو الى المستقبل الذى لا ينع من واقع حى بقدر ما ينع من
أمل مبالغ فيه .

(١) الشهر الذى وقع فيه الصدام بين المنظمات الفداية الفلسطينية
والجيش الاردنى عام ١٩٧٠ .

هذه هيام رمزي الدردنجي ، وقد أمضها الصمت الذليل لما جرى
ويجري في الساح المصرية وخارجها ، تستصرخ (صلاح الدين) و (موسى
ابن نصير) ، وعددا آخر من أبطال المرب وقوادهم ، وتستعيد أيام
دمشق وبغداد والقيروان فتقول :

(١)
... أين (حطين) يا صلاح الدين وأين الطوك بالتيجان
أين (موسى) و (طارق بن زياد) كيف دكا محافل الاسبان
أين (بغداد) أين مجد الخوالي و (دمشق) وجامع (القيروان)
وقصور (الرشيد) بالعز تزهر ————— بالجند ٠٠ بقوة السلطان
... أيها الخافلون في الصمت حزنا ويح صمت عن ذلكم أنبانى

وتصف فدوى طوقان الشمور بالمهانة والألم الذي يتمض له المرب
على أيدي الفزاة ، من خلال موقف تحاول فيه الحصول على تصريح لمبور
(الجسر) على نهر الاردن الى الضفة الاخرى ، لقد أمضت الشاءة
سبع ساعات انتظار في القبيظ اللانح ، وعرقها يسيل ملحا في جفونها
والشتائم تصم أذنيها (عرب ، فرضى ، كلاب ٠٠) فتتأدى :

(٢)
... آه واهتمصصاه

آه يا نار المشيرة

كل ما أملكه اليوم انتظار

ما الذي قص جناح الوقت

من كسح أقدام الظهيرة ؟

يجلد القبيظ جبينى

(١) ديوان اغنيات للقمر : دار مكتبة الفكر - طرابلس ليبيا ١٩٧٣ ، ص ٢١

(٢) ديوان أمام الباب المخلق ، مرجع سابق ص ٧١ .

عرقى يسقط ملحا في جفونى
آه جرحى
مرغ الجلاء جرحى في الرغام
ليست للبراق عينى
آه يا ذل الـ
حنظلا صوت ، مذاق قاتل
حقدى رهيب ، مؤل حتى القرار
صخرة قلبى وكبريت وفوارة نار
الف (هند) تحت جلى
جوع حقدى
فاغرفاه ، سوى أكبادهم لا
يشيع الجوع الذى استوطن جلى
آه يا حقدى الرهيب المستنار
قتلوا الحب باعماق ، أحالوا
فى عروقى الدم فسلينا وقار .

ويتسرب الى أعماق الشاعرة رجوه عساف (١) ، تفاؤل مزوج يعطر
الأرض ، وتحلم بمستقبل ووردى لوطنها الغالى ، بعد أن يتخلص من
الاغراب ، وتمود الى أعشائه :

(١) وجوه عساف : من مواليد مدينة جنين . فتحت عينيها على نكبة شعبها
وتشده . أنهت دراستها الابتدائية والثانوية فى جنين ، وحصلت على
اجازتها الجامعية فى اللغة الانجليزية من الجامعة الاردنية بعمان
وكان لها نشاط طالبى واجتماعى ملحوظ .
- رسالة شخصية مرسلة الى الباحث من الشاعرة بتاريخ ١٩٧٨/١/٢٤ .

(١) ... أسراب من الحسون

وسوف يـمـرود

كل نسورك الاحرار

ولمّا يحمل الأطفال

أفصانا من الزيتون

ستمرف أننا عدنا

كما كما

نصوغ من التراب حلاوة النصر

ونزرع أرضنا أننا

وسوف يفتح النوار

وسوف انفض الأحزان

عن شمـري

وأزرع في عيوني الشمس

والأزهار

وأحلف أن أهل الأرض قد عادوا

يصوغون التراب

وفرحة السؤال

ولاتملك فدوى حين تلتقى " بشمرا" الأرض المحتلة " في مدينة

(حيفا) ، بعد غياب طويل زاد على عشرين عاما ، لاتملك غير الوقوف

على الأطلال ، ونعى أهل الدار ، ودم الأيام ، وصروف الدهر تقول

فدوى :

(١) ديوان الخبز في بلدي : مكتبة عمان ، عمان ١٩٧١ ص ٢١ .

(١) . . . على أبواب يافايا أحيائي
وفي فرضي حطام السدور
بين الـردم والشوك
وقعت وقلت للمينيين :
قفا نبيك
على أطلال من رحلوا وفاتوها
تتأدى من بناها السدار
وتحمى من بناها السدار
. . . وقال القلب : ما فعلت
بك الأيام يا دار ؟
وأين القاطنون هنا
وهل جائتك بمد النأي
هل جائتك أخبار ؟

وبين كل ظلال الحل والترحال ، والاقاثة والظمن ، لم تستعمل
" قفانك " بأوجه من استعمالها في هذا المقام ، كما يقول محيي الدين
صحي (٢) . قفانك على أبواب يافا ، قفانك على أطلال القدس ، قفانك
على الأسلاب بين القنيطرة والقنطرة قفانك شعبا يرحل عن وطنه
ثم يرحل ، ويترك وراءه الديار أطلالا يقطنها الخزاة .

(١) ديوان الليل والفرسان : مرجع سابق ، ص ٤٨ .
(٢) دراسات تحليلية في الشعر المرمي المعاصر ، منشورات وزارة الثقافة
والارشاد القومي - دمشق ١٩٧٢ ، ص ٢٥٩ .

وظللت الألوان القاتمة وجه السنوات الثلاث التي سبقت (حرب
رمضان ١٩٢٣) وكان للمصت العسكري والسياسي ازاء تحديات المدو
واستفزازاته المتكررة ، وتهافت الأنظمة المصرية على الطول السلمينة
انعكاس سلبي على الوضع المصري العام والمثقف بوجه خاص . أما
الشاعة الفلسطينية فقد كبرت بتلك الجهود الزائفة والتهديدات الجوف
التي يطلقها بعض الحكام العرب في كل مناسبة ، وتسأم هيام رمزي
الدرنجي التحدث عن الحرب ، والشجاعة ، والثبات و :

... عن كل ما قيل أو ما يقال
(١) نعيش به أو نحس به

ذلك أن التاريخ العربي بكل حضارته :

... غدا مضافة في ثنايا الحروف

تمزقه الخطوات الرشيقية

... فأين المغر من الأدعياء وباعة تلك الحروف الأنيقية

فقد شوه الزيف وجه الحياة وعاك بها منذ بدء الخليقة

هنا الفكر أخيلة حافلات تمج بمصطلحات أنيقية

تضيق الحقيقة بين السطور وفي جدل باهت لن تطيقه

أما فدوى طوقان فقد بلغ بها الأمر حدا تتمنى معه امثية جارحة

لتلك الأمة الفارقة في لجة الخدر ، وهي ترقب :

(٢)

... المام يصر وراء الممام

وراء الممام وراء الممام

(١) ديوان اغنيات للقمر ، مرجع سابق ص ١٢٥ .

(٢) ديوان على قمة الدنيا وحيدا : منشورات دار الادب ، بيروت ط ١

والأرض تميد بنا والسقف
بجمل ركاما فوق ركام
والكذب يخطينا من قبة هامتنا
حتى الأقدام ...
يا اخوتنا قولوا حتام ؟
أواه وآه يا فيتتـــام
آه لو مليون محارب
من أبطالك
قذفتهم ربح شرقية
فوق الصحراء المربية
لفرشت نصارق
ووهبتهم مليون ولود قحطانية ..

:xxx

أنتج لكثير من الشواعر معاينة (الهزيمة) ومشاهدة قوات العدو
تدخل المدن الفلسطينية وتبسط كلها الأسود على مقدراتها ، ورؤيتها
الآلاف من المواطنين يهيمون بلا مأوى ولا ملأ ، وخبرت هؤلاء الشواعر
خبرة مباشرة اللذة التي يحس بها المهزوم حين يستطيع ايقاع الأذى ، بل
أخف الأذى بمدوه ، كما مارسن مذلة الوقوع تحت عسف الاحتلال ، مثلما
مارسن نشوة ارتفاع منويات المرب عامة حين بزغ العمل الفدائي وتقوى ،
هذه الممارسة الحية بحلوها وسرها ، مكنت معظم الشواعر من تلوين شعورهن
بلونين متمايزين : أحدهما يصور الانكسار والهزيمة والخيانة ، وما يعقب

ذلك من انسحاق ومذلة وهوان ، ولون آخر يصور التحدى والصـدر
المكشوف لرصاص العدو ، والجبهة المرفوعة والغضب والبندقية المسددة
والتصميم على البقاء مهما كانت المخاطر .

والمتمتع لهذا الشعر بلونه ، يلاحظ بوضوح امتناع معظمه
ممن كل رسائل الفن التقليدية الشكلية ، ذلك أن غالبية الشواعر
الترمن باصول فنية جديدة ، وحررن قصائدهن من القافية والأوزان الخليلية
واعتمدن وحدة التفعيلة المروضية والقافية غير المنتظمة والتشطير غير
المتوازن الخاضع فى شكله للفكرة والتجربة الشعرية .

(١)

ولعل السبب الذى جعل الشواعر يعتمدن شكل الشعر الجديد
واصوله الفنية هو بساطة أسلوب هذا الشعر ، وخلوه من الرصانة ،
والألفاظ المعجمية ، واكتسابه ملامح لغة الحديث العادى التى تفسح
الشاعر الانطلاق والحرية ، وتفسح له المجال للتعبير عن تجربته الشعرية
بمعيدها عن قيود القافية والموسيقى التقليدية ، وربما فرضت الظروف من
حولهن وضعا يتطلب أن يعتمدن اسلوبا أكثر حرية ، وأقل هيبة واجلالا ،
وهن فى ذلك ، على حد قول الشاعرة نازك الملائكة : . . . أشبه بانسان
يشتغل فلاحا ، ويضايقه أن يلبس ثيابا أنيقة مترفة لأنه يحتاج الى
لباس بسيط يحطيه الحرية على الحركة والقدرة على العمل . . . (٢)

(١) اطلقت اسما مختلفا على هذا الشعر فالناقد عز الدين الامين أسماه
فى كتابه " نظرية الفن المتجدد ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٥ " شعر
التفصيلة . وأسماه محمد النويهي فى كتابه " قضية الشعر الجديد
القاهرة ، ١٩٦٤ ، الشعر المنطلق . وأسماه ابراهيم الأبيارى فى
مجلة المجلة عدد ٨٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٣ " الشعر المستحدث .
وأسماه زكى نجيب محمود فى " مجلة المجلة عدد ٥٧ تشرين الاول (اكتوبر)
١٩٦١ " الشعر الجديد . كما اطلق عليه نفس الاسم عز الدين اسماعيل
فى كتابه " الشعر العربى المعاصر - قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية
القاهرة ١٩٦٧ " .

(٢) نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر دار العلم للملايين ، بيروت ط ٤ ،
١٩٧٤ ص ٥٦ .

وقد نهض كثير من شعرهن على التجربة والمماناة والتأمل المهادى ،
والاكتفاء عن التقريرية والاحساس المباشر ، ومن ناحية أخرى ، نجحت
بعض الشواعر فى تقديم عدد من التجارب الكاملة ، لا خلاصتها ، وذلك
بتصوير كل الجزئيات وإبراز العناصر التى تساعد على نقل القارىء السى
جو الحدث وعالمه الزاخر بالحركة والانفعال ، بينما استعمل بعضهم
لغة الحوار ، وصارت قصائدهن تتسع الى القصة والدواما بفهمها الفسنى
وحملن الكلمات فى كثير من الأحيان فوق ما تعودت حمله بالاعتماد على
الشائع منها والموحى الذى يحمل أحيانا معنى الوبز .

ومهما يكن من أمر هذا الشعر فإنه - مع غيره من شعر الشعراء -
يشكل شهادة صادقة على وقع المهزبة فى الوجدان الفلسطينى والحربى ،
وعلى تطور هذا الوجدان من الانكسار الى التمرد ، ومن التفتى بالاصل
الى أول خطوة ايجابية نحو تحقيقه . انه شعر ملئ بالهم والبؤس ،
ولكنه فى نفس الوقت طافع بعوثة المخاض والدخان المتصاعد من
فوهات البنادق .

الفصل الرابع

الاتجاهات العامة لشعر المرأة الفلسطينية الحديث

لا بد من التساؤل قبل كل شيء عن الموائل التي رسمت هـ وما تزال ترسم المسالك والاتجاهات التي سار فيها الشعر العربي الحديث عادة والشعر الفلسطيني بصورة خاصة هـ سؤال كبير متعدد الجوانب بسبب طبيعة العصر المتفجر بشتى الأحداث والمشكلات والقضايا والنظريات والمبتكرات والمعلوم هـ المتميز بسرعة التحول والتطور فيما يتصل بهذه الامور جميعها .

ومن الطبيعي أن تتجه الخواطر منذ البداية الى "نكبة عام ١٩٤٨" التي تكاد ترتبط زغيا بنشأة الشواعر الفلسطينية - والى ما جرته مسن ذيول قريية وبعيدة هـ من تشتيت للشعب الفلسطيني هـ وتوزيعه خارج الوطن وداخله هـ وقيام دولة دخيلة قسمت العالم العربي الى شطرين هـ بل قسمت هذين الشطرين الى دول مواجهة ودول بعيدة عن المواجهة - ثم تلك المواقف الداخلية التي اجتاحت العالم العربي من انقلابات وثورات هـ والمواقف الخارجية من تدخلات اجنبية وحروب هـ ومن غارات على المخيمات والقرى والمدارس والأطفال هـ ثم تجسيد الأمانى الفلسطينية في حركة فدائية ومحاولات القضاء عليها على مراحل هـ الى غير ذلك من امور اخرى .

ولا يمتنى الباحث هنا كيف أصبحت "النكبة" والأحداث المتولدة عنها موضوعا يكاد يستغرق شعر الشواعر الفلسطينيات - كما هو الحال عند معظم الشعراء الفلسطينيين وبعض الشعراء العرب - فقط هـ وإنما يمتنى ما الذى ولدته هذه "النكبة" من أساليب ورؤى شعرية هـ والى أى مدى أثرت في المطاء الشعري لدى الشواعر وكيف رسمت اتجاهه

ومطلقه ، دون أفعال بالضرورة للموامل الأخرى التي شاركت في تحديد اتجاه هذا الخط ، وخاصة شخصية الشاعرة نفسها ومدى تمكنها من صهر المتغيرات من حولها أو نهذ مالا يتفق وطبيعتها الانشوية ، وقدرتها على خوض التجارب ، والوقوف في وجه التحديات المختلفة أو الانهيار أمامها .

ويستطيع المتتبع لشعر المرأة الفلسطينية أن يلح اتجاهين بارزين يدور حولهما هذا الشعر ، هما الشعر السياسي ، والدوران حول الذات :

أولا : الشعر السياسي :

تعد السياسة من أبرز الأغراض التي تناولها الشعر الحديث عامة ولاسيما بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، وظهور حركات التحرر الوطني في أماكن مختلفة من أقطار العالم العربي . ومن الطبيعي أن يستقطب هذا النرض معظم الشعراء الفلسطينيين - كما استقطب غيرهم من الشعراء والشواعر العرب عامة - وأن يحبرن عن قضية فلسطين بشكل خاص ، مع اختلاف في تناول وفي الرؤية بين الشعراء . ويمكننا حصر شعر المرأة الفلسطينية السياسي ضمن ثلاثة رؤى رئيسة :

أ (الرؤية التقليدية :

في هذه الرؤية لم تصل الشاعرة الفلسطينية بتجربتها الفنية درجة من الحمق والشمول تمكها من الارتقاء بالمأساة الفلسطينية الى مستوى إنساني ، فهي لم تخرج بتجربتها الشعرية هذه عن دائرة الاحكام العامة ورفع الشعارات التي تدين العدو الغاصب المحتل ، وتبهرى المـسـرـب

المظلومين أصحاب الحق والتاريخ المجيد ، بجانب اعتمادها الطول المثالية
التقليدية في حل المشكلة ، والتي تتحول في انتظار ممجزة من السماء
أو صحة الضمير الانساني العالى .

وضمن هذه الرؤية نرى الشاعرة تحتفل احتفالا كبيرا بالصنعة الشكلية
وباختيار الكلمات الرنانة ذات الوقع الموسيقى أو النبرة الخطابية ، كما
تحدثت في نظرها طريقة النظم ، فهي لا تنظم قصيدة ، وإنما تنظم
أبياتا وربما على فترات نفسية ممتدة ، ما يفقدها غالبا الخيط النفسى
الذى ينتظمها من أولها الى آخرها ، أما الصورة عندها فلم تتجاوز
الشكل المحسوس ولم تستغل ايحاءاتها استفلا سليما ، ولم تلتفت الى
اشعاعاتها النفسية .

ولأن الشاعرة تعتمد في رؤيتها هذه على المطلق والمعام
تقع في عيوب فنية لا تستطيع أن تتخلص منها كالتكرار والديانفة والخطابية
والنثرية ، ونستطيع أن نلمح ذلك في كثير من قصائد الشواعر : هيام رموى
الدردنحى ، وسميرة أبو غزالة ، وهدية عبد الهادى وفي بعض قصائد فدوى
طوقان .

تقول الشاعرة هدية عبد الهادى في قصيدة لها بعنوان (البطالمة
الخالدة) :

... وأقسمت أن تدينى الخصم علقمها وأن تكيل له الويلات تشبهه
حتى إذا بلغت هام الملاظفرا
وهما النصر لاخطب يترزععه

(١) ديوانها الى القدة ... مبرج سابق ، ص ٨٠ .

وحقت حلما مازال يلقبها وارتاحت النفس من عبء تصاعده
هناك لم تهرب الأحداث إذ فتكت

نادت أيا موت أين الكأس أجوه

ما هدا الرزء ٠٠٠ ما أوهى عزيمتها

هل يرجع الليث إذ ناداه مصرعه ؟

وأفسحت (؟) صدرها للنار ثابتة

فالصدر أرحب للنيران تلذعه

مثل النسور ترى في الجو موطنها وليس للنسر دون الجو يقنصه

لا تمدو هذه الأبيات كونها حشدا من التركيبات المنتظمة في تساوق
خارجي مفكك ، خال من الشعور والمحافظة ، والخمائر الوجدانية ، كما
أن الشاعرة تعتمد الأوصاف الحادة المثالية والأسلوب التقويري الذي
يهبط في مستواه الفني الى مستوى المقالة أو الخطبة الجوفاء .

وفي قصيدة (اليقظة) للشاعرة فدوى طوقان ، تتحسر الشاعرة
على الوطن العربي الذي خيمت على ربوعه معاني الموت والحدم ، وتشتم
الاستعمار وافذابه الذين أصموا آذانهم عن أصوات البلاء ، ثم تلوم الأقدار
التي لا ترحم الضمير ، لتقرر في نهاية المطاف أن الليل له آخر
وأن الفجر لا يهد آت . تقول :

٠٠٠ يا وطني مالك يخسني عاسي روحك معنى الموت معنى العدم (١)

(١) ديوان وحدي مع الايام ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

أمضك الجرح الذي خانك أساتك في المأزق المحتم
جرحك ما أعمق أغواره كم يتنزي تحت ناب الالم

ثم تتابع :

... وأخجلنا حزام أهوائهم تفرقهم في لجها المنظم
هم الأنانيون قد أعلوا قلوبهم دون الهلاك الملم

وتختتم قصيدتها بالببيت الذي اختتمت به مئات القصائد التي تناولت
قضية فلسطين والاستعمار ..

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفي دم الأحرار تغلى النقم

وتوارد هيام رمزي الدردنحي الفكرة المكرورة عن المجد الفاخر ، والمروية
والفخار ، فتقول :

... أنا من أصل من صنع المعالي فصاغوا مجدهم وبنوا وشكوا (١)
أرادوا في السماء لهم مكانا فكان لآل يحرب ما أرادوا

ثم ...

أنا عربية والمرب أهلى وكل عشيرتي عسى وخالى
أنا عربية والفخر فخري لغير عربيتي أنا لا أبالى .

وتردد نفس المعاني حتى آخر القصيدة ، دون إعطاء أية صور شعرية
وإذا كان هناك صور شعرية ، فهي صور مباشرة تعبيرية ، فالشاعرة تنشر
حول قومها (در اللآلى ٠٠) ، ومجدها يضحى (أطيان عز ٠٠٠) وتصبح

(١) ديوان زهراء من ربيع الممر ... مرجع سابق ، ص ٧٣ .

حياتها (ماء غور . .) ، الى غير ذلك من الصور التي لاتحفل جديدا
ولا تختلف عن مئات الصور التي وردت في قصائد السياسة .

ب) رؤية تقليدية ذات أسلوب جديد :

وفي هذا المجال تحاول الشاعرة أن تستخدم فنية (تكبيك) القصيدة
الحديثة ، بعد ما خيل لها أن النقوال التي استهلكها السلف لم تمد
وافية لنقل الالمان النفسية والاتجاهات الفكرية لديها . ولكن الشاعرة لم
تتجاوز في تجربتها الفنية هذه الرؤية التقليدية السابقة ، وهذا يظهر
بوضوح عند الشعراء : كلثوم ملك عرابي ، ودعد كياتي وأسعى طويي ، وفدوى
طوقان ، وسلي الخضرا الجيوسي ، ففي قصيدة (أعوام) للشاعرة كلثوم
ملك عرابي ، تحاول الشاعرة تصوير حالة الشريدة التي تميش تحت الخيام
وموقف قومها وأبناء عمومتها اللاهين عما يدور حولهم يرتشفون الخمرة
ويقتصون اللذة . . . تقول :

(١) . . . وتملاً الكروسي في الدقائق الممهارة الرنين

رئيتها المجرح الأنين

مغيب في مغاور السنين

وحن في خيامنا نجاور الشقاء

ونقت الأيام في انتقامها المشين

ونرشف اللذائد القريبة المبال

والفانيات تنزل الجبال

(١) ديوان مشردة . . . مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

برقصها الشـــير
عباءة تميم كالـــدلال
تلفها قصائد احتفـــال
والحام تلو الحام في حصيرتي ينام
كالافصوان عندهما يفيض في الظلام (١)
شريدة أنا في خيمتي . . . حكايتي لم تدخل القصور
حكاية يلوكها الفنـى والفقير

تجربة مجهزة ، وصورها الشعرية مضطربة ، وأجزاؤها متنافرة من الداخل
بل هناك تناقض بين بعض صورها وبين الجو العام الذي يفترض أن يلف
التجربة ، فبينما تحاول الشاعرة أن تصور جو اليأس والشقاء في خيام اللاجئين
نراها متحجم :

. . . ونرشف اللذائف القريبة المنال
والفانيات تغزل الجمال
برقصها الشـــير . . .

هذا عدا أن المواقف بحد ذاتها مطروقة ، ولا جديد في التجربة
للم لا اعتماد الشاعرة شكل القصيدة الجديد .

وكثيرا ما نلاحظ الصور المباشرة والاسلوب الخطابي في ثنايا بعض
القصائد السياسية التي قالتها الشاعرة فدوى طوقان مستخدمة الشكل
الجديد للقصيدة ، ففي قصيدتها (نداء الأرض) تقول :

. . . أتفصب أرضي؟؟ أيلب حقي وأبقى أنا (١)

(١) ديوان وجدتها . . . مرجع سابق ، ص ٥

حليف التشرد ، أصحب ذلة عارى هنا
أبقى هنا لأموت غريبا بأرض غريبة
أبقى ؟ ومن قالها ؟ سأعود لأرض الحبيبة
... سأرجع لا يهد مسن عودتى

سأرجع مهما بدت مهنتى (١)

عبارات تعبيرية ، لاثمير فى نفس السامع أية خلفية شعورية
هذا بالإضافة الى أنها أقرب الى النشر منها الى الشعر ، يهيب تلك
الصيغ التأكيدية التى حشدتها الشاعرة فى ثنايا القصيدة ، وفى قصيدة
أخرى لها بعنوان (حرية الشعب) نلاحظ الاسلوب التقريرى أيضا الذى
لا يجسد الاحساس فى موقف أو تجربة ، بل يردده شعارات ونداءات خطابية
صاخبة ، تقول فدوى :

(١)

... حريتى

حريتى

حريتى

صوت أردده يملء فم الغضب

تحت الرصاص وفى اللهب

وأظل رغم القيد أهدو خلفهما

وأظل رغم الليل أققوا خطوهما

وأظل محمولا على سد الغضب

(١) ديوان الليل والفرسان ... مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وأنا أناضل داعيها

حريتي

حريتي ...

ولعل الشعرة ، قد أصحت بما في القصيدة من جو صائب
وخطابي فأشارت الى أنها تكذب نشيدا لا قصيدة !)

وفي قصيدة (جامع قرطبة) للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي ، يظهر
التصوير الذهني والخطابية والألفاظ الفخيمة في قولها :

(١) ... فهنا ركبنا المجد تحدونا المطامح والمسنى

وهنا ربطنا خيلنا

وهنا صببنا وينا

وهنا أعدنا قولنا

" نحن العرب : فلتخضع الدنيا لنا "

صفنا الحضارة للدنسى

ووجودنا همز الوجود

وتدققنا أواجنا عرض الطريق الى الخلود ...

وكذلك في قصيدتها (مرثية الشهيد) :

(٢) ... أنا أدري أنهم ماتوا " ليحيا الوطن "

وطن القتلى ، وحقل الدم هذا الوطن

أنا أدري أنها " الحرية الحمراء " هذا الثمن

(١) ديوان المودة من النبع الحالم ... مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٨ .

الرائح المفوس بالآهات هذا الثمن
أنا أدري . . . انما الحزن بأعماق فؤادي ليس يدري
أنا أبكى كل عين فقدت ضوء الحياة . . .

وتفقد الصور الشعرية كل خصوصيتها ، ونشمر بالجفاف والسطحية
ونحن نقرأ للشاعرة دعد كيالي قصيدتها (من أغاني لاجي) :

(١)
... دعنا نهرب

ونملأ الدنيا بصيحات الغضب

والكـون باللهـب

دعنا نهرب

بحـرب

تبلغنا الأرب

فلن نعود للديار

ألا بحـرب

حرب مع الظروف والأسار بالشعور والضمير

حرب مع الحياة

مع اليهود

فلن يعود الوطن السليب

ألا بحـرب

كلام منثور ، لا يبحث فيها أدنى احساس أو تفاؤل ، وأنفاس مقطعة

تدعو للثورة ضد اليهود في رومانسية لاتستند الى طريق محددة .

(١) ديوان ولم تطوى ياغيوم . . . مرجع سابق ، ص ٦٣ .

وتظهر سطحية التناول ، وركائز الاسلوب في قصيدة " لأجل
بلادي " لأسى طوبى . . . تقول :

(١)
وتمسك طفلتنا الغالية

بأهداب كوسى

تعرغ فيه المحيا البديع

وتتهتف بابى

كما لو تقول

منى ترجع ؟

شاك نساء

يأجيني صامتات

وسين الضلوع

قلوب تحس الحياة

تذوب كذوب الشموع

خفوقا بحب الحياة (٢)

وصوت النفير بعيدا بعيدا

يدوى . . . هيبا

الى المجند هيبا

واصفى واصفى

وأهتف . . . لبيك يا موطنى

لأجلك تفدو الحياة

كأرخص ما فى الحياة . . .

(١) مجلة الاديب : الممدد السابع تموز * يوليو * ١٩٧٤ .

ج) رؤية جديدة :

من خلال هذه الرؤية ، تحاول الشاعرة أن تعمق احساسها ،
وتزيد في مدى رؤيتها ، وتخصب تجربتها الفنية ، وتطورها ، وتجسدها
في أشكال شعرية تستوعب رؤيتها المتجددة ، كما تحاول اكتشاف الواقع
من حولها بصدق وحمق ، فلا تكفى بالصراخ بمأساتها ، ولا بالتوسل لخلاص
نفسها ، ولا تدين الآخرين وتبرى نفسها ، ولكنها تدرك أن خلاصها
مربوط بخلاص الآخرين ، وحين تحس الشاعرة بهذا كله ، يخفى الخلل
في تجربتها ، ولا تلغى الموضوع لنسج منها الأنيب والصراخ الذاتى
كما لا يلغى الموضوع الذات لنسج بياننا سياسيا أو خطابا ثوريا ، ولكن
الذات والموضوع يلتحمان ليحجرا عن تجربة انسانية خصبة متجددة لا مكان
فيها للمثالى والمطلق والممام والاسلوب النثرى والتقريرى ، ولا تستعد الشاعرة
صورها من المألوف والموروث ، ولكنها تهتدع صورا جديدة تتناسب مع
الرؤية الجديدة ، وتعالى من اكتشافها كما عانت الاحساس المميسق
بواقمها ، وتتحول القصيدة الى بناء درامى مترابط نام تتعاون فيه
كل الجزئيات للوصول بالقارى الى الاحساس بما أحسته الشاعرة فتصبح
القصيدة بالنسبة له ، كسفا جديدا لا محاولة مكرورة استمع اليها مرات
ومرات . ونستطيع الوقوف على مثل هذه الرؤية في عدد من قصائد الشاعرة
سلمى الخضرا الجيوسى ، والشاعرة فدوى طوقان وخاصة بعد عام ١٩٦٧ .
ففي قصيدة (هلا جذور) للشاعرة الجيوسى ، نراها تبرا من أخطاء
النثرية والتقريرية ، والاستطراد في الصورة ، وتتمكن من نقل احساس
مأساة اللاجئين ، في بناء درامى يتم بحركة داخلية توافقها موسيقى تتراوح

بين الأعداد والانتقاع ، كما يتلون الأسلوب بالحالة التي تعبر عنها
الشعرة ، في حين وفرت للختها سياقاً غائياً ذا إيقاع واضح ، ساعده
توزيع القوافي العتلون واستعمال أدوات النداء والاستفهام على أن يكون
مطرباً تستجيب له النفس بارتياح ، تبدأ الشعرة قصيدتها الطويلة
بالنذير المشؤم :

... راعبنا ضج الزنين (١)

ثم ذاك الصوت ملحاحاً حزيناً
" أرسلى غوثك شرقاً
كل أعمامك أمسوا لاجئين "

وحيث تلتقى الشعرة بابن عمها ، تراه سادراً عنها في غيبوبة
ذهوله :

... وتلاقينا : ابن عمي وأنا

صحت فيه يا ابن عمي " عرق عيني " يا حسيب
هات حدثني جديداً عنك ، أروى لك شيئاً عن حياتي
عن مدى حلمي ، طموحي ، خطراتي ، سفراتي
آه ماذا ؟ عازف عني شرود النظرات
فأرغ الصبر ؟ توي لمت ابن عمي يا حسيب ؟
قال لي دون اكتراث " وتواري " بل غريباً "

كذلك جدها الذي كان يدللها وهي طفلة ، نشر عنها ولم يصد
يطيقها :

(١) ديوان الصوذة من النبع الحالم ... مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

... قلت "يا جدى .. سلاما وهدى"
قلت "يا جدى .. أما تعرف صوتى"
أو لم يهتكت بذكراكم صدى ؟؟"
قال لى جدى "قوى واتركيننا
وقسرت أسطعنا
والصدى جرح بأعماق الضمير
كنت رددت لك الرجح المرير
لو تمكنت على النطق .. فقوى ودعينا
أنت لاتدريين معنى الصمت فى قلب كبير .."

هكذا اللاجى .. أصبح ذا هوية تختلف عن هوية أيام كان
فى فلسطين .. لقد صورت الشعرة فى تجربتها هذه نكبة اللاجئين
وجعلت منها صوتا حيا للضمير القوى حين أكدت على صلة القرابة
بين العرب المطعنين وأولئك المشردين الذين غادروا وطنهم .. أكدت
صلة الدم ، واستعملت التمييز القبلى لهذه الصلة "أين الحم" ولكن
الأعمام وأبناء الأعمام يتأخروا لمدلة اللاجئين ولم يسعفهم ، بل تصدقوا
عليهم بما اعتادوا أن يتصدقوا به لكل سائل .. الصحيح أن اللاجئين
فقدوا وطنهم وانظفوا عن انسانياتهم ولكن بقية العرب خسرت نخوتها
ومجدتها ثم عاشت على الحسرة والأسف ..

ومن خلال هذه الرؤية أيضا ، نلتقى مع الشعرة فدوى طوقسان
فى قصيدتها (خمس أغنيات للفدائيين) وتتكون هذه القصيدة من
خمس مقطوعات تعبر كل منها عن مرقف صادق وعميق ، يمس النفس

ويشير المواطن ، ففي "مخاض" الاغنية الاولى من القصيدة ، تدرك
الشاعرة أن الآلام والحذاب والقهر وكل ما يتمرض له الشعب الفلسطيني
ليس دليل استسلام ، ولكنها البهوتة التي سيصهر فيها ايدنا بميلاد
جديد ، وتري أيضا أن الثورة ليست ممجزة ، ولكنها كائن يولد من
الألم والتضحية والمعاناة ، تقول الشاعرة :

(١)
... الرياح تنقل الأتقاح
وأرضنا تهزها في الليل وعشة المخاض
وبوهم الجلال نفسه
بقصة الحجز ، بقصة الحطام والأنقاض
... يا غدنا الفتى خبر الجلال
كيف تكون وعشة الميلاد
خبره كيف يولد الأتقاح
من ألم الأرض ، وكيف يبعث الصباح
من وردة الدماء في الجراح ..

وتستمر الصور حية خصة تتتابع كاشفة عن احساس صادق ، وفي
اسلوب هادي ، خال من الخطابية والزعيق ، ومن غير تفاؤل ساذج أو تشاؤم
يائس ، وفي "عاشق موته" الاغنية الأخيرة من القصيدة تقول
الشاعرة :

تخطفني الرها مع ابتسامة الصباح
أراه طائر يطيير

(١) ديوان الليل والفرسان ... مرجع سابق ، ص ٩٤ .

يهجرنى قبل الأوان
يفلت من يدى فى دواة الرياح
وينشر الجناح فى اختلاجه الأخير
يدافع الرياح ثم يهبوى من مشارف الصباح
وتدفع الصخور سلعديها جدولى حريـر
تلقف طائرى الذى يهجرنى قبل الأوان
وتسترد ابنيها الأوطان ، تسترده
لقليها الحى الحقيق
وتتابع ... يا شجر المرجان عرشت أعضانه
على جوانب الطريق
أعشق موتى فى مواسم الفداء والعطاء
أعشق موتى تحت ذلك المضحى الفريق ...

انها صورة الفدائى الذى يمشق الحية أكثر مما يمشق الصوت
صورة الفدائى الذى ينطلق ليدفع الرياح والأخطار عن الوطن ، وهو
فى سقوطه فوق الأرض ، لا يملط حياته اعتباطا ولكنه يضحها حين
يصبح الفداء الحاجز الوحيد الذى يمنع موتا هو اقسى وأرهـب بكسير
من الموت نفسه .

ثانيا : الدوران حول الذات :

يشكل الشعر الذاتى جزءا كبيرا من نتاج الشعراء عامة ، وهو
شعر يفيض بالمعاطف والمشاعر الخاصة ، وفيه ينسحب الشاعر من الواقع

من حوله ، ويتفلق على ذاته ليمارس همومه وأحاسيسه ممارسة أدبيية ،
ويتمثل هذا الاتجاه في الشعر عند الشعراء الفلسطينيين في قضيتين
بارزتين :

أ) تجربة الحب :

الحب من أبرز القضايا التي تثيرها الشاعرة الفلسطينية والمريية
عامة ، وبقينا أن الشاعرة - شأنها شأن المرأة المصرية - لم تنزلق
إلى هذا المنحى الرومانسي سهواً أو خطأ ، ذلك أنها خاضعة
كثيراً من النساء العربيات بحكم علاقتها العائلية والمجتمعية والانسانية
من بعد ، إلى سطوة شبه قدرية حملتها إلى هذه النزعة ذات الهوس
إلى التأمل والحنين إلى المجهول ، والبحث عن دفء ، وعن رفيق
يخلصها من الوحدة والعزلة والعذاب الذي يأكل النفس .

وكاد الحب ، يكون القضية الأولى عند الشاعرة فدوى طوقان
طيلة سنوات ما قبل عام ١٩٦٧ ، وعلى مدى دواوينها الأربعة^(١) فهي
لافتتاً في كل قصيدة من قصائدها تشكو الوحدة التي تعيشها بلا رفيق
سوى الصمت :

... الصمت والظل وأفكارها

رفاقها والسرحنة الحائفة

ماذا ؟ تموتين ؟ فواحسرتاه

(١) الدواوين هي : وحدي مع الأيام ، وجدتها ، أعطنا حياة ، أمام
الباب المغلق .
(٢) ديوان وحدي مع الأيام ... مرجع سابق ، ص ١٦ .

على عروس السروض بنت الريح
أهكذا فى فوران الصبا
يطومك أعصار الفناء المريع
وحيدة لا شيمتك الريحى
ولا بكى السروض بقلب صديع
قد أنطوى مثلك منسية
لا صاحب يذكرنى أو رفيق ...

وتحاول فدوى أن تنسى أنها أنثى ، وأنها وحيدة وأنها
تريد رجلا يملأ حياتها ، فتفر الى أخضان الطبيعة والى الحقل :
(١) ... هذى فتاتك يامروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها ..

وتحت الضغوط الوهمية القاسية ، تتخيل الشاعرة هذه المروج رفيقا
يؤس وحدتها فتسند رأسها الى صدره الخنون :
(٢) ... قد جئت ها هنا فامنحى القلب الريحيب وعانقيني
قد جئت اسند همنا رأسى الى الصدر الخنون
وأظل أنهل من نقاء الصمت من نبع السكون
فهمنا لحضنك أستريح ، أغيب أغرق فى حنينى ..

(١) ديوان وحدى مع الأيام ... مرجع سابق ، ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

ويظل الحب عند فدوى ، بوابة سهلة للهروب من الواقع بكل تناقضاته ، يأخذ الحبيب عندها أشكالا مختلفة ، فهو الفارس حيناً ، وضيمير الفئاب حيناً آخر ، والحبيب مرة ثالثة ، وهي مرة تهمس بأحاسيسها همسا ومرة تصرخ بكل صوتهما بأنها تحب ، ومن حقها أن تحب ، وأن الحب بالنسبة اليها أضحى كل شيء ، ومدونه تكون حياتها قاحلة :

(١)

... وثقل قلبي
وتفقدت لحياتي
وتصبح مبهمة رازحة
وأكبر أهلي
وأكبر نفسي
وتعمرى الحيلة وتسمى
فقارا بفسير جمال
بفسير ظلال
ويصبح عيشي بفسير مذاق
فلا طعم لالوان لا رائحة ...

وهي تميز بقوة بين الحب والبود ، فالحب متصل بارتماشات

مبهمة تبدأ في الطفولة :

(٢)

... تحينى ؟ تاريخها عندي قديم

قبلك من سنين ، من سنين

(١) ديوان وجدتها ... مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٢) ديوان أمام الباب المخلوق ... مرجع سابق ، ص ٧٤ .

نشدتها ، بحثت عنها في طفولتي
نشدتها ، اذ كنت طفلة حزينة مع الصغار
عطشى الى محبة الكبار
وكنت اسمع النساء حول موقد الشتاء
يروين قصة الأمير اذ أحب بنت جاره الفقير
أحبها ؟ وترعش الحروف في كيانى الصغير
اذن هناك حب ؟
هناك من يحب ؟ .. هناك من يحب ؟
وكان قلبى الحزين ، قلبى الصغير
ينطوى على جفائه ، على ظمائه
وسأل الحياة

من : نعمة من نبع حب ...

غير أن لفظة الحب نفسها قد تلقى في النفس ظلالا متفاوتة
من المعانى ، كما أنها لكل شىء آخر في هذه الحياة خاضعة لحكم
الزمن :

(١) ... يوم وتحرى الكلمة الناعمة

من ظلها ، من سحرها البانسى

يوم ، ويبدو وجهها الثانسى

عبر مسافات جليديسة

خلف نقاهات ضبابية .

(١) ديوان اعطنا حبا : منشورات دار الاداب ، بيروت ١٩٦٠ ص ٩٥ .

وعندما تكبر الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي ، وتتضج انوثتها
ويفوح شذى جسدها تنصت الى دقات قلبها وهو يستقبل أول طارق :

(١)

... سيحسى الى .. أطلت ورود الريح الهمسى
ونور زهر الأقاحى ، وسالت عيون الفديير السخسى
سيحسى الى غدا .. أى سحر طبرى
يحيل أشيرا غمامة ياسسى
ويصح همسى

فمن فوحان الدماء يجسى
أحس انهماك الريح الشهى
يريق كوز الشذى والدمقس
ويشدق نخر السنا المخطسى

... غدا سيحسى * ويرقظ حلمسى
ويهمس تحت الكراكب باسمسى
ويشهو الحنين باعصاق نفسى

غير أن جرأة قلبها الخفاق ، لاتسقفها على الهوى ، فتمتد صيغة
الجمع فى الحديث عن حبها :

(٢)

... وهواك بل * فؤادنا ، هذى خبايانا رفيف من عيشة

(١) ديوان الصودة من النبع الحالم ... مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

لن تتضب الأشواق مهما لوحث بشراننا ربح الحيلة ...

وحيث ترى الشعرة الحب يتحول عن طبيعته السمحة تردد بحيرة:

(١)

... تفوض سفينتي في البحر تفرق لا الهجيهـا

صقيح الليل يا ولى ، يكدر ثلجة فيهما ...

وما دام الحب قد استحال الى برودة قاتلة ، فكل شي ، هلمد وكل

شيء يشكو الصقيح :

صقيح الليل مد جذوره عندي

وعشمش في شفاف ألقاب

من يشجيك من بردي ؟ ...

أما الشاعرة ليلى علوش ، فهي أسيرة حبيب سطا على قلبها وطك

عليها حواسها فلم تعد تستطيع فرارا :

(٢)

... هجسى حسسى

فلا فائدة

أفسر ... ؟

وأنى لروحى الفرار

وخطوى .. وهن الروى الواعدة

يلح خيالك فى ناظرى

يلح غناؤك فى مسمعى

(١) نزعنا: د. احسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والادب ، الكويت ، ١٩٧٨ ص ١٩٨ .

(٢) ديوان سنى القحط يا قلبى ... مرجع سابق ، ص ٨٢ .

وكل حكاياتك الشاردة

غرامك قبيح

فأين أمروء

وزوجي ، وجوجي ، ودممي ، وفرجي

مواديل أعمارنا الخالدة . . .

وتصبح ذكرى الحبيب جحيما مستمرا في داخلها ، وضبابها يغلف

أيامها :

(١)
أحقا أراك ويظفرو هـواك
فيوقظ في الروي الخافية
ويهدم كل جدار أقمت
ويقدفني للظي ثافية
وخلف الجفون يمرود الجنون
ويهزأ من هدأتي الهادية
ويغشى الضباب جميع الجهات
ويخضعن الوهم أحد أقيسة
فابصر كل الوجوه فراغها
عداك وقبيحاتي باكية
وأجري وراء بريق السراب
لتصدمني النظرة الخافية
وتجتث كل الزهور المتي
تنامت على مهجتي الصافية . . .

(١) ألوان من الشعر الاردني : منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان

ويختلف الحب تماما عند الشعرة هيام رمزي الدرديحي ، فهو مقصور على ابتنتها فقط ، وتستغرق هذه العاطفة النبيلة كل أحاسيس الشعرة ، وتملاً أفق حياتها نورا وإشراقا وخيرا ، تقول مخاطبة ابتنتها " نجوى " :

(١)
... يا ابتنى .. يا قلدة منى ونهضا من حياتى
يا ملاكا نفع الأمن على أفق شتاتى
املأى نيل حياتى ، من جميل الپسمات
وانظنى فى الخير والحب أرق الكلمات
واجملى الكون ضياء .. وهنا يا فتاتى

وتقول أيضا :

... صوت لى روحا ووجدانا وجسمنا
صوت فى أفق حياتى كوكبا يختال نجما
صوت يا (نجوى) شملعا يملأ الآفاق نفما (٢)
وسها " وهنا " وتراتيل وسلمنا
فتمالى أملاً الوجنات تقيلاً ولثنا ...

ب - الاتجاه الصوفى :

الدارس للشعر العربى الحديث ، لاتخطئ عيناه فى تحديد اتجاهه القوى الى الصوف ، حتى ليفندو هذا الاتجاه أبرز من سائر الاتجاهات الاخرى فى هذا الشعر ، ولعل هذا راجع الى ترجح حيلة الانسان

(١) ديوان زهراء من ربيع الصمر : ... مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

الصبر السياسية وعدم استقرارها ، وبأسه الخالب ، وسأه من متابعة الكفاح ، ومحاولة تلطيف سطوة العلاقات المادية وتمريض الجوانب الروحية والصلات الصادقة التي يفتقد لها ، ثم ان هذا العبدان خير مجال تنفصيح فيه ذاتية الشاعر وفرديته ، فهو يفصل عن المجتمع ليميش آلامه وقلقه ووحدته ، من خلال عزلته . ولعل من أبرز معادلات الوحدة عند المرأة عامة والشاعرة خاصة محاولتها اذابة النفس ، بأبعاد كونية تتسنى فيها أنها اثى رأنها وحيدة ، وأنها تتعذب ، ذلك أنها الوسيلة الناجمة للانعتاق من الجسد الذى تراه الشاعرة هيكلًا على طريقة المتصوفة ، ولكن الفارق أن نزعة الشاعرة ليست دينية مطلقة وروحانية غير محددة كما هى عند المتصوفين ، بل هى ردة فصل مضطربة فالجسد الذى يدور فى توقه الدائم الى الحياة ، دون أن يخرج عن دائرة هذا التوق ، قد يستنج فى محراب لا علاقة له به الا من حيث هو أداة للاذلال الذاتى .

ولقد كانت الشاعرة فدوى طوقان من أكثر الشواعر توقًا الى الحياة وتطلعا اليها ولكن هذه الحياة زادت فى حيرتها ، وملأت نفسها اضطرابا
... نفسى موزعة محذبة بحنينها بنفوس لهفتها (١)
شوق الى المجهول يدفنها فتفحما جدران عزلتها ...
وتمنى فدوى ان يفارق الاضطراب نفسها ، وأن تتخلى على حيرتها وتتظنر ،
ومدة الانتظار امتحان صعب بالنسبة اليها :
... وهناك تومى لى السماء وصى

شوق اليها لاهف عام

(١) ديوان وحدى مع الايام ... مرجع سابق ص ٣٦ .

فاحس احساس الضريب طففى ظمأ الحزين بهروحه الهائم
وأرى كواكبها تعانقنى بضياكها المتوجج الحالم
تهبى على روجى أشمتها وتلفه بجناحها الناعم
فأود لو أفتى وأدمج فى عمق السماء ونورها الهاسم ...

فى جو الانتظار هذا ، الفغم بالروحانيات ، والتهيهات الصوفية
تج الشعرة نفسها فى المحراب ، وتطوى اشعتها كارثة ، وينتابها
دوار عنيف من الأسئلة الحائرة ، ولكن سكرات التجلى لاتلبث أن تفسر
روحها ، ويسرى فى نفسها نور الهدى :

(١)
... يالهدا التشيد تنطلق الأرواح فيه من ربة الأجساد
يالهدا التشيد أوغل فى أعماق ذاتى محطما أصفادى
... يالهدا الصفاء .. يالتجلى الله يا روحه الجلال الفريد
لكأنى احس وشك اتصالى لكأنى أشم عطر الخلود
... أنا يارب قطة منك تاهت فوق أرض الشقاء والتكيد
فمتى أهتدى الى منبى الأسمى وأفتى فى فيضه المنشود
ضاق روجى بالأرض بالأسر ، بالقيد ، فحرر روجى وفك قيودى
ضمنى ، ضمنى اليك فقد طال انفصالى ، وطال بى تشريدى

وعندما تصحو الشعرة من نشوتها الروحية المعطرة للجسد ، تجسد
نفسها وقد انتهت الى ما اطلقت عليه " أمام الباب المخلق " (٢) وتحس

(١) ديوان وحدى مع الأيام ... مرجع سابق ص ١٠٩ -
(٢) ديوان شعر لغدوى صدر عن دار الاداب بيروت عام ١٩٦٢

بفكرة الإنسان "سير لا مخير" تضيض على روحها وتوصلها الى تأملات
فى الموت وجدوى الحياة ، ومصير الانسان المجهول ، ولعل فى ظروف
فدوى الشخصية ، - موت أخيها نمر - وما تكابده من تناقضات نفسية
وكبت اجتمعى ، ما حفزها على اتخاذ هذا الموقف الملى بالخوف والرهيبة
وتكاد تكون قصائدها فى رثاء أخيها (نمر) ^(١) تميرا صادقا عن حالها
وهى حين تصل الى حافة الموت ، وتحيط بها " خرائب المالم
المنهار " وتحمل " .. أحزان الأرض وأهوال القدر الجبار .."
تعود الى رحاب الله سبحانه وتعالى حيث السلى والراحة
والطمأنينة :

(٢)
... عارية القلب رحمت اليك
عارية القلب أتيتك يا
تعالى يا نائى السدار
... لو تسمع يا أبدى الصمت
عارية القلب أتيت
أخبط فى الليل الفاشى نسي
وحمل الأكدار ...
لو تنسل عرى بالأمطار
لو تؤوينى وتدثرنى
لو تجعل لى من نور حضورك
ماوى يحصينى ودثار ...

(١) القصائد : هى المرثاة الاولى ص ٢٢ ، جسر اللقيا ص ٣٦ ، لماذا

ص ٣٩ ، من ديوان امام الباب المفلق .

(٢) ديوان أطم الباب المفلق ... مرجع سابق ص ٦١ .

ولكن الشاعرة سرحان ما تعود بخيبة أمل جديدة ، بعد أن تيقنت
من أن رطبتها في البحث لم تجن منها سوى الوحشة والصمت وظل الموت:

(١) ... لاشي " هنا _____

عشنا لا رجوع صدى لا صوت

عودى لاشي " هنا غير الوحشة

والصمت وظل الصوت ...

وتمنى لو تحيط بها دائرة الموت ، وتصرخ من أعماقها :

(٢) ... يا موت يا مجنون يا اعى العيون يا أصم

يا قاصما ظهر الضعيف لى لديك

ألف ثار ... ألف ثار ...

أما الشاعرة صلي الخضرا ، فقد لاحقها اضطراب فكري شديد
فيما كتبت من شعر يحد ديوانها ، " العودة من النهج الحالم " وصارت
قصائدها مجالا للتمهير عن الخسوا النفس ، والسأم والخرقة الفكرية
والموت الروحي ، ويبدو أن لحزب (حزيران " يونيو " ١٩٦٧) أثرا فسي
تعميق هذا الاتجاه ، تقول الشاعرة :

(٣) ... قطع السيف الماضى آخر عرق من قلبي

أسمعت بأخبار وفاتي ؟ بجنازتي الصامتة الخفية ؟

المهزلة الكبرى أن الميت يدفن ، يعلن عنه ، يساق ،

(١) ديوان الباب المخلق ، ... مرجع سابق ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) مجلة شؤون فلسطينية ، العدد الاول آذار " مارس " ١٩٧١ ص ١٠٩ .

يراه الشارع محمولا ، وينفيس في حفرة
ليت التابوت يذوب كلبى ، يتلاشى كالأحلام الفضة
أسمعت يموتى ؟ ذاك الكأس المقرب
ذاك الموت المشتاق الى الموت ؟
لا بد ، فمزرئيل ، رأتى أذفن اذ القوة الى جنبى ...

أجواء مظلمة ، وصور حادة قصيرة ، مفتوحة من ممانى اليأس والموت
فى ليقاع رثائى كئيب .

أما الشاعرة هيام رمزى الدردنحى ، فلا يسمها الا أن تقسترب
أكثر وأكثر من الله سبحانه وتعالى ، تشد الراحه والهدوء والطمأنينة
بعد أن أمضها اليأس ، وأضنتها نوازغ النفس وانكساراتها الناتجة
عن الكبت والمنزلة :

(١)
... يا الهى ، لو عرت قلبى تباريح الهيموم
وتولانى من الأحزان سهد ووجوم
ثم ضاق الكون فى صدرى الفشميم
من ترى أسمى اليه ؟
انشد السلى لديسه ..
ليس لى قلب حنون
ليس لى صدر أميين
غير رسى ...

(١) ديوان زهراء من ربيع العمر ... مرجع سابق ص ٨٥ .

الفصل الخامس

الاطار الثقافي للشواعر الفلسطينية

تشابك ثقافة الشعراء الفلسطينيين وتتداخل بصورة يصعب معها الوقوف على حدود ثقافية معينة لكل شاعرة ، ولا سيما أن جميع هؤلاء الشعراء ما زلن على قيد الحياة ، ولم تكتمل بعد دورات حياتهن ، مما يهيئ المجال أمام كل واحدة منهن لتطوير ثقافتها أو تعديلها أو الانتقال من مجال ثقافي معين الى آخر غيره .

ومن الخطأ المفضل أن يلجأ الباحث الى تحديد اطار ثقافي ثابت لأي أديب ، ذلك أن من سمات الاطر الثقافية المرونة وعدم التحديد القاطع ، وهذه حال الأدب والفن عامة ، على عكس ما يلاحظ في الملم من تحديد يفصل بين الظواهر التي يتناولها فصلا دقيقا ، ويصنفها ضمن اطر واضحة المعالم والأبعاد . ومع ذلك وتسهيلا للدراسة فقط يستطيع الباحث في انتاج الشعراء الفلسطينيين أن يصنفهم ضمن اطار الثقافة العربية بصورة عامة ، فهن يشتركن معا في أنهن قرآن التراث قراءة تتفاوت فيما بينهن عمقا أو ارتجالا ، واعتبرته زادا أساسيا تتمثله ذواتهن الشاعرة .

ويلاحظ أن فئة قليلة من هؤلاء الشعراء اكتفت بدراسة سطحية للتراث ، لم تسعفن على النفاذ الى أعماقه ، والى استشراف مكوناته وأصالته ، كما عزلن أنفسهن عن التيارات الأدبية والفكرية التي يسبح بها عالمنا الحاضر ، ولم يوسعن دائرة الكشف في شعرهن ، فوقفن عن النمو ودرن حول أنفسهن ، وأعياهن أن يدعن اضافات جديدة الى الشعر ، ناهيك عما اعترى انتاجهن من اضطراب وسطحية وركاكة أسلوب ، وأغلاط لغوية وشعرية .

ولعل خير شاهد على ذلك ، الانتاج الشعري لـ (أسى طوى) المنشر في المجلات والصحف العربية على مدار سنوات عديدة . فـالقارى^(١) لهذه القصائد ، يطالع هزال المحتوى ، وسطحية التناول ، واهتزاز الصور ، حتى يخيل اليه أن هذه (الشاعرة) لا يوجد لديها شئ "عقوله" ، وأنهما تنظم الشعر حتى لا تقطع كتابتها وينساها الناس .

(٢)

عقول في قصيدة لها بعنوان " زيز يفتنى " :

أمن فك الأظريد أم التصفيق بالجنحين (؟) ياأسمر (؟)

أيشجيك جمال الصيف فيه المسك والعنبر

فيشجيك (؟) دموع الفرح (؟) يسكبها أجاننا من المهجر (؟)

شذى خطواتهم في أرضك المظاء كالقل اذا أزهر (؟)

أيا لبنان يا هبة السماء وجهها الأكبر

أشبح غارك الدهر ولا أصبى ولا أنضر !

(١) أعداد مجلة الأديب البيروتية ، أن تشر للسيدة أسى طوى الكثير من إنتاجها الأدبي والشعري بصرف النظر عن نوعية هذا الانتاج وقيمه الأدبية . ونذكر على سبيل المثال بعض أعداد المجلة التي تضمنت قصائد للشاعرة الأدبية : " الأديب " مارس ١٩٧٠ يناير ١٩٧٢ ، يونيو ١٩٧٢ ، مايو ١٩٧٣ ، يوليو ١٩٧٤ .

(٢) الأديب : العدد الرابع نيسان (ابريل) ١٩٧٠ .

أبيات غير منسجمة ، لا يجمعها جامع ، وكلمات متنافرة : الأظريد ،
الصيف ، المهجر ، الفل ، الدهر ، و . . . حتى لم يبق شئ
لعنوان القصيدة . ثم كلمة (جنحين) التي ظنت الشاعرة بأنها مشني
(جناح) . كما حلا لها أن تعبت بالتوزيع الموسيقي المعروف في القصيدة
الممودية ، فزادت (تفعيلة) على تفعيلات بعض الأبيات (الأول والثالث
والرابع) علما بأن القصيدة من (مجزوء الوافر) وليست من الشعر الحر ،
الذي يعتمد التفعيلة أساسا في بناء القصيدة . أما البيت الأخير ، فإنه
لا يمدو اللغو الذي لا معنى له .

وتتراكم الأغلاط اللغوية في ثنايا ديوان " رجال من صخر "
للشاعرة هدية عبد الهادي ، حتى لا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من
خطأ أو أكثر . ومن أمثلة ذلك ما ورد في صفحة (٨) من الديوان :
... ياهابطين الى المنايا جئتموا (؟) ذوقوا المنايا مشهر (؟) بتارها
وصفحة (١٦) . . . (فتح) فلسطين قالت في وصيتها غداة مصرعها يا (فتح) فانتما (؟)
وصفحة (٢٠) . . . تركت للثأر أبطالا عالقة تحدث (؟) الشهب والجوزاء والتجما (؟)
وصفحة (٢٢) . . . أغلوا المهور والغوا في مهرها مهر الأصيل ما ترون وأكثرأ (؟)

وكثيرا ما نلح التقاطع بين أجزاء القصيدة الواحدة عند الشاعرة
هيام رمزي الدردنجي ، ونقرر احساسها بموسيقى الشعر ، وقواعد العروض ،
من قصيدة لها بعنوان " رحلة العمر " تقول :

(١) زهرات من ربيع العمر . . . مرجع سابق ص ١٦٤ .

... يا حبيبي ليت هذا القرب يجمعنا الى يوم الحشر (؟)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلات متفعلن فاع لاتن
أم ترانا في لوحة الكون كمقد من درر (؟)

فاعلاتن مستفعلن مستفعلن مستفعلن
أم ترانا أطيان أرواح تهادت في السحر (؟)

فاعلاتن مستفعلن مستفعلن مستفعلن
كم أود الوصف بالشر وقد ذهل الشعر (؟)

فاعلاتن فاعلاتن فَعِلَاتُ مَفُولِن (؟)

من جهة ثانية و تهباً لعدد آخر من الشعراء أن يصبن من الثقافة العربية شطراً صالحاً وأن يلمن المأما متسرط ببعض مظاهر الآداب الغربية عن طريق قراءة نماذج من الأدب والشعر الأجنبي المترجم الى اللغة العربية و لفت خيل الى هؤلاء الشعراء بأنهم قادرات على توسيع دائرة كشفهن و وطبع ثقافتهن بطابع انساني و اذا ما استوحين هذه النقولات المترجمة و فأتين ببعض التجارب الشعرية المجهضة و البعيدة عن الأصالة والتجريد و فالشاعرة ليلى طويهي مثلاً و تحاول أن تنفس على بعض قصائدها أبعاداً انسانية و دون أن يتوافر لديها حس حضاري عميق لهذا الاتجاه و فلم تخرج بتجربتها عن نطاق الشعارات السطحية و تهفئ (الانسانية) لديها مفهوماً غامباً و فقير المضمون و

لا يعتمد المعنى المتهاافت والفكرة الساذجة المتداولة بين البسطاء.

(١) تقول الشاعرة في قصيدة لها بعنوان "أموية"

... قلبى متسع الأرجاء

قلبى متسع للدنيا

ولكل الناس المحرومين

ولكل ضعيف

كل غريب

كل ممنى

كل حزين ... (!)

وتفشل الشاعرة دعد كىالى أيضا فى نقل فكرة حقيقة عن (الانسانية)

حين تقدم لنا فى قصيدتها " وأمام الحزن البشرى الصادق " ، أنشأرا

معزولة عن الواقع ، ومعجما من الكلمات المهيممة عن المساواة والتواضع

والاخوة ، والوقوف فى وجه الأحران و ... و ... تقول :

... وأمام الحزن البشرى الصادق (٢)

يخشع قلبى ، ويذوب أمام الحزن البشرى الصادق

وأحس

بأخوة كل الناس لبعض

بتساويهم ، بالألم الصادق ، بالأحران ...

... ما أضعفنا ، ما أجدنا أن نتساون

أن نتألف

(١) ديوان بهار على الحرج المفتوح ، ... مرجع سابق ص ٥٢

(٢) ديوان ولم تطرى يا غريم ، ... مرجع سابق ص ٨٢

لنواجه كل مضائنا ، لنمزي أنفسنا ، لنشد على أيدي البرءساء
لنخفف دمة اخوتنا في البشرية
ونواسيهم ، ولنمسخ فوق جبين الشكلى والأيتام
والأرلة المسكينة ، والمرضى بجميع
الوان المرض ، ومختلف الأدواء...
كم في العالم ، كم في العالم من شقى الأحزان
ما أجدونا أن تتعاون
أن نتآزر لنواجه ألوان الأحزان
فأخى بالبشرية
حتى لو كنت عدوى ، أنت أخى بالبشرية (١)
يكفى غدر الأعدار
بالانسان المسكين... (١) ...

من المؤكد أن الشاعرة لا يوجد لديها قضية فكرية أو فلسفية
تريد طرحها أو معالجتها ، وتجربتها هذه لا تصدو نوات عارضة تأتيها
للحظات ثم تفيب .

وتستهيى المدارس الأدبية ، والتيارات الفكرية الغربية ، فئة ثالثة من
الشواعر ، فيترسم خطوات عدد من الشعراء الغربيين ، والمبشرين عن صراع
الانسان مع نفسه ، وعن شعوره بالعجز والضياع ، والانتهزام أمام الراقع .
وربما كان تسرد هؤلاء الشعراء الغربيين ورفضهم أداة توازن لهم ،

(١) من أمثال : ت . س اليوت ، لوى اراجون ، بيكس وغيرهم .

بعد أن أسرفوا في الخضوع لسيطرة العلم والمقل والنظام والمدنية ..
ولكن حين يصبح هذا الرض غزية في ذاته ، وتقليدا كسيحا لا يستند
الى اسس نفسية أو فلسفية فانه يفضى الى تضييع الأصالة ، وتضييع رسالة
الشعر . وهذا ما حصل فعلا لفئة من الشعراء الفلسطينيين ، ففقد
بهزت الحضارة الغربية أبصارهم ، وضع سعيهم وراء الحرية المطلقة ،
وتجاوزهم ما حولهم ، أصالتهن العربية ، فشجعت قصائدهن ، وأقنعت
بهاراتهن ، وتغلقت صرورهن الشعرية بغموض مرهق ، حتى اذا شئتنا أن
نستخرج من انتاجهن هذا ملاح فكرية ، أو قيما محلية أو قومية أو
إنسانية ، لم نستدر منها ما يهز كياننا ، ولا ما يوقى بمشاعرنا وتكرنا الى
كشف جديد .

من قصيدة للشاعرة كلثوم مالك عرابي بعنوان " أوفيليا " ^(٣) تسأل عن
سر المطر الأسود ^(١) تقول :

" .. أظفلكم يكبرون يارفاق ، وحين يشربون الماء يذكرون كل شئ " ^(٢)

لماذا تلتصق الانشودة في صدري ؟ ولماذا تهرب يا طيف ؟ ولماذا
تهرم كلماتي ؟ ولماذا أنت لا تفرس شجرة أعوامك في حلقتي ؟

(٣) أوفيليا (Ophelia) هي ابنة بولونيوس (Polonius) في رواية
هملت لشكسبير ، فتاة صغيرة بريئة ، وأخت لارتس (Laertes) .
أطاعت طلب أبيها ، وحاولت ردع محاولات هملت في الجريمة . ثم أجهت ،
وبعد موت أبيها قدت عليها . وتمثل أوفيليا البراءة والجمال وأداء الواجب .
(١) ديوان النابالم جعل قبح القدس مرا : النكتة المعصرية - بيروت
(د . ت) ص ٦١ .

(٢) تعمدنا أن نكتب هذه (القصيدة) وغيرها من القصائد الشبهية ،
بصورة كلام منشور ، لأنها تخرج عن شكل قصيدة الشعر الحديث
في اعتقاد تفعيلة أو أكثر تتكرر بتساوق منتظم ، ونحن مع الذين يميلون
الى عدم تسمية هذا اللون من النظم شعرا ، ولا نقر بما يطلق عليه
==

أغلقت نوافذ عيني عن رؤية تابوتك ، يا ويلي من هذا التابوت
الذهبي ، يحمله تعبي . . أسرار حقيقة كل الأحلام ، لذلك أدرك
هربي عن رؤية تابوتك ، ما زلت أخاف حقيقة موتك
وما صدقت الأطفال حين بكوا

تلجأ الشاعرة هنا الى أسلوب رمزي بعيد التورية عما يشف عنه
ظاهر اللفظ ، وتعتمد الصور المفاجئة المدهشة ، تاركة للقارئ تأويل ما يريد
عن طريق الحدس أو المحاكمة العقلية ، وهي تخفق في إضافة عمق تاريخي ،
أو بعد انساني ل (قصيدتها) حين تستخدم اسم " أوفيليا " كرمز للطهارة
والشعور بالواجب نحو الآخرين ، والمعلوم أن استعمال الشاعر للاسماء
الأسطورية ، وإشارته الى الأحداث التاريخية في شعره يعينه على اختلاق
حادثة معاصرة موازية لها أو لبعض تفصيلاتها ، أما حشر الأسماء
والأحداث والرموز دونها طائل ، فعبت يحق ابداع وينتقص من قدرته
التمهيدية .

وفي قصيدة " شبح " . . آه اعتقوا الوثنية " ، نرى الشاعرة تحشد
عددا من الاستعارات والصور القائمة السوداء ، والتعبيرات البهيمية والكلمات
التي لا ينتظمها انسجام معين . تقول كلثوم :

== الهمض (القصيدة النثرية أو الشعر المنثور) ، ذلك أن القصيدة الحديثة
موزونة وتخضع لعروض الخليل ، ولكنها تتنوع في عدد التفعيلات ففي
الشطرنج ، وتخلص من عددها الثابت في القصيدة العمودية . ولا يشفع
للشاعرة كلثوم تبريرها في مقدم ملاحظنا الديوان ، أنها اعتمدت في
بعض قصائدها تفعيلات شتى في أجزاء القصيدة الواحدة وانهمرا
" . . . أولت التناغم الصوتي التحرر من روتينية الالتزام في سجن
تفعيلة متكررة مناسمة " (كذا) . . .

(١) النابالم جعل قمع القدس مرا . . . مرجع سابق ، ص ١١٩ .

”... أكوام النمل تغنى للقمح الأجرد ، صدئت أعقاب الليل ، ورجعت إليك
أغنى موت الأحباب ، ولى ما أعق حزني ، شقوا صدر الأيام ، وجدوا
داخلها كلها أجرب ، يحل باقة أحلام وبنام... قالوا هذى الكلمات
نهار جائع ، والطفلة ماتت في بطن الخادمة السوداء... في السجن الآخر
وقفت قطتك السوداء تموء ، وتودع شبعا رحل الى بلد الزنج ، رحل
الصيد ، ترك المصفر مجروحاً في قلب السواد ، والدهشة تنذبح
على سأم الأبدان...“

ان التواصل الحميم ينقطع بين القارئ وهذا اللون من الكلام السدى
يسرله الفموض ويستعصى على التحليل والتفسير ، انه كلام لا يجبر قطعا
عن تجربة ذاتية ، بل عن تجربة مجتلية تتطوى على فراغ في فراغ ، ونلمح
الشروء الذهني والعرالم الموهومة والضيق والاشارات التاريخية فسى
جل تجارب الشاعرة سهام داود (١) من (قصيدة) لها بعنوان ”ديكور
افريقي“ (٢) ، تقول :

”... هضت كلاب الصيد تنزو الى نسيج العنكبوت ، عندما أوهمت
رواد المسرح أن الصورة ليست عادية ، بحزمة من القمح كل القرصان
هزموا في المعركة ، تلغف النفوس بين دخان وصفيير ، خلف
شبات الأفاعي غربا صامتا ، مضى بريئا من الشراة ، فوق فؤاد
خافق يتداعى...“ (١)

(١) سهام داود : من مواليد مدينة الرملة ، في فلسطين المحتلة عام
١٩٥٣ . أنهت دراستها الابتدائية والثانوية في مدارسها ، قالت
الشعر في سن مبكرة نشرت في الصحف والمجلات الصادرة في فلسطين
المحتلة . تعمل حالياً محررة في صحيفة الاتحاد ، بحيفا . ولها نشاط
أدبي ملحوظ . رسالة شخصية الى الباحث ، بتاريخ ١٢/٥/١٩٧٨ .
(٢) مجلة الشرق . العدد الخامس ، السنة الأولى تشرين الأول (أكتوبر) القدس
١٩٧٠ .

بين هذا الكلام البعثر ، والصور الخريبة تضع هوية الشاعر ،
وتنصل عن نفسها وعن بيئتها ، وتهدو وكأنها تعيش في عالم خيالي ليس
له صلة بالواقع ، فهي تركز جل همها على لعبة الشكل والوصول إلى
قمة الغموض ، وفي اعتقادنا أن لجوء الشاعر إلى الغموض المرهق ،
أنما يكون بسبب كون أفكاره وأحاسيسه التي يريد التعبير عنها ناقصة
مهزوزة ، ومن (قصيدة) أخرى لها بعنوان " الذين ينتحرون في
الظهيرة " (١) تقول :

" ٠٠٠ انتهى الجمهور من تكرار المرثية ، خضراء كقبرة حديشة ،
كشجرة على قارعة الطريق ، ملك الأرض يحث عن الجذور المعجزة ،
في التراب الذابل ، وفي جسم الماشق تذوب المصافير أنهارا
ونخيل ، وفي جهنم تأتي فوانيس الشوارع واقفة كأشجار الصلب ،
تجدد ، والليل طويل ٠٠٠ " (٢) .

نحن نعلم أن الشاعر يلجأ إلى الرمز أو الأسطورة أو غيرها
من وسائل التعبير المعاصرة عندما يشعر أن أساليب التعبير العادية أجهز
من أن تلمح رؤيته الخاصة ، ولا يستطيع أن يقدمها تقديماً أميناً صادقاً ،
ولكن هذا الشرط غير متوافر في هذه (الأعمال الشعرية) وفي غيرها
ما يسير على نسقها ، بل لعلنا نشك أساساً في أنه كان ثمة رؤية خاصة
أو واضحة تكمن وراء هذا الأسلوب في التقديم ، إن هذا اللون من
(الشعر) - في تصورنا على الأقل - يبدو وكأن الغرض منه الهروب من

(١) مجلة الشرق ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، آب ، أغسطس ،

الدلالة أو الالتزام بفكرة بدلا من اعطاء دلالة أو فكرة يتعذر توصيلها
بغير هذا الأسلوب ، ثم ان استخدام الرمز بهذه الطريقة يجرده من
تراثه الانساني ومن ثم يحرم القصيدة من أى ثراء انساني يمكن أن تؤثر
به في وجدان المتلقي . ان الرموز في المقطوعات التي مرت - لسو
صح أنها رموز - قدمت بطريقة تجريدية مصممة ، فهدت وكأنها أقرب
الى الاحجيات ، وما هكذا الرمز الأدبي ، ولسنا في حاجة الى القول
ان عجز الشاعر - أى شاعر - عن توصيل رؤيته الى المتلقي ، أما
يرتد الى ضعف خبراته بأدوات فنه وكيفية استخدامها واما - وهذا هو
الأخطر - يرتد الى حقيقة أن هذا الشاعر لا يوجد لديه ما يقوله
الا الرغبة في الكتابة ومثل هذا الموقف لا ينتج فنا لان على الشاعر
في النهاية أن يعرف ما يريد أن يقول وكيف يقول .

وإذا كان وجود الانسان في نظر الوجودية يتوقف على حريته ،
وإذا كانت هذه الحرية لا تتجلى الا في مواقف كما يقول (جان بول
سارتر) فقد حددت الشاعرة نادرة سروري لنفسها موقفا تمردت فيه
على حالة الانقسام الحاد القائم بين وجودها الاجتماعي ووجودها الفردي ،
وظلمت علينا بقصائد قلقة ، رافضة ، تخيف بالعبث ، والخروج عن المألوف ،
وتجاوز كل تقليد . وقد كتبت (قصائدها) هذه باللغة الانجليزية

(١) نادرة سروري : من مواليد مدينة نابلس عام ١٩٤٠ ، درست علم
الاجتماع في الجامعة الامريكية ببيروت وحصلت على اجازتها عام ١٩٦١ .
ثم اتت دراستها العليا في سراغ وحصلت على ماجستير العلوم
الاجتماعية بدرجة شرف عام ١٩٧٢ ، فالدكتوراه عام ١٩٧٤ . ينظر :
- صفحة الفلاف الخلقى لديوان الشاعرة .

وجمعتهما في ديوان "مخاض امرأة" Female Contraction (١) تقول

الشاعرة في قصيدة لها بعنوان "الخلاصة : انهماك امرأة

(٢)

• Resume female resurrections

"... سفاح ، حرام ، جنس ، غشاق ، أساليب ، عزل سياسي

ممتحن ، مهتج ، مسرور ، مرفوض ، تمرد ، انحرال ، رعب

نصوص ، شعر ، دم ، مستهد ، اثبات ، العباب ، انحراف ،

ميت ، دار ، عباب ، تشخيص ، اكتئاب ، انهمك

ميلاد طفل ، حياة بنت ، ربة بيت ، حياة زوجة ، مكبوت

مكتئب ، مجنون ، عصابي ، شاعري ..."

وقى قصيدة اخرى بعنوان "الوعي" Consciousness (٣) تقول :

"... اهتزازات الفنون الحسية ، تتراى لي كأنها دوائر من اليأس

والدوران والمزلة ، واليوم اهي * نفسى للرسم ، اجبر الصفحة بالاضطراب .

غوية ، يأس ، ودوار ، اهتزاز الصور المرئية .. صراخ ، صراخ ،

اريد أن أظير ... (*).

من الواضح أن الشاعرة تتحدث عن أزمة ذاتية خانقة ، وهي

لذلك لا تستطيع السيطرة على انفعالاتها ، وضمورها في اطار من الترابط

والانسجام ، ولقد جاءت كل قصائد الديوان بهذا الشكل المحموم ، غير

المترابط . وامتألت بتجريدات تتوالى في سياق مضطرب دون أن تجد لها

(١) منشورات الجمعية العلمية الملكية - عمان - ١٩٧٦ . "مخاض امرأة"

(٢) ديوان مخاض امرأة ، ... المرجع السابق ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤ .

(*) قمنا بترجمة ما اقتطعناه من قصيدتي الشاعرة ، ترجمة حرفية .

شكلا ضابطا .

واستطاعت فئة رابحة من الشعراء أن تتفقد بعشق إلى مكونات الثقافة العربية ، دينيا وتاريخيا وأدبيا وفنانيا ، فأصابت من غمر التراث ما وسع في شعرها معاني الخصب والكشف ، ثم انعطفت مطوفة فيما أنتجته بعض الآداب الأخرى ، تدوب ما تستله من ثقافة الواحا من الإبداع لا تكاد تلمح وراءه شبحا من أشباح الأسلاف أو المعاصرين ، سواء كانوا عربيا أو غريبين . وخير مثل على هذه الفئة الشاعرتان سلمى الخضراء الجيوسي وغدوى طوقان .

لقد استطاعت الشاعرة سلمى أن تصل في كثير من قصائدها إلى القمة ، وأن تستخدم في القصيدة الواحدة التعبير الحسي والتصوير الموحى ، والم عاطفة الهادئة ، وتعدد الأصوات ، واستعانت بالفولكلور والتراث ونمو الحركة في داخل القصيدة بنخبة تكامل البناء الفني مع تطور الحائسة النفسية . (١)

وقد ساعدها اطلاعها على الشعر الغربي المعاصر على هندسة القصيدة ومناها ، واتباع طريقة التصوير الرمزي في بعض الأحيان ، كما في قصيدتها " مندورون " . تقول الشاعرة :

-
- (١) محيي الدين صبحي : دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٢ ص ٢٧١ .
(٢) ديوان العودة من النبع الحالم ، ٠٠٠٠ مرجع سابق ص ١٨٤ .

... هذا اللهاك في الصعود شاقسني
والقمة الجرداء تستقبلنا
شامخة طرية في روضة الصباح
من كل صوب حولها تصفق الرياح ...

تتخذ الشاعرة من تسلقها قمة الجبل معنى الكفاح ، ومعنى
تجربة الحياة ، فالصعود يرمز الى فتح الطفولة على الواقع الشاق والتشرد
والتمب ، فاذا ما استشرقت القمة وأنعشتها الرياح ، هبت تمجد الحياة ،
وانتصارها .

... هنا توهج الحياة وانتصارها الأشم

بوركت يا تمرد الانسان في ضميرنا

بوركت يا تزوعا المهييق للقمم ...

وتجيد سلمي استخدام الفولكلور ، وتفتح في خلق جو محلي
فلسطيني ، ففي قصيدة "أذرع الكنان" ^(١) أقامت الشاعرة بناء القصيدة
على (الندب) ووصف بعض مظاهر الباتم الشرقي ، واقترنت من (الندب)
الشمسي الفلسطيني القول :

"الا اشتروني يا رجالسي

واشتروني يا رجالسي

مشتراي اليوم غالي ..."

وتطوع (الموأل) الشعبي الذي يفتنه أهالي مدينتها (صفد)
ومطلمه : "صفد يا غالي ومرأس ته" في قصيدتها "بلا جذور" ، لتصور ^(٢)

(١) ديوان العودة من النهج الحالم ، ... مرجع سابق ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

ذكريات الطفولة السعيدة في موطنها • تقول :

••• بلدي يا غالية ورأس تلـه

طفلي يا غالية ••• يزر فـلـة •••

ولا يخفى أن استخدام الفولكلور يتطلب حذقا ودراية بأصول العمل الفني ، فليست المشكلة كما يقول الشاعر (صلاح عبدالصبور) استعمال بعض الكلمات العامية لتطعيم القصيدة بنبرة شعبية ، كما حلا لبعض من يكتبون الشعر ، وانما المقدرة على التعرف باللغة بمستوياتها الخاصة •

أما الشاعرة فدوى طوقان فقد استتدت الى مادة تراثية استفادت منها قبل الانتقال الى مرحلة التجديد ، فكتبت القصائد العمودية ورسمت بموسيقى الشعر وإيقاعه ، ولم تقفز الى التجديد الا بعد أن أحست بأن الشكل التقليدي للقصيدة بات أضيق من أن يتسع لتصوراتها المتشعبة ، لقد أيقنت أن الأشكال القديمة يجب أن تتفجر وان كانت على يقين بأن شظاياها الصغيرة لاتزال تشكل النواة الحقيقية للبناء الشعرى البديل • تمكنت فدوى من التعبير عن أزمته الذاتية وأزمة بنات جنسها بصور فريدة ، ومن رسم الشاعر التي تتحرك في عروق المرأة حتى أعماقها ، ففى قصيدتها " فى العباب " ^(١) ترى التناغم العذب بين العطاء والشوق والرغبة يخلف كل لحظات حياتها :

(١) ديوان امام الباب المفلدق ، ••• مرجع سابق ص ١٠٦ •

٠٠٠ في ذلك المساء

استيقظت حديقتي ، وخلصت سياجها

أصابع الرياح

واهترت تحت قبضة الرياح والمطر

المشب في حديقتي

والزهر والثمر

وظبت الوجوه والأشياء ذلك المساء

الا الوبيض الأزرق المشع في عينيك والنداء

في الأزرق المشع ~~حجر~~ وراءه

قلبي سفينة يشوقها العباب

وتتد مساحة معاناة قدوى بعد (هزيمة ١٩٦٧) ، ويزداد عذابها

في ظل الاحتلال ، فتتسم تموجاتها الداخلية التي يمتزج فيها سواد ليل

الهزيمة ، بتذكريات الحب والحياة الهنيئة ، تقول في قصيدتها " الوجه

(١)

الذي ضاع في التيه " :

٠٠٠ آه يا حبي لماذا

وطنى أصبح بابا لسقر؟

ولماذا شجر التفاح صار اليوم زقوما ، لماذا

لم يمد ضوء القمر

مستحما لبساتين الزهر؟

كان قومي يزرعون الأرض ، يحيون الحياة

(١) ديوان الليل والفرسان ، ٠٠٠ مرجع سابق ص ٧٦ .

يأكلون الخبز والزيت بحب وفرح
كانت الأثمار والأزهار في كل الفصول
تفرش الأرض بأقنواس قـزح
... الأسي يهطل ليل القدس صمت

وقتام

حظروا التجوال ، لا تطرق في
قلب المدينة

غير دقات النعال الدموية

تحتها تنكش القدس كمذراء سبية

... ويظل الليل - ما طال - يلسد

أنجما تقفو خطاها في الدروب السود أنجم

وملاذي كوزرمان يفسر الدم فيه ويغمغم

وحياتي تستمر

وحياتي تستمر...

ان حنين الشاعرة في هذه القصيدة يختلط مع حقدتها ولمعة الاحتلال
والدروب السود والوطن المستباح ، وهي تهدو فيها كمن يريد أن يقاتل
العالم الظالم كله ، ولا يملك غير الكلمات فيحيلها الى دوى ولهييب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث

المرأة الفلسطينية والقصة

الفصل الاول

المرحلة الاولى ١٩١٤ - ١٩٤٨

احتدم النقاش حول نشوء الفن القصصى فى الأدب العربى وتضاربت فيه الآراء والأقوال ، وفريق يرى أن مولد القصة ، جاء نتيجة لتطوير الألوان الأدبية التى كانت سائدة فى العصور الوسيطة نحو الحكايات والاساطير والسير والمقامات . بينما يرى فريق ثان أن القصة العربية الحديثة هى نتيجة الاختلاط بالغرب والنقل عنه ، على الرغم من وجود بدايات وارهاسات لهذا الفن فى التربة المحلية .

ويسرى الناقد المغربى محمد الصادق غيفى أن منابع القصة العربية هى مزيج من التقليد والابداع وخليط من التراث الكلاسيكى ورياسح الأدب العربى الأصيل والمترجم ، وهو فى هذا يلتقى مع الدكتور ناصر الدين الأسد فى دراسته عن " خليل بيدس ، رائد القصة فى فلسطين " حين يشير الى أن الأعمال القصصية نشأت فى البداية كسير لحياة أبطال الفولكلور ، وشخص الملاحم الشعبية التى يتصف بها كل شعب فى مرحلة تاريخية معينة . ويؤكد فاروق خورشيد أنه من الصعب ادراك ما يقوله (٢) بعض النقاد من أن هذا الفن قد نشأ بتأثير الآداب الأوروبية ، وليس له أية جذور محلية ، أما محمود تيمور فيقف موقفا متعنتا يقوم على الرفض الكامل للتراث العربى القصصى والروائى سواء كان نصيحاً أو شعبياً . ويقول " . . . ان أول ما يواجه الباحث فى الأدب العربى هو ضعف شأن القصة ، ومرجع ذلك الى قلة الأساطير ، فقد استوطن العربى الصحراء الجدياء وطاش عيشة بدوية لا يعرف له مسكناً الا بيوت الشعر فلذلك

(١) محمد الصادق غيفى : القصة المغربية الحديثة ، مكتبة الوحدة العربية ،

الدار البيضاء ، ١٩٦١ .

(٢) د . ناصر الدين الأسد : محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة فى فلسطين

القاهرة ١٩٦٢ .

(٣) فاروق خورشيد : فى الرواية العربية - الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة

١٩٦٠ .

نشأ قليل الأساطير ومن ثم نشأ قليل القصص ، لارتباط هذه بتلك . . . (١) .
ولا يكتفى محمود تيمور برفض التراث العربي القديم في القصة ولكنه
يردد ما يزرعه المستشرقون من أن أسباب ضعف التراث العربي في
القصة والرواية أسباب أصيلة ترجع الى عوامل بيئية . وجنسية ودينية . ويضع
أحمد حسن الزيات فاصلا عريضا بين التراث العربي القديم وبين الرواية
الحديثة ، ويرر اعتماد الادباء اعتمادا كاملا على الرواية الغربية فيقول
" . . . أدبنا العربي الفصح ، لم يمن بهذه الأنواع ، حتى يضع لها
القواعد ، ويورد لها النماذج ، وانما عني بالأخبار والأمثال والقامات
والرسائل . دون أن يدخلها في ابواب البلاغة ، وتوكل للأدباء الشعبيين
القصص طواله وقصاره . . . " (٢)

وتوالت قافلة الدارسين والنقاد الذين تبخوا هذه الفكرة من أمثال
يحيى حقي ، وسهيل ادريس ، ومحمد يوسف نجم وغيرهم ، حتى سيطرت
هذه الفكرة أو كادت على الدوائر الأدبية ، ويربط الدكتور شاكر مصطفى
بين ظهور القصة السورية وبين نشوء المجتمع البرجوازي الجديد الذي
تعرض لتأثيرات الحضارة الأوروبية . ومثلها وثقافتها ، ويرى أن الانتقال
من أشكال المجتمع الاقطاعي الى البرجوازي كان يتطلب اختلاق ألوان
جديدة من فنون الأدب ، وتغاير الأشكال التقليدية السائدة آنذاك وتماشى
وعلاقات الانتاج المتجددة . . . (٤)

(١) محمود تيمور : فن القصص ، مكتبة الأدب ومطبعتها ، القاهرة ، (د . ت)

ص ٤٠ .

(٢) مجلة الاداب : العدد (١٢) ، السنة الثامنة ، كانون الاول ديسمبر ١٩٦٠ .

(٣) د . محمد يوسف نجم : القصة في الادب العربي الحديث ، (١٨٧٠ - ١٩١٤)

دار الثقافة ، بيروت . ط ٣ ، ١٩٦٦ .

(٤) د . شاكر مصطفى : محاضرات عن القصة في سورية حتى الحوب العالمية الثانية ،

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ .

ويرى الباحث أن اتخاذ موقف وسط في هذا الموضوع ، لا يجدى نفعا ، وخاصة أن الأمر أبعد ما يكون عن مصلحة ، وإذا كانت القصة حدثا يروى أو يحكى للمتعة والترفية ، وإثارة الفضول والتشويق ، أو دغدغة الاحاسيس والمواقف بحوادث الشجاعة والبطولة والمبارك والانتصارات أو حكايات الحب والفرام ، إذا كانت القصة هي هذا كله أو بعضه ، فهي موجودة في تراثنا الأدبي ، وإذا كانت القصة تدور حول عجائب الخيال وتهاويله وغرائبه التي تصل الى درجة الاساطير ، فهي موجودة في تراثنا أقوى ما يكون الوجود ، وإذا كان لها ظاهر يشوق ، وموطن يستدعي التفكير والتأويل واستبطاط العظة مما يروى فهي قد وجدت في أدبنا القديم بلاريب ، فما من معلقة من معلقات الشعر الجاهلي مثلا ، الا وتروى أحداثا ما على سبيل قصة حب أو قتال أو رحلة أو رواية لمفاخر وأمجاد أو حكمة ، قصة شخوصها كما في كل القصص ، فيها أماكن للليل والجياد والوحش والطيور والليل والنجوم والأطلال والرجال والنساء وغير ذلك ، ثم قصص العشق والفرام في الشعر الذي عرفته الحجاز والذي كان عمر بن أبي ربيعة رافعا رأيت ، وذاك القصص الذي تخلل قصائد المتسبي وأبي تمام وابن الرومي والبحترى وحكايات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنه ، والمقامات ، بجانب الكثير من التراث الشعبي الذي استمر زمنا طويلا تنصب له المنصات في المقاهي والندوات ، فيحتليها راو متفنن يروى وقائع الهلالية وسيف بن ذي يزن ، وعنترة ، والزير سالم ، وطلح الزريق وغيرهم . ومن عبث القول أن يزعم أحد أن امة من الامم حتى البدائية لا تعرف القصص ، ذلك أن القصة أو الحكاية طبع في الانسان سواء كان بدائيا سادجا أو متحضرا أتم ما يكون التحضير ، أو أخذنا بأسباب قومية

أو ضعيفة من الحضارة ، ومن هنا كان الاهتمام الكبير في أنحاء الدنيا بالموروث الفولكلوري ، وفي مقدمته القصص الشعبي الذهاب بعيدا في تاريخ الامة المكتوب أو المروى .

لقد وجدت القصة دائما في تراثنا الأدبي دون ريب ، باعتبارها حكاية تروى للامتع أو الاثارة أو تقديم العبرة والمظة ، ولكن هذا التراث لم يعرف القصة الفنية بمفهومها الحديث إلا في مستهل هذا القرن ، بسبب هو لم يعرفها الا بعد انقضاء المقد الأول من هذا القرن وضعا وتأليفا ، ذلك أن القصة في شكلها المصري فن طارف النشأة غربي المنبع والماهية وأسلوب التداول .

ومن الطبيعي ألا تأتي القصة الفنية اعتباطا ذلك أنها درجة فسي سلم تطور القصة عبر عصور وأجيال طويلة ، وكان حريا بالقصة القديمة فسي تراثنا العربي أن تأخذ بأسباب التطور ، وأن تصل الى ما وصلت اليه القصة في الغرب ، لولا انكسارات أصابت أدبنا العربي كله في عهد الانحطاط التي بدأت بضعف الخلافة العباسية وانتهت بسقوط البلاد العربية في أيدي الأتراك الذين امتد حكمهم وتسلطهم زما طويلا لم ينحسر الا في أعقاب الحرب العالمية الاولى لتدخل الامة المصرية من جديد من صراع مع محتلين آخرين .

(٢)
وميل الباحث الى الاعتقاد بأن رواد القصة العربية العصرية أخذوا

(١) محمود سيف الدين الايراني وآخرون : ثقافتنا في خمسين عاما . دار الثقافة والفنون - عمان ١٩٧٢ ص ١٢٨ . ينظر أيضا :

— مجلة الاداب ، العدد الخامس السنة الثالثة والمشروري أيار (مايو) ١٩٧٥ .

(٢) تداخلت الاصطلاحات واختلطت في هذه الحقبة حول مفهوم كل من الرواية والمسرحية والقصة القصيرة بحيث لا يمكن للباحث أن يتخذ من تسمية المؤلف اساسا للتفريق بين ما يمكن اعتباره رواية وما يمكن اعتباره قصة قصيرة وذلك لعدم تنبه الكتاب في ذلك الوقت الى الفوارق الفنية بينهما .

أخذ أصحاب المقامات في النسق ، ولكنه لا يلبث حتى يتحصل عنده ، بأن ما خلفه من هذا القبيل لا يقم في باب القصة أو الرواية المصرية الا تجوزا ، وأن الهدف الذي هدفوا اليه هو غرض تعليمي ، بل ان رفاعة الطهطاوي في ترجمته ل (مغامرات تليماك) لفنلون عام ١٨٦٧ ، قد نسوه بأنه أقبل على ترجمة هذا الكتاب "٠٠ لما اشتمل عليه من المعاني الحسنة مما هو نصح الحكام والملوك ، ومواعظ لتعليم سلوك عامة الناس" ، واختلطت مغامرات بطله بالباعث الوجداني ، لان المترجم قد رأى في بعض مواقف (تليماك) شبيها لوضعه مع الخديوي عباس الذي نفاه إلى السودان ، ويضمن الكتاب معارفه وتأملاته في العدل ، وعلاقة الحاكم بالبرية ، ويضمن على الاستعداد ، وبهيب بالناس أن يلموا شملهم متحدين ، كذلك يبنى على مبارك قصة (علم الدين) عام ١٨٩٣ ، في صيغة رحلة يلتبسها وسيلة لبسط معلوماته بأسلوب علمي لا يخلو من جفوة ، فيتناول نتفا من التاريخ والجغرافيا والهندسة والطبيعات والادب من حكم وشعر ووصايا ، وأقوال من القرآن الكريم والحديث الشريف الى كلام استطرادي على مظاهر الحضارة الحديثة والمسرح والاعياد ، الى فوائد السفر وقضايا الزواج وصفات المرأة الفاضلة وما يقع في باب الاصلاح الاجتماعي ، وفي هذا المسرى يجعل محمد المويلحي "حديث عيسى بن هشام" عام ١٨٩٨ ، امتدادا عسريا لنوع القامة ، فيتحسس القضايا السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، ويتفد الى حقائق الحياة المصرية والسياسية والمدنية الحديثة ، مما جعل الكتاب صورة أدبية نموذجية في نهاية القرن الماضي ومقدمة

للقصّة الفنية في تصوراتها وطريقتها ، يقصر عن شأوها حافظ ابراهيم فسي
" ليالى سطح " عام ١٩٠٦ ، التي بسط فيها آراءه الاجتماعية والسياسية
والادبية ، فكانت امتدادا لشخصيته وصدى لنفسه . (١)

ويهجر فرح أنطون المقالة الصحفية الى القصة ، لأنها على حد
قوله " . . . أروع وأجمع وأوقع في الناس وأعم " ، فألف رواية (الدين والملم
والمال ، أو المدن الثلاث) ، وضمنها معظم ما وقع له من حركات الفكر
الغربي وقضايا الانسان في العالم الحديث ، من الطبقة وفوارقها ، النساء
والرأسمالية والعمال ، والملكية وزوالها ، والصراع الاشتراكي ، والدين ورجاله
ومذاهبه ، والحب ومجانيته وتنازع البقاء والكلام عن الاخاء والمساواة بين
البشر ، وآراء (رسو) التربوية ، وفي هذا الحشد المتراكم يتخذ الكاتب
من القصة اطارا ، ويسود الغرض الفكري الرواية حتى يفرق الاحداث
والشخصيات ، ويقطع السبيل على انعقاد الحكمة ، وتطور الأزمة وتدارك
الحل من داخل النمو الطبيعي للحدث ، ولا يلبث هذا التعدد في
الأغراض أن يجتمع في غرض تعليمي موحد ، ويتولى جورجى زيدان كتابة
التاريخ العربي الذي وقع عليه في الاصول العربية وفي دراساته
المستشرقين ، ويحاول الخروج عن حدود البحث الموجه للخاصة ، ليأتى
بقصص يعلق في صدور الناس ، فوضع ثلاثا وعشرين رواية ، أدارها تباعا
(٢)

(١) محمود حامد شوكت : الفن القصصى في الادب للمصرى الحديث .

دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٥٣ .

(٢) يرى انور الجندى ان عدد روايات جورجى زيدان كان احدى

وعشرين رواية ، بدأها عام ١٨٩١ بقصة اربانوسة المصرية وأتمت

عام ١٩١٢ بقصة الانقلاب العثماني . ينظر :

- انور الجندى : القصة العربية المعاصرة . مكتبة الانجلو المصرية -

القاهرة (د . ت) ص ١٤ .

على مراحل التاريخ من الجاهلية الى الانقلاب الميثاقى ، الا واحدة هى
(جهاد المحمدين) كان بناها على الاجتماع حتى اذا انبرى يقص راح
يستنهط المغامرات ويلفق الاحداث ، ويضخم أو يراكم المفاجآت الطافرة ،
ويطلق للصدفة أن تهعث اتفاقا ، فلا يتبع النهو النفس فى تكوين العقدة
والحل ، ويوقف الحكاية بفواصل تاريخى أو يتأمل سياسى فينقطع الشوق ،
ويستر السياق •

وإذا انعطف الناظر نحو المجالات والصحف العربية ، رآها تفرص
بالمسلسلات المقتبسة ، أو المترجمة عن قصص الفروسية زمن العصر الوسيط ،
وقصص المغامرات ، أو ما جاورها من الروايات البوليسية • فيروى هذا القصص
المقتبس ممدلا ، مهدلا ، مختصرا ، مشوها فى جميع الاحوال ، مما
يستجيب لفضول القارئ العربى وقتئذ ، وفى هذه الطبقة تقع اقتباسات
المنفلوطى عن الرواية الفرنسية ، مشوهة من حيث هى فن قصص ، مردانة
بلا سلسلوب مشرق ، ويأتيها المنفلوطى مسوقا بنزعة مثالية ، مسرفا فى
بث العواطف واللواعج ، مأخوذا بتطراب ايقاعه ، فيكرر ويوادف فى المعنى
الواحد ، ويأتى من المهجر صوت جبران ونعيمة وأترابهما فى قصص قصير
ينسحب منسجما رومانسيا خالصا يعين عليه البعد المكاني ، ويضخمه الانفصال ،
عالمه الشرق وما يجرى فيه ، وهدفه التوق الى الأمثل •

غير أن الطابع الاقليمى المحلى شرع يتسرب شيئا فشيئا بحرص وخفر
فى بادئ أمره ، فينشر محمد حسين هيكل قصته " زنتب " عام

== ويرى د • عبد المحسن طه بدر أن جورجى زيدان كتب اثنتين وعشرين

رواية • ينظر :

- تطور الرواية العربية الحديثة • دار المعارف ط ٢ - القاهرة ،

١٩٦٨ ص ٩٥ •

(١) ١٩١٤ تقلا من توقيعه ، ويمزوها الى مصرى فلاح ، وينبىء بانہ توخى رسم " ٠٠ مناظر وأخلاق ريفية " ، ويحلل ما للريفى المصرى من طبائع وصفات كامنة من خير وتسامح وكبت . واذا كان الدكتور هيكل أول من كتب القصة الفنية فى مصر ، خالطا بين الواقعية والرومانسية ، فقد كان خليل بيدس فى القدس يفصل مثل هذا ، ويتخذ من مجلته " النفايس " ميدانا لنشر قصصه ، وهو وان لم يبلغ فى الأداء القصصى والفنى شأو الدكتور هيكل ، استطاع أن يحقق بعض هذا الاداء .

أصدر بيدس مجموعة قصصية واحدة هى " مسارج الأذهان " ضمنها اثنتين وثلاثين قصة ، بجانب قصة طويلة هى " الوارث " قام بنشرها تباعا فى مجلة النفايس ، وكان بيدس واسع الاطلاع على الأدب الروسى ، ويعرف جيدا ما للقصة من تأثير على النفوس ، ودور فى تهذيب الطبائع والأخلاق ، وكان يرى أن القصة يجب أن تهنى على الفهم العميق للحياة ولأسرارها وأن على الكاتب أن يختار مضمون قصصه من حياة الناس الواقعية ومن طبيعة الانسان ، كما دعا بيدس الى معرفة جوهر القصة وحدودها وأشكالها وأساليبها والاعتناء بنفيتها وتقنياتها ، حتى تصل الى أعماق النفس البشرية ، وتكشف طبيعة هذه النفوس وخواصها ، وطلب أيضا بضرورة الدقة فى التعبير ونصاحة اللغة وقوة الخيال وغذوية التخيل ومهارة التصوير . (٣)

- (١) ظهرت الطبعة الثانية من القصة متهورة بتوقيعه عام ١٩٢٩ .
- (٢) ثقافتنا فى خمسين عاما . مرجع سابق . ص ١٢٩ .
- (٣) محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين . مرجع سابق ص ٥٤ وما بعدها .

وربما سهقت بيدس بعض المحاولات القصصية الفلسطينية ، وسارت فسى
غارة محاولات لا يستطيع الباحث أن يترك عندها ، فهي لم تؤكد وجودها
ولم تفرض نفسها على زمنها ، كما استطاع بيدس أن يفعل ، ويرى الدكتور
عبدالرحمن ياغى أن بيدس " ٠٠ " رأس مدرسة قصصية فى القصة الطويلة
فى هذه المرحلة - ١٩٠٨ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى - ٠٠٠
وأنه رأس المدرسة القصصية فى القصة القصيرة " ٠٠٠ " (١)
والواقع أننا لو وضعنا بيدس فى زمانه ، وأدخلنا فى اعتبارنا ما
كان يفعله غيره فى مصر ولبنان وبلاد الشام ، لوجدنا أنه كان رائدا
من رواد القصة ليس فى فلسطين فحسب بل فى الوطن العربى عامة ، فقد
سبق الكثيرين الى الترجمة والنقل والوضع والتأليف ، وعلى الرغم من
ذلك ، ما من أحد تصدى لنقد قصص بيدس وتقييمها ، فالدكتور ناصر
الدين الاسد اكتفى بدراسة تاريخية له باعتباره " ٠٠ " رائد القصة العربية
الحديثة فى فلسطين " والدكتور عبد الرحمن ياغى اهتم بعرض قصصه ،
موضحا وشارحا ، مؤكدا أن " ٠٠ " كل قصة من قصصه تحمل موقفا اجتماعيا
ايجابيا يمثل طموح الطبقة البرجوازية الشريفة الناشئة " ٠٠ " ويرى الباحث
أن مجالا واسعا للشك يمتدى قيمة قصص بيدس الفنية ، فهو سمح
لنفسه بأن يحور ويختصر ويسقط بعض الفقرات والفصول من نقولاته المترجمة ،
بجانب أنه قصر فى تجسيد مبادئه النظرية فى قصصه الموضوعة ، لتأتى
فى معظمها مقطوعة الصلة بالنماذج الانسانية ، غير قادرة على ادراك الواقع
بإيمانه المتشعبة وعلى الاحساس بخفقات نبضه .

-
- (١) حياة الادب الفلسطينى الحديث ٠٠٠ مرجع سابق ص ٤٥٢ .
 - (٢) ثقافتنا فى خمسين عاما ٠٠٠ مرجع سابق ص ١٣٠ .
 - (٣) حياة الادب الفلسطينى الحديث ٠٠٠ مرجع سابق ص ٤٥٥ .

وقيت تجربته بيدس الفنية فريدة فى الأدب الفلسطينى حتى منتصف
الثلاثينات وخلال هذه المدة لم يظهر للمرأة الفلسطينية نشاط ما فى
هذا الميدان الأدبى ^(١) وما نظن أنها كانت قادرة على منح هذا الشكل
الأدبى شيئاً يذكر ، بسبب الظروف الاجتماعية التى كانت تعيشها ، وسبب
ما يتطلبه الفن القصصى نفسه من مبادئ وأصول فنية وثقافة عميقة واطلاع
واسع وتجربة مباشرة تعطى أبعاداً متنوعة للقاص ، وتقدره على اختيار خامسة
الحياة والواقع وانتقاء الشخص ، وهذا ما لم يتوافر للمرأة الفلسطينية فى
ذلك الوقت ، فالمعلوم أن الاجهزة التعليمية والثقافية على اختلاف أنواعها
حينذاك كانت غير قادرة بعد على ايجاد نساء مثقات بله رجال مثقفين
ثقافة حقيقية ، ناهيك عن النظرة القاصرة الى القصة من قبل أنصاف
المعلمين والاميين التى كانت ترى فيها وسيلة للترفية والتسلية ، لافنا
جداً ، يضطلع بدور رئيس فى التطور الفكرى والاجتماعى ، ويسجل وثيقة
تاريخية تعكس الروح العامة لمرحلة ظهوره .

وفى عام ١٩٣٧ أصدر محمود سيف الدين الايرانى أول مجموعة
قصصية له بعنوان (أول الشوط) محاولاً ارساء قواعد مدرسة جديدة
تتبنى قضايا الانسان الملحة ، وتصور آماله وأمانيه وشقائه وتعاسته وتطالب
الادباء أن يحسوا بوطأة المسئولية الملقاة على عواتقهم نحو مجتمعهم
ونحو الانسانية الخيرة ، وان ينبروا الطريق أمام امتهم وأن يخرجوا عن
الدائرة الضيقة التى وضع مفكر الأمس نفسه داخلها ليصلوا بذلك كله الى

(١) قامت الادبية كلثوم نصر عودة بترجمة عدد من القصص لكتاب عرب من
امثال محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، ذى النون ايوب الى اللغسة
الروسية بجانب مؤلفات اخرى كثيرة . ينظر ص (٢٢) من هذه
الدراسة .

"... الخلاص النهائي للإنسان من قيود الآلهة وهوانه وذلك... (١) ، ، ، وإذا كان النقد والتقييم قد تجاوزا قصص بيدس ، فإنهما قد عوضا ذلك بالتركيز على قصص الإيراني ، الذي اعتبره الدكتور نعيم اليافى "... الرائد الأول للقصة في فلسطين... وطورها المفرد كما وكيفا في النصف الجنوبي من بلاد الشام... (٢) ، أما الدكتور ناصر الدين الأسد فيرى أن الإيراني "... فإن أصيل قلمه ريشة والفاظه خطوط والوانه ظلال وأنغام ، وقصته جو مصر كامل ينساب إليه القارى انسيابا طبيعيا ويميش مع شخصه وحوادثه في حياة نابضة واقمية... (٣) ، ويقول الدكتور عبدالرحمن ياغى : ان الإيراني بلغ "... بمدرسته غاية بعيدة ، فأثقت عملية الامتراج بسين مضمونه الايديولوجى وبين الشكل الفنى ، وكان أشد الناس حرصا على أن لا يخلو عمله الفنى مطلقا من المضمون الايديولوجى... (٤) .

وصنف الدكتور هاشم ياغى الإيراني في عداد القصصيين الرومانسيين ويعتبره "... من طليعة كتاب القصة القصيرة في فلسطين والاردن ، بل في طليعة الكتاب القصصيين العرب... (٥) . ويرى الباحث أن الإيراني وقف - بدون لראدة منه - في مجموعته القصصية (أول الشوط) الى جانب

(١) محمود سيف الدين الإيراني : أول الشوط ، (د . ت) يافا : ١٩٣٧ المقدمة .

(٢) مجلة نادي القصة : العدد الأول ، نيسان (ابريل) ١٩٦٨ ص ٣٣ .

(٣) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن . مرجع سابق ص ١١٠ .

(٤) حياة الادب الفلسطيني . . . مرجع سابق ص ٤٧٦ .

(٥) القصة القصيرة في فلسطين والاردن . . . مرجع سابق ص ٢٧١ .

المواقف التي أدانها وندد بها في تصوراته النظرية ، فأفكاره لم تتمدد
المشكلات الحيوية السطحية ، وحده عن سر الحياة والكون واستيطان عوامل
الانسان الداخلية محدود غير واضح ، كما طفى على غالبية قصص مجموعته
(سبع قصص) ، التكلف والتجنيح الرومانسي ، والمباشرة في تصوير الشخص
والأبطال والأحداث ، أما أسلوبه فجميل شائق يدل على تمكنه من اللغة
ومعرفة الأساليب التعبيرية الفنية .

بعد مجموعة " أول الشوط " للايراني لم يصلنا في الأربعينيات الا
القليل من القصص الناضج ، وكان من حسن الحظ أن تظهر هذه الحقبة
بانتاج قصص لكاتبتين فلسطينيتين هما : نجوى قموار وأسى طهسى .
وكانت فلسطين قد شهدت بعد الحرب العالمية الثانية نهضة نسوية
أدبية ، أضلعت الصحف والمجلات والاذاعة بدور اساسي في تشجيعها
وأظهارها وقد أشارت الأدبية نجوى قموار الى هذه النهضة في مقال
لها بعنوان " هل في فلسطين نهضة أدبية نسائية " حين قالت :

(١) جرب الكثيرون أقلامهم في كتابة القصة القصيرة ومن أشهر هؤلاء:
عزف المرزوقي ، نجاتي صدقي ، جبرا إبراهيم جبرا ، محمد اديب العامري
اسحق الحسيني ، امين ملحس ، عبد الحميد يسمن .
(٢) نجوى قموار : من مواليد مدينة الناصرة ، والدها عزف قموار طبيب
اسنان معروف . تلقت دراستها الابتدائية في مدارس مدينة الناصرة
وتخرجت من دار المعلمات بالقدس . عملت مدرسة في الناصرة عام ١٩٤٣
شغفت بالدراسات الاسلامية وقرأت القرآن الكريم . وكان لها نشاط
ادبي واجتماعي ملحوظ ، لها عدة مؤلفات ، تزوجت من القس رفيق فرج .
شهادة سماعية من السيدة وداة قموار الباحثة الاردنية . وكذلك من
السيدة وضى الزبيبي ، مديرة مدرسة الهاشمي الاعدادية بعمان ، ورفيقة
نجوى طيلة سني دراستها في مدينة الناصرة .

(٣) مجلة المرفان : المجلد الرابع والثلاثون - من المحرم الى جمادى
الآخرة ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٦ ص ٨ .

"...أصدق وصف لحالة الأدب النسوي في فلسطين الآن أنه حديقة بذورها آخذة بالنمو، وراعها تشر بزهر فواح وثمر شهى، تحس بهذا حارا قويا ان أنت طالمت ما تدبجه أقلام النساء، وما ينقله اليك الاثير من أحاديثهن..." ويبدو أن القصة القصيرة أغرت كلا من نجوى قموار وأسى طهوي فعرفتا الطريق إليها، أما نجوى فكثبت عددا من القصص نشرت قبل "عام النكبة" في الصحف والمجلات المحلية^(١) والعربية، ووصف الكاتب الاردني عيسى الناعوري أبطال قصص نجوى بأنهم "... من المعذبين المتألمين، نتيجة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة في الشرق، أو بسبب الجهل والرجعية، أو بسبب تحكم الاقطاعية أو سوء النظم والحكم..." وأن "... روعة التأشير ظاهرة ولا سيما في خواتيم هذه القصص..." وأن "... الشعر الديني رافح في بعضها وله وقع في النفس..."^(٢)

حاولت نجوى قموار في بواكير قصصها أن تعالج هموم اجتماعية واقتصادية، فحالفها التوفيق حيناً، وأخفقت في أحيان أخرى، وبخاصة حين يكون شخص قصصها نماذج غريبة عن الواقع، والوسط الذي تعيش فيه.

في قصة "أى السبيلين"^(٣)، وهي أولى قصص المجموعة، تحدثنا الكاتبة عن انسان جامعي توظف في إحدى الدوائر، ولكنه فشل في

(١) جمعت هذه القصص مع غيرها من قصص أخرى للكاتبة في كتاب بعنوان "عابرو السبيل" وقد قام باختيار هذه القصص - خمس عشرة قصة - والاشراف على طباعتها، لجنة من أصدقاء الكاتبة هم: سامي حميبي، وتوفيق قموار، عيسى الناعوري، وتم طبع المجموعة في دار الريحاني: بيروت ط ١ و ١٩٥٤.

(٢) عابرو السبيل: المرجع السابق: المقدمة.

(٣) المرجع السابق: ص ١٥ - ٢٠.

عمله بسبب استقامته واعوجاج كل من حوله ، وحين يشغل وظيفة مدرس
يفشل أيضا لاصطدامه بعقلية مدير المدرسة التقليدية ، ويمارس مهنة الكتابة
ولكنه يصاب بالاخفاق ، ويجسد نفسه في نهاية الأمر حائرا بين طريقتين
طريق يريدها له الناس من حوله ، واخرى يريدونها هو لنفسه ، فيفكر
بالرحيل . في هذه القصة لم تتمكن الكاتبة من التخلخل الى داخل نفسية
البطل ، وتحسس انفعالاته ، فرسمت من الخارج وجعلته يتصرف وفقا لفكرتها
ورأيها ، لا تهتم لتكوينه الخاص ، ثم أنها أخفقت في تحديد هويته ،
فجاء ضائعا ، باهت الصورة ، وتكاد القصة تفرق بالشعارات والبهادى
النظرية " . . . لقد كان يؤمن بأن قيمة الفرد هي بما يحققه من
سعادة نحو الكمال النسبي " . . . و " . . . يعمل على نشر رسالة الحبر
الأعظم الذي يحقق غرض الانسان ويرر وجوده " . . . الى غير ذلك من
الأفكار الجاهزة لدى الكاتبة تملئها على لسان البطل . يقول الدكتور
عبدالرحمن ياغي محقبا على هذه القصة : " . . . وأما هذه القصة
فأشبه ما يكون بغمية من دخان لا تحس بأن البطل مرتبط بروابط أو صلاته
وانما هو منقطع عن مجتمعه ، مهتور منه ، وكأن الأحداث قطع كرتون موضوعة
في واجهات عرض ليس وراءها بضاعة ، فلا اتصالات ولا روابط ولا مشاكل . .
ولكنها القصة الاولى ، ولعلها البداية ، ويكفي أن تكون محاولة جادة
لنفس الريشة في واقع المجتمع من حولها ليدها بمادة قصصها " . . ."
بقي أمر يتعلق بالفكرة التي قامت عليها القصة ، وهو هزيمة البطل
والاخفاق الدائم الذي يلاحقه بسبب الاستقامة ، هل صحيح أن الاستقامة
مقضى عليها دائما بالفشل ؟ ان هذا النمط من الأبطال "المهزومين" لا

(١) حياة الأدب الفلسطيني : مرجع سابق ص ٥١٠ .

يشير في نفوسنا أي رثاء أو شفقة .
وفى قصة "بائع الصحف" ^(١) ، وهى القصة الثانية فى المجموعة ،
نرى البطل يبيع الصحف ، و" ٠٠٠ يجاهد النهار بطوله ليتخلص من
حصه من هذا الورق الذى تسجل عليه الوان من نشاط الانسان ٠٠
حياته تتساب مع أنباء الأيام ٠٠ كان يعيش وحيدا مع امه التى تخدم
يوما فى الاسبوع وتعرض بقية أيام ذلك الاسبوع ، ثم تذهب الى المؤسسات
الطبية تستجدى تشخيص الداء ، ولكنها تعجز عن دفع ثمن دواء الصيدلية
لم تكن حياتها تخلو من المناضين على لقمة العيش ٠٠ كان أمنها
وصادقا ولكنه طرد بسبب الرشاية ، وشاية منافسه ٠٠ قطعته منتقما ٠٠
وضرب بالسوط ٠٠ وألحق بمدرسة الأحداث ، ثم هرب منها ليصبح
بطلا كالأبطال الذين شاهدتهم فى السينما ٠٠ فى هذه القصة
تكاد شخصية البطل تنفج ، وتتحدد ملامحه ، والقارىء يحس بحالاته
مع من حوله ، ولكن الاستقامة ما زالت مهزومة عند الكاتبة كما فى قصتها
الاولى . وتهتدى نجوى الى السبيل السليمة فى النهج القصصى فى
قصصها : المودة ^(٢) ، وحكيم البهسى ، والقبس ^(٣) . فسمات الأبطال
تتحدد ، ونمو الأحداث طبيعى ، والعلائق الاجتماعية قائمة برغم تشابكها ،
وفى قصة " بهجة الخريف" ^(٥) ترى الحياة تدب فى الأحداث ببراعة ،

-
- (١) طبرو السبيل : مرجع سابق ٠٠٠ ص ٢٦ - ٣٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ٣٨ - ٣٩ .
(٣) المرجع السابق : ص ٥٠ - ٥٨ .
(٤) المرجع السابق : ص ٧١ - ٨١ .
(٥) المرجع السابق : ص ١٢٢ - ١٣٠ .

ولم تعد القصة عند الكاتبة مجموعة أقوال مسرودة عن شخص أو خلاصات لتجارب غير ملموسة بل حركة وأحداث وأقوال منسجمة ، (فالشيخ سليم) كان مولما بحفيده نديم ولما شديدا ، " " وكانما الطفل ساحر صغير يأخذ بيد الجد فيرى الحياة ، بهجة ضاحكة بمد أن كان بلاها فراها قاسية

- جدى انظر المصافير ما أكثرها الى أين تذهب المصافير ؟
- الى الشمس الدافئة .
- وهل تعود المصافير يا جدى ؟
- نعم تعود لتستقبل الربيع .
- جدى انظر الى الأوراق كيف تدور حول الشجرة . . هل تعود؟
- لا يا نديم . . هذه الأوراق لن تعود . انما ينمو بدلها من الشجرة نفسها أوراق جديدة كان تعلق الحفيد بالجد لا يوصف وجاء الشتاء ، واعتكف الجد فى فراشه ، وأخذ نديم يخرج مع الخادم ، ولكن هيهات بين مرافقه جده ، ومرافقة الخادم وجاء يوم استيقظ فيه نديم ، فشمع بحركة غريبة فى البيت ، وجاء أمه وقالت انه سيذهب الى بيت خاله ليقتضى النهار عندهم وجاء فى اليوم الثانى ، وقال له والده : انك لن تجد جدك فى البيت ذهب الى السماء
- ولن يعود ؟
- لا يا نديم لن يعود . بل نحن سنذهب اليه يوما من الأيام
- ولن يأخذنى الى السوق ولن يقص على حكاياته
- لا يا نديم

وهرع نديم الى غرفة جده .. رأى الحذاء والعصا .. تحسبها
ووجس .. ثم قال :

- والدي .. أذهب جدى كالمصافير أم كالأوراق ...

وتبدو النزعة المثالية الممزوجة بالروح الدينية لدى الكاتبة فى قصتها
" ساحة الرحيل " ^(١) فهى تستخدم كثيرا من الأسماء والأقوال والمفاهيم
النصرانية : " ... كان كأنه يقول مع النبى داود : الانسان مثل المشب ..
وأحسن أنه ظلم " الى الصلاة ، وأخذ يستعيد المزمور ، الرب راعى فلا
يموزنى هسى " ... وحضر الخورى ، والقندلفت .. " كأس الخلاص أتناول
واسم الرب أدعو " ... ليته يستطيع أن يقول لزوجته وابنته ما هو
الموت ... انه انتقال .. انه تغير .. انه تجديد .. انه انطلاق
وانعتاق .. بل وجهة نظر جديدة ومجال آخر للجهد والاتصال مع
الله وأسلم الروح ... " ولعل هذه النزعة الدينية التى تسرى
فى كثير من قصص نجوى ناجية عن طراز حياتها ونشأتها فى بيت
متدين ، فخالها هو (القس مرمورة) رئيس المجمع الانجيلى فى فلسطين
والاردن وزوجها - من بعد - هو (القس رفيق فرح) راعى الطائفة
الانجيلية فى مدينة حيفا .

وفى مسرحية " حواء الأخيرة " ^(٢) تظهر نجوى قدرة فى اختلاق
المناسبة ، والتقاط ما يدور حولها من قضايا تتناول أوضاع المرأة ، وتعلمها
بصفة خاصة ، فهى تدعو أترابها من النساء للتمرد على حياة (الحریم)

(١) عبسو السبيل : مرجع سابق ... ص ١٥١ - ١٥٨ .

(٢) مجلة الاديب : العدد السادس . السنة السادسة . حزيران (يونيو)

والتخلص من تهمة الرجل ، والسعى نحو التعلم ، من خلال حوار رمزي
شفيف تديره على لسانى " آدم وحواء " بطللى المسرحية ، نفس المنظر
الأول ، نرى حواء تخاطب آدم قائلة :

حواء : أريد أن أجرب الوحدة .

آدم : انها قاسية مرة ، تشعر المرء بأنه ناقص .. بأنه قد أضاع شيئاً ،
لقد جربتتها .

حواء : ولكن أحب أن أجرب هذه الخبرة فأنا أشعر بأن المرء يكون كاملاً .

آدم : ولكن لن أسمح لك بالذهاب .

حواء : الله .. ومن جعلك حاكماً على ..

آدم : الست ضلما منى ؟

حواء : أنت مخطئ .. فى ضلع منك

آدم : هذا تشويه للحقائق ..

وتنتقد الكاتبة موقف الرجل الشرقى من المرأة ، وتقويمه لها على

اعتبار أنها تبع له ولا على أنها كائن مستقل له فكر ورأى وموقف :

" الملاك : آدم .. مالك ساهم حزين .. أين حواء ؟ "

آدم : لقد ذهبت تكتشف .

الملاك : وهل أنت سعيد مع هذا المخلوق الجميل ؟

آدم : نعم .. ولكن هى لا تستقر ولا تهدأ .. ثم هى تفكر .

الملاك : وهل كنت تجهها أن تكون عديمة التفكير ؟

آدم : نعم ..

الملاك : ولماذا ؟

آدم : لأن التفكير يجعلها مخلوقاً صعب القيادة ، يعيل الى الاستقلال ..

وتكاد الاصول الفنية للمسرحية تتكامل لدى الكاتبة لولا الوصف
الانشائي الطويل والسرد التقريرى الذى اعترى الحوار فى أحيان كثيرة ،
مما أضف اسلوب التناول والبناء الفنى فيها •
وحين بدت علائم (النكبة) فى الافق ، أخذت نجوى تتابع
فجيرة الوطن ، والأهل ، وكتب قصة (وحى الجهاد)^(١) ، وفيها صورت
قلقها واضطرابها وخوفها من المستقبل ، وما سيؤول اليه مصير شعبها بعد
أن اجهضت آماله :

” ... أجايت دون أن تنظر اليه : لقد سقطت حيفا

ورد : ماذا تقولين ؟ وهل حيفا طيبة من الكرتون ، لتهاوى فى مثل

هذا الطرف القصير •• وأجايت بياس : هكذا يريد المسئولون ••

- : أتململين أنى الان متفائل أكثر من أى وقت آخر •••

- : أنا أحسدك على مثل هذا التفاؤل • أنا أحسدك وأنت تترى

سبعين الفا من السكان يتركون بيوتهم العامرة ومتاجرهم المقدسة

وتبقى متفائلا •• ضحك وقال :

- : هذه أول مرة أراك تتكلمين فيها بحدة •

- : طبعاً ، لأن حيفا هى البحر الذى كنا نصب فيه دمائنا

وجهودنا •

- : لا تجزى ، فسيستعيد كل امرئ ماله ••• ”

(١) مجلة الأديب : العدد التاسع - السنة السابعة ، أيلول (سبتمبر)

ويحس القارئ لهذه القصة ، أن الكاتبة كانت سريعة فى التقاط
الحادثة (سقوط حيفا) ، سريعة فى تسجيلها على شكل قصة ، دونما
تخزين نفس لها ، فجاءت بكاملها أشبه بمقالة صحفية كتبت فى لحظات
متمجلة .

أما الكاتبة " أسنى طوى " ، فلم تشأ أن تسمى إنتاجها الأدبى
فى تلك الاونة قصصا ، ولم يكن فى حقيقة الأمر قصصا ، وإنما " أحاديث
من القلب " ^(١) ضمها بحد (النكبة) مع غيرها من أحاديث كتاب يحمل
نفس الاسم ، ويقول عبدالرحمن ياغى عن محتويات الكتاب : " . . . ليس نفس
المجموعة أية قصة ، ولكن فيها مواقف قصصية رائعة تسير الى مستوى
قصص رفيع يكاد ينضم الى التيار الذى يستشرف الواقع فى القصة ، لكنه
يقصر عنه ، لأنه لم يشأ أن يتقيد بالاطار الفنى للقصص . . . " ^(٢)

وسرى الباحث فى بعض هذه الأحاديث صورا قصصية أو لوحات
ترجع بين الانتساب الى المقال والانتساب الى القصة القصيرة ، كما فى
" الهمسات " ^(٣) ، و " بدون قلب " ^(٤) ، و " المازف الاعشى " ^(٥) ، فهى أشبه

-
- (١) طبع الكتاب فى مطبعة تلقاط ببيروت ، وقد ضم أربعة أقسام هى :
وطنيات ، إنسانيات ، نسائيات ، وثقافات ، وقدم له الشاعر القسوى
(رشيد سليم الخورى) فى ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ .
- (٢) حياة الأدب الفلسطينى . . . مرجع سابق ص ٥١٤ .
- (٣) أحاديث من القلب . . . مرجع سابق ص ٧٤ - ٧٦ .
- (٤) المرجع السابق : ص ٨١ - ٨٢ .
- (٥) المرجع السابق : ص ١١٦ - ١٢١ .

بالمقال القصصى وتتميز عن أنواع المقالة الكثيرة ، بأنها أميل الى الذاتية
فالكاتبة أطلقت العنان لخواطرها ومشاعرها ، وكأنها تنظم قصيدة غنائية ،
كما أنها مزجت التعبير عن خواطرها ومشاعرها بالسرد والوصف القصصى
فأحدثت ضربا من التنوع خفف من الطابع الخاص الذى يغلب على أنواع
المقالة . فى حديث "أما الأرض" ^(١) صورة واقعية (للمم مصطفى) الفلاح
الذى كان " . . . يزيل عرقه عن جبينه ، ويقلب أرض حديقتنا ، وكانت
الذرات المتبلورة تتحدر لتمتج بالتراب . . . وسمعت بهيمى ، ما أصدق هذا
أن عرق جبينى وقوة عضلاتى فى الأرض . . . ودم قلبى أيضا هناك ، لقد
حرقها آبائى وأجدادى لعشرات السنين ، فلن أكون الرجل الذى يضيعها . . ."
فى هذه اللوحة اكتفت الكاتبة بتصوير الموقف القصصى ، ولم تكلف نفسها عساً
تجميع الخيوط الفنية لنسج قصة متكاملة ، ويكاد البناء الفنى للقصة يتكامل
فى حديث "أم زينة" ^(٢) لولا أن الكاتبة نقضت يديها قبل الفراغ من تشييد
البناء ، وأنهت كلامها بخطبة قصيرة ، وتوجيه مباشر خال من الإيحاء :
" . . . كانت أم زينة غسالة الحسى . . . وكانت أم زينة
الوحيدة ، الحج الى بيت الله الحرام . . . تقطع قرشيين من كسبل
غسلة حتى أدت الدراهم مهمتها القدسية . . . وطأت من الحج وابتسامته
البناء تنشر على الصحا المتعب ، ومعادة الايمان تطل من العينين
الكلماتين . سعادة لم تعد مأس الحياة تستطيع ثدييها . . . أم زينة
لينهك الحج فانه قد طهر نفسك . . . تعملين دون تدمر لأجل الزوج ،
زوج المرأة الأخرى ، تحملين طعامك ، اللقمة التى حصلتها بعرق جبينك

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨-٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩-٩١ .

الى اطفال المرأة الاخرى وانت تتناسين مرارة الحرمان وآلام الثكل . . .
لقد دفعت من عمل الاصابع التي يراها العنل رسم الفريضة المقدسة ،
ولكنك اتهمت نعمة الرضى بما قسم الله
هكذا كان حال القصة عند المرأة الفلسطينية في هذه المرحلة ،
مركبة هشة لا تستطيع ان تحمل قيمة فكرية واجتماعية ، او ان تأخذ لها
موقفا عاما ، او خطأ واضحا ، وهذا في اعتقاد الباحث ، شأن الفن
القصي الفلسطيني بصورة عامة في النصف الاول من القرن العشرين ، فهو
لم يضطلع بدور واضح في التطور الفكري والاجتماعي كما اضطلع الشعر
ولم يظهر قصصيون بارزون كما هو الحال مع الشعراء أمثال ابراهيم
طوقان ، وعبدالرحيم محمود ، وعبدالكريم الكريس ، ورغم محاولات بعض
القصصيين التفاعل مع الحركة الاجتماعية ، والاندماج مع الظروف العامة
التي كانت قائمة في فلسطين .

الفصل الثاني

المرحلة الثانية ١٩٤٨ - ١٩٦٧

حلت (نكبة ١٩٤٨) ، فشردت من أهل فلسطين من شردت، وفرضت
مرحلة ذهول ترجع فيها الناس بين اليأس والاحساس الكلي بالضياع ، وكان
طبيعيا أن يشمر الادباء في أول الأمر بحقم الكلمة في موقف أهدرت فيه
كل القيم ، فسكت بعضهم ياسا أو انشغلا بمطالب الميش في الجناحى
الجديدة ، والبعض الآخر كتبوا قصصا تناولوا فيها مظاهر النكبة ، وما ترتب
عليها من تشتت وألم وضياع ، ولكنهم لم يستبطنوا أبعاد البأساة ولم
يتلمسوا حقيقتها ، بل لقد كشفوا عن ضعف في تمثلهم للنكبة ، وعن ضيق
نظرتهم السياسية واخفاق في تجاوز التجربة القومية للقضية ، الى افق انساني
أرحب . ومن الناحية الفنية افترقت قصصهم الى التحليل الموضوعى ، وهم
يعرضونها من خلال الوعظ والانفعال والاسراف في رقعة المشاعر ، ولعل
هذا كله راجع الى أن فن القصة الفلسطينية في الاربعينيات كان بعد
فتيا لم يستكمل أسباب النضج ، ولم تسبقه من التجربة الموروثة سوى مرحلة
صغيرة منقطعة من المحاولات الجادة .

والمتبع للسنوات القليلة التي سبقت منتصف الخمسينيات تقع عينه على
علين أدبيين لكاتبين هما : هدى حنا ، وهدية عبد الهادي ^(٢) بالاضافة الى
بعض الأعمال الأدبية لكل من نجوى قصوار وأسمى طوى التي سبق
الباحث اليها .

- (١) من أمثال : محمود سيف الدين الايراني ، جبرا ابراهيم جبرا ، أحمد
المناصى ، أمين فارس ملحق .
(٢) هدى حنا : من مواليد قرية الرامة في شمال فلسطين عام ١٩٢٢ ، أنهت
المدرسة الابتدائية فيها، وتخرجت من دار المعلمات بالقدس عام ١٩٣٧ .
لها نشاط اجتماعى مبكر ، وتعمل حاليا مديرة لمدرسة تحف التابعة
لوكالة اللاجئين بدمشق .
- مقابلة شخصية مع الباحث في دمشق بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢ .

كتبت هدى حنا ما أسمته "رواية صوت الملاجي" (١) ، وكتبت هدى حنا
عبدالهادي عددا من التمثيليات القصيرة ، جمعتها وحض القوائد الشعرية
في كتاب "معا الى القمة" . (٢)

أما الكاتبة هدى حنا فقد أرادت لكتابها "صوت الملاجي" أن يكون
رواية ، وهي جرأة تحد لها ، وخاصة اذا علمنا أن فنية الرواية في تلك
الحقبة كانت ما تزال هشّة الصروق وأعجز من أن تصمد لمتطلبات "النكبة"
التي ما نفكت تثير من الانفعال والندب ما لا يمكن أن يصلح مادة لرواية
طويلة . اعتمدت الكاتبة في روايتها أشكالا من الكتابة لا تتفق والنسيج
الفني للرواية ، وتقنياتها المعروفة ، فقد لجأت الى حيلة ساذجة لبناء
الأحداث ورسم الشخصوي وهندسة الحوار حين كتبت عشر رسائل - هي
مكونات الرواية - وجهتها الى صديقتها (سلمى) التي كانت "٠٠" بحيدة
يوم حلت الكارثة بفلسطين (٣) " وتتكى الكاتبة في روايتها على نزوات عاطفية
وانطباعات ذاتية ، وهي تسترجع ذكرياتها الحلوة في صدف وعكا وحيفا
وسافا واللد وغيرها من المدن الفلسطينية ، وتشيد بالتضحيات التي قدمها
شعبها وهو يخوض معارك شرسة ضد الاستعمار والصهيونية ، وتصف دخول
قوات الجيوش العربية يوم (١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨) فلسطين لمساندة شعبها
وانقاذ الأرض ، وكيف عجزت هذه الجيوش عن دفع المأساة ، ثم كيف ألفت
الكاتبة نفسها لاجثة في دمشق مع من لجأ من أبناء شعبها ، وكيف

(١) طبعت الرواية في مطبعة دمشق . دمشق (د . ت) وكانت المؤلفـة
ذكرت في مقدمة الرواية أنها " ٠٠٠ " كتبت في السنوات الخمس السبق
أعقت اللجوء " .

(٢) ينظر ص (٨٥) من هذه الدراسة .

(٣) صوت الملاجي : مرجع سابق ص ١١ .

انصرفت الى زيارة الملاجي* والمخيمات* .. لتوقع من معنويات اللاجئين
ولتحى بالأمانى ما مات فى نفوسهم*..^(١) وتظهر آتية الاستجابة عند
المؤلفة ، وضعت تمثلها لأبعاد المأساة وهى ترسم لوحات خارجية لبؤس
اللاجئين وعوزهم ومرضهم فى أماكن عيشهم الجديدة*.. لو أنك هنا ،
وجلت معى تلك الجولات بين الملاجي* ، وميوت الفقراء ، التى لستم
أحدثك الا عن بعضها ، لأيقنت معى أن الفلسطينيين مهما ساءت حاله ،
واشتد بلاؤهم لن تموت معنوياتهم .. ولسمعت معى تلك الأصوات الصارخة
من أعماق الملاجي* ، الصارخة بالألم والأمل ، بالأسى والرجاء*..^(٢)
ويخلو السرد فى الرواية من الايحاء أو التلميح بالفكرة ، ولم يشفعه
حوار يكشف عن أفكار الشخص وآرائها ، بل غالبا ما يأتى معبرا عن
أفكار الكاتبة نفسها*.. لقد تحكم اولئك المستعمرون بالأرض*.. فى
الماء*.. فى الغضاء ، وأعطوا الحق لأنفسهم فى أن يملكوا ويملكوا ،
أن يقروا ويشردوا ، أن يحيا ويميدوا ، وأن تكون لهم دائما الكلمة
الأخيرة*..^(٣) أما الخطابية فكثيرا ما تظهر فى ثنايا الرواية : "... ايه
أيها العابثون بنا أيا أنتم ، وأنى كنتم .. أين منكم الضمائر ، أما
من يقظة لميت ، أم قد مضى زمن العجائب وولى ؟ أما من عودة على
بدء ، فتقع المعجزة ، حين تحيا الضمائر وتصحو القلوب ؟ .. أى اولئك
الذين وصم لنا السم فى الحلوى ، ان ندأى ليس بالمسترحم ، وان كنتم
اناديكم فمن أجل نفوسكم أفعل ، فقد قتلت منا الأجساد ولكنكم قتلتهم

(١) صوت الملاجي* .. مرجع سابق ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨٥ .

فيكم السروح " ، ، " ، وكثيرا ما يغلف الوصف المباشر والانشائية اسلوب الكاتبة :
" . . . هل كان على ياسلمى لأكون شجاعا أن أصرخ مع الصارخين ، أن
فلانا خائن وكذلك فلان ؟ وأن تلك الحكومة خائنة وكذلك تلك ، وأنا أعلم
علم اليقين أن الخيانة ليست هي الصفة التي تتمشى مع الامة العربية ،
وان كنت آخذ على نفسى كعربية وعلى جميع امتى لا الخيانة ، وانما عسدم
التضامن والتفسخ ، والضعف الذي جعلنا ان أردنا أو لم نرد ، نؤخذ
بحيلة المستمر وخداع " . . . (٢)

لقد خيل للكاتبة هدى حنا أن المضمون الجيد يكفى وحده لبناء
عمل روائى متكامل ، وفاتها أن الرواية تتطلب من الكاتب مخزونا كبيرا من
الموهبة والتجربة والمقل والوجدان ، لينفخ فيما يكتب بعضا من روحه
عن طويق اللفظة المناسبة والحوار المعبر ، والشخصية المقنعة ، فيكسب
المضمون قيمة وفاعلية .

أما هدية عبد الهادي فقد كتبت ست تمثيلات قصار هي : الام الكبرى (٣)
وأشبال المستقبل ، وغيرهم ستتقشع (٥) وجلسة كاملة النصاب ، وصانعات الرجال (٧)
وقفع الأندلس ، ولا يبريد الباحث أن يتبرك طويلا عند هذه التمثيلات ، (٨)
ولا أن يستفرد بكل واحدة على حدة ، لأنها فى مجملها تسير فى
مجرى واحد شكلا ومضمونا ، ولأنها ذات طابع مدرسى بسيط ، ولا تعدو

-
- (١) صوت الملاجى ، مرجع سابق ص ٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ .
(٣) معا الى القمة : مرجع سابق ص ٥ ، وتتكون التمثيلية من ثلاثة مشاهد .
(٤) المرجع السابق : ص ٢٣ ، وتتكون التمثيلية من مشهد واحد .
(٥) المرجع السابق : ص ٢٦ ، وتتكون التمثيلية من ثلاثة مشاهد .
(٦) المرجع السابق : ص ٣٩ ، وتتكون التمثيلية من مشهد واحد .
(٧) المرجع السابق : ص ٤٤ ، وتتكون التمثيلية من مشهدين .
(٨) المرجع السابق : ص ٥٧ ، وتتكون التمثيلية من ستة مشاهد .

"... محاولة أولى لأديبة تمتلك بالاربيب قوة الايمان وصدق العاطفة ،
وان لم يتوافر لديها كل مقومات الأديب^(١)... وتسقط الكاتبة في مجال
المباشرة والجري وراء المفزى الصارخ وهي تصور عاطفتها المسرفة نحو
فلسطين ، وتكشف عن انفعالاتها وأشجانها المتلاحقة ، كما يظهر
افتقارها الى رؤية سياسية معمقة للقضية - وهو افتقار يعكس موقفا يكاد
يكون عاما في ذلك الوقت - والكاتبة حائرة وصدومة ازاء ما تراه من
تخاذل ، واستكانة ، ولكنها تظل ضمن حدود حيرتها لا توحى بجديد ،
وان كانت أكدت على نوع من الايمان الغيبي بالخلص .

أما معمار التمثيلات الفنية فمفكك هنيء ، فالحوار ضعيف ، والمباراة
جاهزة والكاتبة لم تستطع ضبط ايقاع اللغزة مع شخصها ، وبعض التمثيلات
خلا من معقولية الحدث ، كما في تمثيلية " الأم الكبرى " التي تصدرت
المجموعة ، ولمعل ما يؤخذ على هذه التمثيلات أن الكاتبة اتكأت فيها
على الموضوع وأطبانت اليه ، وتساهلت فيما عدا ذلك من عناية باللغزة
والحوار والصياغة الفنية والالتفات الى المتطلبات الشكلية الأخرى .

فسي هذه الحقبة كانت القاصة سهرة عزام^(٢) ، قد استكملت بعضها
من أسباب النضج الفني ، ولقد أتاح لها اندماجها في الحياة الجديدة ،
وفى الظروف العربية القائمة من حولها ، أن تكون أوثق اتصالا بطبيعة
المأساة ، وأقدر كشفا لأبعادها ، فحملت قصصها شيئا من ملامح الأصالة ،

(١) مما الى القصة ... مرجع سابق (تقديم الكتاب) .
(٢) من مواليد مدينة عكا عام ١٩٢٧ . أنهت دراستها الابتدائية فسي
مدارسها ، ثم امتهنت التدريس وهي في سن السادسة عشرة . طالعت
كثيرا ، ودرست على نفسها ، وتسلمت ادارة المدرسة التي عملت فيها
حتى عام ١٩٤٨ . ظهرت لها بعض الكتابات بتوقيع فتاة الساحل فسي
جريدة فلسطين ، وحصد النكبة تنقلت في معظم بلدان العالم العربي
==

بعد أن استقت مضامينها من الواقع الذي تشابكت معه بكل ما فيه من معاناة وألم ، وصورت هموم الانسان الفلسطيني الذي يعاني القهر والقهر بأسلوب بسيط لا يلبس الريش الشمري ، وساعدها على ذلك نفس حساسة وذكاء وقاد ، ومعايشة للناس وتحسس لمشاعرهم الى جانب سعة اطلاع وخبرة عفتها مجلات العمل المتنوعة .

انكشف المجتمع العربي بكامل عريه أمام عيني سيرة ، فألتقطت مأساة المرأة في اطارها الاجتماعي القاسي ، وصورت تمزقات الزوجة المستلبة ، والانثى المضطهدة ، والطفلة التي لم تعرف الماب الطفولة ، والمومس التي يبقى عهدها نقياً كالثلج ، وغفة غيرها من المناقنين سوداء كالفحم ، ووضعت يدها على هواجس الأرملة ، وهموم المثقفة ، وحنان الام ، وحرمان اليتيم ، ورغائب المراهقة ، وتضحية المناضلة ، كما أدركت هموم الطبقة الفقيرة وظروفها الاجتماعية القاسية ، وأزمات أفرادها النفسية ، والمسرف الذي يحيق بهم نتيجة غياب العدالة الاجتماعية ، فوصفت معاناة الفقراء ، ودموع الأيتام ، وعرق الكادحين واختارت أبطالها من العمال الذين يمشون على هامش الحياة فكان منهم بائع الصحف وجامع أعقاب

== بعض الدول الأوروبية عملت مذيعة في محطة الشرق الأدنى ، وفي اذاعة بغداد . ولها خمس مجموعات قصصية ، كما ترجمت عددا من الكتب لمؤلفين عالميين . ماتت بالسكتة القلبية وهي في سيارة كانت تقلها بالقرب من مدينة جرش بالأردن يوم ٢٨ ب (اغسطس) ١٩٦٧ .
ينظر :

- د . نادرة السراج ، سيرة عزام في ذاكرها الخامسة . دراسة فنى فيها القصص " نشرة " ١٩٧٢ . كذلك :
- محمود الأخرس : البيبلوغرافيا الفلسطينية الاردنية ، ١٩١٠ - ١٩٧٢ الجمعية الملكية الاردنية ، عمان ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ١٠ .

السجاير ونافع الدواليب والكهبل الذى استخفى عنه أصحاب العمل ، وذو
العامة المتورد على طاهته ، والأطفال المحرومون والشحاذون وغيرهم .
فى عام ١٩٥٤ ، أصدرت سميرة مجموعتها القصصية الاولى " أشياء
صغيرة" ^(١) وتضم ثلاث عشرة قصة ، تناولت قضايا الفقر ، والعمل والزواج ،
والملاقات الاسرية والانسانية ، وقد وصف الدكتور هاشم ياغى هذه
القصص بأنها " ٠٠٠ مليئة بالتشاؤم والسوداوية ، مما يؤثر فى بناء شكل
بعض القصص ، برغم طو نبرة المنطق الواعى فى التخطيط لنتائج هذا
التشاؤم " ^(٢) . ويتراج اسلوب القاصة فى مجموعتها هذه بين رومانسية
تنزج الشخصيات فى ظروف قاسية ، يستمدون فيها العطف والشفقة ، وواقعية
يكون فيها الشخصيات أكثر ايجابية ، وأكثر حساسا للظروف القاهرة من حولهم ،
يقول الدكتور محمد يوسف نجم " ٠٠٠ كانت أقاصيص أشياء صغيرة ،
صراخ بين الروح المذبذبة والنفس البريئة الطاهرة من ناحية والمحيط الجديد
الذى لم تستطع سميرة أن تهضمه وتمثله وتمتصه فى كيانها ، لتلبس به
كيانا آخر ، ومن خلال الملاحظة والوعى الأخلاقى الذى لا ترتضى قبضته
أخذت شخصياتها تتحرك وتنمو ومواقفها تتطور وتتلور . كان همها أن
تتذكر وأن تلاحظ وأن تحس أما التأمل والتفكير والشك والايمان والنقد
والمحاسبة فطورها لم يحن بعد " ^(٣) فى قصة " الأشياء الصغيرة" ^(٤) ، تحكى
سميرة قصة فتاة رصينة متزنة ، تعتقد أنها من نسيج خاص ، لها مبادئها

-
- (١) صدرت المجموعة عن : دار العلم للملايين . بيروت ١٩٥٤ (أشياء صغيرة) .
(٢) القصة القصيرة فى فلسطين والأردن . مرجع سابق ص ١٩٣ .
(٣) مجلة الاداب : العدد الأول ، السنة السادسة عشرة كانون الثانى
(يناير) ١٩٦٨ . من كلمة قالها بمناسبة تأبين القاصة .
(٤) أشياء صغيرة : مرجع سابق ص ٥ .

وأخلاقها ومثلها ، وهى ترفض بالوعى المبروث وضعها الجنس ، وتعمسى
عينها عن أشياء تمر وحاجات تلح ، وتحاول اثبات أنها ليست كغيرها من
الفتيات الماديات واللاتى كثيرا ما يتحدثن عنها فى مزاح قائلات : " أنها
تعيض بحقلية أبيها ، وأمها ، وعمتها المانس " هو لاء الثلاثة الذين مازالوا
يرددون على مسامعها " . . . لا تكونى كالأخريات الرغوات فأنت غير أولئك
أصلا ونهتا ، أنت ، وأنت " . . . (١) وحين يظالمها وجهه الأسمر للمرة
الأولى فى السيارة العامة ، تشعر بأنها " انسانة متجددة الاحساس " ، وفى
(السينما) يجلس بجانبها " . . . لن تسمح له أن يتعادى ، لكن " . . . (٢)
ويمسك بيدها فلا تسحبها ، وينتهى (الفيلم) بسرعة ، وحين تتوقد الأضواء
فى الصالة تتذكر من هى ، أو بالأحرى من يجب أن تكون " . . . فتخجل
بل وتزدري وضعها وتتصرف دون أن تنظر الى وجهه " . . . (٣) ، ومعهما
تصبح نفسها ساحة قتال مصطرع فيها شتى القوى والنزعات ، وفى النهاية ،
ويرغم كل التصوم على التفوق بفضيلة الكبت ، تنجرف نحو الرجل ، وتكمل
رحلة الشوق ، ولكنها فى نفس الوقت رحلة الفراغ .

فى هذه القصة اعتمدت الكاتبة اسلوب السرد المباشر ، وراحت تبسنى
الأحداث وترتب اللقاءات بين الفتاة المراهقة وظلمها بصورة غوية لا مبالغة
فيها ، وقد تمكنت من تحليل عواطف الفتاة ومشاعرها الغضة الناشئة وما
اعتراها من هواجس ومخاوف ، بطريقة بارعة بدت وكأنها حديث مع النفس
أو نوع من تيار الوعى " المونولوج " .

-
- (١) أشياء صغيرة ، مرجع سابق ص ٦ .
(٢) المرجع السابق : ص ٦ .
(٣) المرجع السابق : ص ٧ .

وفى قصة " حكايتها " (١) تجسد الكاتبة مأساة الفتاة الفقيرة التمسعة
التي يدفعها مجتمع النفاق ، وضياح المعدل الاجتماعى الى القاع ، وتأتى
القصة على شكل رسالة ، توجهها الفتاة المنحوة الى أخيها بمناسبة
عودته - بعد أن أصبح رجلا - لـ " ٠٠٠ " قبل الشرف الرفيع بالدم " .
وتحاول هذه الفتاة المنكودة أن تبرر أسباب سقوطها ، وتصف الفخ السذى
أطبق عليها بفعل حاجتها وعوزها ، وكيف أنها وقعت فى يد صاحب
المصنع المستغل والذي يمارس تسلطه الاجتماعى والجنسى على عاملاته ،
ثم كيف لفظها بعد حين لتستقر فى القاع مع اللواتى لا يمكن سوى
جسدهن يتعمشن منه ، وتسمى الكاتبة القصة بمفارقة كاشفة للماهيات
الاجتماعية ، حين تنصح الفتاة أخاها بأن يبيع المسدس ويشترى " ٠٠ " ولو
قميصا واحدا بثمنه ، يستر به عرى كفيه " ٠٠ " ويلاحظ فى هذه القصة
الاسلوب الخطابى والتقريرية ، والجمال الوجدانية التى ساقتها الكاتبة على
لسان الفتاة وهى تحاول تبرير سقوطها - غير المقبول - والأسباب التى
دعتها للعودة الى طريق المصنع الفخ الذى جمر عليها الويل ، وبدلا
من العودة للخدمة فى البيوت برغم ما تلاقيه من قسوة ومشقة .
وتؤمن سميرة بأن الفقر ، وما يصاحبه من ظروف قاسية ، وأزمات
نفسية يوتر فى سلوك الفرد وتفكيره ، ويحدد علاقته بالآخرين ، وهى
لا تلم أبطال قصصها القراء حين يخطئون ، بل تلقى التهمة على
المجتمع بنظامه الاقتصادى والاجتماعى ، وفى قصة " نافع الدواليب " (٢) ،
تروى الكاتبة قصة صبي يحمل " نافعا للدواليب " فى احدى (ورش) الدراجات

(١) أميا صغيرة ٠٠٠ مرجع سابق ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ .

الهوائية ، واعتاد هذا الصبي أن يفرغ الهواء من دوليب دراجات رواد (السينما) المجاورة ، كي يلجأ أصحابها الى تعبئتها بالهواء ، فيتقاضى اجورا على ذلك ، وفي احدى المرات ، يمسك أحدهم - وهو راوى القصة - بالصبي وهو يفرغ الهواء من دولاب دراجته ، ويعتذر الصبي اليه ، ويحاول أن يبرر فعلته " المخجلة " بسبب ضغط الظروف الاقتصادية التي تعانيها أسرته :

" ... أعلم أن في على هذا ما يدعو الى الخجل ، ولكن ...

- ولكن ماذا؟

- أن ورائي أما ، وأخا وأختا يعيشون على ابرة امي ، وما أرحه أنا من وراء نفخ الصجلات ... اننى أعمل في (ورشة) حتى الخامسة مساء لقاء قروش قليلة ثم يمضى (المعلم) تاركا (الورشة) لى ، وهذه فرصتى الوحيدة لأكسب قروشا آكل بها ، كم أشعر بالخجل حين أسمع بالمدرسة الليلية دروسا تحت على الأمانة وطس الخلق القيم ، ثم أجدنى في النهار مضطرا الى هذا السلوك ، حتى أمى التقية لا تعلم سر هذه القروش اليومية ، والا لما كانت تقبل بالريح عن هذا الطريق ... ولكن اليس من التماسه أنى لا أستطيع أن أعدك بالكف عن هذه الحفارة ! ... " (١)

ويظهر اقتناع الكاتبة بأن اختلال التنظيم الاقتصادى يقود الانسان الى الانحراف ، والتخلى عن مبادئ الاستقامة ، فهى ما انفكت تبرهن لنا طيبة نفس الصبي ، ورفضه تهمة " الدناءة " :

(١) أشياء صغيرة ... مرجع سابق ص ٨٠ .

... ماذا لديك لتقول مبررا هذه الدنائة؟

وهنا انتفض الولد وأمسك بيدي وأزاحها عن كتفه وقال :

لا تسرع في اتهامى ، فلست دنيئا ، دعنى بالله ، ألا تفهم ... (١)

وفى موضع آخر نرى الصبى يتبع - الراوى - بدراجه لا لشيء الا

ليقول له :

... فقط أردت أن أسأل .. هل تظننى دنيئا؟ ... (٢)

وتكسو الكاتبة أحداث القصة ثوبا رومانسيا ، فحين حاول الصبى

إعادة النقود التى كان ابتزها من (الراوى) فى مرات سابقة ، نرى هذا

يقول :

... لم أدر ما أقول .. كل ما فعلته أننى لعنت الدنيا ، ثم

أخرجت كل ما فى جيبى من قروش فضية ودفعتها إليه ، وأدرت وجهى خشية

أن تطالمنى عينان تسكنهما كبرياء جريح ... (٣)

ترى سيرة فى قصتها هذه أن الصبى غير مشغول عن ذنبه ،

وتنحى باللائمة على المجتمع الذى يفقر الى العدل والاتزان ، والذى

يدفع الأفراد الى الانهزام والانحراف ، وهوية الكاتبة هذه لا تختلف

عن رؤى الرومانسيين التى تكاد تستغرق معظم قصصهم وخاصة التى

تتناول القضايا الاجتماعية ، فهى ... تحمل الطابع العاطفى المشبوب

الشاعر ، وتشير الأفكار اثاره مباشرة ... والشخصيات الرئيسية فيها ضحايا

نظم المجتمع ، وهم رموز لطبقات اجتماعية يدافعون عن آرائهم ، أو يمثلونها

فى بطولة ، يحيد بها مؤلفها عن مجرى الحقائق المألوفة .. وغالبا

(١) أشياء صغيرة ، مرجع سابق ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨٠ .

ما كان الشر مثلاً في صورة الظلم الاجتماعي الذي يعاني منه البائسون
الفقراء... (١) لقد أغلقت الكاتبة على بطل قصتها سبل الميؤش الشريف ،
وضيفت عليه الحيلة ، واتجهت به نحو الفسق والخديعة ، ولم توق به
ليحترف عملاً شريفاً مع أنه ما يزال في ريعان شبابه .

ويبدو أن ضغط المنزى على ذهن الكاتبة ، والتخطيط الواعى
لأحداث قصتها ، أوقعها في بعض المزالق ، فهى قد حرصت على
أن تظهر بطلها الصغير بمظهر الأباء وعزة النفس وثقاء السريرة ، وسررت
سلوكه الشائن ، وأنحت باللائمة على المجتمع ، من غير أن تحاول صرفه
عن هذا السلوك المموج ، ولم تشر الى أن المجتمع قد لا يحقق فى
بعض الأحيان فرص العمل لكثير من أفرادهِ ، وأنه اذا كانت الحاجة تسبرر
مثل هذا السلوك ، لا نغفرون لكل جانح سلوكه ، ومن جهة أخرى بقيت
المدينة التى جرت فيها أحداث القصة مجهولة لنا ، هذه المدينة التى
تظل الدرجات فيها وسيلة رئيسة فى تنقل الأفراد وهى التى تحتوى على
دور (السينما) والكهرباء وغير ذلك من المعالم الحضارية الأخرى ، انهما
فى اعتقادنا مدينة خيالية اخترعها القاصة لتكون وسيلة تعرض من خلالها
المنزى الاجتماعي الذى تريده .

(٢)
وفى عام ١٩٥٦ ، أصدرت سميرة مجموعتها القصصية الثانية "الظل الكبير"
ضمنتها اثنتى عشرة قصة ، تناولت فى غالبيتها قضايا المرأة ، والعمل ،
وقد سجلت الكاتبة تطوراً واضحاً فى مستوى الشكل الفنى والمضمون

(١) د . محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، دار النهضة العربية ،
القاهرة ١٩٦٩ ط ٤ ، ص ٥١٥ .
(٢) صدرت المجموعة عن : دار الشرق الجديد - بيروت ط ١ ١٩٥٦ .
(الظل الكبير) .

الفكرى لهذه القصص ، وبدأ اتجاهها نحو الواقعية بالانحسار ، وتلك
سمة بانث ملاحظها لدى كثير من الكتاب الفلسطينيين في هذه الحقبة ،
فقد أصبحت قصصهم أكثر تفاعلا مع الحركات الاجتماعية ، وصار اندماج
نسبي بينهم وبين الظروف العامة التي كانت قائمة ، واستطاعوا أن يعبروا
عن التطلعات السياسية ووجهات النظر الاجتماعية في شئ من الواقعية ،
مستفيدين من التطور الذي بلغه الوعي السياسي في الوطن العربي عامة .

في قصص هذه المجموعة ، تفادت سيطرة الخضوع للتشاورم والسوداوية
التي غلفت جل قصص مجموعتها الاولى ، فأبطال هذه القصص لا يواجهون
الظروف بارادة مشلولة ، ولا يستدرجون عطف الناس ، ويتوسلون دموعهم ،
وهم ايجابيون يتأثرون بالأحداث من حولهم ، ويؤثرون فيها . ومن أكثر
قصص هذه المجموعة اثارة قصة " الظل الكبير " ^(١) التي تمكس ظللا كثيفة على
الملاقة بين الرجل والمرأة ، فبطلة القصة فتاة مثقفة أحبت يوما ، وفشلت
في حبها ، آمنت نظريا بمساواة المرأة بالرجل ، ووجدت في نفسها كفيشة
له ، وطمحها فشلها في حبها الأول أن تبحث عن " جبار " لا ينظر اليها
كأنثى فحسب ، ودأبت على البحث وصارت " ٠٠٠ " لا تكاد تتصرف على
واحد ، حتى يقفز السؤال الذي يميح فيها على شفتيها ٠٠ أيكونه؟!
وتبدأ من بعيد تتأمله ، تدرسه من كل ناحية ، ثم تلفظ من تفكيرها
بكلمة واحدة : عادي ٠٠ عادي ٠٠ ^(٢) وأخيرا تجد ضالتها المنشودة
في " محاضر " اعجبت به وفكره المستور ، وسمعت لكي تستمع الى كافة
محاضراته ، وحتى تمكنت من مجالته ، فسمعت منه كلاما أثار اعجابها

(١) القصة الاولى في المجموعة (الظل الكبير) .

(٢) المرجع السابق ص ٨ .

حين حدثها بأنه " ٠٠٠ " ساق أعواما أرميين بلا زوجه ، إذ لم يوفق بمد
الى المخلوقة التي يعتبرها نصفاً لايقا به ، وأنه في فرنسا ، حيث صرف
شطرا من حياته الدراسية ، عرف نسوة كثيرات ، كانت الواحدة توفق في
شخصها بين الرفيعة والماشقة بانسجام كبير ، أما النساء اللاتي عرفهن
هنا فقد أثبتن ايمانا بنفوسهن أهزل من ايمان الرجل الشرقي بهن " ٠٠٠ " (١)
لقد أثار قول المحاضر غرورها فسمعت الى لقاء معه في بيته " ٠٠٠ " لتريه
وجها جديدا يجعله يؤمن بها ، ثم تمسك بعدها بطرف الخيط " ٠٠٠ " (٢)
وكان لها ما أرادت ، وحين تشرع في اعداد نفسها للزيارة ، لا يفارقها
احساس الفتاة الشرقية ، التي تحورت فكريا ولكنها لم تتحرر من الداخل
لتقدر على ممارسة ما تؤمن به نظريا " ٠٠٠ " لتكن صريحة مع نفسها على
الاقل وتعترف ، الم تحب - بحدس الانثى - بأن جلسة في بيت رجل
قد لا تكون خالصة لوجه الأدب والفلسفة ؟! وارتخت يدها عن حمالة
الثوب ، ثم ما لبثت أن تماسكت حين تذكرت شيئا تحمله في نفسها -
تعوذة لا تحب أن تفارقها ، هي الثقة " ٠٠٠ " وتسقط نظرية المساواة حين
التقت به في بيته ، كانت طجزة حتى عن مبادئه بالكلام ، وراحت تنظر
بتوتر الى سقف الغرفة الممغن في الارتفاع ، وانتظرت أن يبادلها هو
الحديث ، غير أنه لم يفعل ، واذا كانت المفاهيم النظرية ، عند بطلنة
القصة قد سقطت ، فان سقوط المثقف المربى كان أشد الما وأكثر
اجاظا ، فهو حين شهد اضطراب الفتاة ، وقلقها ، وتلمس فيها الضعف ،
لم يبادلها الحديث بل " ٠٠٠ " كانت عيناه تتأملانها ، ويده تحط بحركة

(١) الظل الكبير ، مرجع سابق ، ص ٩

(٢) المرجع السابق : ص ١٠

(٣) المرجع السابق : ص ١١

متصددة على كتفها ، وأدنى رأسه من رأسها وهمس : هل جئت حقا
لاحدثك عن الفلسفة ؟ لماذا تزعجين رأسك بالسفسطات التي أحشو بها
كبتى ، أتسحين ؟ ... ووضع اراحة يده اليسرى خلف رأسها وأهوى على
فهمها بقبلة ، وقامت تجر نفسها وهي نهب خواطر تعبت برأسها ، فما
تدرى أهي من هذا كله على سخط أم رضى^(١) . وتجيد الكاتبة تصوير
صراع البطلة مع نفسها ، والتناقض الذى وقعت فيه ، فهي حين حاولت
تقوم سلوكها كانت صريحة ، مع نفسها ، انها لم تأت الا من أجل هذا ،
وهي " ... تفالط ان قالت لا ... " ، ولكنها ما زالت تتوق الى معرفة
رد الفعل عنده " ... ما عساه يقول فيها الساعة ، وقد سايرته فى
تجربة عادية ، توحى اليه بأنها واحدة من كثيرات لا يستعملن رؤوسهن
الا بمقدار^(٢) " . وهكذا تسقط بطلة " الظل الكبير " بين دفتى النظرية
والتطبيق ، ويسقط المثقف العربى الذى يبدو فى ظاهره مثالا للدعوة
الى الفكر الرائد المتحرر ، فاذا ما تعمقت فى داخله وجدته غير قادر على
الانسلاخ عن سلوك اكتسبه منذ الطفولة من واقع مجتمعه . تقول الدكتورة
نادرة السراج فى تعليق لها على هذه القصة : " ... يبدو أن نقطة
ضعف بطلة القصة ، كانت نقطة ضعف الكاتبة نفسها ، بل لعلها كانت نقطة
الضعف لدى فئة من بنات فلسطين اللواتى نشأن فى نفس الفترة ونفس
الظروف التى عاشتها الكاتبة . فتاة غفة يانعة فى أرضها الحبيبة ، ثم

(١) الظل الكبير ... مرجع سابق ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢ .

مهاجرة غريبة - غيبة الروح والنفس - تكذب وتعمل في سبيل الميخ الكريم ،
وتسمى وتناضل من أجل العودة الظاهرة مع جموع اللاجئين ، حيث تأمل
أن تنعم بحياة طبيعية سعيدة في مستقبل الأيام ، ولكن الأيام طالت ،
والسنوات أخذت تتوالى ، واضطرتها الحياة الى التنازل على المستوى
الشخصي والرضا والافتقار بما هو موجود وما هو كائن ، وعاشت حياتها
كثيرها من بنات حواء (١)

والباحث لا يتفق مع الدكتورة السراج فيما ذهبت اليه من أن ظروف
الحياة القاسية ، والمعاناة في سبيل لقمة الميخ ، سببان يدفعان الفتاة -
أية فتاة - للتخلي عن مثلها ، والافتقار بما هو موجود ، ربما
كانت نقطة ضعف بطلان القصة هي نقطة ضعف القاصة ، وربما كانت نقطة
ضعف الدكتورة السراج نفسها ، ولكن ليس بالضرورة أن تكون البطلة نموذجاً
لقصة من بنات فلسطين بالتحديد ، ومن نشأ في تلك الحقبة ، انها
في اعتقادنا نموذج لقصة من الفتيات المثققات - بصرف النظر عن هويتهم -
من لا يستعملن " رؤوسهن الا بمقدار " على حد تعبير الكاتبة
سيرة نفسها .

وتظهر ايجابية الفرد في تحدى الظروف القاسية ، وفي مواجهته
الواقع المرير الذي يولد في النفس تمزقات باهتة في قصة " سأتعشى
الليلة " للكاتبة تحدثنا عن فتى مصاب بعاهة في رجله ، ولا يستطيع
أن يمشى الا بمكازين ، وهو ابن لاسرة فقيرة ، الام فيها المصمبل
الوحيد ، وتعمل خادماً في البيوت ، اعتاد هذا الفتى أن يجلس بجانب

(١) سيرة عزام في ذكراها الخامسة مرجع سابق ص ١١ .

(٢) الظل الكبير مرجع سابق ، ص ٢٥ .

بائع (المماليق) من شروق الشمس حتى مغيبها ، يقضى ساعاته
الرتيبة المملة في مراقبة الناس ، وفي أحد الايام ، يدعى بائع (المماليق)
لأمر مفاجئ ، فيوكل مهمة البيع الى الفتى ، مقابل رغيفين محشوين بقطع
اللحم وخمسين فلسا ، ويقوم الفتى بالمهمة التي وكلت اليه خير قيام ،
ويشمر لأول مرة ، بأن الحياة لها طعم .

في هذه القصة تصور الكاتبة شعور الفتى العاجز ، وانعكاس واقعه
على نفسه التي يأت تمني " . . . لو يحدث ما يلون أيامه ، ما يخلق
فيها الانارات ، فلا يحس معها هذا الطول ، ولا هذا الفراغ ولا هذه
التفاهة ، ولا أنه متطفل على لقيمات أمه . . . " (١) ، كم مرة حاول الفتى
أن يتوسل للعمل بشتى الطرائق ، دونما جدوى ، وكم مرة شمر بالنصبة
في حلقه حين " . . . يتذكر عكازه كلما رأى صبيا يركض . . . " (٢) لذا فانه
نظر الى بائع (المماليق) بضراء وتوسل حين سألته :

- أوافق أنت من أنك تستطيع ؟ !

وتفرز على عكازته ، وراح يؤكد ويقسم ، وفعلا استطاع أن يفنى
بالتزامه نحو البائع ، وعاد الى بيته يحمل المكافأة ورغيفين محشوين
بقطع اللحم اللذيذة ، وشعورا ظمرا بأنه أهل للحياة ، وحرى بالاحترام ،
وحين دخل بيته وهو يردد " سأتمشى الليلة ، سأتمشى الليلة " .
نسى أن له عكازين ، كل ما كان يحسه ، أنه أصبح ظملا ، وأن لحياته
" . . . طعما لا يخلو من حلاوة . . . "

(١) الظل الكبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

وفى عام ١٩٦٠ ، خرجت الى النور المجموعة القصصية الثالثة لسيرة
تحمل عنوان " وقصص اخرى " وتضم سبع عشرة قصة ، يمكن اعتبارها تنمة^(١)
لقصص المجموعة الثانية سواء في موضوعاتها التي استقتها القاصة من الواقع
المحيط بها والذكريات المخزونة لديها من أيام الطفولة ، أو في أسلوب
السرد والحوار المحكمين والبناء الفنى المتقن ، وتبرز براعة الكاتبة فى
رسم عالم الأحاسيس الداخلية لدى المرأة ، وفى التقاط أبسط موجات مشاعرها
المضطربة ، حين تجسد مأساة زوجة تعيش لحظات انتظار للزوج الذى يسرح
خارج القفص الزوجى كما يشاء ، ومع من يشاء ، فهذلة قصة " الثمن " ،^(٢)
زوجة لرجل يقضى جل وقته خارج البيت مستترا وراء مشاغل العمل
وضروراته ، أعذار تتضمن الايحاء بأن الرجل لا يعمل لنفسه فقط وانما
للاسرة ككل ، وهذا يعطيه حقا فى الحوية يعطو على كل نقاش ، وفى
احدى المرات تنتظر الزوجة عودته الى البيت ، وتمضى ساعات على الموعد
الذى حدده ليصطحبها الى سهرة وعدها بها . . . ولكنه لم يأت . .
وتخلع ثياب السهرة ، وتندس فى السرير تنتظر للمرة الألف عودة الزوج
المخدر بالشراب . . . منذ ست سنوات وهى تنتظر ذلك الغريب الذى
يشاركها الفراش بعد أن ينام الأولاد ، ويترك البيت فى الصباح قبل أن
يستيقظوا . . ، وأخيرا يحضر ، وتشد الفطاء فوق رأسها . . تتظاهر
بأنها نائمة . . الشراب يضح فى عروقه . . ويسحب الفطاء . . يداعبها . .
وتقطر عيناها بالدموع فلا يابه ، ويحاول استرضاءها بالكلمات المعهودة ،
فلا تتأثر . . وأخيرا تلحظه يدس يده فى جيب سترته يخرج الثمن .

(١) صدرت المجموعة عن : دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٠ (وقصص اخرى) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

”... نعمت ، ما هو ثمن المعطف الذى قلت أنه أعجبك .. كم ...
الا تجيبين .. مثان .. ثلاثة ، أربعة ، تريدان المزيد .. مخذى ، مخذى“^(١)
ثم يأخذها بينما كان ”... الاشمزاز يزحف على روحها فيمسح الحرارة
والضيق والانفعال ، والحياة ، وكل شيء“...^(٢) وتتأثر الأوراق المالية
فوق جسد خامد مخنوق الانسانية مشتري بثمن .

وتبدو حكمة الكاتبة ودرايتها فى الفن القصصى فى قصة ” خبز
العداء“^(٣) التى عرضت فيها لكفاح أبناء فلسطين ونضالهم ضد قوى
الشر والظلم ، وقد اعتمدت الكاتبة فى تسلسل الحوادث على الواقع
الذى عاشته هى ورفيقات لها فى آخر أيام النضال قبل سقوط مدينة
عكا وحيثما فى أيدي الاعداء ، وكانت قد شاركت مع سيدات عكا ،
فى حياكة القمصان الصوفية لاهدائها الى أفراد (الحرس الوطنى) ،
تلتقى بطلة القصة (سعاد) صدقة بحارس المستشفى الليلي الذى كان من
نصيه القميص الذى حاكته ووضعت فى جيبه قصاصة ورق مكتوب فيها ” أرجو
أن يكون من نصيب بطل “ ويتكرر لقاءهما فى (طابور التدريب) وفى
أوقات الراحة القليلة ، وينمو الحب بينهما ، ويتعرف جيبها (ابراهيم)
على شيئين : الحب والحرب ، فالحب فى نظره يعطى المعنى للحرب ،
والحرب حق حياة للأرض التى يحب والفتاة التى يحب ، ومع اطلاله كل
صباح كان يستقبل خيالها ، جنبها الى جنب مع انباء الممارك فى
سحف الصباح .. (معركة القسطل) ، هجسوم قومه من (مثلث الرعب)

(١) وقصص اخرى ، مرجع سابق ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

على (مستمرات الأعداء) ، غارات واخوانه على (المصفحات اليهودية) بطولات قومه في (سلامة) وفي كل مكان * ووقعت كارثة حيفا وخروج اللاجئين يتلمسون طريقهم الى الميناء ، وأخذ الأعداء يمحطون الطرقات والشعاب بالرصاص ، أما (سعاد) فقد رفضت الخروج مع أهلها ، وقى هو ليوىدى ما وكل اليه من جمع الذخيرة من القرى نهارا ، والحراسة مع رفاقه ليلا ، وعرفت (سعاد) طريقهم ، وصارت تعد لهم كل يوم صبرة ملأى بالخبز والسجائر والحلوى ، ولكن رصاص الأعداء كان لها بالمرصاد ، فثقتب صدرها فمسي احدى المرات ، ولكنها تتحامل على نفسها وتسلم المقاتلين الصرة مجهولة بالدماء . . . وتموت ، ويبقى المقاتلون محاصرين ، وعلى رأسهم (ابراهيم) . وتروعهم فكرة أكل الخبز المقدس بدماء (سعاد) . . . ويمس الجوع في قهبرهم حتى يصيهم الاعياء ، ويصبح الجوع وانعطش أخطر الأعداء ، عندها يتدخل (ابراهيم) لينقذ الموقف ، فيفك الصرة ، ويحكي للرفاق قصة عتيقة تعرفها الأرض الفلسطينية ، قصة انتداء الحياة بالجسد والدم ، ويحمل الخبز بكل الجو المشاعرى الذى يقدم به (كاهن) كنيسة شرقية خبز المسيح ، ويقول لهم : كلوا ، هذا هو جسدى ، هذا هو دمي فأشربوا (١) ، وهكذا يستقر شيء من (سعاد) في الاحشاء ، وتصبح لديهم . . . الموت والبحث . . . ويكون الخبز ، خبز الفداء (٢) .

(١) وقصص اخرى . . . مرجع سابق ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١ .

وفى عام ١٩٦٣ ، أصدرت سيرة عزام مجموعة قصصية رابعة تحسنت
هوان "الساعة والانسان" (١) ، وتتضمن أربع عشرة قصة ، ذات اتجاه واقعي ،
ومضامين انسانية واجتماعية ، وتتميز هذه القصص بحكمها المتقنة ، وأحداثها
الدرامية ، ومواقفها الساخرة ، ونهاياتها المأساوية البائسة (٢) . وكانت بضع
السنوات التي تلت اصدار سيرة لمجموعتها القصصية الثالثة ، كقائمة بأن
تحمل لها مزيدا من التجارب والأحداث ، بجانب حياة ثقافية خصبة كان
لها أثر في تطور فنها القصصى وخاصة أنها عكفت على دراسة اسس
هذا الفن وترجمت كثيرا من الكتب الغربية (٣) .

ويظهر تعاطف الكاتبة في قصص مجموعتها الرابعة مع أبطالها من
الفلسطينيين ، فهي عرفت حياتهم عن قرب وزارتهم في المخيمات والمدارس
ومسكرات التدريب ، حتى صارت تأخذ على الكتاب والشعراء العرب الذين
يتحدثون عن اللاجئين ، وعدم زيارتهم للمخيمات ، ومعرفة كيف يعيش
الفلسطينى اللاجئ ، وتطالب الأديب أن ينظر الى القضية الفلسطينية
كقضية معايشة يومية ، فتجاهه " . . . يجب أن يستم أبدا على نطاق
الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب - وان قدمت في نظرها
على غيرها من المشكلات - وانما بجميع قضايا التحرر في العالم . . . " (٤)

(١) صدرت المجموعة عن : المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٣ . «الأمم والنساء»

(٢) نالت الكاتبة على مجموعتها القصصية هذه ، جائزة أصدقاء الكتاب
لل قصة القصيرة ، ١٩٦٣ .

(٣) من هذه الكتب : جناح النساء ، وريح الشرق والغرب للكاتبة الأمريكية
بيول باك . وكتاب امريكى فى اوربا لدود زورث ، والقصة القصيرة
لرأى وست ، وحين فقدنا الرضى لجون شتاينيك .

(٤) مجلة الاداب : العدد الخامس السنة الثالثة عشر ايار (مايو) ١٩٦٥ .

فى قصة " لأنه يحجمهم " وهى القصة الأولى فى مجموعة " الساعة
والانسان " تعرض سيرة صورة مجسمة لحياة الذل والهوان التى عاشها
اللسطينى فى أول الهجرة وما ترتب على مصيبتها من فوائد لدى الانتهازيين
من أهل بعض البلاد العربية المضيفة له ، ممن تعاملوا بتروير بطاقات
الجنسية وابتزاز أموال الفلسطينيين الكادحين ، وتدور أحداث القصة حول
حادث اختلاس فى " مركز توزيع وكالة غوث اللاجئين " يمدان فيه (وصفى) ،
ويجلب صديقه وزميله للمثول أمام المحقق ، ولكنه لا يستطيع أن يدل على
بأية معلومات عن صديقه (وصفى) بالرغم من طمه بها " . . . نصدقتهم
صداقة رصاص ودم . . . جوع وتشرد . . . انه ليس ندلا وليس لصا . . . " ويجيء
التعليق القاسى على لسان الرجل الأجنبى " . . . فى مثل ظروفكم يا صاحبى
لا يدري المرء فى أية لحظة يمكن أن يصبح لصا . . . " وتكون هذه
المقولة بداية للقصة كلها . . . يمزق الصديق قوائم التوزيع المهددة فوق
مكتبه ، ويقبض بها فى سلة المهملات ، ويمسك قلما وورقة بيضاء ويسطر
عليها ثلاث حكايات ، حكاية (فياض الحاج على) المزارع الطيب الذى كانت
مواسم بلاده خضراء دائما ، ولكن ظروف اللجوء الدليل وأفواه الزوجة
والأطفال الخمسة المطالبة تلبت حياته ، ومضطر فى نهاية الأمر الى قتل
زوجته ، ليفدو بعدها مجرما ويقضى خمسة عشر عاما بالاشغال الشاقة .
وحكاية أخت الشهيد (أحمد) مدرسهم فى الحرس الوطني ، تصبح بغيضا
بعد موت أمها " . . . ان لم يبق أمامها الا هذا الطريق . . . " وحكاية
(ابى سليم) جاسوس المخيم الوغد الذى يسجل على اللاجئين تحركاتهم

(١) الساعة والانسان ، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦ .

ويقف في طريق بناء مدرسة جديدة في المخيم "٠٠٠" كل هذه صور من آثار النكبة على الفرد الفلسطيني، شوهته وأذلته وهطقت حياته بالخزي والعار^(١) ولم يكن غريبا أن يذهب هذا الصديق فور انتهائه من كتابة هذه الحكايات وقد بيت في نفسه أمرا "٠٠" القضاء على مصدر الذل نفسه - مكتب التوزيع - "٠٠٠" وعندما تلتهم النار أكياس الفول والدقيق وكتل الدهن وأكوام التمر والزيت، يشمر بزهو غريب، فكل الناس سيمصرفون "٠٠٠" كل اللاجئين ٠٠ كل من في الوكالة ٠٠ وسيمصرف المحقق بالذات، أنه شيء أكبر من لص، وأرفع من وغد ٠٠ وأن قومه لن يلحنوه إذا جاعوا، فما حوق قوتهم، وما سلط ناره على غائم اللصوص والفتران إلا لأنه ٠٠ لأنه يحبهم "٠٠" (٢)

وتفضح الكاتبة القيم البرجوازية التي تكاد تستغرق قطاعا كبيرا من المجتمعات العربية، وتكشف الزيف الذي تعيشه فئة من الناس غارقة في الانحلال والفساد، وتحقق مقارنة فاضحة تظهر مدى اختلال الموازين الاجتماعية وانعدام العدل بين أفراد المجتمع، وذلك في قصتها "أما بعد"^(٣) فهطلت القصة سكرتيرة لمدير مصرف، تتواسط ل (صالح) ساعي المصرف من أجل الحصول على سلفة مقدارها (١٧٥) ليرة لبنانية هي قيمة مرتبه الشهرى، ولكن مدير المصرف يرفض الطلب مبررا رفضه بقوله ل (صالح)

(١) السبحة والانسان ٠٠٠ مرجع سابق ص ٧

(٢) المرجع السابق ٥ ص ٨

(٣) المرجع السابق ٥ ص ٦١

وأمثاله الذين ما انفكوا يطلبون سلفات على رواتبهم "٠٠" عليهم أن يتعلموا كيف يعمشون في حدود مداخيلهم "٠٠٠٠" ويشهد حنق بطله القصة على مدير المصرف ، وتسترجع في ذهنها كيف أن المدير أنفق على شراء هدية تليق بزفاف ابنته مبلغ ثلاثين الف ليرة لبنانية "٠٠" وهو الآن يرفض منح سلفه مصرفية بسيطة لساعي المصرف ، ويشير هذا الموقف لواجح مكبوتة نفس السكرتيرة ، وتأخذ في تحليل كل رقم في حياة المدير "٠٠" (فاتورة) عشائه في إحدى الفنادق تعادل مرتبها السنوي "٠" (فاتورة) قمصانه ، تطعم عائلة بكاملها مدة شهرين "٠٠" وأسلوب قادر على إبراز المفارقات ، تصف الكاتبة شعور السكرتيرة حين تقول على لسانها : "٠٠٠" فالمديـر يتقيأ بعد دعوة عشائه ليستطيع أن يلبي دعوة أخرى في الليلة نفسها "٠٠٠" بينما (صالح) لا يستطيع أن يشتري رغيف خبز للأفواه الأربعة نفس بيته "٠٠٠" ، ووسط هذه الحال من الثورة العاطفية تسخط السكرتيرة على (صالح) وتأخذ عليه كيف "٠٠٠" ينجب أربعة لهم أفواه تأكل "٠٠٠" ، ويجرها هذا السخط إلى أن تسجده على الفئة الفقيرة كلها والتي تنتمي هي نفسها إليها ، هذه الفئة المأجزة عن مواجهة الواقع ، والقائمة بنصيبها المهزوم ، المفروس في أعماقها الكبت واليأس .

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه القصة بالاضافة إلى أسلوبها المعبر ونائها المحكم ، ذلك التعاطف القائم بين أفراد الطبقة الواحدة التي تحس بالقهر والمهزومة ، أمام الفرض المواتية لغيرهم في حين أنهم محرومون من أبسط حقوق الانسان .

(١) الساعة والانسان ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

بعد موت الكاتبة ، أصدر لها مجموعة قصصية خامسة اطلق عليها
اسم " العيد من النافذة الخريبة " ، وتضم احدى عشرة قصة كانت كتبها
قبل وفاتها ونشرت بعضها في الصحف والمجلات العربية ، وتتناول قصص
هذه المجموعة مشكلات العمل والعمال ، وفكرة الموت ، والعلاقات الزوجية ،
وفي اعتقادنا أن قصة " اقتنموا ولكن " ، ^(٢) تمتد من أجود ما كتبه القاص
عن موضوع العمل ، ففيها تظهر قدرة الكاتبة على كشف الأوضاع الاجتماعية
المريضة المنقرضة الى الأثران والعدل والتي تسمح شخصية الانسان وتهزمه
وتزري بقيمه ، وتدفعه دفعا للتخلي عن مبادئ الأمانة والأستقامة ، بطل
القصة كهل بلغ من العمر خمسين عاما ، عمل حارسا لثلاثة منازل ، مدة
طويلة ، ثم يقرر أصحاب هذه المنازل الاستغناء عن خدماته ، بعد أن شق
شارع جديد أمام منازلهم ، وانير بالكهرباء ، ويضطر هذا الحارس أن يسرق
بعض موجودات أحد المنازل ، لا لينتفع بالمسروقات ، ولا لأن السرقة طبع
في نفسه ، ولكن ليقنع أصحاب المنازل بأنهم ما زالوا بحاجة اليه ، ورغم
ذلك بقي أصحاب المنازل الثلاثة عند قرارهم القاضي بالاستغناء عن
خدمات الحارس الكهل ، واستبدال حارس شاب به ، ومعنى بطل القصة
الظلم الذي أوقعه عليه أصحاب المنازل البرجوازيون ، فهم بعد أن استهلكوه
عملا ، ضاقوا بأجره الزهيد الذي يتقاسمه ثلاثتهم ، ويميش المجوز معاناة
شاقة ، وتصطرع في داخله مشاعر شتى ، ويحاول أن يبرر لنفسه القلة التي
أقدم عليها ، ويتذكر أيامه الطويلة التي قضاها في خدمة هؤلاء النفر

(١) صدرت عن : دار العودة - بيروت ١٩٧١ (العيد من النافذة الخريبة)

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

"... لقد رضى أن يبيعهم عينيه المفتوحتين لقاء القليل..."^(١) ، وهو الذى "... لم يكسل ليلة واحدة حتى فى الليالى التى تجمد فيها يدها حتى تغدوان حديدتين كما سورة بندقية..."^(٢) ماذا يفصل وهو الان فى الخمسين من عمره ؟ "... وفى الخمسين لابد له أن يتمشى عشاء ساخنا ولو مرتين فى الاسبوع..."^(٣) وتنبئ الكاتبة قصتها دون أن تنصير لبطلمها الكهل .. وترك السؤال معلقا يلح على ايجاد جواب شاف له: ماذا سيؤول اليه حال الحارس الكهل ، بعد أن استغنى عن خدماته؟ ومد أن القى فى الشارع بدون حماية ، وبدون دخل ثابت يوفر له لقمة عيش كريهة ؟ ! ... سؤال لابد أن ينهض المجتمع بكامله للإجابة عنه ..

هكذا احتظت سميرة عزام - وخاصة فى مرحلتها الأخيرة - بالشكل العام لقصصها ، وبالتفصيل المحكم فى بنائها ، وبالإيجاز غير المخل الذى يقود نحو الهدف ، ويفصح المغزى ببساطة وسهولة ، ويتنامى الحدث فى قصصها وفق أسس منطقية سليمة لا تسير بطريقة عشوائية ، وأبطالها جميعهم مأزومون نتيجة لتناقضات الحياة ، ولاضطراب الواقع من حولهم ، وعدم اتساق النظم الاجتماعية والاقتصادية ، ولقد غلب على إنتاجها الأخير الاتجاه الواقعى البعيد عن الرمزية والاستفراق فى الخيال ، ولم تخرج عن نطاق مجتمعيها العربى بكل ما فيه من آفات وأمراض ، فكانت أشبه بـ "... تسافر بحثا عن مشكلة تهدو صغيرة ، فتصلها بالهمم الاجتماعية الكبير..."^(٤) ، فهى تنظر حولها وتلتقط الموضوع ، ولا تستمد

(١) الميسد من النافذة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤) غيف فراج : الحرية فى أدب المرأة ، دار الفارابى ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٣١ .

قط " ٠٠٠ " موضوع من وحى القصص الأوروبية أو من مجرد خاطرة نظرية
عابرة تمر بذهنها " ٠٠٠ " (١) فلا غرو بعد ذلك ، أن تكون سيرة عزام
سفيرة صادقة للقصة الفلسطينية وتطورها في هذه المرحلة ، وأن تعد في (٢)
نظر كثير من النقاد العرب " ٠٠٠ " أفضل كاتبات القصة في أدبنا العربي
المحاصر " ٠٠٠ " (٣)

في فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ ، خضع المجتمع العربي
الفلسطيني لحصار سياسي واجتماعي وثقافي يندر وجود مثيل له في
العالم ، وكانت البلاد قد خلت من أي محور ثقافي عربي ، يمكن أن
يشكل نواة لنوع جديد من البحث الأدبي ، بعد أن رحل عنها جيل
كامل من المثقفين ، أو بصورة أدق أجيال من المثقفين ، التي المناقش
العربية ، وبعد أن انقلبت المدن الفلسطينية الى أماكن عدوة محرومة ،

(١) مجلة الآداب : العدد الثاني عشر ، السنة السابعة كانون الأول ،
(ديسمبر) ١٩٥٩ .

(٢) نشرت بعض القصص في السنوات التي سبقت عام ١٩٦٧ ، بتوقيف
أسماء لم ترد في مجال القصة الا مرة واحدة أو مرتين على الأكثر
ما يتمذر معها الافتاء بأحكام فيها أو الادلاء بأراء واضحة حول
قدرات صاحباتها ودرجة مواهبهن ، ومن هذه الأسماء :

ص يتيم : كتبت قصة ليلة غريب ونشرتها في مجلة الافق الجديد
العدد الرابع ١٩٦١ ص ٢٣ .

وسهام سعيد : كتبت قصة المرضعة ونشرتها في مجلة الافق الجديد
العدد الرابع ١٩٦٤ ص ٢٣ .

وسناء عبدالملك : ولهما قصتان نشرتا أيضا في مجلة الافق الجديد
وان كنا نشك بأن هذا الاسم مستعار وغير حقيقي .

(٣) مجلة الآداب : العدد الاول ، السنة السادسة عشرة ، كانون الثاني
(يناير) ١٩٦٨ .

وانتصب جدار من المقاطعة الثقافية القسرية مع الأدب العربي وتياراته الحديثة ، بجانب ما فرضه الحكم العسكري الاغتصابي من انتاج أدبي له اتجاهات سلبية مهزومة للحيلولة دون نشوء جيل عربي مثقف يكون نواة لانفتاح أوسع^{على} الآفاق الفنية المعاصرة .

ونحنى الرغم من ذلك كله ، استطاعت أقلام واحدة شابة ، أن تخسرت هذا الحصار الخفيث وأن تمبر عن مشاعر الشعب المثلوب على أمره ، وأن تفضح في سخرية جارحة حتى المعظم اجراءات طمس الثقافة العربية وأن تحافظ في نهاية الأمر على الحلقة التي حاول العدو قطعها من سلسلة الأدب الفلسطيني المقاوم على مدار نصف قرن من الزمان .

ولم تنته محاولات العدو المستمرة لجر المثقفين العرب الى داخل الدائرة الصهيونية ، ولا يهيم بعد ذلك أن ينتسب المثقف العربي الى المعارضين من الصهاينة أو الى الموالين ، وما دام يصدر عن قاعدة غير عربية ، وليس من قبيل الصدقة أو حسن النية أن تسمح سلطات العدو لبعض الصحف أن تصدر بالعربية (١) ، وأن تشجع اليهود القادمين من البلاد العربية على انتاجهم بالعربية زيادة في التشويش (٢) . وكان حزب (الابام) المعارض - وهو حزب يهيمه أن يضمن الأصوات العربية في الانتخابات بأية وسيلة - أنشأ شركة لنشر الكتب العربية الصادرة في البلاد العربية ، معتمدا في ذلك على فهم القارئ العربي المعزول من ناحية وعلى رغبة في طبع كتب ذات لون معين لا تعكس روحا وطنية تقدمية ،

(١) في هذه المدة صدرت ست عشرة صحيفة باللغة العربية ، واحدة منها يومية وهي للحكومة ، وثمان اسبوعية ، وسبع شهرية . كلها على الاطلاق تتبع الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية وتعتبر عن وجهة نظر موالية أو معارضة . ينظر :

- غسان كنفاني : أدب المقاومة في فلسطين المحتلة - منشورات دار الآداب ،

بيروت (د ٠ ت) ص ٢٠ .

(٢) كانت أول رواية طبعت في اسرائيل هي رواية ابراهيم موسى ابراهيم اليهودي

العراقي : المرجع السابق ص ٢٠ .

وظهرت في أواخر الخمسينيات بعض الكتب الفرامية الرخيصة ، كتبت بأقلام كتاب مغمورين غير موهوبين من حيث الاسلوب ، وغير جادين من حيث الأفكار ، كما صدرت خمس روايات عربية لا داعي للحكم هنا على أكثرها ، مادامت قد حصلت قبل صدورها على اذن الرقيب الصهيونى . (١)

وقيت مسألة نشر الانتاج الأدبى المقام على اختلاف أشكاله محدودة ، وخاضعة لشروط لا تحتل ، بالرغم من كل المحاولات التى لجأ اليها الأدباء والشعراء ، ويات من الضرورى أن يحدد هؤلاء طريقا واضحا لا تحايل فيها ولا اخفاء ، ووجدوا في جريدة (الاتحاد) ، فرصة ذهبية ينشرون على صفحاتها بحد أقصى من الشجاعة انتاجهم الأدبى ، برغم المسف والسجن والنفى الذى كانوا يواجهونه .

وحين حلت (هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧) كان عدد ممن الشعراء والادباء في الأرض المحتلة يقفزون بجدارة الى مستوى يؤهلهم أن يكونوا حداة لمسيرة المقاومة والتحدى ، بمد أن ارتفعوا بانتاجهم فوق مستوى النواح والبكاء والتشكى والعميل واعتلوا مواقع الهجوم الذى يشر بيوم النصر ، ومن الطبيعى أن يكون للقصة في هذا الانتاج دور واضح قادر على نقل تيار المقاومة بشجاعة وكفاءة ، حتى لكأن الكتاب أرادوا لها أن تضطلع بمثل الدور العظيم الذى أضطلع به الشعراء وهذا ما سنعرض له بشئ من التفصيل في سياق الفصل التالى .

-
- (١) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ، مرجع سابق ص ٢٥ .
 - (٢) جريدة يصدرها الحزب الشيوعى العربى في اسرائيل .

فى بضع السنوات التى سبقت (هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧) ، شهدت الساح العربية ، حركة ثقافية واسعة ، وانتاجا قصصيا حمل فى أحشائه بذورا جديدة ، وتجارب طليعية غامرت فى شكل القصة ومضمونها ، وقلبت المنطق القديم القائم عليه ، ولقد ساعد على ذلك تنبع المجتمعات العربية للحركات الفكرية فى العالم ، واستيعابها النظريات الجديدة والمدارس الفنية الحديثة ، الاضافى الى الانتشار الواسع لمجلات أدبية عربية عملاقة ، كالآداب ، والمعارف ، والأديب ، والمعركة ، والكاتب ، والطلیمة ، والفكر المعاصر ، والافق الجديد وغيرها .

ولم يسبق لأحد من النقاد أو الدارسين أن أعطانا دراسة شاملة عن القصة الفلسطينية واتجاهاتها فى هذه المرحلة ، اللهم الا ما جاء عرضا فى الصحف والمجلات ، وتناول أعمالا جزئية ظهرت هنا وهناك ، ولعل سبب ذلك أن كثيرا من الأعمال القصصية التى كتبها أدباء فلسطينيون اضطرتهم ظروف الشتات الى الانتقال بين اقطار عربية مختلفة (١) جعلت النقاد والدارسين يترددون فى اعتبار انتاجهم جزءا من الانتاج المحلى لأى قطر عربى أو انتاجا أدبيا فلسطينيا له هويته الخاصة ومقوماته المميزة ، ومع ذلك فان الباحث يستطيع - بشئ من الاحتراس والحذر - أن يصل الى شبه استقرار لتطور القصة الفلسطينية واتجاهاتها الفنية ، مستلهما بعض النتائج الذى وضعه عدد من الكتاب الفلسطينيين على اختلاف مستوياتهم وأماكن عيشهم .

(١) أمثال جبرا ابراهيم جبرا الذى تنقل بين الاردن والعراق ، وغانم كنفانى الذى تنقل بين سوريا والكويت ولبنان ويوسف الخطيب ما بين سوريا والكويت وسوريا ثانية ، ونواف ابو الهيجا ما بين العراق وسوريا والكويت ويوسف جاد الحق ما بين مصر وسوريا وكذلك سميرة عزام ما بين الاردن والعراق ولبنان وغيرهم .

لقد سبق قولنا بأن ضعف تمثيل التجربة التي خاضها بعض الكتاب الفلسطينيين في الخمسينيات كان واضحا في كثير ما كتبه ، ولم تفسر آنية استجاباتهم للواقع من حولهم آنذاك أكثر من نزوات أدبية افتقرت الى الرؤية الصحيحة والمعاناة الحقة ، وكانت سطحية فهم الجوانب السياسية والاجتماعية تفضح نفسها في ثنايا انتاجهم ، ولم يلبث مطلع الستينيات أن تمخض عن أعمال قصصية أعطت مؤشرات تدل على الامتلاك أصحابها لمقومات هذا الفن ، وظهر كتاب ناشئون ^(١) ، حاولوا الارتباط بواقع الحياة من حولهم ، وتمكنوا من الوقوف على حركة المجتمع وتناقضاته ، ورؤية المفاصل الحقيقية المتجذرة في البنيان الاجتماعي بكل ما فيه من عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ، واستطاع هؤلاء الكتاب أن يأخذوا بأسباب التجديد في القصة بما يتواءم والتطور الذي أصاب هذا الفن عربيا وعالميا ، وصرنا نلمح الاتجاه الواقعي في قصص نفر منهم ، بعد أن أوجدوا لانفسهم صوتا خاصا حاولوا فيه المحافظة على التوازن بين همهم الفردي وهم الجماعة ، وصوروا هموم الانسان الفلسطيني ومعاناته ، ووصفوا القرية الفلسطينية وما تعانيه من تخلف واستلاب اجتماعي ، وتناولوا الطبقة ، وضياح العدل الاجتماعي ، والقر ، وقندان الحرية .

(١) من أمثال : محمود شقير ، أمين شنار ، خليل السواحري ، بدر عبد الحق ، صبحي شحوروي وغيرهم .

(٢) من أمثال : سميرة عزام ، محمود شقير ، يحيى خلف .

أما الاتجاه الرومانسي فقد تمثل في إنتاج عدد آخر من الكتاب ^(١) ،
من اختلقت لديهم التساوولات العقلية بالمواقف العاطفية ، فكتبوا عن
المأساة الفلسطينية ، ووصفوا جوانب البطولة في كفاح الشعب الفلسطيني
وسميه لتحرير الوطن واسترجاعه ، وكان ثمة اتجاه رمزي يمكن تعديده
ملاحظه في إنتاج فئة ثالثة من الكتاب ^(٢) جمعتهم سمات مشتركة كالسرد
الشعري واستبدال الواقع بالرمز ، وقد صور هؤلاء التغييرات التي طرأت
على المجتمع ، والتحولات التي أصابت عقول الناس ، وقلبت عدهم العاطفة
الى نقمة على مسببي النكبة ، وهناك من يرى اتجاهها رابعا فسي
القصة الفلسطينية ^(٣) يمكن أن يطلق عليه تجاوزا اسم الاتجاه المثالي ^(٤) ، وقد
تمحورت قصص هذا الاتجاه حول القضية الفلسطينية ، واعتمدتها أساسا
للبناء القصصي ، ففقدت الأحداث والشخوص مجرد أدوات تدور حول
هذه القضية .

-
- (١) من أمثال : نمر سرحان ، محمد شلباية ، صبحي شحوروي ، ماجد
أبو شرار .
(٢) من أمثال : خليل السواحري ، بدر عبدالحق ، مجلة أفكاره
المددات السادسة والثلاثون والسابع والثلاثون - أيلول (سبتمبر)
١٩٧٧ ، ص ١١٢ .
(٤) من أمثال : أمين شنار ، فايز محمود .

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة ١٩٦٧ - ١٩٧٤

تضافرت عوامل عدة ، جعلت من القصة القصيرة ، الفن المرشح أكثر من غيره ليكون لسان حال المرحلة الثانية ، فشكلها المختصر ، الممبهر ، ساعد على ارضاء الكتاب ، وخاصة بعض الشباب الظالمين الى الشهرة السريعة ، في مدة قصيرة لا تتيح المجال عادة لاقتان الأنواع القصصية الطويلة ، ولم تكن الاختيارات الأدبية التي كان في مقدور المرحلة - من خلال درجة التطور التي وصلتها - أن تمارسها ، ولم يكن من السهل نشأة فن روائي طويل النفس بطيء التأثير يحتاج الى خلق أساس للتقبل الفكري والنفسى سواء لدى الكاتب أو القارئ ، ثم ان الصحافة كانت وسيلة النشر الأولى للانتاج الأدبي ، ولم يكن متاحا للرواية السنتي تتطلب حجما وتكاليف مادية أن تشر بهذه الصورة المتاحة للقصة القصيرة ، لذلك لا تكاد عين المتبع لهذه المرحلة ، تقع على أعمال قصصية طويلة لكتاب فلسطينيين ، بلغت مستوى فنيا رفيعا . (١)

وحاولت القصة القصيرة ، ولا سيما في نهاية المرحلة الثانية ، أن تعبر عن كثير من التطلعات السياسية ، ووجهات النظر الاجتماعية ، وكان عدد من الكتاب الفلسطينيين قد حدوا من انسياقهم وراء الماطفة ، وقاموا بعملية استهجان للواقع من حولهم ، وكشفوا أساليب الخداع والتضليل التي كان بعض الحكام العرب يطلقونها بغية صوغ الرأي العام المرسي

(١) يستثنى من ذلك بعض أعمال الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني ، وخاصة روايته "رجال في الشمس" التي اعتبرها كثير من النقاد العرب أجود ما كتبه الأعلام عن فلسطين . يقول يوسف اليوسف عن ذلك " ٠٠٠ أول كاتب عربي استطاع أن ينقل الكارثة الفلسطينية الى حيز الرواية التي تتحقق لها كامل الشروط الفنية . وأول من قدم فيها تطبيقا عميقا للتراجيديا . ينظر .

عن معرفة حقيقة (النكبة) وسبباتها والذبول التي خلفتها ، واستطاع هؤلاء الكتاب أن يقطعوا شوطا في تطوير احساسهم وتمحيق وعيهم فيما يبدو حولهم ، ولكنهم لم يتمكنوا في نهاية الأمر ، من تجاوز التعميمات السياسية للمرحلة ، بحيث لا يستطيع أحد أن ينسب اليهم من عناصر الوعي السياسي ما يتفردون به عن غيرهم من الكتاب والشعراء .

ومحمد حزيان (يونيو) ١٩٦٧ ، انصب اهتمام القصة - كغيرها من الأشكال الأدبية الأخرى - على التعبير عن (المهزمية) ، وعن ردود الفعل ازاءها ، واذا كان رد الفعل الشعبي للجماهير العربية جاء حينها تلقائيا وغويا ، فقد كان منتظرا من الكتاب أن يشاركوا في منع (المهزمية) أبعادها الفكرية والسياسية والعسكرية الحقيقية ، ومنع مرور سحابة الانفعال الأولى ، وازدياد وعي الانسان العربي عموما ، ومع تصاعد أعمال الفداء الفلسطيني الى مستوى نوعي أكثر تطورا ، ظهرت في تضاعف الأعمال القصصية المختلفة استجابات أكثر هدوءا ، وأقل انفعالا ، وتمكن عدد من الكتاب الفلسطينيين أن يواجهوا - بقلب المشارك وعقله ، لا بانفعال المشاهد - تحديات جديدة ، وأن يوجدوا انحطاطا في شكل القصة ومضمونها على نحو لم تعرفه القصة الفلسطينية من قبل .

والمتبوع لهذه الحقبة الزمنية يقع على أعمال قصصية متعددة الانواع ، مثل القصة القصيرة والقصة الطويلة (Long short story) والرواية ، كتبتها قاصات فلسطينيات ناشئات ، سيطر المهاجس الفلسطيني

(١) من أمثال : غسان كنفاني ، اميل جبيبي ، نواف أبو الهيجا ، محمود الرمازي ، يحيى يخلف ، علي زين العابدين الحسيني ، رشاد أبو شاور وغيرهم . . .

بالحاج على وجدانهم ، ودمغ بعضا من انتاجهم الفني بعلامات مميزة ،
بصرف النظر عن تعدد أماكن اقامتهم ، وعن الاختلاف فيما بينهم فسي
الأمزجة الشخصية والقدرات الفنية .

لا فسي عام ١٩٧٢ ، كتبت لسوى البنا ، قصة طويلة " عروس خلف النهر " (٢)
استلهمت أحداثها من ممارسة حية عاشتها أيام كان الفدائيون الفلسطينيون
في الاردن قبل شهر أيلول " سبتمبر " ١٩٧٠ ، ويسود أن الظروف العامة ،
وتراكم الأحداث المتلاحقة التي شهدها الفدائيون في الاردن فسي هذه الحقبة
بالإضافة إلى نقل المعاناة التي عاشتها الكاتبة نفسها ، هو ما دفع بها
إلى اعتماد هذا النوع القصصي الذي ربما اتسع لما تريد قوله ، أكثر من
القصة القصيرة .

جاءت القصة في (٧٢) صفحة من القطع الصغير ، وفيها تروى
الكاتبة - بطلة القصة - حكايتها مع الفدائي الفلسطيني (ابراهيم) منذ
أن قابلته قبيل معركة الكرامة (٣) حتى موته بطريقة غامضة لم تكشف عنها
أحداث القصة ، وقد استخدمت الكاتبة أسلوب التداخي أو الارتداد إلى
الماضي (flashback) من بداية القصة ، حيث نواجهه

(١) من مواليد مدينة يافا عام ١٩٣٩ ، رحلت مع أهلها إلى مدينة نابلس
أثر (النكبة) وأنهت دراستها الابتدائية هناك . رحلت إلى هسبان
عام ١٩٦٧ ، وحصلت على شهادة التوجيهية ، وممارست العمل فسي
الصحافة ، ونشرت مقالات عدة في صحف الاردن ومجلاته . التحقت بصقوف
القائمة الفلسطينية ، ومازالت .

- مقابلة شخصية مع القاصة في دمشق بتاريخ ١٢/٣/١٩٧٨ .
(٢) صدرت عن دار الاتحاد للطباعة والنشر - بيروت ، أيار (مايو) ١٩٧٢ .
(٣) ينظر ص (١١٩) من هذه الدراسة .

بلا مقدمات ، ذكرياتها المتفجرة غير المنضبطة في سياق منظم ، فتمسرف على الظروف التي جمعت بينها وبين (ابراهيم) في احدى مكاتب الثورة بحمان ، وكيف أحبه منذ اللقاء الأول ، ثم كيف تمت خطبتهما برغم قناعتها بأن " ٠٠٠ " من ترضى بأن تربط حياتها مع مقاتل لا يبد وأن تتوقع فقدته يوم يوم وآخر " ٠٠٠ " (١) ونقف على شدة المماناة التي كانت تعيشها أثناء رحلات (ابراهيم) الكثيرة الى الأرض المحتلة مع رفاق له في السلاح للقيام بعمليات عسكرية ضد الأعداء ، الا أنها كانت تحيا على الأمل ، وتستشرف المستقبل السعيد " ٠٠٠ " أنا أعرف أنني لن أكون زوجة رجل عادي ٠٠٠ لن أتوقع أن يشهد بيتي ابتسامات الاطمئنان ، واذا أردت أن أكون صادقة أكثر مع نفسي ، لم أحلم كثيرا بالبيت والاستقرار ٠٠ كان الزواج من مناضل يعني بداية معركة جديدة من أجل السعادة ٠٠ معركتنا مصا ضد الخوف والقلق والتشرد ، ولكن هناك أمل يداعب قلوبنا ٠٠٠ ربما يأتي يوم ، يوم واحد في العمر ، نستطيع فيه أن نهني لنا بيتا على أرض فلسطين " ٠٠٠ " (٢) ويقع المحذور ويذهب (ابراهيم) خطبها وحببها وفارس أحلامها ، ويخلفها وحدها تصارع الحياة والضيق والألم " ٠٠٠ " أنا بدونك ضعيفة ، يذيني الألم ، لن تجف دموعي أبدا ٠٠ لن تجف ، ولن أكف عن الانتظار يوما ، لن تمل عيناى البحث عنك ، آه يا قلبي ، آه يا أملتي " (٣) ويمعن القدر في قسوته ، ويسدل الستار على فصول المواجهة البشعة ضد الفدائيين الفلسطينيين والتي انتهت بخروجهم من الاردن ، ويلف الناس

(١) عروس خلف النهر ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

سحابة سوداء بعد أن خلت الأرض من زئودير المقاتلين " . . . مظلمة عمان . . .
مظلمة الطريق الى الأغوار . . . موحشة تلال الكرامة " . . .^(١)

وحين تنتهي ذكريات الكاتبة ، تهفي القصة مفتوحة النهاية ، فالأحداث
لم تنته ، والثورة مستمرة ، ما دام هناك مقاتلون ، وما دامت هناك فلسطين ،
وما دام هناك عدو غاصب يجثم فوق أرضها .

لم تعتمد الكاتبة في قصتها هذه تسلسلا زمنيا يضبط الحوادث
والأفكار والتأمل والتذكر ، فكانت أشبه بملقطات متقطعة لكبوس مزعج لسم
تحسن الكاتبة ضفوة أو تجميع خيوطه ، ويصل الذهول بالكاتبة حدا يختلط
فيه الخيال بالحقائق " . . . ابراهيم ، هل ذهبت حقا وتركتني وحدي . . .
هل تخليت عني يا ابراهيم ؟ وهذه السرقة ؟ لا أصدق ولن أصدق أبدا ،
حتمًا ستعود من أجل ، من أجل قلبي الذي ينزف بحرقه ، من أجل
دموعي التي لن تجف " . . . ، وهي ترفض أن تصدق بأن خطبتها^(٢)
(ابراهيم) قد مات " . . . أنا واثقة أن ما حدث لم يكن الا حلما ، . . .
ابراهيم لن تتركني وحدي اصارع الحياة اليأس كذلك يا حبيبي . . . أنت
لن تفعل ذلك . . . قل لهم أن غيبك لن تطول ، وأنت حتمًا ستعود " . . .^(٣)
وتظهر التقريرية في ثنايا القصة " . . . المناضل انسان ، انسان له
قلب كالاخرين ، وآمال ومستقبل . . . الفرق بينه وبين الاخرين أنه أكثر
سخاء وعطاء ، لأنه يوجد بأعلى ما يملك من أجل المستقبل . . . من أجل
الفد والانسان . . . الانسان يعمل من أجل الفد أيضا ، يعطى هذا

(١) هروس خاف النهار . . . مرجع سابق ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

الفسد بعض وقته ، بعض فكره ، بعض عرقه ، لكن المناضل يعطى الفسـد نفسه ، وهذا قمة الخطأ^(١) ، وتقع الكاتبة أحيانا في تناقض واضح ، فهي تارة تقول عن خطبها (ابراهيم) بأنه كان طالبا يتلقى علومه في جامعة دمشق حين انضم الى صفوف المقاتلين (ص ٢٢) ، ثم نراها تسأله في مكان آخر من القصة أن يحدثها عن حياته في القاهرة أثناء دراسته فيها (ص ٤٠) ، وتصر الكاتبة أن تكتب (ان شاء الله) بطريقة مغلوطـة (انشاء الله) كما جاء في صفحة (٤٢) و صفحة (٤٧) ، وثمة مأخذ رئيس يسجل على الكاتبة التي يفترض أن تعرض لنا - وهي الفتاة المناضلة - وجهها حقيقيا لحياة المقاتل وتطلعاته وطراز معيشته ، ولكنها اكتفت بتصوير مظاهر وعروض برجوازية لحياتها مع خطبها المقاتل (ابراهيم) فالسهرات الليلية ، والمطاعم الفاخرة ، وأقراط الذهب ، و (الكواخير) و عطر (كاجوشار) و ٠٠ و ٠٠ ما لا يتفق مع الحياة التي يفترض أن يعيشها المقاتل عادة ، كنا نتوقع من الكاتبة سلوى البنا ، أن تستكفي في قصتها التي تتحدث فيها عن الثورة والفدائيين والمقاتلين ، أدق تطلعات المقاتل الفلسطيني وتحدياته من خلال منظور واع ، وصيرة مبدعة وأن تصور الوجه الحقيقي الاخر لحياته وهو يواجه كل ساعة قدره متحديا ، ويستسهل الموت من أجل قضية العادلة .

* وفي طم ١٩٧٤ ، أصدرت سلوى البنا مجموعة قصصية بعنوان " الوجه الاخر " ضمنها سبعا وعشرين قصة قصيرة ، تتناول موضوعات اجتماعية وأخرى سياسية ، وتختتم كما يبدو الى فترات زمنية متفاوتة - باستثناء

(١) عروس خلف النهر ٠٠٠ مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط ١ ١٩٧٤ (الوجه الاخر) .

القصص التي تعرض بشكل أو بآخر الى بعض جوانب الثورة الفلسطينية -
وتدلل هذه القصص في مجملها على انعطاف لدى الكاتبة نحو الواقعية ،
وعلى انطلاقها من الخاص الى العام ، كما توحى بتطور نسبي في
فهمها لادواتها الفنية وتخلصها في بعض الاحيان من أسلوب التبرير
والمباشرة ، ومحاولتها نقل انطباعاتها بالحدث وتفاصيله ، وليس بالوصف
المباشر والاسلوب التبريري على النبرة الذي شهدناه في قصتها الطويلة
" عروس خلف النهر " .

ركزت الكاتبة في معظم قصص المجموعة على قضايا اجتماعية تناولها
الكثيرون من قبل ، كالزيف الاجتماعي ، والتقاليد ، والشعوزة ، والادمان على
الخمر ، والزواج غير المتكافئ ، والشرف ، وغيرها من الموضوعات التي يعجز
القارئ عن نسبتها الى مجتمع معين ، ومن هنا يمكن القول أن البعد
الزمني والمكاني لهذه القصص يكاد يكون مهملا ، وكان من الممكن اغفال
هذا الأمر لو أن الكاتبة ارتقت بموضوعاتها الى مستوى انساني ، أو أنها
تمكنت من عرض حلول منطقية للمشكلات الاجتماعية التي طرحتها ، فمثلا
في قصة " لماذا فعلت هذا " (١) ، نرى البطلة تحاول الانتحار ، بعد
استشهاد خطيبها ، ولكن الطبيب ينقدها في اللحظات الأخيرة " . ثم
ماذا ؟ لا شيء " . وفي قصة " الراعية الصغيرة " (٢) تعلم الراعية الصغيرة
الساندة نفسها الى راع آخر ، ويكون مصيرها السجن ! ، وتبقى مشاعر
القارئ موزعة بين هذه الفتاة " . التي تود لو تفهم ما حدث لها " (٣)

(١) الوجه الآخر ١٠٠ مرجع سابق ص ٧٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٣

والتقاليد ، وغمرة السجن ، دون أن يقف على حل يرتاح إليه ، وتتحدث قصة " الموت لا يحل المشكلة " ^(١) عن زوجة بليث بزوج سكير ، يهددها باستمرار ويعاملها معاملة قاسية غير لائقة ، ويموت هذا الزوج في اللحظة التي كانت زوجه تعد له كأسا من الشاي مسموما ، وفي موقف مؤثر تشل في ذعر الطفلة الصغيرة وصراخها الجنوني ، وكائها على ألبمها المسجى على الأرض بلا حراك ، تدرك الزوجة " . . . لأول مرة . . . أن الموت لا يمكن أن يحل المشكلة " ^(٢)

وأحدى قصص هذه المجموعة لا تعدو الخبر العادي ، كانت الكاتبة تلقته من وسائل الاعلام أو سمعته من الناس ، ثم صاغت على هيئة قصة ، فشلت في تشكيلها فنيا ، ففي قصة " (على) قادر على المطاء " ^(٣) تحدثنا الكاتبة عن طيار سوري ، قفز بالمظلة من طائرته التي أصيبت أثناء الحرب ، وبترت ساقه في المستشفى ، ونشرت الصحف تحقيقات مصورة واسعة عنه ، وكل ما فعلته الكاتبة أنها جعلت من هذا الطيار المشلول بطلا قادرا على المطاء من خلال تقديم خبراته الواسعة في مجال الطيران للاخوين . وتحاول الكاتبة أن تهنئ جسرا بينها وبين القارىء ، وأن تهز وجدانه وتحرك مشاعره عن طريق النهايات التراجيدية التي تختتم فيها كثيرا من قصص المجموعة ، ومع ذلك يبقى التواصل بينهما فقيرا في غالب الأحيان ، وخاصة حين يخون الكاتبة التعبير الفني ، والتحليل السطحي لنفسيات الشخص ، وأحيانا تدخلها المباشر الذي يحول جوانب القصة الى جزء من خطبة أو محاضرة .

(١) الوجه الآخر . . . مرجع سابق ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

وربما كانت قصة "وجه أمي أحمر" (١) ، من أجود قصص المجموعة وأكثرها فنية ، وقد يعود ذلك الى كون الكاتبة ملتزمة باحدى فصائل المقاومة الفلسطينية ، ومتأثرة بالواقع المتسرد ، القلق الذي يعتبر نتيجة طبيعية لحياة الثوار والثورة ، تطرح الكاتبة في هذه القصة قضية (عطية) الشاب ، الذي تمرد في داخله ثورة عارمة على الواقع الذليل الذي يعيشه في المخيم مع أمه ، وينضم (عطية) الى الثورة ، ويدمر في احدى العمليات العسكرية في الأرض المحتلة ناقلة جنود للاعداء ، وحين يعود جريحا الى خيمته ، تحاصره قوات الاحتلال ، ويقام قبل أن يستسلم لهم ، ومد أن تشتعل النيران في الخيام .

في هذه القصة ، نرى (عطية) الشاب - يمثل جيل الثورة - يتمرد على الواقع الذليل والتقاليد البالية ، ويرفض كل أشكال الخنوع ، حتى يصل به الحد الى أن يرفض أمه المجوز - تمثل جيل الاستسلام - وينعتها بالبشاعة حين تتف في طريق آماله وتطلعاته " . . . انها بشعة في استسلامها ، بشعة في الحزن الذي يسكن عينيها ، في خطواتها في صوتها " . . . (٢) ، ويضرب بكل تضرعاتها لكي يبقى بجانبها عوض الحائط ، ويهرول خارجا من الخيمة ، مصفا على أن " . . . يصبح لهذا المخيم لون آخر " . . . (٣)

(١) الوجه الآخر . . . مرجع سابق ، ص ١٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وتتجج الكتابة في تصوير تمرد (عطية) نجاحا كبيرا ، مستخدمة
الجمال القصيرة المتلاحقة كأنها زخات رصاص تخرج من فوهة رشاش ، وتتقل
الينا مشاعره الثائرة بأسلوب رومانسي جذاب ، (فمطية) المصوب المينين
" ٠٠٠ " ينبض قلبه بايقاع حلو يسرى في أوصاله كنسمات دافئة " ٠٠٠ " وهو
" ٠٠٠ " السائر الى حنقة ينفى ويغنى محتفلا بعيد ميلاده الأول " ٠٠٠ " ،
وهو الذي " ٠٠٠ " يتسم من خلف الدم الذي ينساب فوق وجهه من
آثار السياط التي تهوى على وجهه في محاولة لنزع اعترافات " ٠٠٠ " وعلى
الرغم من هذه الظلال الرومانسية التي أسبقها الكتابة على بطل قصتها ،
لم تقع فريسة للاحلام ، ولم تجعل من (عطية) بطلا اسطوريا ، فهو لم
يقم بأكثر من تدمير ناقلة جنود للاعداء ، وذلك أمر كان يحدث يوميا ،
وهو يقع في الأسر ، وذلك أيضا أمر طبيعي يتعرض له المقاتلون عادة .
ويبدو أن الكتابة أسقطت شيئا من داخلها على قصتها هذه
الزاخرة بالحركة ، فتورد الشاب (عطية) على الواقع والتقاليد ، ونجاحه
في تغيير كثير من الأشياء من حوله ، قد يكون رمزا الى نجاح الكتابة
نفسها في الانعتاق من واقعها الاجتماعي وقيوده المكبلة لبنات جفنها .

(١) الوجه الآخر ٠٠٠ ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

* وفي عام ١٩٧٢ ، أصدرت سلمى اللحام ^(١) ، أول مجموعة قصصية لها بعنوان " أعواد الثقاب " ^(٢) ، ضمنها اثنتى عشرة قصة قصيرة ، تناولت جميعها - باستثناء واحدة - قضايا المرأة وحرمتها وحقوقها وأفكارها ، وقد اعتمدت الكاتبة الرومانسية الواقعية فى تصوير الشخصيات السابقة قدمتها من خلال قصصها ، وفى وصف أخلاقها وعرض قيمها وأفكارها والاطراف الاجتماعية التى تتعامل معها .

فى قصة " لكن .. بين قلبين " ^(٣) ، تحدثنا الكاتبة عن امرأة تلتقى صديقة برجل ، فى أحد الأيام الماطرة ، ويندخان معا أحسب المقاهى ، ويتكشفا من خلال التداعى (Flash Back) أن بين الاثنين علاقة عاطفية سابقة " .. وجد نفسه وكأنه يتلع الشوك ، أو أن جرة ملتهبة القيت فى حلقه .. لقد أحس فجأة بأنه يحبها ، ويحبها بعنف ، كيف ؟ متى ؟ أنه لا يذكر " ^(٤) ، والكاتبة هنا تهمل تفصيلات علاقتهما السابقة ، وتكتفى بتصوير المواطن الجياشة التى اعترتهما أثناء هذا اللقاء بأسلوب مفرق فى الرومانسية ، " .. يا حبيبى لئن غيبك دريك المخالف لدرسى ، فلن تغيب عن قلبى ، أحبك ، أحبك ، برغم

(١) من مواليد مدينة حيفا عام ١٩٤٢ ، أنهت دراستها الابتدائية والثانوية فى مدارس مدينة دمشق ، كتبت القصة القصيرة ، والبقالات السياسية ، ونشرت بها فى صحف سوريا ومجالاتها . صدر لها مجموعة قصصية .

— رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ١/٨/١٩٧٨ .

(٢) صدرت عن مطبعة بركات ، دمشق ، ١٩٧١ (أعواد الثقاب) .

(٣) أعواد الثقاب .. مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

أن مئة جيل وجيل يقف بين قلوبنا ، احبك ، برغم ألف بحر و بحر يقف
دون جنا ، واشمر أنك قريب قرب العبير من الزهرة ، قرب الضياء من
النجمة ، قرب المياه من النعمة^(١) ويبدو أن الكاتبة أحست
بالظلال الرومانسية تنلف أجواء القصة ، فحاولت تزيين ذلك ، بحبسات
تسجيلية أوردتها على لسان بطل القصة " أحبتك دون أمل ، ولو
أن أحدا حدثني بمثل هذا الحب لضحكت منه ، ولو أن هذا الحب
وقع في الماضي السحيق حيث كانت الرومانسية والروحانية هما المسيطرتان
لوجدت من يعذرنى^(٢) في هذه القصة لا يوجد حدث ، أو أحداث
بل كلمات منمقة تبرز صورا شاعرية أو لحظات انفعالية ضعيفة ، مما يجعلها
أشبه بخاطرة نثرية ليس فيها من خصائص القصة القصيرة الا القليل القليل .

وفي قصة " قلب في رسالة " ،^(٣) تعالج الكاتبة قضية حرية المرأة
العربية ، وموقف الرجل التقليدي ازاءها ، وتسوق الكاتبة ذلك من خلال
رسالة ترسلها " سوسن " الى زوجها الذي هجرها ، وتشرح فيها موقفها
وأراءها ، وتستعيد أيام دراستها ، وحبها الصامت المثالي لمدرسها
الذي أصبح فيما بعد زوجها لها " أنصت اليك وأنت تلقى الدروس بصمت
وخشوع العابد المتمسك^(٤) للكلام المقدس ، فاستمع اليك بقلبي وروحى
ونفسي وكل كياني ، حتى أننى كنت أتضيق من صوت أنفاسي المستردة ،
وخفقات قلبي المتسارعة^(٤) وتمضى (سوسن) بأحاسيس الفتاة المراهقة

-
- (١) أعواد الشبابة ، ص ٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

التي لا تستعمل عقلمها عادة الا بمقدار ، فتقول : " ٠٠٠ مضي العام سريعا
فنجحت ، وكان نجاحي بالنسبة لقلبي كارثة تحصل به ، وأية كارثة أكبر من
أن تخيب عن عيني ؟ ! ٠٠ بكيته كثيرا وحزنت وتألمت وأخذت أزور مدرستي
لا سباب شتى ، سرطان ما يخلقها قلبي ليحتال على رؤيتك " ٠٠٠ (١) وتتابع
(سلوى) فتستعيد لقاءها مع مدرستها بعد مدة ، ثم زواجها منه
" ٠٠٠ أصبحت زوجتك ، وتبته فخرا بين صديقاتي ، الاستاذ (محسن)
التي تحلم به الكثيرات والتي لم تستطع فتاة الفوز بقلبه ، قدم لي قلبه
وجهه ولقبه " ٠٠٠ (٢) في هذه القصة لم توضح لنا الكاتبة الأسباب التي
أثارت (سوسن) الزوجة على زوجها ، ولم ترسم لنا أبعاد شخصيتها ،
باستثناء الجانب الرومانسي الذي لا يشكل ركيزة واعية لمطالب الزوجة ،
بل لقد أخضعتها - حين كانت فتاة مراهقة - لمفاهيم مكررة لا تتفق
مع سنها " ٠٠٠ أعمتني الفرحة في بادئ الأمر عن رؤية حقيقتك ،
وبدأت ألح من خلال معاملتك لي بعض الاستبداد وحب السيطرة ،
وأخذت تعاملني كدمية ، كقطعة ليس عليها الا الطابع العمياء " ٠٠٠ (٣) لقد
وقعت الكاتبة في مغالطات واضحة حين افترضت أن (سوسن) التلميذة
التي أصبحت زوجا لمدرستها فور انتهائها من دراستها الثانوية ، افترضت
فيها المرأة الناضجة التي تعي حقوقها ودورها ، بلحظة مفاجئة دون أن
تكشف لنا عن العوامل التي ساعدت على بلوغها هذا الوعي ، ناهيك عن
الحيث الذي الحقته الكاتبة بالزوج ، حين وضعت في موقف لا يستطيع فيه

(١) أعواد القتاب ٠٠٠ ، مرجع سابق ، ص ١٦٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٥

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٥

الدفاع عن نفسه ، وحكمت عليه بالتخلف والرجعية بالرغم من أنه يفوق زوجته (سوسن) وعيا وثقافة ، خلاصة القول أن الكاتبة استخدمت شخص قصتها هذه لتعرض أفكارها الخاصة وجعلتهم ينطقون بما تريد هي أن تقول .

وتدفع الكاتبة بطل قصتها " وداعا يا ليلي " ليتخلص من أحلامه ، ويدرك هموم الجماعة ، ويرتفع بنفسه ليصبح بمستوى اللحظة التاريخية التي يعيشها الناس لحظة (هزيمة حزيران " يونيو " ١٩٦٧) وما أعقبها من نقد ذاتي وموضوعي ، بطل القصة (فؤاد) رمز للانسان المصري الذي ودع حبه وأحلامه حين فتح عينيه على الحقيقة المرة التي يعيشها ، يكتب رسالة الى جديته (ليلي) يودعها فيها ويخبرها بأنه نذر نفسه للقضية الوطنية ترى ما عساه أن يكون سبب هذا التخيير ، هل هو مفاجئ ، أم أنه أخذ ينمو بيظا دون أن أشعر به ، وهل لزيارتي (ميونخ) بمحض الدخول في الموضوع ؟ احاول جهدي ، وأكد ذهني للفرض على السبب الحقيقي ، أعتقد أن حرب حزيران ، هي أول من غرس في قلبي الألم والحيرة والقلق ، وأشعل فتيل الانفجار (٢)

في هذه القصة تقدم لنا الكاتبة نموذجا للانسان المصري الانفعالي الذي لا يعبر عن قضية عامة من خلال موقف واع وشامل ، بل من خلال لحظة عاطفية مشحونة بالانفعال ، فبطل القصة (فؤاد) يشتهك في حوار ساخن مع فتاة أجنبية يلتقي بها في مدينة (ميونخ) وحين تقول له : . . . لماذا لا تتركون اسرائيل تعيش بأمان ؟ ! . . أليس من الرحمة

(١) أعواد الثقب . . . مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

والعدالة أن تتركوا هذا الشعب ينعم بالهدوء والاستقرار... يرد عليها
(فواد) بحسبية وانفعال : " ... أين كانت هذه الرحمة حين بقرت بطون
الحوامل ، وذبح الأطفال أمام أعين امهاتهم ، كما تذبح الخراف ، وأين
كانت رحمتكم هذه ، في معارك دير ياسين ، ولماذا لم تتحدثوا عنها
وقتذاك ، وتطلبوا من اسرائيل الدخيلة ، أن تتركنا نعيش بأمان في أرضنا
وميلادنا ؟ (١) " ومثل هذا الموقف لا يصدر عن مطلق واع ، ولا يحاكم
الامر بموضوعية ، ولقد ثبت فشل هذا المنطق الانفعالي وخاصة في مخاطبة
الأجانب ، وعرض القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في أرضه عليهم .

وتأتي قصة " أعواد الثقاب " لتمتدز نموذج الانسان العربي الانفعالي
- كما هو حال بطل القصة السابقة - فيظل القصة (سامر) تصدمه
(المهزومة) فيحاول أن يربط بداية وعيه على الواقع بممارسة عملية ، وتزداد
نقته حين يرى خطبه في المستشفى وقد شوهتها قنابل النابالم ترقد
بين عشرات القتلى والجرحى ، فيركب طائرتهم المقاتلة ويلاقي طائرات الأعداء
وسقط عددا منها ، ورغم ردة (سامر) الفعلية في النضال ضد الأعداء
الا أن الكاتبة لم تفلح في تطوير وعيه وتمحيق رؤيته ، وفقى سلوكه رد
فعل آتى ، مرتين باللحظة القائمة وليس بشمولية الواقع وفهمه
" ... أحزن ، ولماذا أحزن ، وهل هناك شيء يستحق الحزن ؟ خطيبتى
شوهت ، أهلها قتلوا جميعا ، هل تعلم ماذا رأيت من أخيها الصغير ؟
رأيت قديمه فقط في حديقة المنزل ، ربما كان يلعب ويلهو ، فجاءت
النابالم وأحرقت الجسم كله ، ولم تدع سوى القدمين (٢) " وتتميز هذه

(١) أعواد الثقاب ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

القصة ، بأسلوبها السردى المباشر ، ومتوافر الحدث ، ونموه المتدرج ، وشخصية البطل فيها واضحة ، ولكنها تنفجر الى الموضوعية والروئية العميقة .

وتعالج قصة "مذكرات عاقر" (١) ، مشكلة امرأة عاقر تخشى فقد زوجها بسبب عقها ، وتتجج الكاتبة في تصوير الانفعالات النفسية للزوجة ، ومشاعر القلق والحزن والهواجس التي تمر بها " . . . (عدنان) ، لقد علمت أنني عاقره لا أريد أن تضع عرك ممي ، وتعيش بدون طفل يحمل اسمك" . . . (٢) وتخاطب نفسها قائلة " . . . لقد حرمت من الأطفال ، وسأحرم من زوجي ، من الانسان الذي هو أعز علي من رحي . . . أحب (عدنان) ولا أريد أن يتركني . . . ماذا أفعل يا الهي ، لكي أحتفظ به" . . . (٣) وعلى الرغم من بساطة القصة إلا أن الكاتبة لم توفق في الوصول الى هدف محدد واضح ، وحققت مشكلة الزوجة العاقر ، معلقة دون أن يقف القارئ على حل منطقي يرتاح اليه . أما قصة "المصيبة الثالثة" (٤) فتتناول مشكلة اجتماعية ماثلة تقريبا ، ولكن من منظور آخر ، إذ تدور أحداث هذه القصة حول ظاهرة تفضيل الذكر على الانثى لدى فئة من الناس وخاصة في المجتمعات الريفية ، وتتجج الكاتبة في الابتعاد عن الأجواء الرومانسية ، وتعيش تجربة واقعية ، وتوفق في رسم جو اجتماعي تتفاعل فيه الشخصيات بطريقة غير مصطنعة ، فالزوجة - بطلان القصة - تنتظر مولودها الثالث ، بعد أن كانت وضعت بنتين أثارتا شخط (الحماة) وأهل الزوج ، وولدتا المزاراة في نفس الزوج ، وفي جو مفعول بالانفعالات ، نرى والدة الزوجة تواسي ابنتها قائلة " . . . الله يحرسك يا بنتي ، ويحمي البنات هكذا" . . . (٥)

(١) أعواد الثقاب ، مرجع سابق ، ص ١٠٦٣ . (٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ . (٤) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

وحيث تنظر الزوجة الى بطنها تخاطب نفسها " ... يارب تبملى صبي ، انك كريم وعلى كل شئ تقدير " ... (١) وتحاول المرسلة أن تخفف الصدمة على الزوجة فيما لو جاءت بها البنت الثالثة أو (المصيبة الثالثة) فتقول : " ... اسمي ياسيدي ، عندما أنجبتني والدتي وكنت الابنة السادسة كادت أن تكون هدية أي من أبي ورقة الطلاق ، لولا تدخل الأهل ، والآن ، هل تصدقين أنه يحبنى أكثر من أخى الوحيد ، ويفضلنى عليه ! ، وعندما تذكره والدتي بحزنه وغضبه ساعة قدوى الى الدنيا ، يتمم بأسف وخجل : لقد كنت أحق ، الانسان لا يعرف الخير بوجهه ممين ... (٢)

وعلى الرغم من أن نهاية القصة مقممة من الناحية الموضوعية الا أنها غير ذلك فنيا ، فالكلام الذى ساقته الكاتبة على لسان المرسلة ، جاء عرضاً ، وبطريق الصدفة ، مما أضعف معمارها الفنى ، وجعل هدفها متكلفاً ، شئ آخر نلاحظه فى هذه القصة ، وهو استخدام الكاتبة (العامة) فى بعض أجزاء الحوار على خلاف قصصها الأخرى .

ولعل من أكثر قصص المجموعة واقعية ، وأنضجها فنيا قصة " فلسطينية من يافا " (٣) . حيث تعرض الكاتبة للقضية الفلسطينية ، وموقف المرأة الفلسطينية منها ، بطلاة القصة (عائدة) فلسطينية أخطأت الاختيار حين اقترنت بشرى لا يتقن الكلام الا عن الحفلات والسهرات والحل والشباب

-
- (١) أعواد الشقاب ، ص ٢٦ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٢٧ .
 - (٣) المرجع السابق ص ١٦٩ .

ويتعامل مع فئة ابتعدت عن السياسة وقضايا الوطن ، وانخست في السرف
واقتنص الذات ، وتتفن الكتابة وصف معاناة (عايدة) وتمرداها على الواقع
الذي يعيشه زوجها غير المنتمى لقضيته، ثم التحاقها في نهاية الأمر
بصفوف المقاتلين أسوة بأخيها وصديقه (مدحت) ، ولعل في اختيار
الكتابة عنوان القصة " فلسطينية من يافا " إشارة الى انتماء بطلة القصة
الفعلى للجنسية الفلسطينية ودلالة على وعيها العميق للدور الملقى على
عاتقها ، وفي هذه القصة يظهر بوضوح مدى تطور الكتابة واستفادتها من
تجاربها القصصية السابقة ، فالحدث فيها متطور ونام يأخذ مجراه الطبيعي ،
والشخص واضح ، تتفاعل مع الوسط الذي تعيش فيه بوعي وبصيرة ، أما
الأسلوب فقد خلا من الألفاظ والتركيبات المبالغ فيها وشحن بتمجيرات
تخدم الصورة وتشكيلها الفني .

* أما ليلي السايح ^(١) ، فقد ضمنت مجموعتها القصصية الأولى " قصصى
أنا " ^(٢) ست قصص قصيرة ، قالت عنها " .. انها كانت في الأصل مجموعة
أوراق مبعثرة في أكثر من دوج وفي أكثر من حقبة .. ولم تكن مبعثرة
فحسب بل وكانت أيضا مختلطة ، أوراق القصص اختلطت وضاعت بينها وجوه
الشخصيات .. " ^(٣)

(١) من مواليد مدينة حيفا عام ١٩٣٦ ، أنهت دراستها الابتدائية فحسب
مدارسها ، ثم نزلت عنها مع أهلها عام ١٩٤٨ ، أنهت دراستها
الجامعية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٢ ، بدأت نشاطها
الأدبي عام ١٩٦٤ فكتبت في مجلة الحساء البيروتية ، ومجلة اليقظة
الكويتية ، ثم مسؤولة عن الصفحة الأدبية في جريدة الإبناء الكويتية
لها دراسات أدبية نشرت في مجلات عربية متخصصة .

- رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ١١/١٢/١٩٧٨ .

(٢) صدرت في بيروت تقلا من الناشر وتاريخ الاصدار . ومن المؤكد أن تكون
هذه المجموعة صدرت بعد عام ١٩٧٠ . لأن القصة الأولى فيها
" الخاتم على الأصبغ والأصبغ على الزناد " تتناول الأحداث التي وقعت
بممان في شهر أيلول " سبتمبر " ١٩٧٠ ، بين الفدائين الفلسطينيين
والجيش الأردني " قصصى أنا " .

(٣) من كلمة للكاتبة أثبتتها على صفحة الغلاف الأخيرة .

ان الخضوع التام للقيم الرومانسية التي تطبع هذه المجموعة ، هو الذي جعل شخوص الكاتبة مبالغا فيها ، وأشبه بالدمى تحركها كينفاشات فالتكلف في افتعال الحدث ، ونج الشخوص في مواقف عصبية معقدة جعل منها نماذج مستلبة مقهورة حائرة ، تنساق بجبرية نحو المصير الذي تختاره الكاتبة لها .

في قصة " ثلاث ورقات من فئة المئة ليرة لبنانية " ^(١) ، تصور الكاتبة شخصية (عزيز) المقهورة المشلولة الارادة ازاء مرض أمه ، بعد فشل طبيب (المخيم) في معالجتها لقلة الامكانيات المتوافرة ، وعجز (عزيز) عن ارسالها الى طبيب متخصص بسبب الفقر ، " لعنة الله على هذا المرض الذي حولها الى كتلة من اليأس والأوجاع والآلام ، وطبيب هذا المخيم ، الذي لا يملك الا أن يعطيها بين الفينة والفينة الحبوب المسكنة والمهدئات " ^(٢) ورغم شدة مرض الأم والآلام التي تكابدها فانها لم تنقطع لحظة عن تذكر الوطن والبيت وأيام المزمز، وهي تدرك بسهولة الواقع المرير الذي آل اليه الشعب الفلسطيني خارج الوطن وترفض بكبرياء تلك (الاعاشة) ^(٣) الذلة ، التي يتسلمها اللاجئون في نهاية كل شهر :

"... خذي اعاشتك وأمشي يا أم عزيز ، ودعينا ننجز عملنا ..."

(١) قصص أنا ... مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٣) أطلقت كلمة (الاعاشة) على الكميات الضئيلة من الدقيق والأرز والسكر وبعض المواد التموينية الأخرى التي تقدمها وكالة الضموت الدولية لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، للماطلين عن العمل من اللاجئين الفلسطينيين .

- بل قولوا : خذي عارك وأمشي . (١)

ويستدعي الأمر اجراء عملية جراحية لأم (عزيز) وتسد الكاتبة في وجه الابن كل المنافذ وتضيق عليه الخناق ، وتضعه في الصراء البارد ، حين تدفعه الى ارتكاب جريمة السرقة ، إذ يقحم دكان صراف غفوة ويستولسى على (٣٠٠) ليرة لبنانية ، وأجرة العملية الجراحية ، والكاتبة وان جعلت عزيزا يمسد هذا المبلغ الى الصراف ، بعد موت أمه دون أن تجرى لها عملية "٠٠٠" أقدم اعتذارى لما سببته لك من ازواج ورعب .. اعذرني أو افضل بين ماتشاء ، لك أن تسلمني للشرطة اذا شئت .. لقد ماتت أمي (٢) ، انما تحاول بهذا السلوك أن تضي عبر اليأس المتخلف في شخصيته بعض الملامح الانسانية . وهذه الخاتمة تطرح القصة اتجاهها سلبيا على الصعيد العام للقضية الفلسطينية وبخاصة اذا حاولنا استقراء الرمز الشفيف الذي رمى اليه الكاتبة ، والذي يتصل في علاقة الابن العاجز المستلب بأمه المريضة ، الرامزة الى علاقة الانسان الفلسطيني بقضيته ومجزه عن معالجتها بنفسه .

وفي قصة " الخاتم في الأصبح والأصبح على الزناد " (٣) ، تعرض الكاتبة للأحداث التي وقعت بين الفدائيين الفلسطينيين والسلطات الأردنية في شهر أيلول "سبتمبر" ١٩٧٠ ، وتشكل القصة من عدة فقرات مجزأة فعلت الكاتبة على صعيد فنية القصة القصيرة في تجميعها ، وتركت للقارئ هذه المهمة غير السهلة ، ليربط بنفسه بين العلاقات عبر أنفاس مبتسورة

(١) قصي أنا ٠٠٠ مرجع سابق ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٩ .

مقطعة ، وعبر شخصية (لمياء) الممزقة * ... الشهر أيلول ، الزمن
قبيل الضروب ، الاشتباكات في عنفوانها وضمها بين الفدائيين وقوات
الجيش ، حزيمة لمياء حتى الموت ، تقبح في الزاوية مع أمها وأخيها
ومرض الجيران من الأطفال والمجزرة ...^(١) ونرى (لمياء) تقف
حائرة بين خيارين ، بين الحب والمبدأ ، بين الخاص والعام ، فهي تريد
لحببها (أحمد) أن يبقى نظيفا غير ملطخ بدماء الأهل * .. أية
مأساة تلك التي شطرت القلب إلى شطرين ، جعلته كقطار مسرع يجد
أمامه فجأة طريقين ، عليه أن يختار والاتمق ، فهناك أخوة لها في
الخدائق يستمتون الآن في الدفاع عن المبدأ .. وفي الناحية الأخرى
(أحمد) زميلها وخطيبها بل حبها الكبير ، لا بد وأنه الآن يقف
وراء مدفعه يصب النيران فوق رؤوس أخوتها ...^(٢) و (لمياء) تريد
أن تبقي الملائقي الحميمة تربط بين الشعبين المتحارين حتى آخر
لحظة ، وهي تود لو تصح في وجه المدافع أن تسكت ، وتتوسل
للمقتولين أن ينهوا القتال ، وتغضى الكاتبة تصف المعركة بأسلوب يتصف
بالتهويل والمبالغة ، والابتعاد عن الأيحاء * ... وتختلط المرثيات ...
بيوت تتهدم ، غبار ودخان يحتضن الأجواء .. دماء تسيل ، أجساد تهوى
دمار ودمار وخراب ، وتختلط الأصوات ... مدافع تدوى ، رصاصات تلمطح
أعين وصراخ وضوت أمر ...^(٣) وتتابع الأحداث الشيرة ، فتصاب (لمياء)
نتيجة انهيار البيت ، وعندما تخرج تصادف (أحمد) حببها ، فوق دبابته
ويدور بينهما الحوار التالي :

-
- (١) قصص أنا ... مرجع سابق ص ١٥
(٢) المرجع السابق ص ١٦
(٣) المرجع السابق ص ١٩

"... أحمد ، لماذا يا أحمد ؟

- هكذا يريدون

- واراדתك أين هي ؟

- لست أدري ..

- آله أنت ، تماما كمدفحك ، آله صماء ، بدون ارادة ..

- لمياء ، أرجوك ... (١)

وحيث يأمر القائد (أحمد) أن يضرب بمدفعه ، ينصاع (أحمد) للأمر ويحدث الشخ ويتلاشى الأمل ، ويتحول " .. خاتم لمياء في أصبعه الى طوق من الشوك .. (٢) وعندها يتغلب المبدأ ، وينتصر العام على الخاص ، وتقذف (لمياء) وهي في النزاع الأخير حبيبها (أحمد) بقنبلة يدوية " .. ثوان أخرى مرت ، انفجرت في أذرها القنبلة ، وتناثرت أشلاء جسد ين في الهواء لتختلط بالدخان .. ويصمت المدفع .. (٣)

وتربط الكاتبة في قصتها " اللحم الذي لا يؤكل " (٤) ، بين حرية المرأة الفلسطينية وحرية الوطن ، بأسلوب يقوم على التداخي حيناً وعلى الحوار الداخلي (المونولوج) حيناً آخر . وعند بداية القصة نرى فتاة متسردة قلقة تنطلق في سيارتها الى اتجاه غير محدد " .. لم أكن أدري الى أين أسير ، كل ما في الأمر أنني أضغط بعصبية على دافعة البنزين " (٥) ويتبين لنا أن الفتاة تحاول الفرار من الصبودية التي تنتظرها من الرجل الذي يريد الدخول بها بطريقة تقليدية ويحرص على امتلاكها على طريقة (حريم) الأيام السالفة .

-
- (١) قصص أنا .. مرجع سابق ص ١٩ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٢٠ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٢١ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٨٣ .
 - (٥) المرجع السابق ص ٨٩ .

ولم تفصح الكاتبة عن البيئة الاجتماعية التي تمشي الفتاة وسطها ،
ولا عن المفاهيم السائدة فيها ، كل ما في الأمر أنها تستخدم استعارات
ورموزاً مكثفة " الضباب ، العاصفة ، سفينة القراصنة ، الفهار ، الفاجمة ،
الهودج ٠٠ و ٠٠ " في محاولة للتدليل على المماناة النفسية لبطلتها ،
وهي لاترقى الى حد الافصح عن المعنى الذي تريد ، فتسوق على لسان
الفتاة جملاً مفككة لاتحمل دلالات محددة " ٠٠٠ أبحث عن الهدوء في
انتظار زوال العاصفة ، بينما ثورة تهدد كياني ، ثورة ضد الطبيعة
ثورة تحد لكل الأشياء اللامقولة ، واللامبررة التي تهدم بناء الانسان
في الداخل ، وبناءه في الخارج ٠٠٠ (١) ولم تكف الكاتبة بهذا الفموض
بل أتحت بعداً آخر في محاولة منها لمنح قضية تحرر المرأة بتحرر
الوطن " ٠٠ والى جانبي كانت صحف الأسبوع مكدسة ، تقفز من بين
صفحاتها صور لطار اللد المقّم ببطولة ثلاثة فدائيين يابانيين ،
قضيتي معلقة هنا ، لاتزال على (منشعسات) الصحف ، قضيتي مثلية
بصرخة تحد موقمة بوثيقة انتصار انتحاري لقضية انسانية ٠٠٠ (٢) وفي مكان
آخر تقول الكاتبة على لسان الفتاة " ٠٠٠ جذوري لم تنزع ، انتزعت
أنا من وطني ، أرضي باقية ، أساسها هنا ، مبادئها هنا ، أيقونتها في صدري
حجاب مقدس تحت وسادتي ، أساطيري ، عاداتي ، تقاليدتي ، سلاسل
أحلمها معي ٠٠٠ (٣) وفي مكان آخر تدلل الكاتبة على رفض بطلتها
الامتثال لهذا النوع من الزواج القسري " ٠٠ يريد أن يهودجني

-
- (١) قصتي أنا ٠٠ مرجع سابق ص ٨٧ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٨٨ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٨٩ .

الى خبائه لينهى الاشكال ، مجنون هو ، وأنا فلسطينية مشردة ، لأننى
كذلك لن أتهدج ، أنا لا أحمل فوق نائة لأدخل خبائه ... (١)

لقد أضف أسلوب الانشائي ، والخطابية ، والجمل التى تؤكد
المفاهيم النظرية ، هذه القصة ، وجعلها أشبه ما تكون بالمقالة ، أما
الأحداث فغير مبلورة ولا متطورة ولا تحتمل هذه التوقيعات التى من شأنها
أن توضح الوضع الاجتماعى والسياسى للمرأة الفلسطينية ، وشخصية البطلة
جاءت مثالية ونظرية إذا جاز هذا التعبير ، إذ لا يكفى أن تكون الفتاة
فلسطينية مشردة ، كى تتكسب الوعى النظرى والموضوعى لسألة حرية المرأة ،
فواقع الأمر أن الفتاة الفلسطينية لا تختلف كثيراً أو قليلا عن مثيلاتها الفتيات
العربيات فى موقفها من حرية المرأة ، وان كنا نسجل لها تلك الخصوصية
من خلال موقعها العام من القضية الوطنية وأدراكها جوهرها الحقيقى ،
من أطول قصص المجموعة ، وأكثرها سطحية ، قصة * من أجل عنقود من
الحصر^(٢) ، وفيها تسجل الكاتبة أحداثا وقعت لمائة نزلت عن مدينة
(جنين) أثر عدوان الخامس من حزيران " يونيو " ١٩٦٧ ، وماراضق
هذا النزوح من ألم ومرارة وصعوبات ومخاطر ، ومذ البداية تعرف على
(غادة) إحدى أفراد هذه العائلة ، تجلس فى قاعة الامتحانات
وتتبا بوقوع مصيبة أو كارثة " ... أنذرها حدسها بقرب غيوم تتجسس
فى الأفق ، غيوم سوداء " ، ويوم أسود .. وتمنت أن يكون نذير الشدائد
سقوطها فى الامتحانات مثلا ، على أن لا يكون كارثة تحل بالمائلة ،

(١) قصص أنا .. مرجع سابق ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

(١) عائلتها الصغيرة أو عائلتها الكبيرة ، شعبيها وأمتها الممزقة الحائرة . . . (١)
ان تقديم الكاتبة لشخصية (غادة) الجاهزة ، الواعية لقضيتها وهى
ماتزال على مقاعد الدراسة ، منذ بداية القصة دليل على قلة دراية
الكاتبة ببنية القصة القصيرة ، وممارها المتناسك والنمو الطبيعي لشخصها ،
فهى تضع الكلام على فم (غادة) لتطير أفكارا مسبقة وتقرر وثأشح
يفترض أن تأتى نتيجة لتطور الأحداث ونموها ، وتمضى الكاتبة فى قصتها ،
فتصف الجو المشحون بالترقب والرعب والأمل من خلال شخوص العائلة
وبعض الجيران وهم داخل أحد الملاجى ، ثم مفامرة (غادة) بالخروج
لجلب الطعام للأطفال ، وما شاهدته من دمار وخراب " . . . أخذت
تجمع ماتستطيعه من تموين البيت من خبز وزيتون وجبن وخرجت يحملها
مسرعة تختبئ حيناً وتظهر حيناً ، اذ بدأ القصف من جديد . . . الجو
حزين ، الدنيا حزينة ، بل ان السماء رمادية حزينة جدا . . . من خلال
أوراق الأشجار المختبئة وراءها ، تسبح عيناها بعيدا عبر السهول
المتراعى ، بعيدا وراء الأشجار والبيارات ، فاذا بها تلمح مجموعة من
الدبابات والجنود تتقدم فى اتجاه البلدة . . . (٢) وتتابع الكاتبة فتصف كيف
جمع جنود الاحتلال أهالى المدينة فى ساحة (مركز الشرطة) وكيف
نقلوهم فى شاحنات خارج (اسرائيل) " . . . تهاوت القلوب ، انحدرت
الدموع ، الآف مؤلفة تزحف الآن باتجاه النهر الكبير كقطع ضائع فقد
راعيه ومرعاه ، بلا مؤونة ، بلا مال ، بلا أمل . . . (٣) ووسط هذا الجحيم

(١) قصصى أنا . . . مرجع سابق ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٠ .

كان (أبو خالد) والد (غادة) وعائلته ، ويكتشف أنه لا يحمل معه شيئاً يواجه به الأيام القادمة ، فقد ترك أشياءه الثمينة (تحوشة الممر) وراءه ، وتقرر العائلة العودة الى البيت لانقاذ ما يمكن انقاذه من (مصاغ ومال وأيضاً ٠٠ عنقود الحصرم) وتعود العائلة برغم الأخطار والموت المحقق والدوريات الاسرائيلية " ٠٠٠ واحدًا وراء الآخر ، انتقلوا الى البيت ، ودخلوا وسط الظلام ٠٠٠ وأخذوا يجمعون ما يحتاجونه من البسة ، أما الأم فقد احتضنت صندوق المال والصفيفة فرحة ٠٠٠ (١) أما (غادة وخالد) فقد نزعا عنقود الحصرم عن (الدالية) ، وعاد الجميع ممن حيث أتوا ، وفي الطريق تكتشف (الدورية الاسرائيلية) أمرهم ، أشر سقوط خالد على الأرض ومعه عنقود الحصرم فتطلق النار عليهم ، وتقتل كلا من (غادة وخالد) .

لقد ظلت الكاتبة أمينة مع نفسها في سرد وقائع قصتها التسجيلية حتى اللحظة التي دفعت فيها العائلة لمفادرة البيت في المرة الثانية دونما قسر أو اكراه كما في المرة الأولى ، وإذا كانت الكاتبة تريد أن تسجل أحداثاً واقعية حدثت فعلاً لهذه العائلة ، فان الأمر لا ينسحب على باقى عائلات الشعب الفلسطينى التى تشبث بالأرض أشر (هزيمة حزيران " يونيو " ١٩٦٧) لقد طرحت الكاتبة فى قصتها هذه فكراً سطحياً متخاذلاً يصل الى درجة الاسفاف ، وبخاصة حين ارتكزت على قضية تافهة خالية من أى رمز، المتمثلة فى (عنقود الحصرم) .

(١) قصصى أنا ٠٠٠ مرجع سابق ص ٦٣ .

* استطاعت معظم الروايات الفلسطينية التي صدرت بعد حزيران " يونيو " ١٩٦٧^(١)، أن تتخطى في مضامينها وأحاليبها الأنماط التي كانت سائدة في المرحلة الثانية التي تلت عام (النكبة ١٩٤٨) ، من حيث تصوير الفلسطينيين كلاجئ ، عاجز ، مشرد ، منكود الحظ ، تتكاتف كل الظروف لتقف في وجهه وتسد عليه سبل النجاة ، وإذا كانت هذه الروايات أعطت صورة جديدة للإنسان الفلسطيني ، حامل السلاح ، المقاتل على أكثر من جبهة ، بعيدا عن الدعاية المباشرة والحزن ، وكلمات الحنين ، فإن الروايات الفلسطينية التي كتبتها المرأة الفلسطينية في هذه المرحلة ، فشلت في استيعاب الرؤية الجديدة ، وفي الوصول الى مستوى القضية التي تتصدى لها وقيمت هذه الروايات القليلة نسبيا - أسيرة أساليب المرحلة السابقة من حيث الاهتمام بالصور الحسية واذكاء العواطف والهيب المشاعر واستخدام الأسلوب الحساس المباشر المصير عن عواطف ذاتية .

* في عام ١٩٧٠ ، أصدرت هيام رزقي الدردنجي ، روايتها الأولى " الى اللقاء " في يافا^(٢) وفيها تحكى قصة المناضلة الفلسطينية (عجلة أمير) التي كانت وضعت قبلة في صندوق قمامة أمام (سينما لوكس) في القدس (الجديدة) لتنفجر ساعة خروج رواد السينما اليهود ، ويقبض على (عجلة) وتحاكم محاكمة عسكرية ويصدر بشأنها حكم بالاعدام بعد أن رفضت التعاون مع قوات الاحتلال والارشاد عن رفاقها من الفدائيين .

-
- (١) صدرت حوالى سبع عشرة رواية مختلفة لكتاب فلسطينيين من أمثال :
غسان كنفاني ، أميل حبيبي ، جبرا ابراهيم جبرا .
- (٢) منشورات المطبعة اللبية ، طرابلس ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٧٠ .
" الى اللقاء " في يافا .

تبدأ الرواية بمشهد للسجينة (عملة) منكورة على الأرض تعاني الآسا
نفسية بعد أن تعرضت للتعذيب والاعتصاب ، وتسترجع (عملة) شريط
حياتها مذ كانت طفلة في مدينة يافا ، وهجرتها مع أهلها عام ١٩٤٨ في
رحلة التشريد التي استغرقت عقدين ونيفا من الزمن ، المليئة بالخوف ،
والقلق ، والمذابح ، والعمران ، ومن خلال استرجاعها للأحداث التي
شهدتها ، تتحدث عن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وعن الوحدة
السورية المصرية ، وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وتشكيل جيش التحرير
الفلسطيني ، وحرب حزيران " يونيو " ١٩٦٧ ، وانطلاقة الثورة الفلسطينية
المسلحة ، ومعركة الكرامة واستشهاد خطيبها ، الضابط في جيش التحرير ،
والتحاقب في نهاية الأمر بصفوف المقاتلين .

ويبدو أن الكاتبة متأثرة برواية الطريق الى بحر السبع للكاتبة البريطانية
(آثيل مانن) الى حد كبير ، ولان أخذت على رواية (مانن) اختيارها
أسرة فلسطينية برجوازية للتمثيل على نكبة كافة الشعب الفلسطيني من خلال
تصوير نكبة هذه الأسرة ، فان الكاتبة هيام الدردنجي صورت نكبة الشعب
كله ، وكفاحه ضد الاستعمار البريطاني الصهيوني قبل النكبة ، والحياة التي
عاشها الفلسطينيون بعد النكبة بمفارقاتها وأحداثها المشابهة ، ولقد
حرصت الكاتبة على الأمانة في سرد الأحداث الى حد كبير ، وكانت تذكر
الأسماء والأماكن والتواريخ أحيانا ، وساعد على اعطاء انطباع الصنوية والصدق
لفتها التي كانت ترق أحيانا حتى تقترب من مرونة الأسلوب المناسب
للسرد الروائي ، ولكن بالرغم من كل هذا الحرص ، وتلك الأمانة ، فان الكاتبة
لم تزد شيئا على ما كتبه المؤرخون ولم تتميز عما قرأناه وسمعناه من بيانات

وتقارير صحفية عن تاريخ القضية الفلسطينية ، بل لقد وقعت الكاتبة عن
خلال تسجيلها التاريخي هذا ، واقتمالها الأحداث المثيرة في العديد
من التصورات الساذجة ، ظنت أنها تضي بها بعدا انسانيا على الرواية ،
فالبطلة (عملة أمير) اعتقلت وعذبت وحكم عليها بالاعدام^(١) ، والمصروف أن
القانون الاسرائيلي لا يفتى على حكم الاعدام - ولو أن في ذلك تظاهرا
شكليا بخادعا للواقع الفعلي الذي تمارس فيه كل أساليب التحذير
والقمع والاهدام بالجملة - و(عملة) تطلب من الجندي الاسرائيلي المكلف
بحراستها أن يحضر لها ورقا لتكتب عليه قصة حياتها ، ثم ترسل معه
الورق المخطوط الى مناضلة أخرى (أم سلمى) غير محكوم عليها بالاعدام
لتتولى تهريب الورق ، أو معرفة القصة على الأقل ، والجندي الاسرائيلي
يقوم بكل ذلك بروح سمحة .. فتقول له :
(٢)

.. أشكرك .. لاشك أنك لست صهيونيا ؟

ويجب الجندي بجدية وهو يدبر ظهره خارجا :

حسنا .. انى يهودى وحسب

وهذا اليهودى - غير الصهيونى - يريد أجرا على عمله ، وهى تراه
يطيل النظر الى سلسلتها الذهبية الرقيقة المعلقة فى رقبتها - دون أن
تعرف كيف بقيت هذه السلسلة معها حتى تلك اللحظة ، بعد اعتقالها
وتعذيبها واغتصابها - وتهدى (عملة) فى نهاية الموقف هذه السلسلة
الذهبية الى الجندي اليهودى جزاء خدماته .

(١) الى اللقاء فى يافا ... مرجع سابق ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥ .

وتطغى التقريرية في كثير من الأحيان على أسلوب الكاتبة ، ليأتسئ
مشقلا بالمبارات الجاهزة والملاحظات الاستطرادية الباردة التي لاتصدو
أن تكون حشوا أريد به رأى الكاتبة وأفكارها ، فهي تتحدث عن بريطانيا
وعلاقتها بالصهيونية ، وعن قرار التقسيم ، وعن (جلوب باشا) اللصين ،
وعن سقوط اللد والرملة ، وعن دخول الدول العربية الحرب ، ولا مانع
أن تدلى بخطبة ضعيفة تحمل فيها على الجيوش العربية ، وأن تزيين
الفقرات بأبيات من الشعر^(١) والأغرب من ذلك أن تضمن الكاتبة روايتها
فصلا عن (حرب السويس)^(٢) وأن تورد نصوص بيانات ومفردات لمنظمة
(فتح)^(٣) دونما مبرر فنى أو ضرورة موضوعية ، والكاتبة هيأت شخصية البطلنة
(عبلة أمير) لتلعب دورها المرسوم في الرواية منذ البداية ، دون أن
يصاحب مجرى الأحداث نمو في شخصيتها أو يصطدم هذا النمو -
ان وجد - بصراع يبرر واقعا ونفيا الاختيار الذي انتهت اليه البطلنة .
ان عطف الكاتبة أو تعاطفها مع القضية الفلسطينية ، وتأكيدها على
أن روايتها " ... حقيقة واقعية استقتتها من أفواه اناس عاشوها
بأنفسهم ... " لا يتفق لوضع عمل روائي متكامل - وان كان يضطلع

(١) - الى اللقاء في يافا ... مرجع سابق ص ٣٦ ، ١٩٧ - ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣ (التقديم)

بمدور رئيس - وليس في مقدور النية الطيبة عند الكاتبة أن تتفقد روايتها هذه من الضعف (١).

* وتكاد رواية (٢) " شجرة الصبير " للكاتبة أمثال جويدي (٣) ، تتشابه فسي وقائمه مع رواية هيام الدردنجي " الى اللقاء في يافا " . فهي أقرب الى تسجيل وقائمه لكارثة الشعب الفلسطيني ولعلاقته بحد (النكبة) بالدول العربية ، ومواقف بعض الحكام العرب من القضية الفلسطينية .

تشكل الرواية من ثلاثة أقسام : الرحيل ، والخيم ، والجريمة والعقاب وفي القسم الأول تصف الكاتبة بعض الأحداث السياسية والاجتماعية التي سبقت (نكبة ١٩٤٨) وتفضح المؤامرات التي كانت تدبر ضد فلسطين ويأتى ذلك على لسان الطفلة (ودا) بطلة القصة ، وابنة " . . . يافا التي لاتمس رمال شواطئها الأسيرة . . . " ولا " . . . يثيب عن بالها ظلال أشجار البرتقال . . . " والتي رحلت مع عائلتها اثر (النكبة) الى لبنان " . . . وحطت معها القضية لتزرع " شجرة صبير " على امتداد الساحل المربية . . .

-
- (١) بعد عام ١٩٧٣ ، أصدرت الكاتبة رواية ثانية " ودا يا أمس " منشورات دار مكتبة الفكر طرابلس - ليبيا (د . ت) وقد تحدثت فيها عن ظروف المجتمع الليبي قبل الثورة وبعدها من خلال عائلة ليبية . والكاتبة في روايتها هذه لم تحقق تطورا كبيرا في التقنية الفنية ، فالأسلوب جاء سرديا تقريريا تغلب عليه النزعة الانشائية ، وتشعب فيه الصور الموحية والدلالات المميقة والحوار في كثير من الأحيان ركيك ، والتعليقات والاستطرادات كثيرة أدت الى تشتيت الأحداث وتمزيقها .
- (٢) صدرت عن دار الطليعة - بيروت ١٩٧٢ . " شجرة الصبير " .
- (٣) لم يتوافر للباحث معلومات كافية عن الكاتبة ، سوى أنها من مدينة يافا ، وانها رحلت مع أهلها بعد (نكبة ١٩٤٨) واستقرت في لبنان .

وفي القسمين الأخيرين من الرواية تلجأ الكاتبة في عرض الأحداث إلى الرمز والتجريد من خلال (وداد) التي تمثل القضية وعلاقتها بالأنظمة العربية وبعض الحكام العرب الذين أطلقت عليهم أسماء وصفات رمزية، وتتحدث عن معاناة الإنسان الفلسطيني في (المخيمات)، وعن احساسه بالخرقة والضيق والحنين إلى الوطن، وعن المواقف المتناقضة التي وقفها بعض الحكام العرب والمواقف الوطنية التي وقفها آخرون منهم، ثم تعرض لضرب المقاومة الفلسطينية في الأردن عام ١٩٧٠، وما تبع ذلك من مواقف سياسية عميقة إلى أن تختم الرواية بقولها "٠٠٠ أنا شجرة الصبير، ينحوس بأعماق الأرض جذعي، ويتحدى العالم فرعي، أوراق لا تتلاعب العواصف بها، ممن أحب أسالة دمه فليقترب مني ليسرق ثماري اللذيذة الشهية ٠٠ شجرة الصبير لا يبيتني جوع أو عطش، ولا تحرقني شمس أو يبللني مطر، وكل عزيمة مفامرة تنتحر فوق أشواكي، من أحب الله والوطن حمدتها علي وجودي ومن بهما كفر طانقني بمكر فانتحر ٠٠٠" (١)

منذ بداية الرواية تتفحص الكاتبة الرؤية بعين الطفلة (وداد)، ولكنها تعجز عن التعبير بلسان طفلة صغيرة، وعن كشف أفكارها وأحاسيسها، مما أوقع كثيرا من الأحداث، وتبريراتها في حداثة مفتعلة، فالطفلة (وداد) ابنة الثامنة، التي تدرك "٠٠٠ أن الخطر يحيق بالجميع من كل جانب ٠٠٠" (٢) و (وداد) التي تحمل غف حبة الأرض في قولها: "٠٠٠ كم أحببت هذا الشاطئ، الذي أراه يتنكر لي اليوم، كم بيت بنيت على رماله الناعم، لقد تهدمت كلها وانهارت كما تهدمت أحالي ٠٠٠" (٣) والتي تجيب والدها

(١) شجرة الصبير، مرجع سابق، ص ٣٠٢

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢

(٣) المرجع السابق، ص ٥٦

حين يسألها - وانبأخرة الصغيرة ترتحل بهم عن الوطن - لمن تلج
بيدها ؟ " ٠٠ - لسماء بلادى يا أبى ٠٠ انها تغيب عن ناظرى
لن تدفنى شمسها بعد ، ولن ييللى مطرها ، انك لظالم ، أشعربك
تسلخنى عن أرضى كما كتت تسلخ جلد أرنب بعد ذبحه ٠٠ أرى الأرض
تموت ، والنجمة تختفى ، والبحر ينتحر ، والشمس تبكى ، أرى الوطن يسزول ،
وأحس بكيانى كله يفصل عن ذاتى ٠٠٠ (١) ، هذه الطفلة ، هى نفسها
التي تكشف بسذاجة أن " ٠٠٠ النار فى الخارج - أثر الانفجار الذى
وقع - غير نار الموقدة التي تطبخ فوقها الجدة طعام الاسرة ٠٠٠ (٢) ،
وأن " ٠٠٠ الخوف من (الصرصار) غير الخوف من المقرب ٠٠ وأن الاسرائيلى
ليس كالقول على الأقل ، يسكن بعيدا فى أعلى الجبال ولا يفضر
الا بدعوة من أهلها ، وهم لا يدعونه الا لأن فزعها منه يجبرها على
تنفيذ الأوامر ٠٠٠ (٣) ، وهى الطفلة التي رأأت والدها يضع فى عسده
كبير من الزجاجات الفارغة مسحوقا " ٠٠٠ يشبه كحل العين الذى تترين
النساء به ٠٠٠ (٤) .

وتقم الكاتبة كثيرا من الأحداث بأسلوب سردى مباشر ، ودونما ضرورة
فنية ، مما أوقع الرواية فى رتبة ملة ، يحس القارى معها بالضييق ، وتجعله
يقلب الصفحات بسرعة ، لأنه يتنبأ سلفا بما تريد الكاتبة قوله ، وتفحص
الرواية بالخطب الزائقة ، كالخطبة التي تتحدث فيها الكاتبة عن الفرق
بين اليهودية والصهيونية ، والخطبة الموجهة الى الرئيس المصرى جمال
هداناصر ، والخطبة التي تكشف فيها عن الصفات التي ينهض
(٥)
(٦)

-
- (١) شجرة الصبير ، مرجع سابق ص ٥٨ (٢) المرجع السابق ، ص ١٥
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧ (٤) المرجع السابق ، ص ٤١
(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٠ (٦) المرجع السابق ، ص ١٣٨

توافرها في الانسان الفلسطيني (١) ، وخطبتها عن الجامعة العربية ثم (٢)
عوض مشاعرها حين وفاة والدها (٣) ، وكذلك رثاء الرئيس المصري جمال عبد
الناصر (٤)

وتطرح الكاتبة في بعض الأحيان وجهات نظر خاصة تغاير الواقع فهي
ترى مثلا أن اضطراب عمال ميناء يافا كان عملية خاطئة ، فقد أدى احتجاجهم
واستمرارهم في الاضراب الى أن يقوم اليهود ببناء ميناء لهم على شاطئ (تل
أبيب) يهيرون عن طريقه الاسلحة دون رقيب ، وكان يجب - في رأيها -
أن لا يتدمر العمال حتى لا يعطوا اليهود تلك الفرصة (٥) ، وكان اليهود
كانت تموزهم الحجة لبناء ذلك الميناء !

وكثيرا ما تأتي الكاتبة باراءً مبتورة عن أشخاص أو مواقف لا علاقة
لها باستمرار الحدث وتطوره ، فحملتها مثلا على (الحاج أعر) السدي
هو (الحاج أمين الحسيني) في أكثر من مكان - بصرف النظر عن
كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع - لاستند عليها أية ضرورة
فنية ، وتعرضها في مواقف كثيرة - تكاد تستغرق القسم الثالث من الرواية -
الى (جاسر بك) الذي هو (جمال عبد الناصر) الفرض منه الكشف
عن آرائها ومواقفها السياسية وليس مهما بعد ذلك أن تكون له هذه
المواقف ضرورة روائية أو لا تكون .

ان الفن الروائي من أصعب الاعمال وأبعدها عن مركز العواطف ،
الصحيح أن امثال جويدى حاولت وصف مسيرة العذاب التي سارها

(١) شجرة الصبير ، مرجع سابق ، ص ١٨٤
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٦
(٣) المرجع السابق ، ص ٩١
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨١
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥

الشعب الفلسطيني ، وتصوير مشاعره الحادة بالمأساة ، إلا أنها وقفت
في كثير من المزالق الفنية ، وجاءت روايتها أشبه بشرط اخباري مدغم
بالصور ، ينقصه الاحساس بالتوهج الذي يشحن القارئ ، وينقله إلى
دائرة الكاتبة النفسية ليشاركها مشاعرها وأحاسيسها .

* في عام ١٩٧٤ ، صدر للكاتبة سحر خليفة^(١) رواية " لم نعد جوارى
لكم"^(٢) وحمل غلافها تعريفاً بأنها " رواية من أدب فلسطين المحتلة"
(١) ولقد ظلم هذا التعريف الرواية والكاتبة على السواء^(٣) . فلسطين
المحتلة مرتبطة عند الناس بالرصاص والنار والقنابل والفدائيين والخطب
السياسية ، الأمر الذي جعل القارئ يتلقف الرواية فور صدورها ، ظناً
منه أنه أمام أدب فلسطيني مقاوم ، ولكنه يصاب بالخيبة ، وهو يطالع
(٢٦٣) صفحة من القطع الصغير ، خصصت للحديث عن حياة تافهة
تعيشها نماذج مهزومة من المثقفين والأدعياء ، الممزقين من جراء عجزهم
عن مجابهة الحياة ، الفارقين في التفاهة والجنس وعدم الهبالة .

تدور أحداث الرواية قبل الخامس من حزيران " يونيو " ١٩٦٧ ، على
أرض الضفة الغربية ، ولولا بعض الأسماء مثل (القدس ، رام الله ، أريحا
البحر الميت) لما شعر القارئ أن الأحداث تدور على أرض فلسطينية
أصلاً ، وملخص الرواية أن (عبدالرحمن الميثلوشى) الرسام المشهور ،
كان أحب (سامية) قبل عشر سنوات ، إلا أن (سامية) تتنكر له ،

(١) من مواليد مدينة نابلس عام ١٩٤١ ، أنتهت دراستها الابتدائية بمدرسة
الخنساء في مدينة نابلس ، ثم دراستها الثانوية بمدرسة راهبات الوردية
بعمان ، وأنتهت دراستها الجامعية بجامعة بيرزيت ، عملت في عدة
وظائف ، ولها مقالات عديدة ، بجانب روايتها لم نعد جوارى لكم ، والمبار
- رسالة شخصية مرسله إلى الباحث بتاريخ ١٩٧٧
(٢) صدرت عن سلسلة اقرأ القاهرية ، القاهرة ١٩٧٤ . (لم نعد جوارى لكم)
(٣) حاولت الكاتبة أن تتصل من مسئولية عنوان الرواية الذي لا علاقة له بالمضمون

وتتزوج من مهاجر ثرى فى أمريكا ، وبعد موت زوجها تعود الى وطنها
وتلتقى مرة ثانية بـ (عبد الرحمن) فى مكتبة افتحتها بعد عودتها ، وبعد
عقاب ومكاشفة ، تعود الحياة بينهما الى مجاريها ، الا أن الأحداث فى
نهاية الأمر تقذف بـ (عبد الرحمن) ثانية الى السجن ، وبـ (سامية)
الى أمريكا .

والموضوع الذى تعالجه الكاتبة مكرور ومعاد ، انه موضوع المرأة وموقف
الرجل الشرقى منها ، المرأة التى لا تملك الحق فى التفكير والاختياره
والتي تطاول أن تتحرر من سلطة الرجل وسطوته وتسعى للحصول على
الاستقلال والمساواة . " . . . قد أجد الحب يوما ، ولكنى لن اخذنه
الا من انسان يعرف من أنا وما وظيفتى ، ولماذا خلقت ، انسان لا ينتظر
منى مولودا كل سنة ، ويقعدنى مشلولة عن التفكير والحركة . . . " (١)
الكاتبة نماذج من الرجال البرجوازيين ، الذين يعيشون ويموتون وهم
يتشدقون بالكلمات الفارغة ، رجال باهتو الملاح تجددهم فى كل مجتمع
وان كان الاجساس يهيم أكبر اذا قابلتهم فى المجتمع الفلسطينى ، نظرا
لظروفه الخاصة ، وتوفق الكاتبة فى تصوير هذه الفئة من الرجال وفى
رسم ملاح سماتهم الفردية ، التى تتواءم مع الحقبة التاريخية التى كتبت
فيها الرواية ، ومع الوضع الاجتماعى الذى كانت عليه الامور آنذاك وكثيرا
مانحشر الكاتبة أفكارها وآراءها على حساب البناء الروائى ، دون أن يكون

== اطلاقا ، ومن التعريف بأنها من أدب فلسطين المحتلة ، وذلك فى حديث
لها ، نشر فى مجلة أفكار : العدد السابع والعشرون ، نيسان " ابريل " ١٩٧٥
ص ١٨١ . وقالت : " . . . ان تفسير العنوان حدث دون علم منى ، ولم
اطلع على ذلك الا قبل صدور الرواية بأسبوع ، وكنت آنذاك فى الضفة الغربية
وقد تعذر على أن أقول أى شىء لايقاف ما حدث . . . " .

(١) لم نعد جوارى لكم ، مرجع سابق ، ص ٣١

لذلك علاقة بنمو الشخص أو باستمرار الحدث وتطوره ، وتكاد لا تترك
اسما لشاعر أو فيلسوف أو رسام أو مفكر إلا وزجته بين السطور فـ
عرض ثقافى يتناول آراء مختلفة لـ (فان كوخ وجوركى وتشيكوف ومورايفيا
وفرويد ومايرون وتشيلى وردزورث وشكسبير و ٠٠) حتى تحولت كثير من
المواقف الى مقالات أدبية ودروس فى الفن والأدب ، ويظهر تكلف الكاتبة
فى افتعال أحداث غير مقنعة كحادث غرق الطفلة (نينا) ، وعودة
(ايفيت) الى زوجها ، و (عبدالحمى) الى السجن ، وعودة (فاروق)
الى حظيرة أبيه ، وسفر (سامية) مرة ثانية الى امريكا ٠٠

والكاتبة استخدمت اللغة الحكية فى حوارها ، وأكثر من استعمال
المبارات الجاهزة ، والكلمات السوقية ، والاصطلاحات الخالية من أية دلالة ،
والشتائم الصريحة ، والنكات السخيفة والمناقشات الطويلة .

وأيا كان الأمر ، فان رواية " لم نعد جوارى لكم " المنسوبة الى
أدب الأرض المحتلة ، تخلف مرارة شديدة فى نفس القارئ ، الذى يحس وكأن
ليس هناك قضية أو عدو عاصب ، وأن الناس يعيشون حياتهم لا تشغلهم
الا قضاياهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ، (١) يقول الكاتب المصرى (كمال
النجسى) : " ٠٠ لوجأت الرواية من قلم كاتبة يهودية فى الأرض المحتلة
١٩٤٨ ، لا تجربناها وليلا على تدهور فكر المرأة اليهودية ، وجهلها
بحقائق المجتمع والحياة ، ولقلنا لقد شبع الصهيونيون من خيرات الأرض
المنهومة ، فهم يفرقون أنفسهم فى هذه البلاهات الجنسية التى تدل

(١) أصدرت الكاتبة علم ١٩٧٧ رواية " المصار " منشورات جاليلو - القدس . وفى
هذه الرواية حاولت أن تلتزم بقضية شعبها ، فطرحت مشكلة العمال العرب
العاملين فى مصانع الاحتلال ، الذين يشاركون بوعي أو بدون وعي فى تثبيت
الاحتلال على الأرض الفلسطينية ، كما تعرض الكاتبة الى تكيف فئة من الناس
مع الحياة فى الأرض المحتلة وسخرتها من مفهوم الصور والمقاومة ٠٠٠

أول ما تدل على أنهم صائرون الى الزوال عن هذه الأرض ، فانه
لا يلبث قوم على أرض يسكنونها وهم مثقلون بكل هذه البلاهات والقشور ..
غير أننا - مع الاسف - حيال رواية طويلة من أدب الأرض المحتلة .. وما
أيتها الأرض المحتلة ، كم من الروايات والقصص الطويلة والقصيرة تركت
بأسفك .. (١)

الصحيح أنه ليس من المحتم أن يتناول الكاتب الفلسطيني في كل عمل
يكتبه جانباً من الجوانب المختلفة لقضية فلسطين - وان كان هذا من أهم
واجباته في المرحلة الحالية - فقد يكون ذلك اتجاهاً ضمن اتجاهات عديدة
له ، ولكن يبقى في النهاية ما الذي يكتبه هذا الكاتب والى أي مدى
يستطيع أن يعرض للمشكلات الكثيرة الملحة التي يواجهها المجتمع الفلسطيني
سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية . يبدو أن سحر خليفة - ابنة البرجوازيق
حاولت أن تكتب رأيها الجري في حرية المرأة ، وانعتاقها من عبوديتها
الرجل ، ولما كانت التقاليد الأدبية ، والاجتماعية ، لا تأذن لامرأة ان تتجاوز
في جوانبها حدوداً معينة ، فقد عدت الى الزى الروائي مستفيدة من
هذه العوية لتدلى بما لم يكن باستطاعتها أن تدلى به لو كتبت رأيها
مباشرة ، ولقد غلب عن بالها ، أن دعوتها الى استقلال المرأة العربية
عن الرجل استقلالاً اقتصادياً واجتماعياً ، أمر غير منطقي ما دام الرجل
والمرأة على السواء ، شريكي اضطهاد في ظل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية السائدة في المجتمع العربي ، وأن التحرر المطلق للمرأة الذي
تؤمن به سيظل فودياً ، بل سيكون مظهرها موضعاً مزعجاً ، ولن يصبغ
ظاهرة اجتماعية مقبولة ما دامت مثل هذه الأوضاع قائمة .

* * *

(١) مجلة الصور ، عدد (٢٥٨٠) القاهرة ، آذار " مارس " ١٩٧٤

يفتح الأدب الفلسطيني المكتوب في فلسطين بعد (هزيمة ١٩٦٧) عيون القارئ ، على قضايا مغايرة لتلك التي سبق أن تناولها الأدب العربي في مختلف البلدان العربية ، ليس لأن هذا الأدب يصدر من قلب الجرح الكبير ، ويعبر عن احساس عميق ، ومعاناة حية لكثير من القضايا التي تناولها الأدب العربي من قبل خارج فلسطين ، من منطلق المشاهدة حينا ، ومن اصطناع المشاركة حينا آخر ، ولكن لأنه استطاع من خلال نماذجه الجديدة والمديدة ، أن يكون رفيقا لحركات المقاومة التي جرت وتجرى فوق الأرض الفلسطينية المحتلة ، وأن يكون شاهد عيان على مجازر المسف والارهاب ، يسجل زيف المنتصب وادعاءاته ، ويحفز الانسان الفلسطيني على النضال ، ويستثير في داخله كل الذكريات والقيم التي يعمل العدو على طمسها .

وإذا كانت النماذج التي وصلت إلينا من القصص العربية المكتومة في الأرض المحتلة شحيحة ، (١) إذا ماقيست بوفرة الشعر النسبية ، فإن هذه النماذج على قلتها قادرة على أن تؤكد حقيقتين : الأولى أن هناك حركة قصصية ناضجة في الأرض المحتلة تشكل تيارا فنيا له سمات مشتركة وملامح مميزة عن أي تيار قصصي آخر من تيارات القصة العربية المعاصرة ، والثانية أن سماته المشتركة ، وقاعدته الفكرية لم تحل دون تمايز كل كاتب من الكتاب ، وتفرد عن غيره .

تتميز قصص الأرض المحتلة بعد عام ١٩٦٧ بمذاق خاص ، فهي تصدر

(١) يقول الكاتب صبري حافظ انه استطاع العثور على ثلاث وثلاثين قصة قصيرة كتبت في الأرض المحتلة خلال السنوات الثلاث التي أعقبت حرب حزيران " يونيو " ١٩٦٧ . ينظر : مجلة الاداب ، العدد الثالث السنة العشرون ، آذار " مارس " ١٩٧٢

عن معاناة حقيقية ، وتحدث عن شواهد حية للقرى والبيوت المهدمومة ، والمظاهرات الدامية ، ولحظات اللقاء الحزينة المؤلمة ، والأعين المليئة بالدموع ، والألسن الملمثة بالكلام ، وهي تكشف عن المسف والاضطهاد داخل (زنانات) السجن الكئيبة ، وعن الأرض المصادرة تحت سمع أصحابها الشرعيين ومصرهم ، وليس لكل هذا فحسب يشعر القارىء بالمذاق الخاص لهذه القصص ، ولكن أيضا لأنها تطرح رؤى جديدة لنفس القضية الفلسطينية القديمة ، وتستشرف أبعادا منيرة لتلك التي انفاها ، وتكشف عن جزئيات بسيطة للغاية ، ولكنها ظلت برغم بساطتها غائبة عن أفئق القصة العربية التي كتبت عن فلسطين خارج أرض فلسطين .

فمنذ الوهلة الأولى ، يطالع القارىء ، الاحساس العميق بالأرض ، تلك الأرض التي تلوح في شعر الأرض المحتلة ، أما ، وأختا ، وجميلة - يتغلغل في ثنايا هذه القصص ليظفو على السطح تارة ، ويختفى تحت الأحداث تارة أخرى ، بينما يبرق للحظة خاطفة في الخلفية البعيدة ثالثة ، ويكشف هذا الاحساس العميق بالأرض عن نفسه ، بواسطة صور متعددة تبني جسورا عظيمة بين الانسان الفلسطيني وأرضه وتراثه ، فيلوح مرة تشبها شديدا بالأرض ، وادراكا واعيا بأنه سيقف كل شئ ^(١) بفقدانها ، ويلوح اخرى احساسا حادا بالمواطنة والانتماء الوثيق للأرض التي تسيطر عليها أقدار جائزة ، بينما يتهدى ثالثة احساسا متوهجا بالتاريخ الطويل المستمر ، واتصلا وثيقا بالماضى وتراثه المحفور في أخاديد الأرض وأسلاكه الذي ينهضون في عروقها جيلا بعد جيل ، وفي مرة رابعة يعبر عن نفسه نفسى

(١) يلمس هذا الاحساس في مجموعة قصص الكاتب الفلسطيني توفيق فياض "الشارع الاصفر" منشورات مطبعة أوفست حكيم ، الناصرة ،

تلك الرغبة الجامحة للتمير والبناء والحرق والبذر ، ليظل مرة خامسة من خلال الاحتفاء العظيم بالذكريات المحفورة في القلوب والتي لا تتسى برغم سنين التشرد والقهر والحومان ^(١) . والسمة الثانية التي توحد بين هذه القصص ، هي الالاح الشديد على ضرورة الفداء والمنافحة عن الأرض وعن البقاء فوقها ، وهذه الضراوة الفدائية وحدها يؤكد العربي الفلسطيني حقه في البقاء ، وأية مهادنة ضئيلة لا تفقده الأرض وحدها ، بل تفقده انسانيته ذاتها ، ويظهر بوضوح احتفاء هذه القصص بأساليب النضال المختلفة مشروحة كانت أو غير مشروحة ، فتتاول الاضرابات والمظاهرات وحركات التمرد والعصيان ، وتجديد الصلاة ، والوقوف في وجه المصنف ، والتحايل على القوانين الجائرة ، وتعرض لحوادث الاغتيال الجماعى ، باعتبارها الوقود الآدمى الذى يذكرى روح الكفاح ويبقى على جذوته متوهجة مشتملة ^(٢) .

أما السمة الثالثة المشتركة بين هذه القصص ، فتتمثل في النظرة الجديدة لـ (هزيمة حزيران " يونيو " ١٩٦٧) والروح المتفائلة التي ينظر بها الكاتب العربى الفلسطينى الى هذه (الهزيمة) العارضة التي ظننها المدو تثبيتا نهائيا لمدوانه البشع ، ولم تكن الهزيمة بالنسبة اليه سلبا

- (١) ينظر قصة اميل حميدى " الخرزة الزرقاء وعودة (جينة) " . وهى احدى القصص الست التي تشكل رواية " سداسية الأيام الستة " .
 - (٢) يلمس كل ذلك من خلال قصص توفيق فياض (النهج ، أم الخير ، الراعى حيدان) من مجموعة (الشارع الاصفر) وكذلك في قصتي محمد نفاع (الأخذ بالتأراء والجمجمة رقم ١٤) . نشرها في مجلة الطريق البيروتية - تشرين الثانى (نوفمبر) وكانون الأول " ديسمبر " ١٩٦٨ .
- وكذلك في قصة مدوح صفدى (الشاطىء المهجور) - مجلة الطريق - المرجع السابق وقصة نبيل عودة (لقاء بعد عشرين عاما ، مجلة الطريق المرجع السابق وقصة محمد على طه (الخط الوهمى) ، مجلة الآداب ، العدد الثامن ، السنة السابعة عشرة ، أ ب " أغسطس " ١٩٦٩ ، وقصة محمد خاص (لا لون للدم فى الليل) ، مجلة الطريق البيروتية " تموز " يوليو ١٩٦٩ .

مطلقا ، اذ أنها أيقظت فيه أشياء ايجابية ، وأرهفت فيه الاحساس بوحدة الوطن الذي ضمت المهزومة نصفية المشطورين ، ووحدت بذلك مشاعر الشعب كله ، وطرحت قضيته بصورة جديدة ، وعمقت ادراكه لتلك الملائمة الجدلية بين السلم والحرب ، ويات على يقين بأن الطريق الى السلام والأمن المرجح هو الحرب والفداء والمقاومة^(١) . وتشكل العودة السمة الرابعة المشتركة بين قصص الأرض المحتلة ، ولكنها عودة ليست كالتى ألفناها فيما اصطلح على تسميته بأدب العودة المكتوب فى النفس ، انها عودة مفارقة ، عودة من لم يفقد الأرض ، ولكنه فقد الأمان والأهل بحمد أن انشطر وطنه الام الى نصفين ، نصف فى المنفى ونصف فى الأسر ، وكل من النصفين يحن الى الآخر حين الأسير القاعد فى وطنه المحرور منه^(٢) . بقيت سمة خامسة مشتركة بين هذه القصص ، وهى الاحتفاء بالطبيعة ، وتوظيفها توظيفا فنيا ناجحا لا على أنها منظر خلقى مكمل ، ولكن على اعتبار أنها احد عوامل البناء الفنى الأساسية ، كالحديث والشخصية التى يقدم الكاتب من خلالها ما يريد أن يوج به . وتتحول هذه الطبيعة الى رموز عميقة مثقلة بالدلالات ، وتشارك فى رحلة التخفى والتستر التى تقطعها هذه القصص أحيانا ، كى ترى النور من خلال أجهزة المدو الرقابية ، لذا فان دراسة الطبيعة فى هذه القصص تحتاج الى قراءة متأنية لمعرفة ما يريد الكاتب أن يقوله

(١) الأرض المحتلة من فلسطين عام ٤٨ ١٩ ، والضفة الغربية وقطاع غزة يحد ذلك .

(٢) يلمس هذا فى قصة اميل جيهنى " السلطعون " نشرت فى الآداب العدد الرابع ، السنة الثامنة عشرة ، نيسان " ابريل " ١٩٧٠ .

(٣) تلمس هذه السمة فى قصة محمد طى طه " كلمات تقال " . نشرت فى مجلة الطريق ، تشرين الثانى " نوفمبر " وكانون الأول " ديسمبر " ١٩٦٨ . وكذلك فى قصة اميل جيهنى " حين سعد مسعود يابن عمه " وهى احدى قصص " سداسية الأيام الستة " .

(١)
لنا .

ويبقى بعد ذلك بضع ملامح مميزة ، تتصف بها هذه القصص ،
امتدادا للسمات الرئيسية ومعضها الآخر جزئي ينسحب على بعض النماذج
دون الاخرى ، نحو الاشارة الى حالات المجز الجسدى أو الروحى ،
والاحالة الى الاساطير ، والحكايات الشعبية ، والتصوير الموهف لمالم
الطفولة المفقدة ، والتفديس الواضح للقاء والمعمل والبناء والزرع والبذار ،
واستخدام الحيوانات كرموز ، بطريقة تقترب من منهاج كلية ودمنة .

هذه السمات المشتركة بين قصص الأرض المحتلة ، التى يلمح
الكتاب من خلالها ، وكأنهم يصدرن عن رؤية واحدة ، وعن موقف فكرى
واحد ، لا تنفى بأية حال ، تفرد كل واحد منهم - ضمن اطر السمات
المشتركة - بحاله الخاص الذى يرتوى من خبراته ، ومن الرقعة
الزمانية والمكانية والانسانية ، التى خبرها ، وعانى تفصيلاتها واستوعب
همومها .

وليس من قبيل الصدفة ، الا يكون للمرأة الفلسطينية فى الأرض المحتلة
دور ايجابى فى ميدان القصة أو الرواية - شأنها مع الأشكال الأدبية
الاخرى - ذلك ان حالا واضحة من الانزواء بقيت تظل المرأة هناك ،
وتدفعها الى ايثار الصمت والركود ، وهى حال ليست مصطنعة ، وانما هى
نتيجة حتمية لظروف حقيقية تكشف عن حياتها المامة ، ولم يكن فى مقدور
الوعى المتلى الذى دفع المرأة الفلسطينية للمشاركة بالنضال من أجل
الخلاص الوطنى وتحرير الأرض ، أن يعكس فى الوقت نفسه ، وعيا موازيا
له بضرورة تحرير المرأة من اسار التقاليد التى تحول دون اشتراكها

(١) كما فى قصة طارق عن الله " نفق النور " . نشرت فى الاداب العدد
الرابع ، السنة الثامنة عشرة ، نيسان " ابريل " ١٩٧٠ ، وكذلك فى
قصص اميل جيبسى فى (سداسية) .

الفعال في مجالات الحياة المختلفة ، بل نجد على العكس من ذلك ، استمرار تلك النظرة التقليدية للمرأة التي تحد من نشاطها ، وتقتصره على السلوك الذي اعتاد المجتمع العربي في اسرائيل أن يتقبله .^(١)

وإذا عرفنا أن المجتمع العربي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ، يكاد يكون قرويا في غالبيته ، وإذا عرفنا شدة تمسك هذا المجتمع بقيمه وتقاليد ، وخاصة أمام النزو الصهيوني ، وإذا أضفنا إلى ذلك الواقع التعليلي الذي تعيشه المرأة الفلسطينية في الأرض المحتلة ، الذي يسجل انخفاضا خطيرا في نسبة اللواتي يكملن مرحلة الدراسة الابتدائية ، ثم ذلك الحصار الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي ضرب حول الانسان الفلسطيني ، وسلبه حريته وخاصة بعد عام ١٩٦٧ ، إذا عرفنا ذلك كله ، نقف على الأسباب التي حدثت من مشاركة المرأة الفلسطينية في الميدان الأدبي بأشكاله المتنوعة ، وجعلت صوتها غير مسموع على النحو الذي يسمع فيه صوت ادباء الأرض المحتلة وشعرائها .

* * *

(١) لا شك أن مشاركة المرأة الفلسطينية خارج الأرض المحتلة في مجالات الحياة العامة ، أحدثت خللا في تقاليد المجتمع الفلسطيني وأعرافه ، وهزئيرا من المفاهيم التي كانت سائدة من قبل .
ينظر : ص (٢٨) من هذه الدراسة .

يكاد معظم نتاج القاصة الفلسطينية في هذه المرحلة يدور حول التجربة الفلسطينية المكتظة ببطولاتها الفدائية ، بكل روعاتها ومراراتها ، وحول الجوانب المأساوية من حياة المرأة ، ونادرا ما نجد قصة تمكس مشاعر الفرح والارتياح والسعادة في هذا الانتاج ، حتى قصص الكفاح والتضحية تدور في أجواء مظلمة كثيفة ، ومرد ذلك في تقديرنا السي أن القاصة الفلسطينية ما زالت تعيش حالة من القلق السياسي والاجتماعي والنفسي ، وتمانى من ضعف ارادة التحرير ، والتلون الاجتماعي والمناطقى ، مما صلب جل انتاجها بالصبغة التشاؤمية وجعل مشاعر الفرح والسعادة نوط من الأمل المنتظر الذي لا يأتي في لحظة الا ليذهب في التالفة . وعلى الرغم من وفرة الانتاج النسبي للقاصة الفلسطينية في هذه المرحلة ، الا أن هذا الانتاج لم يستو على اسس ثابتة ، وعلى مترجحا بين الرومانسية والواقعية ، ولم يلج عوالم القصة الجديدة كالتعبيرية والرمزية والتجريدية ، ويعود ذلك الى أن أحدا لم يتصد الى نقد هذا الانتاج بنوعيه القصير والروائي ، ولم تظهر دراسات ثقوبية وتحليلية جادة تعرض له وتوجهه الوجهة الفنية السليمة ، وتحول دون وقوفه أمام باب مطلق ، وتخلصه من المضامين المستهلكة ، ومن المزالق الفنية التي قد ينحدر اليها ، بالإضافة الى أن الاستيعاب الكامل للتجارب القصصية الحديثة فسي الحرب كان عسيرا على القاصة الفلسطينية ، فالتمثل التام لتلك التجارب كان ناقصا وضعبا ، ذلك أن معظم القاصات لم يقرأن القصة الغربية بلغتها الاصلية ، واكتفين بالترجمات أو الدراسات النقدية حولها ، مما جعل التمثل الكامل للنص القصصي الأصلي محدودا ، وعلى الحس الفني ناقصا ، خاصة ، بأن القصة المباشرة تمتد هتنيات فنية دقيقة كالصياغة

والبناء اللغوي والرمز ومدلولاته ، وهي امور لا تتقلمها الترجمة كما هي .
والمسروف أن هذه العناصر تقوم بدور رئيسي في توضيح أبعاد القصة
وظاياتها ، ومن الصعب الاحاطة بهذه الابعاد والمدلولات والرموز الا بالفهم
الكامل للغة القصة الاصلية ، والوعي المتكمن لاستيعاب ثقياتها وايحاءاتها
المختلفة .

وبلاحظ في نهاية هذه المرحلة أن القاصة الفلسطينية أدركت
أن طيبة القصة القصيرة أعجز من أن تحمل مضامين فكرية وسياسية ونفسية
عميقة ، وأنها شكل أدبي رقيق اذا ما اثقل فانه يفقد مسوغ وجوده ،
ويبدو أن كل شيء حول القاصة كان يخرمها بالتركيز على فن القصة
الطويلة كوسيلة للتمبقة السياسية والفكرية والذاتية . وتشير الشواهد التي
أن اختيار القاصة لهذا النوع من القصة كان متمشيا مع المناخ العام
للمرحلة ^{هذه} في جانب كبير منه ، ومصرف النظر عن المستوى الفني لهذا
النوع القصصي من جهة ، وعن تفاوت المستوى بين القاصات ، وتباين
اتجاهاتهن وانتماءاتهن من جهة اخرى ، فقد استطاع هذا النوع
القصصي أن يفى نسبيا بما وعد ، وكان مرآة للواقع الذي يعيشه الانسان
الفلسطيني الذي تنعكس فيه فورات التفجير السياسي وتموجات الصراع
الاجتماعي .



(الباب الرابع)
=====

المؤاة الفلسطينية والمقالاة

(الفصل الأول)

=====

المرحلة الأولى ١٩١٤ - ١٩٤٨

يصب على أى باحث أن يعرف المقالة الأدبية تحريفاً دقيقاً ، وأن يميز بين أنواعها ، ولعلها محاولة فى المجال أن يستمد الباحث من ألف مقال على سبيل المثال ، مجموعة من الخصائص يرسى عليها قواعد كتابة المقالة فى الأدب العربى الحديث ، أو أن يهتدى الى قاسم مشترك يعتبر بمثابة تشريع يجمع ما بين المقالة العلمية أو الأدبية أو الصحفية كما يصعب القول بأن كتاب المقالة على اختلاف أهوائهم ومستوياتهم يلتزمون حدوداً معينة فى مقالاتهم ، بل أن الكاتب الواحد منهم لا يتهجج نهجا واحداً فى كل ما يجبر فى هذا الفن .

ويؤكد الدكتور زكى نجيب محمود ، أن صفة التصريف بالمقالة " ... ناشئ من أنها ليس لها حدود مرسومة يحفظها المبتدئ ، " ينسج على نوالها ، كما يفصل فى القصة أو القصة (١) " ويرى الدكتور محمد عوض أن " التصريف بفن المقالة ليس من الضروري أن ينطبق تمام الانطباق على كل مقالة ... " (٢)

لهذا لن يكون تحت كلام الباحث كبير طائل اذا عرف المقالة بأنها :
" ... تأليف متوسط الطول ، حول موضوع خاص ، أو فرع من موضوع ، أو قطعة غير منتظمة محدودة المدى ... " (٣) أو قال انها :

(١) د . زكى نجيب محمود : أدب المقالة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧ م ص ١١ .

(٢) د . محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، مطبعة البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٥٩ م ص ٦٥ .

(٣) The Oxford English Dictionary, P.P. 293-294

"... قطعة نثرية محدودة الطول أو الموضوع ، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب (١) " أو أنها :

"... نوع من الإبداع الفنى الأدبى ، معتدل الطول ، يتحدث نشراً عن تجربة شخصية تتناول ظاهرة واحدة حديثاً عنها لا تكلف فيه (٢) " أو :

"... انشاء نثرى قصير كامل يتناول موضوعاً واحداً غالباً ما يكتب بطريقة لا تخضع لنظام معين ، بل تكتب حسب هوى الكاتب ، ولذلك تسمح لشخصيته بالظهور (٣) " أو :

"... قطعة مؤلفة متوسطة الطول ، تكون عادة منشورة بأسلوب يتناز بالسهولة والاستطراد وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، ولكنها تتماجه على وجه الخصوص - من ناحية تأثير الكاتب به (٤) " .

ولن يكون تحت كلام الباحث كبير طائل أيضاً اذا وضع تعريفاً آخر للمقالة يراه ، أو اذا عاود ما بينه الكتاب من خصائص المقالة ، وأنواعها وموضوعاتها ، وأساليبها ، وتقسيماتها ، ومواصفاتها كتبها الى غير ذلك من الأمور التي قد تصرفه عن القصد .

(١) د . محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٧ ص ٩٥ .

(٢) عبد الجبار داود البصرى : رواد المقالة الحديثة فى الأدب العربى الحديث ، منشورات وزارة الأعلام - بغداد ١٩٧٥ ص ١١ .

(٣) أحمد أمين : النقد الأدبى ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ٢ ١٩٦٣ ص ٩٩ .

(٤) Encyclopedia Britanica, Vol. 8. PPP. 716-717. (٤)

ويرى بعض الباحثين أن بذور المقالة ظهرت في الأدب العربي منذ القرن الثاني للهجرة^(١) ، وتمثلت على أحسن صورها في الرسائل ، وخاصة الاخوانية والملمية ، فعبد الحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج أو الصيد أو الكتابة ، كان يكتب شيئاً قريباً من المقالة ، والفصول الأدبية التي أنشأها الجاحظ في كتبه : البخلاء والمحاسن والاضداد والحيوان والبيان والتبيين ، مقالات مطولة ينقشها شروط المقالة الحديثة ، ورسالة سهل بن هارون إلى بني عمه في مدح البخل وذم الاسراف مثل على المقالة الفكاهية ، ورسالة الصحابة لابن المقفع مقالة في سياسة الدولة وتدبير الرعية وفي نقد نظام الحكم ووجوه اصلاحه .

وفي القرن الرابع الهجري خبطت الرسائل المقالة خطوة نحو التكلف ، ففدت وان تنوعت موضوعاتها متحجرة الأسلوب ، مما يبعدها في نظر النقد عما يقتضيه أسلوب المقالة الحديثة ، من تدفق وحرية وانطلاق ، ولانجس في هذا القرن كاتباً يعادل أبا حيان التوحيدي في طلاقة تمبيره ، وغزارة معانيه ، وبراعة تصويره ، فرسائله - على ما يتسم بعضها من الطول - شديدة الشبه بالمقالات التأملية الفلسفية .

هذه الأثلة - على قلتها - دليل على أن العرب في نطاق فهمهم للتعبير الأدبي ، قدموا بعض الرسائل والفصول الأدبية المتعة ، التي يصح أن ندرجها تحت باب الأدب المقالى بمفهومه الحديث مع شئ من التجاوز والاعتدال في التحديد .

(١) د . محمد يوسف نجم : فن المقالة ، مرجع سابق ص ١٧ ، كذلك ينظر :

- عمر الدسوقي : فن الأدب الحديث ج ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ٤ ١٩٥٩ ص ٣٨٨ .

أما في الأدب العربي الحديث ، فقد ارتبط تاريخ المقالة بتاريخ الصحافة العربية ارتباطا وثيقا ، وانتشر هذا الفن - الذي يفتقر عن مظاهره في الأدب العربي القديم - بانتشار أغراض الصحافة ومراييمها ومستويات جماهيرها ، ومنازعتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والملمية والأدبية ، حتى لا يبقى باب من أبواب الاعلام والمعرفة الانسانية الاطرقتة .

وكانت فلسطين حتى مطلع القرن العشرين تشهد تغيرات بطيئة ، وتحولات هادئة في حياتها الثقافية ، وحين منحت الدولة العثمانية بلاد الشام دستور عام ١٩٠٨ ، واستعاد الناس بعض حقوقهم في ظل التنظيمات الادارية الجديدة ، نشطت في البلاد التيارات الثقافية والفكرية وصدر في فلسطين وحدها خلال السنوات القليلة التي أعقبت اعلان الدستور عشر صحف ، سارت على نهج مثيلاتها في كل من مصر ولبنان ، ونصت أعمدها بمقالات شملت موضوعات شتى استدعتها ظروف الحياة الجديدة في هذه الحقبة ، كدور الشعوب والحكومات في علاقات الامم ، والعمل ومشكلة العامل ، والطبقات والبناء الاجتماعي ، وصلة اللغمة بحياة الناس ، والتقاليد والسير ، والبحوث في علم الطبيعة ، وفي النشوء والارتقاء وغيرها ، وسرت في أساليب بعض الكتاب روح العصر ، بمسند (٢) أن أطلوا على النهضة الأوروبية الحديثة ، فراحوا يوجزون ويمسرون ويقربون

(١) نحو : الأسمى ، القدس ، الكرمل ، النفير ، الصاعقة وغيرها .
(٢) من أمثال : خليل السكاكيني ، خليل بيدس ، عيسى العيسى ، بولس محاده ، مهد الله مخلص ، توفيق زبيق .

من الأنفهام خلاصات المعارف الجديدة ، ويستمدون من المبادئ الفكرية
(١)
الفردية أصولا لمجابهة قضايا الشرق وواقعه ، بينما ظهر كتاب آخرون
عزفوا عن سرب التصنع والتكلف وحشد الاستثمارات التقليدية فأخصبوا
الأدب ، وأرجعوه الى وقاره ، وأحيوا لغة كاد ينقطع عهد الألسنة بها
منذ أمد .

ولقد ساعد انتشار الصحافة في البلاد على ظهور أقلام نسوية ، وتلك
ظاهرة أدبية مبكرة نسبيا تسجل للمرأة العربية الفلسطينية في هذه الحقبة
(٢)
وبخاصة اذا أدركنا أن المرأة الى عهد قريب كانت معزولة عما يسدور
حولها من تطورات اجتماعية وسياسية وثقافية ، وتميش في ظل تقاليد
كانت تستوحى من أنظمة جائرة تقعد بها على الهامش من شؤون الحياة .
ومن الطبيعي أن تقتصر مشاركة المرأة في النهضة الأدبية الجديدة
التي شهدتها فلسطين على عدد محدود من النسوة اللواتي أتاحت لهن
الظروف قسطا من التعليم في المدارس المحلية - الطائفية والأجنبية -

(١) من أمثال اسفاف النشاشيبي .

(٢) يرى بعض الباحثين أن أول امرأة عربية كتبت في العصر الحديث
هي (مدام منصور مشكور) في مجلة الجنان عام ١٨٧٤ ، وما قالتها
في مقالها " . . . لما كانت المرأة ذات قابلية لجميع ما يجمعه الرجال
ولادراك ما يدركونه من سلم الأدب والمعارف ، كان لا بد أن تكسبون
الواسطة الرفاعة لشأنها والمثقة لعقلها نفس وسائط الرجال "

ينظر :

- أنور الجندي : أدب المرأة العربية مدار المعرفة ، القاهرة
(د . ت) ص ١٠٣

ويروي الفيكونت دي طرزي صاحب كتاب (تاريخ الصحافة العربية)
أن أول أدبية سورية كتبت في الصحف هي مريانا مرآش ، ففي عام
١٨٧٠ نشرت عدة مقالات في مجلة الجنان وفي جريدة لسان الحال
وفي غيرها من صحف بيروت ومجالاتها . ينظر :

- مجلة الصري : العدد (٤٥) آب (أغسطس) ١٩٦٢ ص ١١٧ .

وأن تكون المقالة - لما تتصف به من المرونة والسهولة - الشكل الأدبي الذي اعتصم به . والمطلع على المقالات النسوية التي كتبت في تلك الحقبة ، يجتذبه طابعها الوجداني المتراوح بين بث التجوى والحزن والحرمان ، ويشده صوتها المعتدل المنادي بتعليم المرأة وتخليصها من واقع تقضى فيه جهلاً ، المطالب بالحرية المعقولة - على حد تعبير تلك الحقبة - .

في مقالة للآنسة (سلى النصر - من مواليد الناصرة)^(١) تحدث فيها بنات جنسها على التعليم وتزين في أعينهن المدرسة ، كتبت تقول :^(٢)

((كلمات أشعرتها على صفحات النفايس ، لأخاطب بها بنات جنس ، لا أقصد بها فخراً أو شهرة ، ولا أنا من فرسان هذا الميدان لا انتظم في هذا المسلك ، وإنما هي خطوات أفكار سئمت ، وأنا أرجو من أرباب النقد عفواً ، يعلم القراء الأفاضل أن غاية كل محب لوطنه ، تمزيق شأن الوطن ، فالوطن لا يبلغ درجة الصمران الا بتثقيف العقول ، وتوير الأذهان ، وذلك لا يتم الا بتعليم المدارس ، قال " مونتسكيو " يطلب من الأب تفضيئة ولده ، ولا يطلب منه أن يترك له ارثاً ، وقال آخر : ان غاية ما يحتاج اليه الولد أن يرى ويهذب فالمدرسة أيتها الرفيقات هي مستودع البركات لكن وللوطن فادخلتها بصدور منشرحة وآمال كبيرة ، وكن من المتسابقات في حلبة العلوم والساعات في اسعاد الوطن والأمة بأدابكن ومعارفكن))

وترى صاحبة المقالة أن الحياة البهنية مهما صفا كأسها ، وطلب عيشها

(١) لم يعثر الباحث على معلومات عن الكاتبة .
(٢) النفايس المصرية : الجزء الثاني ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩ السنة الثانية ص ٩٧ .

وكثر أسباب رفاهيتها لانتشارى تصميم الحياة المدرسية :

((... لا تميم للبيت ، ولا هناء للمائلة ، الا اذا تأسس
فى المدرسة ... انسين الماضى ، زمن الذل والهوان
ولا تنظرون الى ما كنا عليه قهلا ، حينما كان جنسنا لا تزيد
قيمته عن الحيوانات الدنيئة ... وانظرن الى الهالدة
وأصخن لأقوال الجرائد والمجلات التى لا تتكل عن نشر
الضاداة فى وجوب تهذيب الأبنية وتثويرها وكن كزهرة
البنفسج . حتى تنمش بطيب شذاها القلوب أينما
كانت ...))

ونقرأ مقالة للسيدة (رزحسون)^(١) تعرض فيها للمرأة الهندية
وماتلاقية من مذلة وهوان وبخاصة اذا كانت أرملة ، وتضفيها اشارات خفية
الى المرأة المصرية ، وماتكابه من رهق التقاليد والمادات ، تقول كاتبة
المقالة :^(٢)

((... لكل بلاد كفوها من الموامد والتقاليد ،
وما يستحسنه أهل البلد الواحد منها قد يستهجنه
أهل البلد الآخر ، غير أن لبعض البلاد من
المادات الذميمة والاصطلاحات السقيمة ما يفر منه كل
طبع ويستهجنه كل ذى عقل سليم ، وما ذلك الا لأن سكان
تلك البلاد لم يستوفوا حظا من العلم ، ورضوا بالجهل
والانحطاط مولا ورفيقا ...))

(١) لم يعثر الباحث على أية معلومات عن الكاتبة .
(٢) النفايس المصرية : الجزء السابع ، أيار مايو ١٩١٠ السنة الثالثة
ص ٤١٥ .

وبأسلوب يقترب من الأسلوب القصصي تكتب الأنسة (أنيسة ابراهيم
(١)
عد النور - كفرشيما) مقالة بعنوان " دهاء الحسناء " تحاول فيها
أن تبرز دور المرأة في المجتمع ، وقدرتها على المشاركة في قضايا
المصرية وتتحدث عن نظرة الرجل الشرقى القاصرة للمرأة (٢) وما كتبه :

((... قالت الفتاة : على أي شيء عولتم بإسادة ؟
فأجابها أحد الحضور : وماشان ربات الجمال وأمور
السياسة ؟؟ الأجدرك يا هذه أن تتحجبي داخل
خدرك ، فتقدمت الفتاة وقالت بثبات جاش : ولكن قد
قيل : لا تحتقن صغيرا ، فاعلم أن في هذا الرأس
الصغير عقلا كبيرا يبطن رأيا جديرا باخراجنا جميعا
من الورطة التي نحن فيها ...))

وفي السنوات الأولى من عمر الانتداب البريطاني على فلسطين شهدت
البلدان التعليم وتشيد المدارس ، وراحت الصحف تطلع على الناس
بمقالاتها الافتتاحية تحمل الدعوات الحثيثة للالتحاق بالمدارس بالإضافة الى
مقالات كثيرة تطالب بتعليم المرأة ومنحها حقوقها المشروعة ، ولاحق نسى
سواء البلاد بؤادر نشاط اجتماعي للمرأة تمثل في تأسيس الجمعيات
النسوية والاتحادات واللجان المحلية وبخاصة في المدن ، أما نشاطها
الأدبي فقد بقى شحيحا ، ولكنه حمل نبضا نسويا جديدا تمثل في ارتفاع
صوت المرأة ينادى بتمكينها من الحياة المحلية ، وتخليصها من القيسود
التي تصيق نهضتها ، ويفسح مجال التعليم أمامها .

(١) لم يمثّر الباحث على معلومات عن الكاتبة .
(٢) النفائس المصرية : أيار " مايو " ١٩١٤ السنة السادسة ص ٢٤٨ .

كُتبت الآنسة (كريمة الصفوري) (١) مقالة تصف فيها حال المرأة الشرقية

(٢) وما تنزع اليه من تجدد وتغيير :

((... ليس في شرقنا ما يدعو المتأمل في كسبه الأخلاق ، أن يبحث في الرقى والتعدن ، فما دامت المرأة عندنا جاهلة غبية ، فالبلاد تظل خاملة ، لأن الأدب هو عنوان الرقى ، وإذا دققنا النظر في الأدب وعارفه ، والعلم وحامله من فتيات ونسائنا نجد أن نسبة العلم إلى الجهل كسبة مافوق الأعلى إلى ماتحت الأدنى ... وللمرأة في شرقنا حاله نكاد تكون عامة في سائر الطبقات ، لأنه كلما نجد فينا من كان الأدب نجسته والعلم رائده ولا سيما في أغنيائنا ، فالغنى هو في الغالب أغنى طبقة وأجهل فئة ...))

وتنضى كاتبة المقالة فتحدث عن منزلة المرأة الشرقية في المجتمع ،

وعن تفضيل الرجل عليها بأسلوب يستعم بالتهمك والسخرية فتقول :

((... تجلس المرأة على سرير الولادة ، وتجتصع الفريسات منها حولها ، حتى إذا ولدت ذكرا ملأ البيت أهانج وزغاريد ، وطاف المبشر يذيع البشائر ، وتنقل الوالدة إلى فراش أعد لها ويقدم لها كل أكرام واعتناء ، ويفد المهنتون حتى يضيق البيت بهم ، وهم وهم يذخنون و) يارككن (غير راحمين حالة الوالدة ورقة الطفل المولود ، ويمد أن يشقلوا معاهم

(١) لم يعثر الباحث على أية معلومات عن الكاتبة .

(٢) النفايس المصرية : الجزء التاسع أيلول (سبتمبر) ١٩٢١ السنة الثامنة ص ٢٧٨ .

ينصرفون ثم قد لا يكتفون بزيارة أو زيارتين لهيئتهم
بتقديم التهنئة للوالدة بسلامتها ، وللوالد بولس
الصهد العاصي ، أما إذا غلظت الوالدة ، ووضعت
ابنة ، فالوجوه تنفض والأفواه تكم ، وتكون حالة
من في البيت ، كمن وجبت عليه التمازي ٠٠٠
وهذا بعض من كثير من وصف حالة المرأة الشرقية
في شرق كيب عليه الويل والشقاء ٠٠٠))

ومع مرور الأيام أخذت المرأة العربية الفلسطينية تخوض تجارب
اجتماعية وثقافية جديدة ، وساعدها على ذلك التطورات السريعة التي
أصابت المجتمع الفلسطيني وغيره من المجتمعات العربية الأخرى وقدر
لبعض النساء من اتجهت لهن حرية الحركة والتنقل ، أن يخرجن إلى
العالم السواسع من حولهن ، وأن يكشفن النقاب عن غفيا هذا العالم
الجديد الذي يصلح المدنية ، ويتلمسن سر تفوق مجتمعاته ، وتكتسب
السيدة (عبيرة سلام الخالدي)^(١) عدة مقالات تصف تجاربها الحياتية

(١) من مواليد مدينة بيروت ، تلقت دروسها في اللغة العربية على يد
الشيخ عبد الله البستاني ، اقتصرت بالمرى الفلسطينية أحمد سامح
الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس ولها خدمات اجتماعية كثيرة
وألقت المحاضرات ونشرت المقالات العديدة ، وحين انشئت دار
الاذاعة في القدس عام ١٩٣٥ ، كانت أول سيدة تدعى لافتتاح
الحدث الاذاعي فيها ، وكان بيتها منتدى تومه الطبقات المثقفة
من مختلف الأقطار العربية ، لها ترجمات عديدة أهمها :
ترجمة الالباذة ، الأوديصة . ينظر :
- أعلام الأدب والفن ج ٢ ص ٥٥٠ .

ومشاهداتها الشخصية التي خلفتها زيارتها لعدد من البلدان العربية
والفريية ، وفي مقالة لها بعنوان " شرقية في انجلترا " ^(١) تقول :

((... لم يعد لزيارة أوروبا ذلك التأثير السحري
الذي كان لها منذ خمسين سنة مثلاً ، حينما كانت طرق
المواصلات صعبة ، وحينما كان يرجع الزائر وفي جميعته
من النواذر والأخبار ما يدهش السامع ، وقد يستفصل
هذه الدنشة ، ويخلط الصحيح بالمخترق ، حتى يلبس
عليه تصوراته ، ويتركه والله يعلم ما في نفسه نحو تلك
البلاد البعيدة ... على أن ذلك التأثير السحري
لا يمكن أن يزول بتاتا من نفس فتاة شرقية في محيط
شرقي يسرى عليها به كل ما للشرق من عادات وأخلاق
وحجاب ، ولهذا فقد كت استقبل هذه الرحلة بدافع
من الشوق الشديد ، ووازع من خوف عميق يتنازعني في
كل حين ... ان أول شعور امتلكني حين نزلت
البلاد الانجليزية ، هو شعور الهيبة والاعجاب والحرية
الشخصية ، والعمل المنظم ، والرياضة ، والتمتع بالمسرات
والوطنية الصادقة ، والمائلة الانجليزية ، والمناية بالأطفال
والفتاة الانجليزية ، والبوليس الانجليزي ، والصحافة والنفس
الكريمة ، والتهديب الراقى ، على أنني اذا وصفت الانجليز
بكرم النفس ، فأننى دون شك لا أعنى أنهم خلوا من
النقااض ، ولا تفر دون ألم عميق في نفسى ذكرى تكنت
سباسبهم عهد الصرب ، بعد أن وثق هؤلاء بهم ،
واستسلموا باخلاص لعودهم الزائفة ، ولكنهم كسبب
خبرت ما فيه من النقااض والحسنات ، لا أقدر إلا أن أصفهم

(١) الكشاف ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، كانون الثاني (يناير)

بكرم النفس ، ولم أر من أفرادهم الا هطفا على
مايسونه بالقضية العربية ، واستكارا لمصل المياسيين
ولملم هذا الفرد ذاته الذي تحتل نفسه هطفا
عليك ينقلب سياسيا مثلونا اذا استلم زمام الحكم))

وتضى الكاتبة فتسجل تأملاتها في " المدنية الحديثة " فتقول :

((. . . الأطراف المدنية واحدة مهما اختلفت التعاريف
ومهما جمع في شئ هذه التعاريف من مجلدات وهى
تلخص بقول برناردشو أعظم كاتب حتى على الاطلاق . . .
يقول ببساطة : المدنية هى أن تحترمنى وتحترم ما يخصنى
وأحترمك وأحترم ما يخصك ، وتتفاوت مدنيات الأمم انحطاطا
ورفعة ، وتتفاوت انطباق هذا التصريف عليها قريا أو بعداه
وإذا سلنا بهذا ، فاننا لابد مسلمون بأن الانجليز
أفضل أم الأرض مدنية)) (١)

وفي هذه الحقبة اضطلمت الجلات الأدبية المصرية بدور بارز فى
تثقيف العقول وفى تشكيل الاتجاهات الأدبية فى فلسطين ، حتى
كان " . . . طلاب المدارس وجمهور المثقفين ينتظرون مواعيد صدورهما
ووصولها بلهفة ، ويتابعون ما يكتب فيها متابعة عميقة ناعمة ، وينقسمون
أحزابا وشيما فكرية ، يناصرون هذا الأديب أو ذاك ، ويفرقون فى مناقشات
أدبية خصبة فى مجالسهم الخاصة وفى مجتمعاتهم العامة ونواديبهم ، فكان
للمازنى والمقاد والرافعى وطه حسين وأحمد أمين وزكى مبارك والزيات
ومحمود شاکر وسيد قطب وسعيد المرمان مدارس فكرية وأسلوبية فى هذا
البلد لها تلامذتها الكثيرون ، ولم يكن مصدر لأحد هؤلاء أو لغيرهم

(١) نحو : المقطف ، الهلال ، الرسالة ، الثقافة وغيرها .

كتاب حتى يسارع هؤلاء القراء الى شرائه ودراسته (١)

وظهرت في الساحة الأدبية أقلام نسوية جديدة ، كما ظهرت مجالات جديدة للكتابة والدراسة والبحث ، ونقرأ للآنسة (رائدة جبار الله) (٢) مقالة عن التراث الشعبي ، وأهميته بالنسبة الى الأمة ، وفي محاولة نقدية بسيطة تأخذ الكاتبة على مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت نفس الكتب العربية ، إذ لم تجد فيها الا كتابا عربيا واحدا يبحث نفس التراث الشعبي ، وضعه " عبد الرزاق الحسيني " من بغداد ، ويتألف من مجموعة من الأغاني المراثية ، وتقول الكاتبة في مقالها (٣) :

((. . . التراث الشعبي صورة متحركة ناطقة لشعب من الشعوب ، وهو كل ما يصدر عن الشعب من أغان وأمثال وقصص ومعتقدات فيصف حياته العقلية والملمية . . .))

وتحدث الكاتبة عن أهمية التراث الشعبي وعن الوسائل التي تحفظه وتحببه ، ثم تعرض للتراث الشعبي الفلسطيني فتقول انها :

(١) ناصر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن مرجع سابق ص ٧٤ .

(٢) هي ابنة الشيخ حسام الدين جبار الله من القدس وزوجة اسحق عبد السلام الحسيني فيما بعد أنهت دراستها الثانوية في كلية شمعيد للبنات بمدينة القدس ، والتحقّت بالجامعة الأمريكية ببيروت وحصلت على درجة الليسانس في الآداب والعلوم سنة ١٩٣٧ ، وعملت هدرسة في كلية دار المعلمات بالقدس ، وفي عام ١٩٤٦ نالت درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من إحدى الجامعات المصرية (؟) وكان الموضوع : أثر المرأة في العصر العباسي الأول سياسيا وثقافيا واجتماعيا . ينظر :

— أسى طوبى : عبير ومجد . . . مرجع سابق ص ١١٢ .
(٣) مجلة الطليعة : السنة الثالثة العدد الخامس أيار مايو ١٩٣٧ ص ٣٥٥ .

((...)) تجيب لهذا التراث الشمسي ، وأن الدكتور توفيق كتمان يهتم اهتماما عظيما بتراث فلسطين الشمسي من جميع نواحيه ، فيكتب في الأغاني والتقاليد والاعتقادات العامة ، وطريقة الحياة اليومية ومركز المرأة وغير ذلك من أبحاث مبنية على معرفة شخصية ...))

وتختم الكاتبة مقالها بقولها :

((...)) أوكد لك أيها العربي أنك تقف مفاخرنا بماى صوت من أصوات الصروبة المقدسة سواء أهب عليك من الوادى الأخضر الجميل أم من الكهف المحرق المظلم ، من فم الفتاة الساذجة الهادئة أم من البدوى الشديد المقاتل ، هذه هى أصوات ماضيك والحن حاضرک ، وصور عالمک ومناظر حياتک الحقيقية الصادقة ...))

* وفي أواخر الثلاثينيات شهدت الساحة الأدبية الفلسطينية ما يمكن تسميته بـ (الأدب الانداعي) ، وعلى الرغم من أن الاذاعة في ذلك الوقت كانت أداة بيد سلطات الانتداب البريطانى وخاضعة لاشرفها المباشر ، إلا أنها أثرت في الحياة الثقافية تأثيرا ملموسا ، وساعدت على ايجاد لون جديد من المقالة هو : (المقالة الانداعية أو الحديث الانداعي) . والحقيقة أن هذا النوع الجديد من المقالة ، لم يخرج في اطره العامة عن أنواع المقالات الأدبية المعروفة إلا أن طريقة تقديمه للناس من خلال برنامج انداعي خاص ، جعل الكتاب ينحون منحما اصلاحيًا تهذيبيًا ويتأقون في اختيار الفاظهم ، ومن خلال هذا الميدان شارك عدد من الكاتبات الفلسطينيات في تقديم مقالات دارت موضوعاتها

حول تربية الطفل والأسرة والمجتمع والمرأة العربية وشخصيتها ، واستخدم من أسلوبا بسيطا شائقا مرضعا بالأمثال والأقوال المأثورة والشواهد الشعرية .
في مقالة للسيدة (أسى طوبى) بعنوان " الى الأم العربية " كتبت
تقول (١) :

((... كان من خير ما فعلته مصلحة الاذاعة الفلسطينية يوم فكرت في رفع مستوى برنامجها الأدبي ، اهتمامها بالمرأة انصرية ، والسير بها في أفضل مناهج الثقافة والرقى ، ولعلها في ذلك عملت برأى ذلك الفيلسوف الذى سأله قومه : كيف تنهض بالأمة ؟ فقال : بتربية أولادكم على الفضيلة ، قبل أن يولدوا بعشرين سنة . . . فضحكوا . لهذه الدعاية . . . ولكنهم ما علموا أن فهموا أنه انما يقصد من ذلك ، تهيئة المرأة وهى في المهسد لى تستطيع تهذيب النشء ليكون منهم للأمة رجال ينهضون بها الى أعلى درجات المجد والرفعة . . .))

وتعرض الكاتبة للدور الذى ينبغي أن تضطلع به المرأة العربية فى تهذيب النشء وتربيتهم على الصدق والواجب والشرف ، ~~لهبوا~~ رجالا ينهضون بالأمة الى أعلى درجات المجد والرفعة :

((... وقد يبدو هذا الأمر لبعض الأمهات ماديسا صرفا ، لا يتعدى العناية بغذاء الطفل ونظافته ووقايتة من الطوارئ . . . ولكنها متى علمت أن لطفلها نفسا ، وهى ودبعة عزيزة بين يديها لتطبعها بالطابع الذى

(١) القسم العربى فى دار الاذاعة الفلسطينية : حديث الاذاعة ج ١ ، المطبعة التجارية ، القدس ، ١٩٤٢ ، ص ٢٤٤ .

تشاء ، وأن تلك النفس كلوح الشمع ، تنقش فيه
ما شاءت من فضيلة أو رذيلة ، متى علمت أنها كالبنساء
الذى يضع أساس البيت ، فان كان الأساس
وطيدا متينا ، كان البيت كله كذلك ، والمكس
بالمكس .. أقول متى علمت هذا أدركت عظم
التبعة المطلقة على عاتقها ، أمام ضميرها ، وأمام
طفلها ، وأمام أمها .

وقد تقولين يا سيدتى : وأى أم ترضى لابنها
دون ذلك أو لاتريد له الا أفضل نشأة ؟ فأقول :
انك على صواب .. فليس بين الأمهات من
لاتود لولدها ، الا أفضل ما انطوى عليه الكون من
فضيلة .. ولكنها قد تكون أما بحنوها الخاطى ،
أو بتهاونها وضمف ارادتها أو بجهلها ، فتخطى
من حيث لاتتصد ، وهى تجهل سبب خطأها ،
وتكون فى نفس طفلها من المساوى ما يورخ فيه
ويصن طبيعة يصعب استئصالها ..))

وتضى الكاتبة فتبين بعض خصائص الطفولة وكيف أن الطفل بطبع
بطابع المحيط الذى يعيش فيه ، باعتباره أسرع مقلد ، وتبته الأمهات
الى أن تهذيب الطفل القولى لا ينفى عن التهذيب الصلى شيئا ، وأن
أهم الفضائل التى ينبغى أن تهتم بها الأم هى الصدق وقول الحقيقة
المجردة من كل لبس أو ابهام ، تقول :

((.. سمعت أحد الأطفال يحدث رفيقا له عن
ولادته ، فقال : ان أمه أخبرته ، أنه كان قبل
تدومه الى هذا العالم فى السماء ، وقد حمله ملاك فى
(سلة) جميلة مربوطة بالشريط الأزرق ، وهبط به الى

أمه . . . قلت في نفسي ، ترى كم من الزمن يظل هذا الطفل مصدقاً هذه الكذبة اللطيفة ؟ أفلا يلقي بعد حين رفيقاً أكبر منه ، يظلمه على الحقيقة التي يكون قد استقاها من مصادر لا تدرى نوعها ؟ . . . ومتى عرف هذا الطفل أن أمه قد كذبت له مرة ، أفلا يشك بعدئذ في كل ما تقول له ، ويذهب يستقصى عن حقيقته هنا وهناك ؟ . . . وأخيراً أفلا يحزن له ، ما دامته أمه كذبت له ، أن يكذب هو بدوره على أخته الصغيرة ، كذبات بريئة أو غير بريئة لا يستطيع التمييز بينها ؟ . . . خطر كل ذلك لي ، فقلت في نفسي ، لو كنت أنا أم ذلك الطفل ، لقلبت له جواباً عن سؤاله : انك كنت قبل قدومك إلى هذا العالم ، مخبواً إلى جانب قلبي ، احتفظت بك هناك ، لأنك أثنى وأعز ما أملك ، وقد خفت عليك البرد ، لأنك كنت صغيراً جداً ، فلما كبرت قليلاً وصار في إمكانك أن تمشي هنا ، أخرجتك من مخبأك . . . فهذه الحقيقة ، أو القرينة من الحقيقة ، هي أفضل بكثير ، من أقصوة الملاك والشريط والسلة . . .

فالصدق ثم الصدق يا سيدتي . . . ان الطفل من طبعه أن يسأل فأجيبه بالصدق ، انه كالسائح الذي يدخل مدينة لم يرها ، فكل ما فيها يبدو غريباً في نظره ، ولذلك فهو يكثر من السؤال والاستعلام ، والاعتاد غيباً لأنه لم يبحث ولم يسأل عما حوله . . . وقد يسأل الطفل وقد يكثر من الاستفهام والتحرى ، وقد تكون أسئلته عمرة أحياناً ، فلا تصرفيه ، ولا تقصيه ، ولا تعامله كأنه شخص كبير ، واستمعليه أحياناً في الجواب أو عديه بأن تدرسي سؤاله ، وتجيبيه عنه في

الفد ٠٠٠ ولكن لا تنسى أن الصدق هو الوفاء بالوعد
فإياك أن تتساهلى فى هذا الأمر أو تسيى التصرف ،
وأطلبى من ولدك مثل ذلك ، حتى اذا وعد ، وفى
بوعده ، حتما ، مهما كلف ذلك من تعب أو غناء
أو خسارة ٠٠٠ ان الطفل الذى يعتاد من صغره
الوفاء بوعده ، يصبح رجلا صادقا ، ويكون محترما
عزيزا ٠٠٠))

وتعدد الكاتبة بعض المرتكزات الرئيسية التى تعتبرها من دعائم
تربية الطفل ، وتناشد الأم العربية أن تفرس فى طفلها منذ
الصغر الشهور بالواجب ، والمحافظة على النظام ، والأمانة ، والطاعة
والنشاط ، وتحدث عن قيمة الشرف وأهميته للأطفال فتقول :

((٠٠٠ بقى على أن أتكلم عن (الشرف) وقد
تقولين ياسيدتى : وماذا يفهم طفلى من هذه الكلمة
الكبيرة ؟ فأقول : انك مخطئة ٠٠ ان هذه الكلمة
يجب أن ترافق الطفل ، منذ أول عهده بالحياة ٠٠
ان الطفل الذى يعاكس أخاه الصغير ، أو يأخذ
لعبه مثلا ، لا يعد عمله شريفا ٠٠ والتلميذ الذى
يفش فى دروسه وفروضه ، فيسرق من رفيقه الفرض
على أنه من عمله واجتهاده ، لا يعد عمله شريفا
كذلك ٠٠٠ والفالم الذى يشى برفقائه ، بعد
أن يكون قد أبدى رغبته فى التضامن معهم لا يكون
غلاما شريفا ٠٠ والشاب الذى يلقى تهمة التصيير
فى أعمال المكتب أو المتجر الذى يعمل فيه على
رفقائه فى العمل ، بينما يكون هو نفسه علة ذلك
التصير ، لا يعد شريفا ٠٠ والرجل الذى لا يعتمد

على نفسه في تحصيل رزقه ، فلا يأنف من أكل
طعام لم يصنعه بيده ، ولا يبذل في سبيل الحصول
عليه شيئا من عرق جبينه ، لا بعد شريفا ..

وقد عرفت مما هدد الضرب قيمة الشرف في نفوس
الصغار ، وراج بعضها يمتحن ذلك ليعرف مبلغ هذه
القيمة .. ومن ذلك أن معهدا من تلك المعاهد
في أميركا القى السؤال التالي على أربع مئة تلميذ
وتلميذة ، لا تزيد سن أكبرهم على ثلاث عشرة سنة :

" ماذا تفعل لو كانت أمك مريضة في خطر الموت
وقد وصف لها الطبيب دواء ينقذ حياتها ولكن ثمنه
باهظ ، ولا تستطيع الحصول عليه الا بتضحية شرفك ..
فهل تدع أمك تموت أم تشتري حياتها بشرفك ؟ "

وعينت ادارة المعهد جائزة سنوية لأحسن جواب ..
ثم جمعت الأجوبة وكانت طبعا تختلف من حيث
المواطف النبوية .. فقد فضل بعض الأولاد أمهاتهم
على كل احترام يقدمه لهم العالم .. وحاول كثيرون
منهم الجمع بين الاثنين ، فقالوا انهم يشترون أمهاتهم
بشرفهم ثم يدخلون بهن الى حيث لا يعرفهم أحد ..
وقال غيرهم غير ذلك .. أما الذي نال الجائزة ، وكان
جوابه - على رأى أصحاب المعهد - أحسن الأجوبة
فهو فتى صغير قال في جوابه :

" لن أبذل شرفي لأحد ، وان أنا فعلت الآن ذلك
في سبيل أمي فانها سوف تعلم بانى فقدت شرفى ،
ولو لم يخبرها أحد بذلك ، وسيقتلها هذا فتسبوت
حزينة .. ان أمي تفضل أن تموت مئة مرة ، على
أن تعيش لترانى ناقدا شرفى .. "

فالي مثل هذا فليعمل الماملون ٠٠٠ وفي مثل
هذا فليشأ أطفالنا ٠٠ أطفال العرب الأمجاد ٠٠))

وعن الدور الذي تضطلع به الأم العربية في تربية أولادها على
الأخلاق والسجايا الحميدة وعزة النفس ، كتبت السيدة (ماري صروف
شحادة)^(١) مقالة أذاعتها من خلال البرنامج العربي في محطة الاذاعة
الفلسطينية يوم السبت ١٣ تموز (يوليو) ١٩٤٢^(٢) ، تقول الكاتبة :

((٠٠٠ هرب يزيد بن المهلب من سجن الحجاج
فأصدا سليمان بن عبد الملك في رملة فلسطين فسر
على أعرابي وقال لفلان : استسقا من هؤلاء لبناء
نذهب وأتاه بلبن جيد فشرب وقال : أعطهم
الفدرهم ، فقال له الفلام : انهم لا يعرفوننا
وقد يرضون بالقليل ، فأجابه ان رضوا بالقليل فأننا
لا أرضى الا بالكثير ، وان كانوا لا يعرفوننا فأننا
أعرف نفسى .

هذا قول أمير مطرود هارب من أنياب الموت
لا يملك الا القليل من الدراهم فجد ير بنا أيها العرب
الكرام أن نستير بهذه الكلمات الذهبية ، وهذا

(١) من مواليد مدينة يافا ، أنهت دراستها الابتدائية فيها ، ودرستها
الثانوية في مدينة رام الله ، ابتدأت بنشر مقالاتها الأدبية
والاجتماعية في سن مبكرة ، اقتصرت بالصحفي بولس شحادة صاحب
جريدة امرأة الشرق وكانت من مؤسسات جمعية السيدات العربيات
بالقدس عام ١٩٢٥ ، ولها أوجه نشاط اجتماعي وسياسي متعددة .
رسالة شخصية مرسلة الى الباحث بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٧٧ .

(٢) بتاريخ ١٠ / ٥ / ٧٧ أهدت السيدة ماري شحادة ، الباحث خمس
عشرة مقالة اذاعية لم يسبق أن نشرت في أي مطبوع من قبل (ومن
ضمنها هذه المقالة) وكانت الكاتبة أذاعتها عبر برنامج خاص من
محطة الاذاعة الفلسطينية .

المتين هو أذى من السلاح ،

علمهم أن الضعف في الأخلاق والانحطاط في
المبادئ هو الذي يمزق الأمم ويفت في عضدها
ويقذف بها إلى مواطن الهلكة والدمار .

اذكري لهم دائما أن من أكبر أسباب الفشل
والهزيمة في الحياة العامة سواء كان هذا الفشل
يصيب الأفراد أو يصبب الأمم هو نتيجة ما تقدمه
الأم في البيت من تربية إلى أولادها لأن ما يتلقاه
الولد في بيته هو الذي يرسخ فيه ويرافقه في حياته
ان كان خيرا غخيرا أو كان شرا فشرا .))

ويتجلى حرص الكاتبة (ماري شحادة) على الأسرة العربية الجديدة
من أن يجرفها تيار الثقافة الغربية ، فتنبه الأمهات إلى أن الأسرة
ليست بحاجة إلى دار جديدة تحتوي على الفاخر من الرياض والآنيصة
الفضية والذهبية ، بل حاجتها إلى المرأة الجديدة التي تعرف كيف
تربي للأمة والوطن أولادا يكونون رجال المستقبل ، رجالا فهم الرجولة
الحقة يعشقون الاخلاص والفضيلة والصدق والصل ، ويعتمدون على
أنفسهم ، ويفهمون معنى الحرية وحب الوطن . تقول الكاتبة من مقالة
لها بعنوان " التربية في الأسرة العربية " :
(١)

((... البنون زينة الحياة الدنيا ، وكنز من الكنوز التي
منحها الله للإنسان ولكنهم لا يكونون كذلك إلا إذا نشأوا
كما أراد الله أن ينشأوا على حب الخير والفضيلة والنبل
والاستقامة .. من الأولاد من يكونون بركة ، ومنهم من

(١) القسم العربي في دار الإذاعة الفلسطينية .. مرجع سابق ص ٢٥١ .

يكونون لعنة ، وكل ذلك يرجع الى التربية التي يحصل عليها الطفل في صغره . . . زرنا مرة استادا اجنبيا يتقاضى من المرتب أكثر من ثمانين جنيبا في الشهر ، كانت ردهة استقباله ، غرفة بسيطة ليس فيها شيء من الرياض الثمين ، بل كل ما فيها منضدة صغيرة عليها بعض الأوراق ، ورفوف ملأى بالكتب . . . ولما استقر بنا المقام ، أخذ الأستاذ يشرح لنا كيف يمشى في بيته مع زوجته وأولاده ، ثم قال : ولعلكم تنظرون الى هذه الغرفة البسيطة نظرة الدهش والاستغراب وقد تسألون : وأين هي ثروة الأستاذ ؟ . . . فأنسا الآن أريكم أين هي ثروتي وأين كوزي . . . قال هذا وسار بنا الى غرفة واسعة ، رأينا فيها خمسة أولاد ، وقد جلس كل منهم الى منضدة صغيرة عليها أوراقه وكتبه ، وهم يطلعون ويدرسون دون أن تسمح لهم حركة أو يرتفع صوت ، ولما وقفنا أشار الأستاذ الى أولاده وقال لنا : هذه هي ثروتي وهؤلاء هم كوزي ! . . . وهل هناك أعظم من تلك الثروة ، وأعز من هذه الكوز ؟

. . . لا يكفي أن يولد لنا بنون بل ينبغي أن يكون هؤلاء البنون ثروة حقيقية وكوزا غالية ، ولكنهم لا يكونون كذلك الا اذا عرف الأب والأم ، كيف يحافظان على هذه الثروة ، لكلا يتطرق اليها الفساد .

ان تربية البنين ليست عملا سهلا ، بل هي من أصعب الصعاب ، وتحتاج الى جهود جبارة وتضحية عظيمة ، وكل هذا من واجبات الأم في البيت ، ونحن ان لنا الأم الجاهلة على تفريطها وقلة معرفتها وعدم قدرتها فكم يكون مقدار لومنا للفتاة المثقة والأم المتعلمة

التي رأت في المدرسة غير مارآته أمها ، والتي قرأت
من كتب التربية ما لم تقرأه أمها في حياتها والتي شاهدت
من أساليب التعليم والتهديب والرقى ما لم تشاهده
أمها من قبل . . . وإذا كان الأمر على غير ما يجب
أن يكون ، فلماذا نبعث أولادنا إلى المدارس ؟
أنبعثهم لكن يتعلموا فيها اللغات الأجنبية بغير
الطاعة بها ومزجها بلفتهم العربية ؟ أم ليتقوا
قراءة الروايات وفن الرقص والخلافة ؟ . . . ان في الكتب
الأجنبية كثيرا من الأدب الصحيح وأصول التربية
الحديثة والثقافة الحقيقية . . . فلماذا لاتستعين امهاتنا
الحديثات بهذه الكتب ويجملنها دستورهن في تربية
أولادهن ؟ . . .

اننى اسائل عن سبب هذا الادعاء الكاذب والفسور
الفاضح المتفشى بين أبنائنا وبناتنا . . . وماهو سبب
هذه الفخفة الباطلة والمظاهر الخارجية الزائفة ؟ . . .
ولم كل هذا الاسراف والتبذير ؟ وماسبب هذا الانحطاس
في البلاد والشبهوات ؟ . . . وماسبب جلوس الرجال
والنساء في الليل والنهار ، حول المواضع الخضراء ؟ . . .
وماهى علة فتور النفس وقلة الهمة وانحطاط الخلق
والتبرم والضجر ؟ . . . وماهى هذه الوطنية الكاذبة
الزائفة ؟ . . . أليس سبب كل ذلك هذه التربية
التي نشأنا عليها ؟ . . . ولماذا نكذب على أنفسنا ،
ونقول بخير الحقيقة ؟ . . . ان الشرق مريض وهو يحتاج
إلى معالجة صحيحة ، ومعالجة مرضه ، الا هذه الأم التي
تتولى تربية أبنائه ، أعط الشرق اما جديدة ، تخلق فيه
عالما جديدا . . .))

(١) أما الكاتبة (قدسية خورشيد) ، فحدثنا عن المؤهلات التي تخول المرأة أن تتبوأ مركزها الرفيع عن جدارة واستحقاق ، وتمييزها على الاضطلاع بدورها في المجتمع الجديد بثقة ونجاح . وهي ترى أن شخصية المرء هي المحور الرئيس الذي يهيئ له سبل النجاح مهما كان نوع العمل الذي يقوم به ، وأن صاحب الشخصية الضعيفة يظل متخلفا في كل شيء ، بخلاف صاحب الشخصية القوية فإنه يشق طريقه قدما في الحياة ، ويقوم بكل عمل مهما كان عظيما بسهولة وساطة ومهارة .
تقول الكاتبة مخاطبة رفيقها المرأة (٢) :

((. . . أنت اليوم تريد بين الظهور . . . تريد بين الخروج الى ميدان العمل . . . تريد أن تثبت وجودك في الحياة . . . وتريد أيضا الخروج على بضر ما ألفه الناس أدهارا . . . فانما أنت اليوم غير ما كانت عليه جدتك بالأمس وكل تجد يد منك قد يكون عرضة للأقاويل ، أو لكسل انتقاد جارح وكلام لاذع .

غير أن هذا الذي تريد منه والذي تصبو اليه نفسك لن يكون الا بالعلم والأدب والأخلاق الفاضلة ، فاطلبي

(١) من مواليد مدينة يافا بحيد الحرب المالمية الأولى ، أنهت دراستها الثانوية فيها ، وشاركت في سن مبكرة بأوجه نشاط أدبي واجتماعي ، لها مقالات وأحاديث اذاعية عديدة .

— شهادة ساعية من الأديب الاقتصادي توفيق أبو شريف مدير البنسك المربي بعمان — فرع المحطة ، وكذلك من السيد علا الدين النمري مدير مؤسسة تنمية أموال الأيتام بعمان .

(٢) القسم المربي في دار الاذاعة الفلسطينية . . . مرجع سابق ص ٢٥٨ .

العلم من المهد الى اللحد ، وكونى بأخلاقك الضل
الأعلى . . أحيى الخير ما استطعت . . عودى نفسك
فى بيتك ومحيطك وبين أهلك ورفيقاتك اللطيف
والدماثة والكياسة واللين وغير ذلك من الأخلاق
الطيبة ، واعلم أن الخلق الحسن هو أفضل
ما تزينين به من المحاسن . لا تتورى لأقل حداث
ولا تهيجى لكل كلمة يراد بها انتقادك أو تقويمك ،
لا تنضين ولا تحقدى ، ولا تقسى ، ولا يطش لبك لكسل
حادث بل قابلى الأمور برفق وملاينة وأناة ما أمكن .
كونى واحدة فى جميع حالاتك ، ومع جميع من يتصل بك
فلا تظهرى بمظهر الفضيلة واللفظ تارة ، وبمظهر
الشراسة والخشونة تارة أخرى ، ولا تستلمى لأى ضغط
أو تأثير شخصية أخرى عليك بحجة أنها انما تريد
أن تتقى بذلك السنة المنتقدين ، ولست أعنى بكلامى
هذا أن تكونى صلبة الرأى ، عذبة فى الحق وقسى
الباطل ، واليك على ذلك المثال البسيط التالى :

كما ذات يوم مجتمعات نتحدث فى الشؤون الاقتصادية
الحاضرة ، ووجوه معالجة الفلا الفاحش فيها ، فأبدت
واحدة منا رأبها فى وجوب الاقتصاد ، وقالت : اذا كانت
الجوارب الحريرية مثلا تكلفنى ثمنا غالبا يفوق ثمنها
الأصلى خمسة أضعاف ، فلم لا أستمىض عنها بنوع آخر
أقل منها كلفة وأطول بقاء ؟ . . كان رأبها هذا
عين الصواب ، ولكنها لم تلبث أن تراجعته عنه ، لأنها
سمعت من رفيقة لها كانت فى الاجتماع كلمة ماخوذة منهما
عن عرسها ، وقد كان تراجعها هذا نقضا فى شخصيتها
وهى لو سارت الى النهاية برأبها الحكيم ، ولم تعبسا

بهذا النقد السخيف ، الذى تشدقت به رفيقتهما ،
لكانت مثالا حسنا لغيرها ، وكان رأيها من خير
الآراء .

اننا فى حاجة الى خلق متين ، و ارادة قوية ، وعزيمة
شديدة ، لا تخور ولا تنهزم أمام كلمة نقد فى غير محلها
أو ازدراء . كاذب لا يقبله عقل .

هذه الارادة التى نحن فى أمس الحاجة اليها
هى من أهم العوامل فى تكوين الشخصية ، فاذا
كانت للمرأة ارادتها القوية ، واستطاعت أن تضبط
بها نفسها ، وأميلها (؟) استطاعت أيضا أن تسلط
هذه الارادة نفسها على غيرها ، وتؤثر فى من حولها
وتسير بهم فى المنهج القويم الذى تريده .

المرأة هى كل شئ فى هذا الكون ، فان كانت
فاضلة وحكيمة ، فعلت المجائب وأسعدت البشرية . . .
قالوا : إن التى تهز السرير يمينها ، تهز الأرض
بيسارها . . . اليس فى هذه الحكمة عين الصواب ؟ .

وإذا نحن صرفنا النظر عما تقوم به المرأة الفاضلة
اليوم من جلائل الأعمال ، وما تشترك فيه من الشؤون
العامة ، وخصصناها لمنزلها ولطفلها ، فان ذلك
وحده يتطلب منها شخصية ممتازة ، حتى تستطيع
أن تقوم بهذا العمل الجليل خير قيام . . . انما فى
حاجة الى جسم متين ، و ارادة قوية ، وأخلاق نبيلة
حتى تنقل كل ذلك الى من حولها وحتى يكون ذلك
فيها حقيقة وطبعاً ، لا تظاهراً ولا تكلفاً (ليس التكحل
فى العيشين كالكل (. . .))

وهي السعادة والشعور بالرضى ، والاطمئنان والتغلب على الكآبة
ودور المرأة العربية في اسعاد زوجها وأبنائها ومن حولها ، كتبت
السيدة (ماري شحاده) مقالة^(١) اذاعتها عبر البرنامج العربي في محطة
الاذاعة الفلسطينية يوم الاثنين ٣ أيار (مايو) ١٩٤٣ . تقول الكاتبة :

((... لا أظن أن الناس في عصر من عصورهم قد
اشتاقوا الى السعادة وتكلموا عنها كما يتكلمون اليوم ،
وزعماء العالم الذين بيدهم مقدرات البشر في الوقت
الحاضر لا يلتقون خطابا الا وتكلموا عن السعادة التي
ينتظرها الناس بعد هذه الحرب ، وليس غريبا
أن يتكلم الناس عن السعادة فانهم يعمرون في دور من
أشد الأدوار التي أصابت الانسانية في تاريخها الطويل
فهناك الآلام والمصائب التي تجتاح الأمم ، وهناك
الجوع والخوف والهلع ، وهناك الفقر المدقع والخراب
والتدمير ، وهناك الملايين من اللاجئين قد تركوا
بلادهم ومنازلهم وهم يهيمون على وجوههم لا يسيرون
الى أين يصل بهم المسير ، وهناك أم كثيرة أصبحت
الاضمحلال والفتنة يهددها من كل جانب ، وهناك
الملايين من الأمهات قد بعثت بفلات أكبادهن الى
ساحات الحرب ، وهي لا تدري اذا كانوا يعودون
أم لا يعودون ، وهناك الظلمة المخيفة تحيط بالأرض
فتحجب عنها نور الشمس الساطع ونور الحرية التي هي
أثمن ما وهبه الله للإنسان ، وفي الليلة الظلماء يفقد

(١) لم يسبق لهذه المقالة أن نشرت في أي مطبوع من قبل .

البدر كما قال الشاعر . وفي هذه الأيام المخيفة
المروعة ينشد الانسان السعادة والضبطة والسرور
ومن حقهم أن ينشدوا ذلك لتعود الى النفوس
للمأينتها وبهجتها واغتيابها ويعود الى العالم هذا
السلام الدائم الذي هو أمنية الأمم في كل
الأجيال (. . .)

وترى الكاتبة أن عنصر الخير موجود بين الناس وأن السعادة لاتزال
موجودة في الكون ، ولكن على الانسان أن يسعى اليها ويمسك بأجنحتها
فلا يدعها تطير من حوله . تقول :

((. . . السعادة ليست حلما من الأحلام الذهبية
ولا هي وهم من أوهام البشر ، ولا هي خيال كاذب
بل هي حقيقة ، وفي وسع كل انسان أن يحصل عليها .
السعادة هي الشعور الداخلي الذي يملأ قلب
الانسان راحة وعزاء واطمئنانا ، السعادة هي التي
تأتي من الداخل لامن الخارج ، فالمصائب
والآلام لاتستطيع في حالة من الأحوال أن تبعد
السعادة من نفس الانسان المطمئنة الهادئة .

ذكروا أن أحد الملوك دعا اليه عالما كبيرا من
أكبر علماء عصره ، وقال له ، قل لي أيها العالم ،
ماهي السعادة وأين تقيم ؟ فقال السعادة أيها
الملك هي ثقة الانسان بنفسه وشعوره المستقر
في داخله وهي تقيم في قلب الانسان وفي استطاعة
كل فرد أن يكون سعيدا ، فلم يرض هذا الأجواب
الملك فأمر بالعالم أن يسجن ويعذب ، فسجن وعذب
وعد مدة أعيد به الى الملك ، فسأله هل كنت

سعيدا في سجنك وغدا بك ؟ فأجابه : نعم كنت
سعيدا جدا يامولاي ، فاستشاط الملك غيظا من
هذا الجواب وأمر أن يوضع في بئر عميقة مظلمة
وأن تكبل رجلاه بالقيود وأن لا يقدم له في كل يوم
سوى جرعة واحدة من الماء مع قليل من الخبز
ففعلوا به ذلك وبعد مدة أعيد به أيضا الى الملك
فسأله أو هل كنت سعيدا في بئر المظلمة ، وعلى
القليل من الخبز والماء ؟ فأجاب : نعم يامولاي
كنت سعيدا جدا لأن سلطتك لم تصل الا الى
جسدي واما نفسي المستقرة في داخلي فكنت أعجز
من أن تصل اليها ، فالسعادة أيها الملك هي في
داخل الانسان كما قلت لك ، فهما اشتدت الخطوب
ومهما كثرت الآلام وكانت نفس الانسان مطمئنة فيه
فهذه الخطوب لن تصل اليها ، عند ذلك سر
الملك كثيرا وأمر أن تفك قيود العالم وأن يؤتى
بأبهي الحلل وأن يبقى في جانبه مستشارا له .

... أنا لا أنكر أن العالم في أتون متقصد
وأن مصائب الحرب وويلاتها منصبة على البشرية
بأجمعها ولكن ذلك لا يمنع الانسان أن يعيش
سعيدا مختبئا والمائل هو الذي يكيف نفسه بحسب
الظروف التي هو فيها فلا يستسلم لهموم الحياة
والآمها لأنه اذا فعل ذلك ذهب فريسة هذه
الهموم وضحية هذه الهواجس والآلام ((

وتنمى الكاتبة على المجتمع الجديد نظرتة المادية الصرفة هذه النظرة
التي أثرت في أخلاق الانسان تأثيرا كبيرا فلم يعد يرضى بحاله مهما
أعطى من هبات الله ، ومهما تمتع بنعمه الكثيرة وما أكثرها . تقول :

((٠٠٠ ان نظرة الناس الى الحياة قد اختلفت
اختلافا كبيرا عما كانت عليه قبل اليوم ، فالنفوس
أصبحت شرهة لا يشبعها شيء ، والسأم والملل من
الحياة أصبحا مرضا في النفوس وأصبح كل واحد
لا يرضى بحالته التي هو فيها بل ينظر الى غيره
ويقول لماذا يكون زيد أوسع ثروة مني ، ولماذا
تكون معيشة عمر أرغد من معيشتي ، ولماذا هذا ،
ولماذا ذاك فهو دائما يقارن حالته بحالة من هو
أحسن منه ، دائما يشكو ويتبرم ، و دائما يتظلم من
الحياة ، فهذه الحالة النفسية الشاذة التي يتولد
منها في كثير من الأحيان الحسد والغيرة هي التي
طفت اليوم على مجتمعنا فكانت مصدر تعاسة لكثير
من الناس . وفي مثل هذه الظروف الحرجة الشاذة
لا نجد غير المرأة بلسا شافيا لجروح الانسانية
المتألمة ، فابتسامة المرأة هي التي تبدد غيوم الكآبة
اذا كانت تكتف بيتها وتحيط بمجتمعها ، ورضى
المرأة واستقرارها وقبولها بالأمر الواقع هو الذي
يجلب السعادة الى بيتها والى مجتمعها ، فالمرأة
المهذبة الراقية الحكيمة المفكرة هي التي لا ترتعد أمام
الكبات والمصاب ولا ينخلع قلبها خوفا من كوارث الزمن ،
هي التي تكيف نفسها وبيتها بحسب الظروف التي تقع
فيها ، وهي التي تربي في أولادها الجرأة والشجاعة
والاقدام على مكافحة المصاعب والآلام وعلى الصمود أمام
الكوارث والمحن ٠٠٠))

(١)

وفي مقالة أخرى للكاتبة أذيعت عبر الاذاعة الفلسطينية يوم الأربعاء
١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٣ تدعو فيها الناس الى نبذ المهوم والابتعاد

(١) لم يسبق لهذه المقالة أن نشرت في أي مطبوع من قبل .

عن الحزن ، والى تعود البشاشة والضحك ، لأنهما الطريق الى سعادة
دائمة . تقول :

((. . . فلسفة هذا العصر قائمة على الكلمة التالية
(اضحك يضحك لك العالم) تجد هذه العبارة
منقوشة في صدر كل مجلة فكاهية ، وفي صدر كل
صحيفة ، تجدها منقوشة في كثير من المحلات العمومية
يتفنى بها الشعراء وتتفنى بها الموسيقى ، ولقد عرف
المرب الأقدمون سر هذه الفلسفة فقال شاعرهم :

بشاشة وجه المرء خير من القري . . فكيف اذا جاء القري وهو ضاحك

فالابتسامة والبشاشة عند هذا الشاعر خير من القري ،
والضحك أحب اليه من الطعام الشهى ، فبدوى يتفنى
بالبشاشة ويجد فيها لذة فوق لذة الطعام ان ذلك
لأمر يدعو الى العجب وهو يبين لنا قوة هذه الفلسفة
حتى في نفوس أبناء الصحراء .

نلتقى بسزيد من الناس لأول مرة فيميل اليه فؤادك
وتلتقى بحمرو من الناس لأول مرة فينفر منه قلبك ، وانك
اذا بحثت عن السبب وجدت أن ابتسامة كانت تملو فم
زيد يوم التقيت به هي التي قرنته اليك ، وأن المتجهم
الذي كان يملو وجه حمرو هو الذي تفرك منه ، تدخل
بعض الحفلات وتراقب الناس هناك ، فتجدهم يجتمعون
حول الفتاة الباسمة وينفضون من حول الفتاة ذات الوجه
المتجهم المبوس ، قد تكون الفتاة المتجهمة المبوسة
أكثر ذكاء من الفتاة الباسمة ، ولكن الناس ليس لديهم
متسع من الوقت في مثل هذه الحفلات ليختبروا ذكاء
هذه الفتاة فيتقربوا منها ويلتفوا حولها ، فالذئب ذنبها
اذا لم تعود نفسها أن تكون باسمة .

وإذا كانت الصحة هي التاج على رؤوس الأصحاء
فالابتسامة هي من أهم عوامل الصحة ، فالرجل
المتسم ترى علام الصحة على وجهه ، والمرأة العيوس
ترى علام المرض مرسومة على وجهها ، ترى وجهها
متجهما ، ترى عينيها غائرتين ، ترى شفيتها
متدلبتين ، تشيب قبل أوانها ويصيبها الهرم وهي
في عنفوان الحياة ، الابتسامة تذهب الهموم ، وتسير
الدماع ، وتريح الأعصاب المتعبة ، الابتسامة
تجلب السعادة ، وتطيل العمر ، الابتسامة تطيل عهد
الصبا وتمهد الى الشيخ شبابه ، ومن القصص التي
يروونها الكتاب في هذا الشأن أن امرأة كانت تملس
وهي على وشك الولادة ؛ رب هبني غلاما تملس
الابتسامة وجهه كل أيام حياته ، والسبب في ذلك
أن هذه المرأة كانت تعرف حق المعرفة أن الفلام
الذي لاتفارقه الابتسامة لا يد أن ينجح في حياته ،
وأن يعيش سعيدا طول أيامه ، وقالت امرأة أخرى
لولدها حين أراد أن يدخل ميدان العمل ؛ يا بني
عود نفسك أن تكون مبتسما لأن الابتسام هو مفتاح
الاندماج بالناس والابتسامة هي التي تكثر عدد
أصدقائك وتقوى فيك الثقة والايمان وتبعد عنك اليأس
والخمول ، واذكر دائما يا ولدي أن الابتسامة دليل على
كرم الأخلاق والنية الصافية وأنت في حياتك العملية
تحتاج الى أن يعرف الناس فيك هذا الكرم الخلق ،
وهذه النية الصافية .

فكم نحن في حاجة الى مثل هذه الوجوه الباسمة
ولاسيما في مثل هذه الأيام العصيبة ، نحن في حرب

والحروب من طبيعتها أن تزيد الكآبة بين الناس
لكثرة ما فيها من مصائب وويلات ، ولكن الرجل الماقل ،
هو الذى يعود نفسه الابتسام حتى فى أشد
الأيام ، والمرأة الماقله هى التى لاتفارق نفسها
الابتسامة فتكون نورا يضىء بيتها وسعادة لزوجها
وأسرتها ، فلا تعبس أيها الرجل ولا تشكو الزمن
وأن تجهم بل عود نفسك أن ترى وميض البوق من
بين فرقة العود ، وأن ترى الفجر يشق طريق
الظلام ، وأنت أيتها المرأة عودى نفسك أن ترى جبل
النجاة والأمل من بين الأمواج المتلاطمة ، وأذكرى
دائما أن الابتسامة هى دليل القناعة والرضى وفتح
السعادة والهناء وما أحسن ما قيل :

أضحك ولا تك عابسا متجهما .. وأصبر إذا الدنيا أصابك صابها
ان الحياة مريوة لكهنا .. بالضحك يحلو مرها ومصاها))

* فى السنوات القليلة التى سبقت عام ١٩٤٨ وصلت الحركة الأدبية
فى فلسطين الى " ٠٠٠ درجة تكاد تكون مساوية للدرجات التى
وصلت إليها أنشط الحركات الأدبية فى الأقطار العربية الأخرى " ٠٠٠
وارتكزت هذه النهضة " ٠٠٠ على دعائم من الوعى القومى الصحيح
ومبادئ من التفكير الوطنى الناضج " ٠٠٠ (١)

ويرى الدكتور اسحق موسى الحسينى أن " ٠٠٠ الأدب المنشور الذى
ظهر فى ربح القرن الأخير فى فلسطين هو أدب مقالات أكثر منه
أدب مؤلفات ، و (أن) ٠٠٠ أدب المقالة هذا خليط من نزعات متباينة

(١) الأديب : شباط (فبراير) ١٩٤٥ الجزء الثانى السنة الرابعة .

فنزعة الى القديم وأخرى الى الجديد ، ونزعة الى النقد اللغوي وأخرى الى النقد الاجتماعى الرفيق ، وبين هذا وذاك نغمات أدبية أصيلة تعبر عن مرارة فى أعماق النفس أو حزن لاذع لفقد زوج (١) .

ويرى الدكتور عبد الرحمن ياغى ، أن هذا النشر قد تنازعت تيارات أدبية مختلفة (٢) فمن تيار عصرى الى تيار لغوى تمتزج فيه اشراقة الفكر بحرارة الحس (٤) والى تيار مادى الى تيار رابع خيالى وخامس علمى (٥) (٦) (٧) .

ومن الطبيعى أن تشهد الكاتبات الفلسطينيات هذه التيارات المتباينة وأن تظهر فى بعض أعمالهن الفنية علام تآثر ببعض هذه التيارات وخاصة المقالات التى تناولن فيها موضوعات جديدة فرضها الواقع الثقافى الجديد ، وتنوع اتصالهن بالحياة الجديدة واتساعه ، ومع هذا فقد كان هذا التأثير سطحيا وبقى إنتاج الكاتبات النثرى بصورة عامة أبعد من أن يتمثل فى مدارس أو تيارات أدبية معينة .

واهتمت بعض الكاتبات فى وصف مشاهد منتزعة من واقع الحياة الاجتماعية التى تعيشها فئة محرومة من الناس ، ومثال ذلك مقالة للآنسة (قدسية خورشيد) بعنوان " نغمات مصدر (٨) " تتحدث فيها عن ظاهرة الفقر ، والفوارق الطبقيه ، وقسوة الانسان على أخيه الانسان

(١) الأديب : أيار (مايو) ١٩٤٥ الجزء الخامس السنة الرابعة (عدد ممتاز)

(٢) د . عبد الرحمن ياغى : حياة الأدب الفلسطينى . مرجع سابق ص ٣٥٠ - ٤٠٧ .

(٣) يمثلته خليل السكاكيني .

(٤) يمثلته اسعاف النشاشيبي .

(٥) يمثلته كلا من عارف العزوني ونجاتى صدقى .

(٦) يمثلته عيسى السفرى .

(٧) يمثلته قدرى طوقان .

(٨) الدفاع : ١٥ آذار (مارس) ١٩٤٢ العدد ٢٠٨٥ .

باسلوب بسيط يفتح عليه معمار القصة الفنى . تقول الكاتبة :

((٠٠٠ هل يتحتم على الفقير أن يدفع حياته ثمنا
لجشع الطماعين ؟

هذا ما سألت به نفسى حين رأيت منظرا اليما يشله
الطمع ٠٠٠ سمعت أطفالا يتألمون جوعا بوجوه
شاحبة وعيون غائرة وشفافة جافة ٠٠ الأم فى انتحاب
مؤلم تخفيه بطرف كعها ، وقد اجتمع حولها أطفال
سبعة لم يتجاوز أكبرهم الماشرة ، زينت لها سداجة
الطفولة أن السماء ستمطر عليهم المن والسلوى ،
سمعت الصوت فأنحدرت الى مصدره ، وقتت بالباب
وأجلت بصرى فى ذلك المنظر المؤلم ، لقد اجتمع
الشفاء بأنواعه فى ذلك المنزل الكئيب ، المنزل يا بل
الكوخ الذى تضافت عليه قسوة الطبيعة وقسوة
الانسان ، فالبرد والجوع وكفى بأحدهما محطما لتلك
الأجسام الذابلة ٠٠

فى ركن مظلم وعلى فراش بال ودثار رقيق لا ييمت
دفا ولا يدفع بردا رقد أطفال أربعة يعصرهم
الأم فقد وجدت (النزلة الشعبية) من
أجسادهم الواهنة مقفدا سهلا ، ورفعت المرأة
رأسها ، قلت : هل عرضتهم على طبيب ؟ فنظرت
الى نظرة عميقة وابتسمت ابتسامة مريرة ولكن هسهو
نظرتها ومرارة بسمتها كانا أنفد من نصل ، فحاولت
أن أبعد عيني متحاشية وقع نظراتها لكننى لم
أستطع ، وخرج صوتها من أعماق قبر قالت : وهل
وجدوا القوت حتى يجدوا الطبيب ؟ ٠٠٠ وهببى
وجدت أجر الطبيب والدواء ، ولكن أين ثمن الطعام ؟

سيحول الدواء في بطونهم الخاوية الى سم يعجل
بموتهم ، اننى لاؤثر هذا الموت البطىء على قتلهم
السريع العاجل ، اللهم الا اذا كان وجودهم يضيع
على الفنى الطماع ..

دهشت وبدا التساؤل فى عيني ، قالت : لاتعجبى
فوالد هؤلاء الأطفال عامل يكدح النهار جادا
وتسيل قطرات العرق التى ينضحها جبينه عشرة
قروش فقط ، ماذا نشتري بها خبزا ؟ أم وقودا ؟
أم نورا ؟ أم دواء ؟ أم لباسا ، ان ملأنا البطون
فيجب أن نرتجف بردا وان أوقدنا واصطللنا بتسا
الليلة على الطوى .. وان فكرنا فى الملابس قضى
علينا أن نذوق الموت بردا وجوعا والماء ، التاجر
ياسيدتى لا يرحم ..

أرسلت الطفل أمس يشتري لنا شيئا من الطعام
اسد به تسعة أفواه جائعة ، فعاد وقد دفع
أجر أبيه كله ثمنا لصرة صغيرة كل ما فيها لا يشبع
طفلا ، ولما سألته قال : ان ذلك البدال الشره
قد انتهره قائلا أن أسعار الحاجيات ارتفعت
ارتفاعا هائلا ، واذا كنتم عاجزين عن شراء ما يكفىكم
ويسد جوعكم فليمت بعضكم ..

فوالله ياسيدتى لقد حز الألم فى نفسى لتلك
القسوة وقلت : لا رحم الله زنا يدفع فيه الفقير
حياته ثمنا للطمع والقسوة . هذا حد يشها وكم
للفقر من أحاديث (٠٠٠)

وظهرت مقالات تحمل نزعات فردية أو تعبر عن تجربة ذاتية وعواطف
خاصة ، وتتجلى هذه النزعات فى كثير من مقالات الكاتبة (نجوى قموار)

حيث الرومانسية الحاملة والأسلوب الذي يدل على مدى تأثير الكاتبة
بأدب المهجر وخاصة كتابات جبران خليل جبران ، تقول نجوى في مقالة
تخاطب فيها فراشة حائرة :^(١)

••• كهديل ملون سابع في الرياض •••
أهـي رسول مجاهد جعلته الرسالة هائما لا يستقر ولا يهدأ •••
أم رسول من رسل الجمال •••
لم يفقه أنه جميل •• بل جد يبحث عن كل ما هو جميل ••
ولكن مالك حيرى مضطربة ، يزيدك الارتواء ظمأ والتجوال حينئذ
الى التجوال ••

فرى يا عروس الرياض ، فلن يهدأ مضجك بعد ••
فالجمال الهبة راهبة تستنزف قوتنا ، وتمنن في اغرائنا فاذا نحن
صرعى ولما نبلغ غاية •••
لاتحاولي أن تهربي منها فهي في كل مكان •••
أنت نفسك جزء منها وخادم لها ••
وهل أنت عندها الا كاهنة حسنة •••
تؤدي مراسيم العبادة ،
في هيكل الذكرى الحزين •••

(٢)

وفي مقالة أخرى للكاتبة بعنوان " حفنة تراب " تقول :

((••• حفنة التقطتها من الأرض وفجأة اذ بذراتها
تلألأت كالدموع ، وخرجت أنفاس حارة منها ، وسمعتها

(١) الأدب : تموز * يوليو ١٩٤٧ الجزء السابع ، السنة السادسة .
(٢) الأدب : تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٤٧ ، الجزء العاشر السنة السادسة .

تقول : أنا أريد خطيبي الذي كنت أحبه ..
وشيبي التي أعددتها وأسى التي كنت وحيدتها ..
وقلبت حفنة التراب ، وسمعت في هذه المرة
مواء ، أنا قطعة لي فراء ناعم ، عشت عند عجوز
أحبنتي ، كثيراً ما أسقتني الحليب بيد يها ، أريد
أن أعود الى العجوز هناك عند المدفأة ،
وقلبت حفنة التراب ، وفاحت رائحة عطرية .. وصوت
يقول : أنا زنبقة .. أريد أن أعود لروضي ..
ثم سمعت صوت شاب يريد أن يعود الى حبيبتيه
التي رحلت في السادسة عشرة من عمرها ، ونظرت
الى حفنة التراب وقلت : حفنة تراب باردة ، سوداء
هل تكن فيها ارادة الحياة أم هي وعاء لها ؟ ..
أتراني أنا الأخرى أصرخ وأستغيث عندما أصبح
طينا بارداً (..)

وفي مجال النقد الاجتماعي ، نقرأ للسيدة (غبره الخالدي) مقالات
تعرض فيها لما يحدث في المجتمعات عادة من صراع بين القديم
والجديد ، في فترات الانتقال ، وما يتمسك به الآباء من تقاليد وعادات
وبين ما ينزع اليه الأبناء من تجدد ، وتعتمد الكاتبة أسلوباً شائفاً يتم عن
دقة الملاحظة وعمق التأمل واجادة التحليل .

(١)
في مقالة لها بعنوان " مواقف المرأة الشرقية من المدنية الحديثة "
يتبدى اعتزاز الكاتبة بشرفيتها ، ووعيها لحسن التطور الاجتماعي ، ومعرفتها
لمظاهر المدنية الحديثة تقول :

(١) مجلة المستمع العربي : ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٤٠ .

((٠٠٠ هذه المدنية الحديثة انما تقوم على أساسين ،
مادى ومعنوى ، فالمادى فيها سهل المطلب يعرض
فى السوق فيشترى ويبيع وتتداوله الأيدى ، وقد
ساهمت (؟) فيه بعض الأيدى العربية بما أخرجته
من بشائر تنبئ بحسن المآل ، أما المعنوى وعناصره
العلم والفن والفلسفة والمبادئ ، والشل العليا ، فقد
بقى على ضآلة ما ساهم (؟) الرجل العربى فيه ملكا
للغرب وحده ٠٠٠))

وتدعو الكاتبة المرأة العربية الى الاحتفاظ بسمتها الخاصة وطابع
أنوشتها المميز ، وتريد لها أن تبقى محافظة على شرفيتها ، لبقة فسى
مواقفها ، ازاء النزعات المتباينة التى تتسرب الى المجتمعات العربية من
الشرق ومن الغرب فلا :

((٠٠ تنصهر سراعا فتدوب ، ولا تندج بسواها
فتضمحل ، ويسهل اكتساح كرامتها ، والأمة التى تفتار
على نفسها ، تحرض على تقاليدها ٠٠ أما ذريعتها
فى هذا الحوض ، فتاريخ مجيد فخور ، وعادات محببة
موروثة فى الأعياد والتحية والاستقبال وصلة الرحم
وبر الوالدين ٠٠٠))

وصرنا نقرأ للكاتبات أيضا مقالات فى النقد القائم على أصول ثابتة
وصيرة واعية ، كتب الشاعر الفلسطينى عبد الكريم الكرى (أبو سلمى)
مرة ، مقالة بعنوان " أشواك وأزهار " (١) تناول فيها المرأة بالتجريح وأبى
عليها مطالبها المساواة بالرجل ، وفيما يلى نص المقالة :

(١) الدفاع : ٢ آب (أغسطس) ١٩٤٣ العدد ٢٥١٠ السنة التاسعة .

((٠٠٠ المرأة موضوع شائك - على نموتيه -
وأكبر أعدائها من مصارحها ، لاتعترف بالحقيقة
ولاتريد أن يراها الانسان الا من وراء " طلاء " ،
ولاترى العالم الا من خلف طلاء ، عيناها لاتتطمأن
الا على صفحات ثيابها وجمالها ، وعلى من يتصفحها
فقط ، بهرجة خداعة وزخرف كاذب " وجوه وسيمية
وعقول صغيرة " قال صاحب الوجدانيات هذا القول (*)
مختفيا وراء كتاب عري ، حاملا قلبه الخفاق بيده
خوفا من لسان المرأة . المرأة هي هي منصف
الأزل ، غرور وأنانية ، وخداع ، أقدم امرأة مثل
أحدث امرأة في الجوهر ، ارفع الطلاء الجديس
تجدها هي نفسها التي تفردت بلين الأفي ، والتي
أخذت الدروس الأولى عن الشيطان .

تريد أن تتساوى مع الرجل ، أهلا وسهلا ،
لكنها لاترضى بأن تسرى عليها الأحكام التي تسرى
على الرجل ، اذا كتبت فيجب أن تمتدح ماتكتسب
هي ولو كانت نصف أمية ، واذا انتقدت فأنت قليل
الأدب والذوق لاتحترم المرأة ، واذا تكلمت فيجب
أن تفتح عينيك واذنيك وقلبك وأن تهز رأسك
استحسانا ، وتؤمن بما تقول ، ولو كان كفرا والافانست
قليل الأدب والذوق لاتحترم المرأة ، واذا ركبت
في قطار أو في سيارة واتخذت لك مكانا بعد جهيد
جهيد و (شرفت) امرأة بعد ذلك ، فيجب أن تقوم
وتجلسها مكانك والا فأنت متأخر قليل الأدب والذوق

(*) زاوية صغيرة كانت تظهر على الصفحة الأولى عن جريدة الدفاع .

لا تحترم المرأة ، وإذا مشت فيجب أن تشبه مشيتها
بمشية الطاووس ، ولو كانت عرجاء ، وإلا فأنت صاحب
غرض لا يقدر المرأة .

ويجب أن تقول عن ثوبها بأنه ملون بالزهر ، معطر
بالفتحة ، وقد نسجته الملائكة ولو كان من صنع
ابليس .

ولا أريد أن أقول ان المرأة مخلوق نافع ، فهمى
أغزر وأعذب ينبوع للشعر والخيال ، ويكفى أن تكون
عروس الأحلام ، يسير في موكبها الهوى ، والشعر
والنور ، لكنها لا تكفى ، أعطها المرأة والحلوى فقط
كما يقول اللورد (بايرون) وإلا فإنها تفسد نفسها
كل شيء ، بلا فكر ولا روية ، رأس نعمة تتجاوب فيه
الأوهام ، وآخر ما حرر نعمة حق المرأة في الانتخاب
وأين ؟ في بلادنا ، هذه البلاد التي تطالب بحقوقها
في الحياة أولا فإذا قلت لها ان الرجل يطالب بحقه
تقول : رجسى قليل الذوق والأدب ولا يقدر المرأة . . .

أيتها المرأة ما دمت تطالبن بالمساواة مع الرجل فسي
كل شيء ، لالين ولا هوادة وإلا فأنت اللصبة الخطيرة
المحبوبة ، فابقى حيث يضعك أو فسيري وراءه ، ما دمت
لا تستطيعين أن تشقى طريقك وحدك ما دمت تخشعين
على يدك الناعمتين ، وجسدك الفخض وقد ميسر
الصغيرتين ، وثوبك الزاهى ولن تكوني إلا كذلك ما دمت
خلقت من ضلع زائد من أضلاع آدم . . .))

وترد (فتاة غسان)^(١) على أبي سلس بمقالة تنفذ فيها المزاعم والأقوال التي ساقها في مقالته ، وتعلسى من شأن المرأة ، ودورها في المجتمع ، بأسلوب موضوعي متزن ، لم يعصف الهوى به والحمية ، تقول الكاتبة :^(٢)

((٠٠ رئيس التحرير ، سمحتم للرجل أن يهين المرأة ، فاسمحوا للمرأة أن تدافع عن نفسها ، وادفعوا للنشر فيما يلي ولك الشكر والتحية :

ما يدعو الى السرور والارتياح أن يجد الأدب مناصرا مخلصا ومؤازرا قويا في جريدة يومية سياسية (كالدفاع الفراء) لقد خصت هذه الصحيفة العربية الأدباء بقسم من أعمدها فأتحفونا بكل رائع جميل ، فقرائنا (الوجدانيات) فقلنا غدوة و (الأزهار والأشواك) فقلنا بلاغة وروعة ورقة وجاءنا المدد (٢٥١٠) فاذا بالشاعر أبي سلس ينسى الأضرار على غير عادته أو قبل يتناساها ، وينشر على صفحة الدفاع المحبوبة أشواكا مؤلمة حادة توثبت على القارئ فأدمت منهن الأيدي الناعمة ، والأجساد الفضة ، والأقدام الصغيرة ، ولو اكتفى الشاعر بهذا لهان الأمر ولكنه أبي الا أن يصيب عزة المرأة .

لقد اكتشفت المرأة عدوها في شاعر رقيق بسودع يستلهم وحيه ان لم يكن من المرأة فمن بنفسجة لها وداعنها أو زنبقة اختلست بعض جمالها ، أو وردة سوقت من عطرها وقتتها وسحرها ، قلت اكتشفت المرأة عدوا

(١) لم يقف الباحث على الاسم الحقيقي للكاتبة المقال ، برغم استفساره شخصيا من الشاعر أبي سلس الذي أبدى عدم تذكره - في الوقت الحاضر - لاسمها الحقيقي .

(٢) الدفاع : ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٤٣ العدد ٢٥٣٣ السنة العاشرة .

لها، والمرأة حين تكتشف لها خصما يتخذ صفحات
الجرائد مسرحا لصولاته أتظنها تمكت ؟ طبعاً
لا ، والشاعر يعرف هذا فقد قال في حديثه الأخير
(قال صاحب الوجدانيات مختفياً وراء كاتب عريسي
حامل قلبه الخفاق بيده خوفاً من لسان المرأة)
اذن تخافون المرأة ، وتخافون غضبها ولسانها ، ولكن
ليس اللسان سلاح المرأة الوحيد ، عندها العقل
والمنطق والعلم ، عندها القلم الذي تمنحه قوة من
روحها الوثابة ومضاه من شعورها المرفه .

قلت أيها الشاعر في مقدمة أشواكك (وأكبر أعدائها
من يصارحها) كلا ليس من يصارح المرأة بعقد
لها ، اذا طالبتك المرأة بحق الانتخاب فقلت لها
بأن طلبها سابق لأوانه وأن أمامها مراحل كثيرة
قبل أن تصل الى مركز يؤهلها لذلك ، نعم اذا صارحتنا
هذه الحقيقة المؤلمة في صدق وإخلاص محترماً شعورها
فانك لاتصبح لها عدواً ، ولكن اذا استهزأت بها
وطلبها وأجبتها بأنها (من ضلع زائد من أضلاع
آدم ولهذا عليها أن تبقى حيث يضعها أو تسيير
وراءه) عند ذلك تصبح وتثور وتناصبك العداة .

ولا أذكر أن نظرية مامن نظريات البيولوجيا أو فقرة
ما من الكتب السماوية تذكر أن حواء من ضلع زائد ،
أظن الأديب استعمل كلمة زائد ليحقر المرأة ولا أخالسه
قد ينجح في مسعاه ، ان ألف كلمة من ألف شاعر لن
تضير من مركز المرأة ، فهي محترمة بحكم وظيفتها
الحيوية ، وستظل كذلك حتى لو قلتم انها من ضلع
زائد .

فهمنا أنك من رأى زميلك صاحب الوجدانها الذى يقول " وجوه وسيمة وعقول صغيرة " أفنظن أن عقل الرجل أكبر من عقل المرأة ؟ من قال هذا ؟ ولماذا يكون أكبر ؟ الآن وظائف الرجل خارج المنزل تحتاج الى مقدرة عقلية أكبر من وظائف المرأة داخله ؟ لنفرض اذن أن هذا صحيح ، فان وظيفة المرأة كأم وزوجة وربة بيت لاتستلزم مقدرة عقلية فائقة ، ولكن حين نزلت المرأة الى ميدان الأعمال فامتنت الطب والمحاماة والأدب واحترفت النجارة والحدادة والبناء ، وحين انكبت على دراسة الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، ألم تبرهن أنها مساوية للرجل فى العقل والمقدرة ؟ وقلت أيضا " رأسها رأس نعامة تتجاوب فيه الأوهام " مارأيك يا حضرة الشاعر فى رأس الكاتبة ص . ، وما رأيك فى رأس مدام كسورى مكتشفة الراديو ، بل مارأيك فى رؤوس الملكات اللواتى اعتلين المروش وأسسن الأمم وأخمدن الثورات ووضعن الأنظمة وضربن أروع أمثلة البسالة والبطولة والحكمة ؟

أية واحدة من أولئك يصدق عليها قولك ؟ ان لم يكن عقل المرأة كعقل الرجل فأيهما أكبر عقلا ؟ ولماذا تستشهد بقول بيرون " أعطها المرأة والحلوى فقط " .

أجاب عن ذلك أن عصر بيرون غير عصرنا وببئس غير ببئسنا ؟ فالنساء اللواتى عرفهن غير نساء اليوم ، قل أعطها مبخما ، أعطها آلة ميكانيكية ، أعطها مجهرًا أعطها قانون عقوبات ، أعطها سلاحا تدافع به عن نفسها فالخطر من جهتك يا سيدى عظيم ، وهناك شئ

آخره أكثر من ذكر الطلاء ووصفت المرأة بالفرور
والأنانية والخداع ، هذه صفات تلائم بعض النساء
كما تلائم بعض الرجال ، ولكن ان كرت هذه
الصفات في النساء فالرجل هو السبب ، نعم الرجل
لأنه يحاول في كل مناسبة أن يشعر المرأة بأنها
ضعيفة لا تحسن التفكير السليم ، ولا تعرف كيف تشق
لها طريقا في الحياة ، وأحيانا يأمرها بالوقوف حيث
يضعها ، أو بالسير وراءه ، اليس كذلك يا حضرة
الشاعر ؟ والمرأة حين ترى هذا تحاول أن تبرهن
عكسه ، فتسعى بكل وسيلة ممكنة الى انتزاع العديح
وإثارة الإعجاب ولا يهمها أسيت ذلك خداعا
أو غرورا أو أنانية ، أو نبلا أو تواضعا أو تضحية .

وأما بعد فقد كت قاسيا في حملتك قسوة تتنافى
مع رقتك كشاعر ستظل المرأة تطرب لقصائدك الرقيقة
(الفياضة ٠٠٠)

وتكتب فدوى طوقان مقالة نقدية تصف فيها قدرة أخيها الشاعر
ابراهيم طوقان على التعبير فتقول :^(١)

((٠٠٠ اذا قرأت شعر ابراهيم تجلت لك نفسه على
حقيقتها ، لا يحجبها عنك حجاب ذلك أنه كان ينظر
نظرا رقيقا في جوانب تلك النفس ، ثم يصور ما يعتلج
فيها من عواطف وخلجات كأصدق ما يكون التصوير ٠٠٠
ويمكنك أن تقسم شعر ابراهيم الى ثلاثة أقسام :
الغزليات والوطنيات والموضوعيات ، وهذه الأخيرة تمتاز

(١) نشرت المقالة في كتيب صغير بعنوان (أخي ابراهيم) ط١٩٤٦ ،
ثم أوردتها فدوى مرة أخرى في مقدمة ديوان (ابراهيم طوقان ،
منشورات دار الشرق - بيروت ط١ (١٩٥٥) .

بعمق الفكرة ودقة التصوير ، وقد حلق فيها الى آفاق الشعراء العالى ، هنالك (الشهيد) و (الفدائى) و (الحبشى الذبيح) وغيرها ولعل واسطة المقدم فى موضوعياته (مصرع بلبل) وهى فتح جديد فى القصة الشعرية تلمس فيها تأثير ابراهيم بالأدب الفريسي ، دون أن يفقد مميزات خياله الخاص وتعبيراته الشعرية الخاصة وفى قصيدة (الشهيد) ينقلنا ابراهيم بدقته وصفه وروعة تصويره الى ما يشور فى نفس الشهيد من عواصف واستتال فى سبيل الواجب الأسمى ، لا يتخفى من وراء ذلك ذبوع اسم ولا اكتساب صيت ، وإنما هو عنصر الفداء وجوهر الكرم ، صنعت منها نفس الشهيد فهان عندها الموت فى سبيل الله والوطن .

... وثلتفت الآن الى ابراهيم شاعر الوطن ، الذى سجل الآم فلسطين وآمالها خلال الانتداب البريطانى كما لم يسجله شاعر فلسطينى من قبل ، أنظر اليه وقد خلد ثروة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ فى قصيدة (الثلاثة الحمراء) ثم يوم عاد فى الذكرى الرائعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة أخرى فى قصيدة (الشهيد) كل ذلك فى شعر لاهب حماسى فلا يكاف ولا استخذاء ، وإنما هى صرخات مدوية مجاللة تحفز الهم وتثير الشعور بالعزة والاباء .. هكذا نرى شعره الوطنى شعرا يحمل طابعا فلسطينيا خاصا ، وتطبعه أحوال البلاد فى هذا العهد المظلم من عهد فلسطين وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن وشاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده فى شعره القوى ، الذى يمتاز بذلك الطابع الفلسطينى الخاص ... ولو لم تتعكس فى ذلك الشعر أصدق صورة لهذا الوطن فى ذلك العهد ...))

وتكتب كلثوم نصر عودة مقالة (١) أدارتها حول نفسها وعرضت فيها
الى سيرتها الذاتية ، وتجزئتها الشخصية ، بأسلوب يقبض حيوية وتدققا
والفة وساطة ، تقول الكاتبة : (٢)

((... أسخ الكثيرين من حولي يقولون : هنيئا لك
ما أسعدك ، فأسال نفسي ، من أين أستمد سعادتي ؟
ولدت خامس فتاة في أسرة تشناق صيبا .. وليسك
أن تنصير الاستقبال الذي استقبلت به يومئذ ..
بالدموع ، ورائفتي كراهية والدي ، وكنت سمراء اللون ،
فكان ذلك معيرة لي ، فكنت أنادي بالسوداء ..
وانكشيت على نفسي حتى أصبح أهل بيتنا يدعونني
" المت سكوت " وانكبت على العلم رغم ارادة والدي ..

هربت من البيت لأقترن بطبيب روسي فلم يفر لسي
والدي ذلك الا بعد سنوات ، سافرت مع زوجي اللى
روسيا عام ١٩١٤ ونشبت الحرب الكبرى ونحن في ميناء
اليسفور ، فما أن وطئت قدماى أرض روسيا حتى
ابتدأت أتعلم مهنة التمريض ، فلما أتممتها سافرت الى

(١) من مواليد الناصرة ، أنهت دراستها في مدرسة الجمعية الفلسطينية
الروسية ، اقرنت بطبيب روسي ورحلت معه الى روسيا وهي أول عربية
نالت لقب بروفسور في الاتحاد السوفيتي بعد أن عملت مدرسة
في جامعة موسكو ، وأول عربية تشغل مركز عضو في جمعية العلاقات
الثقافية السوفياتية مع البلدان العربية ، كتبت مقالات كثيرة وترجمت
كثرا من العربية الى الروسية وبالعكس . ينظر : صفحة (٢٦)
من هذه الدراسة .

- أسى طوى : عبير ومجد .. مرجع سابق .. ص ٢٦ .

(٢) كانت هذه المقالة أفضل جواب عن سؤال كانت مجلة الهلال المصرية
طرحته في مسابقة أدبية نظمتها إدارة المجلة - تموز (يوليو ١٩٤٧)
والسؤال هو : "كيف يعيش المرء هنيئا ؟ " وقد فوزت لجنة التحكيم
المؤلفة من : (خليل مطران ، مصطفى عبد الرازق ، سلامة موسى ،
منصور فهمي ، سامي جريد تلح أحمد شفيق) كاتبة المقال ومنحتها
جائزة مادية كانت إدارة المجلة رصدتها لهذه الغاية .

الغرب ومنها الى الجبل الأسود . . .

بعد زواجي بست سنوات توفي زوجي تاركا لي ثلاث
طفلات عمر الكبرى خمس سنوات والصغرى شهران . . .
وتاركا اياي وحيدة في محيط غريب ، انما كيف كانت
مشاعري يومئذ ؟ . . . عندما توفي زوجي سمعت احدى
المعلمات السائرات خلفي في الجنازة تقول لرفيقتهما :
ما أتمس هذه المرأة لم يبق لها سوى أن تحصل
(الكشكول) وتطرق الأبواب متسولة ، فهى غريسة
لامعين لها ، وطفلاتها يعقها عن العمل ، وخاصة
الصغرى ابنة الشهرين ، ثم انبها لم تصل هذه
القرية الا منذ ثلاثة أيام . . .

ولم أكن في عهد زوجي أشتغل لهذا لم يعرفنى
سوى أننى (امرأة زوجي) ولكن لم يرض على ذلك
سوى نصف عام حتى قالت تلك المعلمة نفسها : سميدة
أنت ما أهناك . . . لقد كنت في كل أدوار حياتى
أعمل راغبة لا مكرهة ولا أجد الراحة الا عند تذييل
المصائب . . هذا أولا ، وثانيا لقد أحببت الناس
كل الناس ، فكان اعطائى هذا الحب لهم باعثا على
سعادتى . . كنت أعمل طوال الحرب الأهلية بلا أجر
وأسعد بهذا ، ثم أمر له أهميته وهو حسابى كل
عمل شريفا ، لم أخجل من أى عمل كان ، مادام هذا
العمل لا يمس شرفى أو شرف سواى . . لقد علمتى
الرجل الكبير العلامة المستشرق كراتشكوفسكى أشياء
كثيرة جميلة عن شعبى لم أكن أعرفها فزادت سعادتى
بالأمل ، انه لا بد لنا نحن الغرب من مستقبل لا يقل
مجدا عن الماضى . . .))

* جاء اهتمام الكاتبات بموضوع الوطن والسياسة أقل درجة من اهتمامهن بالموضوعات الحيوية الأخرى ، وهذا أمر طبيعي يتواءم مع نشاط المرأة في هذه المرحلة والذي كان - في غالبية - مقصورا على القضايا الاجتماعية والثقافية ، وقلما يقف الباحث على مقالات كتبها المرأة العربية الفلسطينية في هذا الموضوع ، لاتعدو الخواطر الذاتية المفتقرة الى الرؤية العميقة والتحليل الموضوعي .

فمقالة لـ (اسمى طوي) " بعنوان " رجل وامه " ^(١) تمنى الكاتبة لو تنجب الأمة العربية رجلا واحدا قويا يقدر على انتزاع الحرية والاستقلال لشعبها وبلدها ، وتمنى على (أمريكا) تشدقها بالحرية وتدبر مواقفها ضد الملونين ضد حريات الشعوب ، فتقول :

((... عندها يدلهم الظلام ، يخرج مع الفجر رجل واحد يحمل مشعل النور ، فهل أقفرت بلادى من رجل ؟ رجل واحد .. يطلقون على جورج واشنطن لقب محرر أمريكا ، ولاعجب ، هو رجل ثرى ، كان يعيش في مزارعه الواسعة عيشا رغدا مستقرا ، فهجر الراحة والدعة ونزل الى الميدان بعزيمة لاتعترف الكلل ووطنية لاتعترف الاعتدال ، وثقة بالنفس لاتحسد وايسان بوجود استقلال أمريكا لايتزعزع ، وظل يناضل حتى حررها .. ولايات مفككة ، حكام موالون لانجلترا ، مواطنون يتأمرون عليه لحساب انجلترا ، يتعرض كل يوم للموت مرات ، يناضل ويناضل .. وتستقل البلاد ..

(١) كل شئ : تموز (يوليو) بيروت ١٩٤٥ .

أمريكا هذه بتمثال الحرية تأبى على الشعوب ونسى
مقدمتها نحن ، هذه الحرية .

إيه أيها الريحاني ، لقد وقتت أمام تمثال الحرية
وخطبته قائلا : متى تحولين وجهك نحو الشرق
أيها الحرية ؟ لقد كنت تعلم من قبل أن في أناشيده
الحرية التي تشهدها أمريكا لحنا محزنا مخزيا ، لحنا
يتفنى بظلم الملونين في الداخل ، فكيف يفـير
الملونين في الخارج ؟ لحنا يقول : ان الحرية
للقوى ماء ، وللضعيف سراب ، للقوى حقيقة ،
ولللضعيف أسطورة ، وما رمزها المنتصب على الشاطئ
يحمل المشعل سوى خدعة ، حجر على حجر من صنع
فنان ماهر .

رجل فرد حررأمة ، فهل في بلادى قحط نسي
الرجال ؟ وهل عجزت الملابس عن انجاب رجل ؟

وتكتب السيدة (ساذج نصار)^(١) مقالة بعنوان " ياديرتي " تصف فيها^(٢)

الراجلين من قومها عن أرضهم الطيبة بأسلوب يفيض انفعالا وأحاسيس
رفيعة :

(١) من مواليد مدينة حيفا ، اقرنت بالصحفي نجيب نصار صاحب جريدة
الكرمل ، ونشرت مقالاتها الاجتماعية والتاريخية والسياسية في سن
مبكرة ، وفي عام ١٩٤١ تسلمت رئاسة تحرير جريدة الكرميل ، لها
أوجه نشاط أدبي واجتماعي وسياسي . ينظر ص () من
هذه الدراسة .

— أسى طوى : عبير ومجد . مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٢) المرفان : المجلد الرابع والثلاثون ، من المحرم الى جمادى الآخرة
١٣٦٧ هـ .

((٠٠٠ وأقبل الليل ، وطلع القمر ونادى القوم هيا ،
فعلمت الفتاة أن الساعة الرهيبة قد دنت ، ومشى القوم
بأحبالهم في صمت ، ومشت " فضة " خلفهم في تناقل
ونفخ الراعى في مزماره وارتفع صوت " فاطمة " الحنون :

" ياد يرتى مالك علينا لسوم ٠٠ لاتمتنى لومك على اللى خان"
فانخفضت الرؤوس وجرت الدموع وصعدت الزفرات ٠ انها
قافلة أخرى عربية تخرج من أرض عربية الى المجهول ٠٠))

* انساحت المقالات التى كتبتها الأعلام النسوية الفلسطينية فى الصحف
والمجلات المختلفة عبر سنين هذه المرحلة من غير أن تجمع فى كتب
خاصة ، مما جعل حصرها أو الوقوف على جزء كبير منها أمرا عسيراً
وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث - بما وقع عليه من مقالات - يستطيع
أن يوسم خطأ بجانبا متصاعدا ويوضح الخطوات الوثيدة التى سارتها
الكاتبات الفلسطينيات فى هذا الميدان ، وأن يرصد الموقع - المتقدم
نسبياً - الذى وصلته ، وهذا الموقع الذى لم تستطع المرأة العربية
الفلسطينية أن تصله فى ميدان الشعر وميدان القصة فى هذه المرحلة ٠

ويلاحظ أن الطابع النسوى كان غالباً على جل المقالات التى كتبتها
المرأة منذ البداية ، وبخاصة حين كانت تعبر عن واقعها الذى تعيشه
وتصف عالمها الخاص وما يدور فى أعماقها من ترقق الى الحرية والتحرير
والمساواة بالرجل ، ومن الطبيعى أن يؤدي تفاعل الكاتبات مع التطورات
الاجتماعية والثقافية التى شهدتها فلسطين الى اتساع دائرة الموضوعات
التي طرقتها ، بعد أن كان المحور الرئيس الذى يدور حوله هو المرأة
نفسها فكتبت فى التربية والاجتماع والتاريخ والنقد ، والسياسة حتى اذا حلت
(نكبة عام ١٩٤٨) لم يبق موضوع من الموضوعات الحيوية التى تناولتها
المقالة الا كان لها باع فيه ٠

(الفصل الخامس)

المرحلة الثانية ١٩٤٨ - ١٩٦٧

هزت (نكبة عام ١٩٤٨) نفوس الأدباء وحركت مشاعرهم ، فامتشقوا لها الأقلام شعرا وقصصا ومقالات وبحوث ومحاضرات واخذوا يمسجرون كل بطريقته الخاصة - عن القضية الفلسطينية ، يفسرون الأحداث ، ويستشيرون الحمية ويؤكدون الواجبات ويشدون الحزام .

وكانت المقالة أسبق الأشكال الأدبية تأثرا بالخطب الجلجل الذي أصاب الناس ، حتى أن الكتاب وخاصة المحدثين منهم - تمايزوا بإساليبهم وارتائهم تمايزا لم يقع على نحو مشابه في ميدان الشعر وميدان القصة .

وتكشف المقالات التي كتبها الأدبية الفلسطينية بحمد (النكبة) عن سطحية في فهم أبعاد القضية ومسبباتها وعن ضيق في النظرية السياسية ، وغياب كامل للتحليل من ناحية أخرى الفنية ، اختفرت هذه المقالات الى الموضوعية وتصوير الواقع ، وهي تعوض من خلال الانفعال والاسراف في رقة المشاعر ، وغير مثال على ذلك مقالة للسيدة (فايزة عبد المجيد) (١) بعنوان " الله الله ، ما مثل فجيفة فلسطين الفواجع " (٢) كتبها اثر انسحاب قوات الجيش العراقي من مواعنها على الجبهة

(١) من مواليد مدينة نابلس ، أنهت دراستها الابتدائية في القاهرة حيث كان والدها يعمل في تجارة (الصابون) ثم عادت الى نابلس وأنهت دراستها الثانوية في مدرسة (راهبات ماريوسف) درست بعد ذلك على نفسها الأدب والفلسفة والاجتماع ، لها نشاط نسوي واجتماعي ملحوظ ، وشاركت في كثير من المؤتمرات الدولية النسوية ، أصدرت كتابا بعنوان " المرأة في ميادين الكفاح عام ١٩٦٧ " ولها أحاديث أدبية ومقالات عديدة نشرتها الصحف والمجلات المحلية والمصرية .

مقابلة شخصية مع الكاتبة بمدينة نابلس بتاريخ ١٩٧٧/١٠/٥ وكذلك ينظر :
- عارف الحارثي : نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود - منشورات المكتبة المصرية للطباعة والنشر - صيدا ١٩٦٢ المجلد السابع ص ٤٨٨ .
(٢) الدفاع : الاحد (١) أيار (مايو) ١٩٤٩ العدد ٤٠٠٨ .

الفلسطينية بعد (النكبة) وقد هضمت الكاتبة مقاتلتها بالمحافظة الجياشنة

والصور الطيبة بالياس والمراة والدموع . تقول :

... ودع هرسوق ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

الان وانتم تشدون الرحال من الارض التي بارك الله
حولها ، وقد أرسل عليها المستعمر شواظا من ناره
وهلاياه ، أنت على الأخضر واليابس والزرع والضرع
وغشاها بالكوارث ليطوى منها مجدا عظيما وأعلاما للحق
قائمة وملاكا للصهوة على السؤدد باهره ، الآن وأنتم
تشدون الرحال لدار السلام ، ومن ورائكم أمة (؟)
توطئها وإياكم عبرى ثقات من العقيدة والدم والتاريخ
والجهاد المشترك ، أمة (؟) هادت من الظلم
أركانها وسلب منها الرشاد ، لا الوطن دأما لها ولا
الاخوان تحميمها (؟) أمة (؟) غاب عنها السلام وطيب
المخام تبیت الليل ساهرة وبين الضلوع نار تستعمر
وجراحات تسيل ، في ثنايا العذاب ماتتفك منها القلوب
تتهمل وتهتف من كل جارية :

يا رحمة الله حل في منازلنا وجاورنا فدتك النفس من جبار

الان وقد عادت السيوف الى أعنادها وطويت الأعلام
وهمت بالرحيل القوافل وأناخ الركب في المراق
الصربي والتأم الشمل ، وسأل هناك من أرض الفراتين
سائل الا ما حل بالبلد الجريح ؟ وما حال البلد
الشهيد ما حال المظلوم يهز العرش نداء .. أو ستجيئون :

الامة العربية الصريح ... فلسطين (؟)

الله الله لها ، فما ماثلت فجيئتها الفواجع ، لا ، ولا
شهد التاريخ كبلاتها ، يا رحمة لها وعلى صدرها
تتكسر النصال على النصال ، يا رحمة لها والأقصدار

تحط عليها بكللمها تحسو ولا ترحم ، يا راحة لها
محفوة الجبين سليبة الضماد ، يا راحة لها تطوقها
نوائب الدهر ، وتمشب في حناياها السهام نافذة
صلفة ٠٠٠

وباسلوب مليء بالانفعال والشاعر الفياضة كتبت فائزة مقالة اخرى
بمخون " لبيك أيها الوطن نحن مع الركب " (١) تندب فيها الشعب
المشرد وتتأجج أرض الأجداد التي جبل ترايبها بدما الشهداء :

" ٠٠٠ في سبيك أيها الوطن تتلذذت مراكمهم
وسارت ، ولقد سكت بيضت الأرواح بيع السماح ، فتهلل
الكون لجلال الفداء وهتف : أهلام الجهاد سلاما ٠٠
وفي سجو الليل - أيها الفدائي - ناجيتك
القلوب ، وابيضت عليك من الحزن عيون ، وصاحت
نفوس ، والنوازل تدك منك المصائل وتطوى الأعلام
والمدن والقرى والسواحل ٠٠

أي هضاب بلادى ، أتمرفين ما القاه فسى
سبيك ، كيف أحترق وأفنى فيك ؟ وفي دياجسى
الليل ، أتحسين بما يتأجج في جوانحي من حنين
وأشواق ؟

وطنك أيها النازح الفريب في كل وطن
هلا التثمت اليه قبل الرحيل فضمت منه الثرى
ووردت المفاهل ووقفت في كل بقعة فيه تودعها
صلواتك .

فيك يا أرض عزتنا البقاء ، فيك يا أرض منبر
الحية ، وترك الأجداد ٠٠ فيك يا أرض أفنيننا

(١) الدفاع : الاحد ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ العدد ٤٠٣٨ .

السواعد وسال عرفنا وعرق الأجداد ، في شموك
كفاحنا ، فيك يا أرض قضينا الشباب وعشنا الممصر
وحملنا الذكريات وفيك يا أرض الخلود وما الحياة
ودما الشهداء ٠٠٠

وتموض الكاتبة للدور الذي اضطلمت به المرأة الفلسطينية أثناء
الأحداث التي شهدتها البلاد ، حين وقفت الى جانب الرجل تدافع عن
الحق وترد كيد الفاضلين ، تقول :

٠٠٠٠٠ والمرأة المصرية في فلسطين الان وقد
أتاحت لها الأحداث المظام التي تخلق التطور
حرة أوفى ، أسست المستشفيات للجرحى وسهّرت
عليهم وضدت جراحهم ٠٠ واستطلعت ان ترفع
صوتها وتثبت وجودها كالرجل ، وكان لها نفس
كل خطب كفة ورأى ، ثم اتيج لها أن تقصف
بين يدي الوفود مداخمة عن حقوق بلادها ، وبين
الجموع خطيبة ، ستمضي في جهادها كجزء حساس من
هذا الوطن الصريح والتي هي نصفه ، ستتحول
الى البناء ، الى خلق الرجال ، وبناء الاسوة ، الى
تحرير ذهنها بالثقافة ، ستعمل في ميدانها
الاصيل ، ميدانها الانساني ، ليكون الى جانب
كاتب الحق كتائب اخرى ، ملائكة رحمة تأسو
الجراح وتلمهم الخير ، وتثير المشعل في النفوس
القريب ستسكبه في قلوب المحذيين حنانا كالندى ،
رحمة كالغيث ، أخاء كظهر السماء ، سترسله للوطن
في غمرات دياجيروه ، هتافا من الأعماق له قوة
الحق وصدق الايمان .

لبيك لبيك أيها الوطن نحن مع الركب وتحس
اللواء لبيك . . .

ونفس محرومة ملتزمة بالأسى والآم تعبر (عدد كياتي) عن مشاعرنا
واحاسيسها الحقيقة نحو فلسطين في مقالة لها بعنوان " يقولون " (١)

" أيتها المواطنين ، تعالين نيك بحرقه وحرارة مواج
الانس والذكريات ، تعالين نهضت أشواقنا وتحايانا على
أجنحة النسمات ، ايه يا بنات المآسى ، لم يحدث
ما حدث لنا ولا بالأساطير أقبلن يا بنات الصروسة
أقبلن يا بنات الاسلام ، فلا ^{الانس} انندلس ، ولا الآلام الآم ،
لا الحوب حوب ولا الدماء دماء . . . ايه يا من
وحدت بيني وبينهن الآلام ، هل تعود مثلما كنا ؟
وهل تعود لنا الأيام ؟ يقولون : يا بنات فلسطين
أصجنا أقوالا ، مضى أقوال لاغير ، يقولون ، يقولون "

أما (أسى طوي) فتكتب عن جمال بلادها وملاعب صباحها الضائعة
فتقول في مقالة بعنوان " يا رعاة السهول في بلدي " (٢) :

" . . . الطبيعة جميلة في كل مكان ، ولكنها أكثر من
جميلة في بلادى ، النسيم يهب معطرا في لبنان
ومع ذلك في قدس أقداس نفسك ، في أعماق شعورك ،
تهمس : بل أنه أكثر عطرا وأروع شذى هناك ، انه
هناك نسيم بلادى ، والجبال في لبنان ، انك تحددق
بها وتحددق حتى لا يكاد البصر يرتوى ، ولكن على
حدقة عينيك تتطبع صورة أخرى لجبال لا تكون خضراء
ولا بيضاء ولا ذهبية ، . . . ولكنها في نظرك أجمل جمال

(١) مجلة الشقافة : ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ العدد ٥٧٢

(٢) كل شئ : بيروت ، آذار (مارس) ١٩٤٩ .

الدنيا ، لأنها جبال بلادك
يا لوعة السهول في بلادى يوم كان للوعاة
سهول بلادى .. هناك في ظل الشجيرات يجثم
القطيع حول الراعي يصفى الى أنغام نايسه
هنالك - حيث تتدلى أثمار البرتقال المذهبة -
تقف بالرعى الصغير تسأله عن الطريق ، فإذا
بالغلام كله أرحية يأبى الا أن يسير معك
الى أول الطريق . الحيلة عذبة دائما ولكنهما
أكثر عذوبة عندما يوشك المرء أن يفقدها ، تلك
هى أوطاننا .. فيا لشقوة الرجل الذى لا وطن
له ..

وبنظرة أكثر واقعية تكتب (أسى) مقالة بعنوان " حبيبى راج " (١)
تتحدث فيها عما يمتري الكتاب والشعراء العرب من حزن وذهول وتحسر
على الماضى ، ويأس من المستقبل ، وتكشف عن سخطها وتشاؤمها من
سلوك الناس الخانع فتقول :

" وآلم ما يؤلم أن يرانا الناس على حقيقتنا
ولا نرى أنفسنا .. وانى لأذكر مستشرقاً عاش بيننا
فقال : أعطوني هذه الاغانى لامتى ، وبعد عشر
سنوات تستطيع أية أمة أن تغلبها بل اننى لأذكر
ذلك الانجليزى الذى سمع من يفتى : " حبيبى
راج يا من يردده لى .. " فهز رأسه وهو يقول :
مسكين هذا المصير ، حتى حبيبى ينتظر أن
يحضره الناس اليه ، ثم شعر عن ذراعيه كسفن
سيلعب (الپوكس) وقال : أما أنا فمن يأخذ

(١) كل شئ : بيروت ، شباط (فبراير) ١٩٥١ .

حبيبي أكرم جمجمته .. هكذا يرانا الناس شعوباً
خاترة المزية ، انكالية ، لاتصلح لشيء ، أستغفر
الله بل انها تصلح ولكن للاستعمار والمهودية .

* أدت عملية اقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من أرضه عام ١٩٤٨ الى
توزيعه على الأقطار العربية والعيش وسط مجتمعات جديدة متفاوتة ففى
تطورها الثقافى والاجتماعى ، ومن الطبيعى أن تأتى استجابة الأديب
الفلسطينى رجلاً كان أو امرأة مهتمة مع الأوضاع الجديدة ، التى راح
يميشها وأن يتكيف مع التغيرات السياسية والاجتماعية التى أخذت
تصيب المجتمعات العربية عبر سنى الخمسينيات ، وأن يتشكل له ففى
مكان عيشه الجديد شخصية أدبية تكاد تكون جديدة ، ولا تلك من
الخصائص المشتركة مع غيره من الادباء الفلسطينيين غير ما هو مرتبط
بالمامل الأساسية المتجسد فى الطموح لتحرير الوطن . وفى مطلع
الستينيات كان عدد كبير من النساء الفلسطينيات قد استكمل دور التعليم
الجامعى ، وأبرز هذا العدد بعض الكاتبات الجديديات المزودات بثقافة
واسمة وعلوم جديدة ، وبدأن يكتبن مقالات متنوعة فى التاريخ والشعر
والنقد والاجتماع والبحوث الجامعية والمحاضرات التى صار بعضها موضوعات
لحلقات دراسية نظمت على صعيد جامعى يتناظر فى مضامينها الدارسون .
(١)

حول قضية الشعر العربى الحديث وما احتدم حوله من نقاش
وخصومة ، كتبت (سلى الخضرا الجيوسى) مقالة تدافع فيها عن هذا
النوع من الشعر ، وتبين مزاياه وخصائصه وما جاء فيها :
(٢)

-
- (١) نحو محاضرات : الدكتورة نادرة السراج والدكتورة سلى الخضرا
الجيوسى والدكتورة خيرة قاسمية وغيرهن .
(٢) الآداب : العدد الثانى ، آذار " مارس " ١٩٦٠ .

••• لا يسمنى أن أقول لمن لا يؤمن بالحركة

الحديثة إلا أن يصبر ويترقى فى حكمه ، فانا مؤمنة
بالشعر الحديث ومستقبله ، وأجد لزاما على أن
أدعو له وادافع عنه والح على مزاياه وشروطه
وأصالته •

فما هى المزايا المهمة التى يحتقها الشعر
الحديث؟ ان الجمهور القارىء عادة يخطئ بسين
الشعر الحديث والشعر الحر ، فيمتقد أنهما شئ
واحد فى جميع الأحوال ، وأن التحرر من وزن
الشطرن الموحد القافية هو فى كنهه الشعر
الحديث الذى نتحدث عنه ، والحقيقة أن فى
هذا شيئا كبيرا من جزئية النظرية - فان حركة
الشعر الحديث تشمل التجديد فى جميع عناصر
الشعر الموهى لا فى عنصر الوزن وحده - فالشكل
لا يتعدى أن يكون ركنا واحدا من أركان متمددة
تشكل فى مجموعها القطعة الشعرية • ان الثبوت
الشعرية شملت الشكل والمضمون - ووجدت بينهما
انها أولا حيزت الشكل من قيود الشطرنج
المتوازنة ، محتفظة لنفسها بالحق أن تعود الى
استعمالها متى شاءت أى أنها إذ انطلقت
تخلق لنفسها ايقاعات جديدة ، وتطور سبما
أوزان أو ثمانية من ستة عشر وزنا من الأوزان القديمة
متابعة فى تفعيلاتها ، انها إذ فعلت ذلك لم
تحكم على الطريقة القديمة بالموت والانقراض وان كانت
الحركة تؤمن أن الطريقة الحرة هى أقرب للتعبير
عن قلق الانسان المعاصر وأكثر تلاؤما مع روح العصر

ان الشعر الحر هو الاسلوب الجديد الذى ابدعه
عصرنا ، وان كل عصر يبدع اسلوبه ما فى ذلك
من شك *

وترى الكاتبة ان الشعر فى أية أمة حين يصل الى دور التمييز
والصقل ، ويكتسب لنفسه شكلا مستقرا وقوانين راسخة فى الاسلوب
والتصوير ، فان ذلك دليل على أن هذه الامة دخلت فى عصر هادئ
يخيم عليه الرخاء النسبى ، وعندما يتركز الشكل الشعرى ، ويصبح
نموذجا مجمدا ، وتكون غاية الشاعر لا أن ينفصل مع الحيوية المنضوية
فى عطية الابداع الفنى ، بل يهدف الى أن يضغط المضمون فى نطاق
شكل مقرر سلفا ، تكون الامة قد دخلت لا فى طور الرخاء والاطمئنان
فحسب ، بل تكون قد تعدت ذلك الى طور الجمود والاتبلية السلبية
والشعر المرسى فى هذه الايام النابع من لعاق التجربة الانسانية
لا بد أن تنعكس عليه مؤثرات الحياة الجديدة ، ذلك أن المجتمع المرسى
يعيش فى توتر وقلق وثورة تشمل حياته السياسية والاجتماعية والفكرية
والمناطقية .

أما عن لفة الشعر الحديث وعن المضامين التى يستقيها الشاعر
من واقع الحياة التى يعيشها فتقول الكاتبة :

* . . . انفصلت اللفظة والمباراة فى الشعر

الحديث اجمالا عن ايما انها القديمة واستعملنا كلاهما
بمدلولهما المعاصر ، ليتسنى للفة الشعر الحديث
أن تكون مشتقة من اللفة المعاصرة التى شملت عالمنا
واستطاعت أن تعبّر عن ضروراتنا وعن ترفنا وأحلامنا

وقد نجح الشعر الحديث أيضا في تحرير الموسيقى
الشعرية من آفات حملتها عبر القرون - من الرتابة
ومن الرنين ، ومن الجمهوية ، ونجح كذلك السى
حد كبير في أن ينقى الأسلوب من الحشو والتكرار
الذى لا فائدة منه ثم عزف عن شعر المناسبات
عزفا كليا ، وعنى بالمعانة الشخصية والتجربة المكتملة .
وقد حاول الشعر الحديث في السنين المشـرر
الماضية على وى منه ، أن يحزر وجهة نظره من
التفاهة والسطحية والمبالغة والجزئية والذاتية
المنفلقة ، وأن يحزر عاطفته في الشعر من الميوعة
والتهافت والأحزان والرومانطيقية ، وقد قامت الدعوة
الجديدة توجهه نحو حقيقة الانسان ، وتدعوه أن
يجعل منها محور تجربته الشعرية ، حقيقة الانسان
في وجوه حياته كلها : في عظمته وضعفه وفي
نزواته وانكاساته ، وفي حرته وعبوديته ، وأن يتوجه
الى الشعب فيستمد منه ومن موروثه الحى مسادة
شعره الاولى . . . كانت حركة شاملة جهوية ، وكان
شعرنا في أشد الحاجة اليها ، وكان نحن في أشد
الحاجة اليها ، ولولا كونها عبرت في توقيت مناسب
عن حاجة فنية حضارية ، لما كتب لها كل النجاح
الذى أحرزته ، ونحن لو راجعنا تاريخنا الشعرى
القريب في الحقود الأربعة الماضية ، لوجدنا
يمر في مدارس فنية سريعة متحاربة دون أن يستكمل
المزايا الكاملة للمدرسة الواحدة ، ودون أن يستمد
استعدادا ملائما للمدرسة الجديدة ، وقد عكس
هذا التقبل السريع لشتى المدارس الفنية التى عرفتها
آداب الامم الاخرى ، عكس أمرين على غاية من

عدد من الشعراء بمحاولات لكتابة الشعر الحر دون أن يكونوا قد وعوا شمول الحركة الحديثة ، ودون أن يكونوا أنفسهم قد رزقوا من المواهب والعمق ما يؤهلهم لان يفهموا هذا الشمول ، وأن يواكبوا شروطه الصعبة ، فقامت الصيحة المدوية بأن الشعر الحديث قد أصيب بنكسة ، وبأنه في خطر داهم ، ولو تروى النقاد قليلا وهدأوا من روعهم ونظروا الى الظاهرة بهدوء علمي رزين ، ولكنوا تبنوا أنها ظاهرة طبيعية في كل حركة جديدة وأن لها أمثلة مشابهة في آداب الامم الاخرى كما تدلنا دراسة الأدب المقارن ، وأنها مهما اشتطت وسفت فانها لن تمس تيار الشعراء الحديث بذرة من سوء ، وأن التيار الأصلي ليسمى الى الابداع، والابداع لا يضل ابدا - فهل ضر أمثال (عمر أبو ريشة وصيدح وفرحات وبدوى الجبل والقروى وغيرهم) كل ذلك السيل من الشعراء العمودى التافه المرشح بالدموع الذى كان ينشر جنبا الى جنب مع شعرهم؟؟ غير أنه من السهل أن تلحق السمعة السيئة سريعا بأية حركة جديدة نائشة ، لا يمكنها أن تسمح باهتدال أهدانها وأساليبها ويجب أن يتضافر الشعراء الحديثون ونقادهم على القص من جناح الطفيليين والمتساهلين وتخليص شعرتنا منهم ورد اعتماره ومقامه

وفي مقالة أخرى لها بعنوان " الخصومة في الشعر العربي المعاصر " (١)

(١) رسالة الاردن : العدد العاشر ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٢ -

تحدث الكاتبة عن مفهوم الشعر العظيم الذى يتخطى حدود الزمان
والمكان ويخترق حواجز القرون والقارات ، وتؤكد على أن الفن لا يثور عادة
على جذوره ، وأصلته ، وأن روائع الشعر المربى القديم هي الجذور
الشعرية التى تنبع منها الأصالة ، ولا يمكن لأحد أن يستهين بها
أو يفض من شأنها ، تقول :

" لعل حديث الشعر فى السنوات الأخيرة ، قد
اتخذ له فى الهلاد المصرية مكانة لم يعرفها فى
عصور الشعر الذهبية يوم كانت القصيدة تشعل حيا
أو تنج أسيروا .. ذلك لأن العرب المعاصرين
قد أنقسموا لأول مرة فى تاريخ الشعر العربى
الى قسمين متضادين كل التضاد ، يتناقشون فى
حديث الشعر ويخوضون معركة من أحنف الممارك
الأدبية فى تاريخ الأدب العربى والمالى ، حتى أن
هذا النقاش وما تبعه من تناهد بالألقاب قد أوجد
بلبلة فى مفهوم الشعر وأدى الى نوع من التمسك
الطائفى لدى كل من الفريقين بالاراء المقررة حول
ماهية الشعر وعمله وغايته ووسائله وأشكاله ، ولم
تنته المعركة بمد .

وهكذا فانك اذا تحدثت فى أمر الشعر ، كان
لزاما عليك فورا أن تظهر محط ولائك ، فان كنت
من محبى الشعر القديم ، أعلنت ذلك حالا براحة
بال ، وقررت أنك من أنصار ذلك الشعر الموسيقى
الفخم الأوزان الواضح المعانى الجزل الألفاظ ،
وأنت عدو لهذا الذى يسمونه بالحديث ، ولملك
تصفه للحاضرين فتقول عنه انه شعر غامض لا يمكن
فهمه وأنه خال من الموسيقى ، بل لملك ان كنت

من الأدل أدعائه تقرر أنه شعر متفكك متخلخ لا وزن له ولا قافية ولا معنى ولا غاية ولا رأى .

أما إذا كت من أنصار الشعر الحديث ، فإنك ستقرر حالا بأنه لا شأن لك بهذا الشعر القديم الذى يشتم فيه رائحة الرمال والبداوة ، وأنك ضجرت من رنينه ، ورتابته ، وفخامته ، والفاظه الفريية عن بيتتك ، وأنك لم تعد تجد فيه ما يعبر عن حياتك أنت وشؤونك وآمالك والآمك فهو ينتمى الى بيئة أخرى غير بيتتك والى مجالات غير مجالاتك ، ولا يمكن لك أن تروض نفسك العصرية المتجددة دوما على تحمله وتقبله ، أما الحديث فـ أنك تصفه بنهضة على أنه الطوق المعبر عن مشاعرك الخاصة وشخصيتك المصرية وانفتاحك الجديدة على افاق لم يألها أجدادك ولم يصفوها ، وهكذا تدور العمرة رحاها الطاحنة لاترحم ، ومجال التراضى بين الفريقين لا يتقارب ، لتشهد أنصار القديم بأرائهم بصورة أعنف وأعنف نظرا لتقدمهم المطرد فى السن ، فهم عادة ممن جملة الشيوخ ، هذا من جهة ، ولا معان بعض الشعراء الحديثين من غير الأصيلين فى الانحراف والافتتان الذى لا منة فيه من جهة أخرى . . .

وتحاول الكاتبة ان تستجلى سر الخصومة ، وأن تكشف نقطة الابهام التى أدت الى كل سوء التفاهم المحاصر حول قضية الشعر المرمى فتقول :

” . . . لعل الأمر الأول يكمن فى كلمة ”حديث“ نفسها ، فهى كلمة تحاول أن تخص الشعر الجديد

بالحدائق لا من حيث كون الحدائق شيئا زنياً بل من حيث كونها شيئاً نضراً ، تجرى فيه دماء الشباب وعنفوانه ، لتقف مضادة لكلمة "قديم" من حيث كون هذه الكلمة موحية بأن هذا القديم غذاً بالياً رثاً مجدباً وقاصراً دون بلسوغ شاو الانسان المعاصر .

ان هذا الوصف القديم يفتوى على كثير من الزيف والارتجال والضحالة ، فالشعر العظيم يتضمن دائماً حقيقة شاملة تتخطى حدود الزمن والمكان وتخترق حواجز القرون والقارات ، فما كان عظيماً في شعرنا القديم يظل عظيماً يخض النظر عن مرور الزمن عليه . ان الشعر القديم بروائحه الخالدة ، لا يمكن أن يكون هو المقصود بالثورة لأن الثورة لا تكون على القديم نفسه ، بل على التقليد المعاصر للقديم ، فانك لا تثور على أجدادك الماضين بل تثور على أبويك اذا تمسكوا بأسلوب أجدادك ، والمقصود بالثورة الشعرية الحديثة هو هذا النقيض الخالي من الروح والمعنى الذي يقلد القديم دون أن يكون له رونق وجزالة وبلاغته وتماسكه وطرافته وشخصيته . . .

ان القالب الشعري ، أي قالب شعري اذا استعمل قروناً طويلة فقد حيوته في النهاية ، ذلك لأن القالب الممين حمل معه خصائص الروائع الشعرية التي نظمت فيه ثم يموت فيحصل أيضاً خصائص القصائد التي لاعد لها والتي نظمت فيه بعد ذلك ، وليس بالامر المهيمن أن يجسى

شاعر بعد ذلك بقرون وصعيد نظم أفكاره المستجدة
فى نفس القالب دون أن يخضع الى ضروب الأداة
القديم فيه ودون أن ينزلق الى تبنى بعض
تلك الخصائص المحمولة فى صلب القالب ، انه لكى
يمبر بطريقته الخاصة عن تجربته الخاصة ، تجربته
المصرية التى تتكون فى أعماق نفسه وحيث هو
فى تعلم وحدته ، وجد نفسه مضطرا الى استنباط
اسلوبه الخاص المتحرر من نفي الشكل الذى يود
أن يأسر فيه كلا من العاطفة والمعنى المتكونين
فى داخل نفسه ،

وهذا يهذى بنا الى نقطة النقاش الثانية
التي دار حولها ذلك الجدل العميق ، ولقد كانت
هى كسابقتها خاصة منذ البدء لأنها بنيت على
اسس من التحيز والمناطقية والمبالغة ، هذه النقطة
جاء بها هذه المرة أنصار الشعر التقليدى ، فراحوا
يؤكدون وهم فى غمرة عواطفهم المتربة بالوفاء المزعوم
للتراث ، أن للشعر المسمى قالبا واحدا هو هذا
القالب ، لقد عجزوا كل العجز عن التمييز بين
الشعر وشكله ، وافترضوا أن يكون هذا الشكل جزءا
لا يتجزأ من عملية النظم فى الشعر المسمى - وشيئا
لصيقا بها كما يكون التنفس لصيقا بالحياة .

ولقد نسوا فى غمرة هذا الدفاع التقريرى
المتأكد من نفسه أن الشاعر هو خالق الشكل وأن
باستطاعته أن يتجول فى اطار الشكل كما يريد
مادام محافظا على حرمة الفن وشروطه الأساسية

التي لم تفترض قط في تاريخ الفن الملمى شكلاً
مقرباً سلفاً ، بل كان كل ما افترضته هو الانسجام
والتناسق في العمل الفني المكتمل *

وهكذا دار النقاش كل هذه السنوات ، فشغل
الناس وشغل الشعراء أنفسهم عن مواجهة مشكلاتهم
الأهم مواجهة واقعية جريئة * * * .

يرى الباحث أن من واجب الشاعر العربي الحديث ، أن يقطع
ما بينه وبين هذه الأنواع من المجادلات واختلافات الرأي ، وأن ينفرد
بأدوات فنه يرقبها ويصقلها ، ويتجه الى أعماق نفسه يستجليها ويكشفها ،
أن الشعر في النظرية النقدية الحديثة شعر نبوءة وكشف فعلى الشاعر
أن يتنبأ لآفته لا بالمستقبل فحسب ، بل بما في ضميرها وأعماقها ، وعليه
أن يعزق القناع عن أسرارها ونوازع طموحها ومواطن تعاستها وتخادلها ،
ولن تكفيه ثورته الشكلية على الشعر القديم ، وكذلك ثورته الجزئية فسي
التفكير وردود الفعل العاطفية ، عليه أن يتصرف الى حقيقة نفسه ، وأن
يتغلب على ما يعيق انطلاقه لكي يكون قادراً على عطاء الشعر الحقيقي
الأصيل بغض النظر عن شكله القديم أو الحديث ، وبأسلوب أكاديمي رصين
تكتب الانسة (بثينة جردانه)^(١) مقالة بعنوان " جماعا بولو الشعرية"^(٢)
تتحدث فيها عن (حركة الديوان) التي دعت الى وحدة القصيدة والتي
التحرر من القافية الواحدة ، وادخال الأفكار الفلسفية والتأملية فسي

(١) من مواليد مدينة حيفا عام ١٩٣٤ ، أنهت دراستها الابتدائية فسي
مدارسها ، ودرستها الثانوية في مدينة نابلس ، عملت مدرسة ، وتقلبت
في مناصب عدة في وزارة التربية والتعليم الأردنية ، وتعمل حالياً مديرة
معهد عالية للمعلمات بحمان ، لها نشاط أدبي وأداعي ملحوظ
- مقابلة شخصية مع الكاتبة في عمان بتاريخ ١٩٧٨/٦/٥ .

(٢) رسالة الأدب : العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني (نوفمبر)

القصيدة ، وكيف كانت هذه الحركة ارهاصا لظهور (مدرسة ابولو الشعرية)
وما نادت به من تجديد فى الشعر العربى ، تقول الكاتبة :

" اكتفى الشعراء التقليديون فى مطلع القرن
المشرين بانتظار الحدث أو المناسبة ، لينظموا القصيدة
فتحول شعرهم الى شعر مناسبات ، وضاع الوجدان
الفردى ، وتجمدت المشاعر الخاصة حتى كانت فترة
ما قبل الحرب العالمية الأولى ، اذ قست ظروف
المجتمع المصرى وتلبدت سحب الظلم الرهيب ، مما
حال دون تحقيق احلام الشباب المتطلعين الى بصيرى
النور ، فاصيب هؤلاء بحالة نفسية عنيفة ، وأخذوا
يتأملون نفوسهم ويرسلون همسات ضمائرهم زفرات حارة
وينظرون الى المصير الذى يتربص بهم ، وقام من بينهم
عبد الرحمن شكرى والمقاد والمازنى ، قاموا متسلحين
بالثقافة الانجليزية والفرنسية ومتطلعين الى مـ
جديدة ، قاموا ليحدثوا فى الحياة الأدبية تيارا جديدا
يحرص على التعبير عن التراث ، لأن الشعر هو
التعبير عن الشهور الصادق واتخذوا من بيت شكرى :

الا يا طائر الفردوس ان الشعر وجدان
اتخذوا من هذا البيت شعارا لهم ، هذه الجماعة دعت
الى الوحدة العضوية فى القصيدة والتحرر من القافية
الواحدة ، وادخال الافكار الفلسفية والتأملية ، وتصوير
الطبيعة والفوس الى ما وراء ظواهرها ، كما أن شعرها
جمع مذاهب أدبية متعددة ، من رومانسية ذاتية حزينة
متألعة الى رمزية دالة وسريالية موحية ، وقد لجأت هذه
الجماعة الى النقد أيضا ، فأصدر المقاد والمازنى كتاب
الديوان حملا فيه حملة عنيفة على حركة التقليد وكساد

يزجرحانها عن مكان الصدارة ، لو وهب شعراء الجماعة
الطاقات الشعرية الضخمة التي وهبها شعراء التقليد ،
غير أن الشقاق دب بين أفراد جماعة الديوان
فانفرط عقدها ، وراح المازني والمقاد يهاجمان
شكري فاعتزل الأخير الشعراء وانصرف المقاد إلى
السياسة وتحول المازني إلى الصحافة ، إلا أن جهود
هذه الجماعة لم تذهب عبثاً ، فقد انبثقت من الصراع
الذي دار بينهما وبين حركة التقليد ، حركة جديدة
حققت في شعرها رسالة التجديد التي دعت إليها
حركة الديوان وهي جماعة أبولو الشعرية التي دعا
إليها أحمد زكي أبو شادي ، فقد تأثر هذا بتعاليم
مدرسة الديوان ، وتابع حركة الصراع بين هــ
المدرسة وجماعة التقليد ، واعترف صراحة بأن مدرسة
الديوان قد حررت الشعر العربي من الجمود والتقليد . . .

وتمضى الكاتبة فتحدثت عن الجوائز التي دفعت أبا شادي لتأسيس
مدرسة شعرية تؤلف بين الشعراء وتحمل على خدمتهم ماديًا وأدبيًا
وتتولى نشر إنتاجهم ، وتقضي على الفردية والانانية وتحتضن كل المذاهب
الأدبية ، وكيف التف حوله عدد كبير من الشعراء الشباب أمثال : إبراهيم
ناجي وحسن كامل الصيرفي ، وعلى محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ،
وكيف انتهى بهم المطاف إلى تكوين " جمعية أبولو " وإصدار العدد الأول
من مجلتهم عام ١٩٣٢ . تقول الكاتبة :

" . . . وقهر أفراد هذه الجماعة أن يهادنوا كل التيارات
الشعرية لا ليندوسوا في اتجاهاتها ولكن ليتماونوا معها حتى

يسير تيارهم الشعري بعيدا عن الهموم ، فخرج
شعرهم يحمل التحرر والطلاقة الفنية ، خرج شعرا
وجدانيا يتسم بالقلق العميق والجرأة النادرة في
إبداء الأفكار والتنوع في القافية والبحور ، خرج
جديدا في أشكاله ، وهذا الشاب أحدهم يقول :
" أن المدرسة الجديدة تدعو أن يحدد الشاعر
ما شاء في أسلوبه وطريقة تفكيره ، وعاطفته وخياله
والى أن يستلهم ما شاء من فن وفلسفة ورأى ودين
لا فرق في ذلك بين ما كان عربيا أو أجنبيا وبالجملة
فإنها تدعو الى حرية الفن من كل قيد بمنه
الحركة والحياة " .

ولقد دار شعراء ابلو في قصائدهم حول تجاربهم
الذاتية مستخدمين الرموز ليصلوا من خلالها الى
أعماق النفس الانسانية المتألمة . . فهذا ابراهيم
ناجى يستخدم التعبير الرمزي ليوحى بحالته النفسية
المأصفة ، فقصيدته " العودة " جزء من تكوينه
المأظف يصف فيها صعبا غائرا في روحه ، وهسى
من روائع النظم في الشعر الحديث ومنها :

هذه الكمية كما طائفيها والمصلين صباحا ومسائرا
كم سجدنا وبعدنا الحسن فيها كيف بالله رحمنا غريبا
رفرف القلب بجنبي كالذبيح وأنا أهتف يا قلب أتشد
فيجيب الدمع والماضي الجريح لم عدنا ليت أنا لم نصدد
والبلى أبصرته رأى الصبان ويدها تنسجان الحنكبيوت
صحت يا حيك تيدو في مكان كل شيء فيه حتى لا يموت
واتسع شعرهم لكثير من التزعجات حددها أحدهم بقوله :
" لا يعتبر الشاعر شاعرا الا اذا كان شعره عالميا
سحريا لا تنتهي أطرافه وخیالاته وأضواءه وظلماته " .

وتشعر فيه نفس القارئ أنها قد ارتفعت الى ما وراء
الضيق ، وما خلف النجوم ، وهذه هي التزعة
الخيالية والتزعة الرمزية وهي نزعة يتحدث فيها
الشاعر للناس من وراء السحاب ، أو ملفوفاً في مثل
الضباب بكلام مبهم لذيذ شبيبه بالموسيقى فـ
لفتها الغامضة ، التي كلما أخصى لها السامع
حركت في نفسه ضرباً من الحسن والخيال ، غير ما
حركت من قبل ، ومنها التزعة الفلسفية وهي لاتفهم
الشاعر الا أن يكون فيلسوفاً ، والتزعة الثورية حيث
تنطلق الكلمات مجلجلة تنزل هدوء الاحلام ، ومنها
التزعة المتممقة تريد من الشاعر أن يناجى الانسان
بما في أعماق الحياة والموت وما في خفايا العالم
المجهول ، ومنها التاريخية تريد من الشاعر أن يكون
ظلاً واضحاً لهامة الحياة الغابرة ، والسياسية تريد
منه أن يكون زعيم قوم ، والمصحافية تريد منه أن ينظم
في مشاكل الساعة ، والفزلية وهي تريد أن يقدم
حياته قرباناً للمرأة وأن يتكلم بلغة الحب والدموع "
لقد كان تيار ابولو ثورة حقيقية في شعرنا
المحاصر ، تميز بالوجدان الذاتي والتعبير الرمزي
فاستخدمت الفاظاً تحمل دلالات مختلفة عن دلالاتها
القديمة تمتلئ بالظلال ومزجت بين البحور
المختلفة ، وتحررت احياناً من القافية الموحدة ، والتجربت
الوزن ونوعت احياناً في الوزن والقافية وتحررت
مراكب من الوزن والقافية مكثفة بجمال الصـ
والرشاقة في اللفاظ والجرس وتصوير المواطنـ
كما أن شعرهم لم يخل من كثير من القـ

للاجتماعية والوطنية والقومية والانسانية، وهذا مثل من
فهم أبو شادي المبكر لمعنى القومية العربية
والامة العربية الموحدة؛

ان الصروة والكنانة ملتا دين يوحداه الوفي العابد
فلموطنى روحى وكل جوارحى ولكم حنينى والشعور الماجد
يكفى لنا النسب المتيد مجعما فجميعنا صيد رماه الصائد

ولقد تعرضت هذه الجمعية الى نقد لاذع ، وحركت
الدسائس حولها فأحست الجماعة بخيمة أمل ، وتبدد
تيارها بتوقف المجلة سنة ١٩٣٤ فرسم شعراؤها
صورا مظلمة كثيرة لهذا التكران . قال حسن كامل
الصيرفى :

فى ذمة الفن مارددته أبدا فضاغ لحنى سدى فى جو تكران

غير أن التيار مع تبيده ظل حيا فى شعرنا الوجدانى
التميز بالشغف فى تصوير التجارب الذاتية والتعبير عن
هواجس النفس وما يعتمل فيها من شوق الى المجهول
وحنين الى المرأة والطبيعة بأسلوب شعرى رشيق
تكثر فيه الرموز كما يظهر فى شعر ملك عبد العزيز
ونازك الملائكة ، وقدوى طوقان

وتكتب (سميرة أبوغزالة) مقالة تاريخية تعرض فيها للشعر العربى
الذى تناول قضية فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، وللدور الذى اضطلع به
الشعراء العرب فى فضح نوايا الاستعمار العدوانية وفى كشف مخططاته
الخبثية لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين تقول الكاتبة : (١)

.. لما وضعت الحرب العالمية أوزارها وقعت البلاد
فريسة فى نطاق من السيطرة الأجنبية المقنعة بأسماء الحماية

(١) الاداب : العدد الثالث اذار (مارس) ١٩٦٤ ص ٢٥

والوصاية والانتداب ، فقد أسفر اجتماع سان ريمو عام ١٩٢٠ عن احتلال الانجليز والفرنسيين للشام ومصر والعراق ، وخوفاً من أن تتكرر التجمعات المصرية ثانية وضع الاستثمار خطة لخلق مشاكل اقليمية متعددة ، حتى يستقل كل جزء بمشاكله فتقوى التجزئة وتضمف روابط الوحدة وتتجزأ القوى النضالية .

فخلق من الشام دولا أربع ، دولة دمشق وحلب وجبل الدروز والملويين ، وذلك ليفصل القوى الثورية في دمشق ، واقتطع من سوريا بيروت وصيدا وصور وطرابلس وضمها الى لبنان ، ليخلق الحزبات النفسية ويضعف العقيدة القومية في النفوس ، وأخرى لواء الاسكندرونة عن حلب وضمه الى الاتراك عام ١٩٣٩ ، أما الاردن فقد قسمها الى أربع ادارات : عجلون والكرك والسلط وعمان ، كل جزء له نطاق اداري وقضائي يختلف عن الآخر ، ولما عجزت انكلترا عن المحافظة على الحدود التي اصطنعتها بين الاردن والشام وضعت الامير عبد الله أميراً عليها على أن يتعهد بالمحافظة على الحدود من البدو والحضر ، كذلك مقابل أن تبذل الحكومة البريطانية المساعدة لتحسين العلاقات بين الامير والسلطات الفرنسية في سوريا وتعديل حدود الامارة الاردنية لتأحق منطقتا حوران وجبل الدروز بشرقى الاردن ، وأما مصر فلم تجد طريقة تمتص فيها انقوى النضالية الا باعلان الحماية عليها وحرمانها من حق قيام حكومة وطنية ، واثارت في طريق كفاحها عقبات

متمددة لتنفى عنها أى شعور بالاستقرار ولتشغل
قوى البلاد بالكفاح الداخلى فتبعدها عن التفكير
بالبلاد العربية الشقيقة ، فاثارت فى طريق
استقلالها حماية المصالح الأجنبية ، ومشاكل العرب
مع السودان ، وامتيازات الدولة البريطانية كما جعلت
من القصر ستارا تسخره لتحقيق ما تمده من
مؤامرات .

وسلكت الحكومة البريطانية فى فلسطين مسلكا
اخر لتضرب البلاد العربية كلها اذا ما فكت عنها
قيودها وتحررت اراضيها ، وذلك بوعى بلفور الذى
جعلت له فى نظرها حرمة ، بادخاله فى صك الانتداب
فأنشأت الوكالة اليهودية كحكومة ثانية فى البلاد
وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية ، كما جعلت لليهود
حق التشاور مباشرة مع لندن فى كل شأن من
شؤونهم ، فقبل وقت كل هذه الحقائق أمام
المشاعر العربية الموحدة فى كل بلد عربى ؟ وهى
منعت هذه المشاكل الداخلية على كثرتها وتعددتها
دون تجاوب البلد العربى الواحد نحو البلاد
العربية كلها ودون التجاوب الفكرى والعاطفى .

وتمضى الكاتبة فتذكر كيف أن الاديب العربى فى كل جزء من أجزاء
الوطن العربى ، قد أولى قضية فلسطين العناية الكافية ، وله اهتمام الزائد
وكيف وقف الشعر يقود معركة العرب ضد الصهيونية والاستعمار ، حتى
لا يخلو ديوان من دواوين الشعراء أو محفل من محافلهم الأدبية من
ذكر فلسطين وقضية فلسطين ، وما فجرته هذه القضية من وعى وثورات وانفجارات
شمبية على طول الساح العربى ، وتورد الكاتبة شواهد شعرية لعدد

من الشعراء العرب من أمثال الكاظمي ، ورشيد سليم الخوري ، ومشاركة
الخوري ، ووديع البستاني ، وعلى الجارم بجانب عدد من شعراء فلسطين .
ثم تنهى مقالها بقولها :

”... لقد نما الوعي واتضحت طريق الوحدة
العربية التي تحمي مكاسبنا وتحمي حقوقنا وتحقق
وجودنا، وسقطون الأيام القادمة سحيدة حينما يتخلص
الوطن العربي من ذيول الانتهازية والفرجعية
ليدفع بقوة الكاظمة في حنايا أبنائه الى عهد جديد
وأمل جديد في وحدة عربية مرتقبة لاستعادة الوطن
السليب...“

وتكتب (سميرة غزام) مقالة تتحدث فيها عن دور الأدب في معركة
فلسطين وعن الأثر الذي خلفته (النكبة) في السياسات والمجتمعات
والكيانات العربية ، وما فرضته هذه (النكبة) وتفرضه على الأدب العربي
من تفاعلات ومطلقات جديدة ، وتشير الكاتبة الى مدى مشاركة الأدباء
عامة في تحمل مسؤولياتهم نحو القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى
فتقول : (١)

(٢) * لفلسطين من بين موضوعات هذا المؤتمر .

موضوعان ، ونستطيع أن نقول تجاوزاً أن لها كل
الموضوعات فانفعال الواقع القومي بنكبة فلسطين

(١) الآداب : العدد السادس ، حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ص ٨ .
(٢) هذه المقالة جزء من المحاضرة التي ألقاها السيدة سميرة غزام
في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بغداد عام ١٩٦٥ .

قد حرك كل هذه المخاضات والتحولات التي فرضت
منطلقا جديدا للوجود العربي ، وفرضت أن يكون
الموضوع العام للمؤتمر وتفرعاته هي المحاور الفكرية
للمجتمع العربي الحديث .

ولست أريد من هذا الموضوع الذي اخترتـــــــــــــــــه
أو اختر لي أن أتوسع لأصل إلى تحديد الترابط
المضوي بين هذه جميعا وبين موضوع فلسطين ، ولا أن
أتوسل إلى الحديث عن دور الأدب مستقبلا بمقدمة
تتناول ما تركته النكبة في أدينا من ملاح ، فلم هذه
موضوع مستقل ولكنني على أية حال لا أستطيع أن أخلص
لموضوع دون توطئة قصيرة .

دور الأدب في معركة فلسطين ، واستعمال كلمة
معركة هنا بدلا من كلمة قضية ، يحمل في تضاعفه
إيحائا قائما على حقيقة الشعور بأن حتمية المعركة
قدر من أقدار هذه الأمة متمتحن فيه أصالتها وجدارتها
بالحياة ، ويقدر وعينا لهذه الحقيقة ينبؤ أن يأتي
انفعالنا بها ومن هذا العمل الانفعالي تتفجر ألوان
التعبير عن ملامحها .

أن الفرق النوعي في النظرة والاحساس والفكر
الذي يجب ألا يفرضه طبيعة الانفعال بفلسطيين
ككبة قائمة ، والانفعال بالقضية كمعركة حتمية ، يفرض
علينا ألوانا من الاستجابة لا تقتصر على أطراح التفجع
والندب فحسب ، بل تقضى حسا شموليا ونظرة استشرافية
لا بد للفكر والأدب من أن يعانيتها ليصح اعتبارهما أداة
من أدوات المعركة ، أداة تحمل في تضاعفها التنويه
بوزنها وقيمتها الذاتية

وتدين الناقبة جل الآثار الأدبية التي تناولت القضية الفلسطينية شعرا كانت أو قصة أو مقالة ، لأنها كانت عموما " هامشية تترنح في ظل الظلال " وتدعو الأديب العربي أن يشاهد مشاهدة حية آثار (النكبة) وأن يرتفع فوق الأحداث الصغيرة التي يتأثر بها من تصرفات فلسطينية فردية لا يمكن إلا أن تظهر في كل مجتمع انساني يضم أنماطا شتى من النفوس والاتجاهات ، تصرفات قد تنجح في أن تحجب عن الأديب الرؤية الشاملة لطبيعة المشكلة الأساسية ، في حين يتوجب عليه أن يرتفع عن التأثر بها ، وتطلب الكاتبة أيضا من الأديب العربي أن يكون له وضوح الفكر بحيث يستشرف ويوجه ويحمل في تضاعيف أدبه إحياءا بما يجب أن تكون عليه المعارك السياسية ، لأنه يحمل إرثا صاعقا وبؤرة ويمكس احساسات جماعية تستطيع السياسة أن تهتدي بها في رسم خطط الحاضر والمستقبل ، وتخلص الكاتبة الى دعوة الحكومات العربية وجامعات الدول العربية للقيام بأدوار فعالة في توعية الجماهير العربية والشعوب الأجنبية بالقضية الفلسطينية والقضايا القومية المصرية ، وتطالب بتسخير كل الوسائل واستثمار كل الامكانات لدرء الأخطار التي تهدد الوجود العربي وتقتح :

"... فرض القضية على مناهج المدارس والمعاهد

- والجامعات ووضع مقررات مدرسية للمطالعات تضم مختارات من الأدب القومي الفلسطيني .
- رصد جوائز سنوية لتشجيع الدراسات وكتابة المسرحيات والروايات والقصص ودواوين الشعر وكل ما يتصل بالأدب القومي .
- استكتاب أقلام تكتب بلغات اجنبية في موضوعات تتناول القضية الفلسطينية وتشرح نواحيها ، وترجمتها

آثارنا الى اللغات الاخرى والعمل على نشر هذم
الدراسات بحيث تؤدي الناية منها .

- انتاج سينمائي تدور موضوعاته حول النواحي الانسانية
لقضية فلسطين له من القيمة الفنية مايسمح له بان
يعبر الحدود ، واهدائه للحكومات والشعوب الصديقة
وتذليل أية عراقيل اقتصادية أو سياسية قد تنهض
في وجهه .

- انشاء مراكز للبحوث العلمية في موضوع القضية ومساندة
المراكز القليلة القائمة حاليا وتوسيعها .

- مساندة الصحف والمجلات والنشرات الدولية التي
تحتضن قضايانا القومية بحيث تقوى على تطويع
نفسها بصورة تستطيع معها استقطاب كتاب من
مستويات فكرية رصينة .

- احتضان الادباء والمفكرين الأجانب المتعاطفين مع
القضية الفلسطينية لتمويضهم عن الضغط والاضطهاد
الذي يتعرضون له في المناخات التي تنشط فيها
الصهيونية العالمية .

- استغلال عملية التبادل الثقافي مع الدول في تقديم
الأدب القوي باطاراته المختلفة على غيره من الآثار

- افساح (؟) المجال بصورة اكثر جدية في الاذاعات
الصربية المختلفة بما يسمى برنامج ، بحيث يتسلسل
لتجسيد أعمال أدبية ذات قيمة تفلح في خلق
التعاطف اللازم بين المستمع والقضية ، وكذلك استغلال
التلفزيون وتسخيره لعملية التهيئة المطلوبة .

هذه هي المقترحات التي تخطر في البال على

ضوء ما نملك من وسائل ووسائل ، والافادة منها
بصورة صحيحة وفعالة ترتبط دون شك بمدى ماتشعر
الحكومات الصربية أنها جادة في الاعداد لممركة

فاذا ما رحب الافق أمام الاديب المرسي وتحسنت الظروف بحيث تندو مواتية لخلق شيء ذي قيمة ، ولم تحد المقبات السياسية والمادية من انطلاقه وجد أنه مدفوع الى تكريس فنه لخدمة الحمل القوي ، ونحن في نهاية الامر لانستطيع أن نعترف بأنه انسان ذو مطالب ، وأن تحقيق مطالبه يوفر له مناخا حياتيا على التثقيف والانتاج فلا يذل قلمه اذلا لافس النواقل ، ولا تدفعه حاجته المادية الى التماس الجزاء من جهات أجنبية تغدقه عليه على حساب كم فمه عن معالجة قضايا القومية *

* مع تزايد اقبال المرأة على الدراسة والعمل ، أخذت هالة النمر من حولها تنقش شيئا فشيئا ، وصار الرجل يعرفها عن قرب وأضحت نظرتة اليها أكثر واقعية من قبل ، فلا يوغل في تقديمها ولا في تلطيفها ، بل صار يعرفها كائنا له جوانب قوته وضعفه ، وقد عبرت بعض الكاتبات عن مشاعر المرأة ازاء هذا التحول في العلاقات بين الرجل والمرأة ، لكن هذا التعبير جاء في بعض المقالات على حساب فنية الشكل وسلامة اللغة ، في مقالة للسيدة (عطاق زيد)^(١) بعنوان " نحو مجتمع أفضل"^(٢)

(١) من مواليد مدينة يافا عام ١٩٢٧ انهت دراستها الابتدائية فيها وهاجرت مع اهلها الى مدينة نابلس ، عملت مدرسة في مدارس ابناة اللاجئين بعد ان حصلت على شهادة امتحان المعلمين الادنى ، فالتوجيهية ، وفي عام ١٩٧١ انهت دراستها الجامعية والتحقت بكلية التربية بالجامعة الاردنية وحصلت على دبلوم التربية فيها نشرت سلسلة طويلة من المقالات في الصحف الاردنية ، وتعمل حاليا مديرة لمدرسة انات الزرقاء الاعدادية .

- مقابلة شخصية مع الكاتبة بمدينة الزرقاء بتاريخ ١٥/١/١٩٧٨

(٢) عمان المساء : ٩ ايار (مايو) ١٩٦٥ .

تدعو الكاتبة أفراد المجتمع الى مسابرة ما طرأ على الملائق بين الرجل والمرأة من تمييز ، مع التمسك بأهداب الفضيلة وتحاليم الدين ، تقول :

”... نريد مجتمعا فاضلا يسير فيه الدين والتقدم معا ، يسير فيه الرقى وخشية الله جنبا الى جنب ، نريد مجتمعا يضم شبايا أختيارا ونساء صالحات ، مجتمع كل مافيه حيبى الضمير يحاسب نفسه فيه مثل حسابيه غيره ، وهل يتأتى ذلك الا من خشية الله...“

وتنوه الكاتبة بالأثر الأيجابى الذى يعكسه التعليم المختلط على سلوك الأفراد فتقول :

”... نريد أن يشعر الشبان أن وجودهم مع الفتيات أمر طبيعى فى كل مراحل حياتهم لأننا - رضينا أو غضبنا - لن نمنع لقاءهم عندما يذهبون الى الجامعات ، ان ذهابهم دون تهيئة سيكون أصعب مرحلة انتقال ، وقليل من الشباب من يصمد للتيار ، انه انتقال من حرمان تام الى انطلاق لحدود له...“

ننادا التخلّى عن واجبتنا فى وضع أسس لمجتمع أفضل ؟ لن نستطيع إعادة المرأة الى البيت ، فقصد فأت الأوان ولن نمنع الشباب من الاختلاط فى الجامعات وأماكن العمل ، هذا شىء مستحيل ، وان قلنا أننا نستطيع ، كنا كالهجامة التى تدفن رأسها فى الرمل لتبتعد عن الخطر المحيق بها...“

وفى مقالة أخرى ، تكشف الكاتبة عن شعور بنات جنسها نحو الرجل وتبدى عدم ثقتهما به فتقول :

”... ظروف الحياة والعمل أصبحت تجمع ما بين الرجل والمرأة ، والمرأة بطبيعتها ترتاح لوجود الرجل

(١) عمان المساء : ١٧ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٦٥ .

ولكنها تكتم هذا الارتياح ، وتحاول الابتعاد عن مجالسته ، لماذا ؟ لأنها لا تثق به . لم يثبست الرجل حتى الآن أهليته للاختلاط بها فهو لا يزال ينظر الى المرأة كفريسة ، اللذة كل اللذة في صيدها ، أما أن يحاول اقناع نفسه بأنه يجب ان يعاملها ويحدثها كأخت له فمحال .. "

وتنضم الكاتبة فتصنف الرجال الى أربع فئات :

" .. الفئة الاولى رجال يتمتعون بخلق عال وكبرياء لاحدود لها وعقول ناضجة وحافضة على القيم الاجتماعية والشرف ، المرأة اخت لهم مادامت ليست حلا لهم وهذا النوع من الرجال تقدره المرأة وتحله من قلبها أعلى الدرجات . "

والفئة الثانية رجال يرون في المرأة قطعة أثاث في البيت ان عرضت للهواء فسدت وان طالبت بالعمل كان ذلك دليل (؟) على انحطاط خلقها . "

والفئة الثالثة فئة مستهتره بجميع القيم لانحسوس ولا تشعر ، عديمة الكرامة والكبرياء ، تضحك للمرأة متلفة ، ووجودها في مجلس فيه نساء لا يدفعها لتهديب كلامها بل الى التهتك في القول والعمل ، وتحس المرأة امام هذه الفئة كأنها أمام وحوش كاسرة تبحث عن فريسة ، لا أمام رجال الحماية لها تحسبت أجنتهم . "

والفئة الرابعة فئة ضعيفة ليس لديها جرأة الفئة الثالثة ولكن تحب أن تكون مثلها . كل ذلك يدفع المرأة الى عدم الثقة بالرجل والخوف منه ، ولكن المجتمع السليم يحتاج الى ايمان المرأة بالرجل فهو

وحده القادر على الأخذ بيدها والسير بها فـسـى
طريق الشرف والاستقامة والى ايمان الرجل بقـدرة
المرأة على الحفاظ على نفسها طالما أنه يمنحها
ثقة ويبسط عليها حمايته

وفى مقالة ثالثة^(١) تحاول الكاتبة أن تبرز عجز المرأة العربية بشكل
عام عن الجمع بين البيت والعمل ، وتحمل الرجل القسط الكبير من هذا
المجز ، بسبب أنانيته وطراز معيشته ، وتطلبه ألوانا خاصة من الشراب
والطعام وتفتح الكاتبة حلولا تراها مناسبة تمكن المرأة من القيام بالتزاماتها
نحو البيت والعمل معا ، نحو :

” . . . تنظيم العمل للمرأة المتروجة من قبل الدولة
والاكتفاء بالضرورى من الأثاث والقليل من الضـرف
ومشاركة الرجل مشاركة فعالة لشريكة حياته ، طالما أنها
تعمل مثله ، وتقوم بالتزاماتها المادية تجاه اسرتها على
قدم المساواة معه ، أو ان يتحمل الرجل الوضع فـسـى
منزله مهما كان نوعه اذا كان بحاجة لمساعدتهم—
المادية سيما وان (؟) حياتنا الان اصبحت تحتاج
الى توفر (؟) المال لتعليم الأبناء العيش فى مستوى
معقول ، أما اذا كان فى استطاعة الرجل وحده القيام
بجميع الالتزامات وتعليم الابناء ، وكان من النوع الذى
تثقى المرأة به وتطمئن الى مستقبلها معه ، فانى أنصحها
بتترك عملها وانتفرغ لمملكتها الصغيرة ، والاتجاه نحو
مجتمعها تنهض به فى أوقات فراغها ، فهذا أفضل
من أنهيـار الحياة الزوجية بلا مبرر ”

(١) عمان المساء : ١٢ اب (اغسطس) ١٩٦٥ .

* وفي السنوات القليلة التي سبقت عام ١٩٦٧ أخذ اهتمام للكاتبات بالقضية الفلسطينية يتراد يوما بعد يوم ، ولم يكن هذا الاهتمام حصيلة افتعال في العاطفة أو تصنع في الشعور ، وإنما كان رشحا صادقا لما خزنته القلوب من غضب على الفزاة الممتدين ومن ثورة على الواقع المرير الآسن ، ومن ثقة بالشخصية الوطنية الفلسطينية الجديدة التي برزت الى حيز الوجود .

وكتبت (سميرة غزام) سلسلة مقالات تناولت فيها (مشاهد) استمدتها من ذكرياتها في فلسطين ، وشحنتها بمشاعر المرارة والحنين والظفرة والأمل الذي أخذ يراود نفس الانسان العربي الفلسطيني بمستقبل جديد بدأت خيوطه ترسم في الافق . وفيما يلي ثلاث مقالات للكاتبة لم يسبق أن نشرت من قبل (١) :

"مجنون الجرس .. هكذا يسمونه في القرية التي نزع اليها ، وقد نجد لهم عذرا في تسميته بالمجنون فأمام جرس الكنيسة كان يقف ساعات يشتهي لـ يسلمونه الحبل دقائق ، ففي بلدته كان قارع الجرس ينفخ شباب الثلاثين في دقائه ، يجمع القرية على عرس أو عيد أو صلاة ، فكأنه ولد معلقا بالحبل يشده صباحا فتنفض القرية الهاجعة عنها الليل ، ويشده مساء فيعلن انتهاء يوم .. الجرس ومسعود في قريته شيء واحد ، شيء يؤرخ للميلاد والزيجات

(١) تمكن الباحث من الحصول على عدد من المقالات للكاتبة سميرة غزام لم يسبق ان نشرت من قبل ، ومن بينها هذه النماذج الثلاثة وكانت شقيقة الكاتبة السيدة سهام غزام ، الموظفة في مؤسسة فرانكفين للطباعة والنشر - بيروت ، وقد وفرت للباحث مجموعة قيمة من الوثائق والأوراق والاشربة المسجلة ، تخص شقيقتهم الكاتبة سميرة .

والوفيات ، ما تقاص مرة ولا لتقل مواعيده الدقيقة —
تلك الحبال .

مجنون الجرس . . وكان في غير هذا المكان فارسه
وعازف الحانه ، يهبطون به اذ يتعلق به ولا يتم —
وقد جاء الى هذا المكان وانتحى ركنا من ساحة الكنيسة
ورأى يدا تمتد الى الجرس فتحرك حباله وتطلق موسيقاه
دون أن يجروء هو ان يقترب ، ادرك أنه فقد الكشيرة
فقد فوق ماتصور ، وتجروء مرة واقترب وطلب ان يقـ
الجرس فـ سمع له ، ومن يومها أحس بالمرارة تفـ
في نفسه ، لو يعرف هذا الذي يرفض له رجاء أى قـ
جرس هو ، وأية أعياد انعدت على دقاته . .

سمعنا فيما سمعنا من أخبار مسعود أنه سـ
للقرى المجاورة في مناطق النزج يلتصق ان يكون قـ
لاجراسها ، وكان يمود وقد ماتت أميته لدى كل جـ
سعى اليه ، ولكنه على أية حال قد كف عن الوقـ
امام ساحة الكنيسة ، واكتفى بالوقوف على حبة بابـ
راقما يديه في الهواء كمن يجذب حبالا مطلقا صوتـ
طن تتطن ، طن تتطن .

يومها تكرست في القرية شخصية جديدة باسم جديد
حتى لكانها عاشت قبلا دون اسم ، فمن يعرف لمسعود
اسما غير مجنون الجرس .

الذين يعرفون قصة مسعود يهزون الرؤوس بما هو
أكثر من الشفقة العابرة ، والذين يعرفون أعيادهم —
قد كف عن أن تكون ، منذ كف الجرس عن أن يحمل
بشائر الفرح في البلد السليب يعرفون ما وراء فجـ
المجنون ، ويعرفون أن عودة العقل الى القارع رهـ
بعودة الفرح من جديد الى الأجراس الفضية الساكنة . .

وهي المقالة الثانية تقبول الكاتبة :

" بعض الأسئلة تاكل الرأس .. واحدها هذا السؤال الذي يخطر له دائما ، ماذا لو انهارت كل السدود وتهاوت كل الاسلاك الشائكة وعاد طيرا لا يفهم الا أن السماء سماء طالما هو قادر على أن يطير .. ماذا لو وجد نفسه ذات صباح يعلك في الدروب المبلطة .. يتأمل الحوارى المسقوفة واذ يمر بالحمام العام وقتئذ فالبخار يمر كحبابة من خلال الباب ، سحابة مثقلة براءة الصابون ويلغظ الحنفيات المصبوبة على الاحواض .. ماذا لو سار ثم انحطف يمينا ثم يسارا ليواجه فرن أبى صالح قائما فى الزاوية ، صوان محمرة وأرغفة مستديرة شبيهة يرفصها الصبيان على أطباق الفقى ويدندنون وهم يحملونها لاقواء طال انتظارها حول مائدة ، ماذا لو مشى مائة متر ومترين .. ورفع طرف سرواله لثلا بيتل بذلك الخيط من الماء المشرور من السبيل والمتسرب بين البلاطات ، ثم وقف مشدوها ذاهلا مأخوذا كمن فى حلم وقال هذه دارى .. حقيقة نعم ولكنها دارى .. هى أنا الطفل ، وهى أنا الفتى ، وأنا الطالع فى مداخل الشباب صوت أخوتى وأخواتى يتحلقون حول الارجوحة المتدلية من التينة التى تمبت لكثرة ما اعطت وشاخت دون أن تبخل ، هذه غرفتى .. استسلم للسريسر ثم أعد عوارض السقف ، ومن خلال النافذة يسقسق السنونو وقد جاء يلتمس فى حماها دفئا ودعة وأمنا هذه دارى فمتى يلقى كل سنوات الفرة ليعيدنى متعبدا على عباتها ؟ "

في مقهى اوري قابله ، واحد من لدات الطفولة
واحد من كتب لهم أن يبقوا ، قبل في عينيه كل
ماضيه وساله قبل أن يسحب يده في مصافحة
حميمة . . . قل لي دارنا أما تزال ، وأطرق الصديق
وسال أهى كل ما يعنك ؟ قال هو تجسيب
لكل الأشياء الكثيرة التي تعديش . . . لا تقبل
يا صاحبي انها . . .

بل إنها ، أجل ستهدم ، هكذا شاءت خريطة
تخطيط البلد . ولكنها دارنا ، نعم دارنا . . . ،
أدري وهى أيضا مدينتك أدري ، وهى وطنك أدري
انه يمسح ويحبت به ويغير ويحول كما يشاء مفتصبوه .
باى حق ، باى حق قل لي ؟

ويضحك الصديق ضحكة تمتصرها المرارة ، لا تقل
باى حق ، لو كانت الكلمة قائمة لما كان سؤالك
ولما كان جوابي ، تهدم داره يهدم حلم الطفولة
ويندثر ويموت وتموت معه أصص الحبق العتيق على
حفاى الشرفة ، تهدم ، تسوى بالأرض ، تدوسها
الداحلات ، تسحق كل القصص المنزولة تحت الموارض
الخشبية ، كل الأفراج المتواضعة التي أمرعت
تحت جانح السنين ، ولا تعود له دار ، كل دور الدنيا
لن تحسه بأن ثمة سقفا يقوم فوق رأسه ، عريانا
غدا عريانا ، ويطلق ويسلم رأسه الى يدين مضطرتين
وفجأة يرفعه ويقول للصديق اسمع . . . ماذا يظلم
للشجرة اذا ما قطعت ، قال جذورها ، قال فاذا
كانت ضاربة شروشها فى الأعماق ، قال تقاوم الناس
والحاطب وتنبت من جديد ، نعم تنبت من جديد
قال وكيف ؟ قال اذا شئت لها أن ترفع وجهها
ثانية فى الشمس .

ينمض عن مقدمه في المقهى الاوربي ويسممه
الجالسون يغمغم وهو يقول بلغة لا يفهمون : دارى
ليست حجارة ولكنها معنى وهو معنى لا يعنى
للداحلات . . . وترفع وترفع وجهها ثانية في الشمس .

وتقول الكاتبة في المقالة الثالثة :

" تمتد يد المجوز الى الأمتة القليلة التي
حملتها الأسرة النازحة ، وتتناول صورة تتألمها
كمن ينشر ماضيه لدى هزة حنين .

أبوان وأولاد أربعة في مطالع الصبا والشباب
انمقد شلمهم يوم عيد تحت قنطرة البيت الكبير
وكانت الصورة الاب والام على كرسيين والاولاد تعاقدوا
الأكتاف في الخلف ، وكلما مسحت المجوز غبار
الأعوام عن الصورة وتساءلت اين الوجوه التي
اجتمعت في يوم من الأيام ، ادار الحنين رأسها
الى الجهات الأربع ، الى حيث زرعت ولدا من
أولادها في كل مكان .

في الصورة التي جمعت مافرقته الأيام أربعة ،
استمجت الظروف رجولتهم وتوزعتهم مطبخ الرزق
يلتمسون بسواعدهم اللقمة الشريفة ، واحد هنا
وواحد هناك ، والام المجوز والوالد الشيخ نفس
بيت مقرر لا تكسر فيه ضحكة الا اذا حمل الساعس
رسالاته يمتد عبرها جسر من اشواق ، أشواق
الولد وعائلته التي استجدت في المغترب تحمّل
فيما تحمله من حكايات قبلا صغار يصفرون بالسماع
أن لهم جدا وجدة .

نحمل الصجوز الصورة وتتساءل ، ترى لو كنا
في الدار الكبيرة المقنطرة هناك ، أما تكون لنا
في كل عيد صورة مع هذه الأجيال التي لم تعرف
في الدار الا صورة غائمة تلملم اجزائها من خلال
أحاديث الكبار ، يقول الشيخ بلى تكون لنا
صورة ، أجلس أنا فيها على الكرسي نفسها وتجلسين
الى جوارى ، ووراءنا ، أجل ورائنا مثلما كان
الأمر في الصورة الاولى ، يقف ابناؤنا وقد عادوا
من المشتريات مع نسائهم ، ثم يجلس على الارض كل
احفادنا ، الا صغيرهم الذي لا يحسن الجلوس
فهذا مكانه على ركبتي ، بل وركبتي أنا تصيح
الجدة ، ويحى جدال تتقاذف الحفيد الصغير
فيه ركبتا الجدة مرة والجد اخرى ،

احلى ما تستثير الصورة اذا ما خرجت من
صندوق الصجوز الأمل بصورة جديدة في الدار
الكبيرة المقنطرة مع العائلة الكبيرة ان يلتم شملها
من جديد ، ولقد تحدد لكل واحد مكانه فسي
الصورة ، أجل ، فيقين الصورة قد نبت كالامل
في صدر الشيخين ، أما أين يجلس الصغير ، في
حضن جده أو جدته ، فمسألة تسوى فيما بعد في
الدار الكبيرة المقنطرة .

* كان من الممكن أن تجعل المرأة العربية الفلسطينية في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ نشاطا ملحوظا في ميدان المقالة ، وأن يكون هذا النشاط امتدادا طبيعيا للشروط الذي قطمه عدد من كاتبات المقالة الفلسطينيات في المرحلة الاولى ، ولكن الواقع المرير الذي عاشه الشعب العربي الفلسطيني تحت ظل الاحتلال الصهيوني ، وفساد مصطلح كاتبات المرحلة الاولى أرض فلسطين مع من غادرها من الناس اثر (التكبة) وتوقف الصحف والمجلات العربية الفلسطينية عن الصدور ، بجانب الاجراءات السلبية الكثيرة التي فرضتها السلطات الحاكمة وحالت دون مواكبة الانسان العربي الفلسطيني للتيارات الادبية والفنية المتجددة في الوطن العربي والعالم ، كل ذلك شل حركة الأدب بجميع أشكالها ولم تتمكن المرأة العربية الفلسطينية من أن تضطلع بأي دور في ميدان المقالة ، ولم تضطلع - كما سبق قولنا - بأي دور في ميدان الشعر والقصة . يضاف الى هذا أن تعليم المرأة العربية الفلسطينية في الأرض المحتلة كان محدودا وبدون هدف مميّن ، ليس من ناحية فلسفية تتعلق بالقيم والمثل فقط ، ولكن من ناحية وظيفية لها علاقة مباشرة بمجال الاستفادة من هذا التعليم في ميادين العمل والابداع الفني .

xxxxxxxxx

في هذه المرحلة راحت المقالة تجتذب اليها كل موضوع ، وأخذت كثير من الصحف اليومية والاسبوعية والمجلات العربية تنشر فيضا من المقالات المختلفة تكتبها أقلام نسوية فلسطينية يصحب على الباحث حصرها ، وقد تفاوتت هذه المقالات في قيمتها الفنية والموضوعية

بل ان كثيرا منها لم يزد عن كونه خولطر ساذجة تعبر عن نزوات
آنية ، أو ثقافة سطحية لا تشكل اتجاها ادبيا ولا تحدد لكاتباتها هوية
فنية .

من جهة أخرى جاءت بعض المقالات مثقلة بالقيم الفنية والجمالية
وتجلى فيها نهل الموضوع وبراعة التصوير والحرص الأخاذ ، والتأنق فى
اختيار الصبارة ، كما انحصر عن هذه المقالات موجة المد الرومانسى ،
واشتد فيها عود الاتجاه الواقعى ، وخاصة بعد أن تخلصت كاتباتها
من المبالغة والاستطراد والانفعال السريع الملو بالضحج والصخب .

xxxxxxxx

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة ١٩٦٧ - ١٩٧٤

بعد (هزيمة حزيران ١٩٦٧) أخذت بعض الكاتبات الفلسطينيات ينظرن الى أبعاد القضية الفلسطينية وجزئياتها ، على نحو لم يكن قائما من قبل وتبلورت في مقالاتهن التجربة الجديدة للمقاومة الفلسطينية المسلحة ، المكتظة ببطولاتها ومراراتها ، وغدت هذه التجربة مجالا خصبا يستوعب جزءا كبيرا من ابداعهن الفني ، وظهر عدد من المقالات التي تعرض للجوانب السياسية والعسكرية والتاريخية للقضية الفلسطينية بجانب (١) مقالات أخرى تعبر عن مشاعر وجدانية وأحاسيس ذاتية .

واستطاعت بعض الكاتبات أن يلتفتن أكثر الموضوعات تحقيقا وأن يعالجنها من خلال مواقع التزم (٢) وكان لتشابه حياة هؤلاء الكاتبات ووضوح أهدافهن أثر واضح في تجسيد معاناتهن وأغنائها فجاءت مقالاتهن معبرة بصدق عن واقع نضالي حي .

(١) بعد (الهزيمة) أخذت مجالات الكتابة تتسع أمام الكاتبات الفلسطينيات وتسلطت عليهن مطامح فلسطينيتهن الثورية ، التي ظلت الى وقت طويل خاضعة للكبت والتطويق ، فانجذبن الى حلبة العمل الوطني ورحن ينشرن مقالاتهن في صحف فصائل المقاومة ومجلاتهما ، وبرز عدد من الكاتبات الجددات من أمثال : لطيفة حواري ، ليلي سليم القاضي ، د. خيرية تأسمية ، بيان نويهض ، رفيقة عمرين ، وفيقة حمدي الشاعر ، رثيفة شبلاتي ، منى غندور ، صبا الفاهوم ، نوار زيادة ، يسرى جوهريّة عرنيطة . . وغيرهن .

(٢) التزمت بعض الكاتبات بفصائل المقاومة التزاما عضويا وبرزت في أعمالهن الكتابية الواقع الحي لممارستهن القتالية والسياسية والاجتماعية . ينظر على سبيل المثال مقالة :

- ص صايغ (الرجل الفلسطيني الثائر عقبة أمام تثوير المرأة) مجلة فلسطين الثورة الناطقة بلسان (م . ت . ف) العدد (٥٧) تاريخ ١٢ آب " أغسطس " ١٩٧٣ .

وأيا مقالة :
- نازك (١) " الثورة الفلسطينية " خروج المرأة عن واقع الأنثى التقليدية " مجلة الهدف الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العدد (١٨٧) بتاريخ ٢٧ كانون الثاني " يناير " ١٩٧٣ م .

كتبت (ليلي خالد)^(١) مقالة تصف فيها عملية اختطافها وزميل لها طائفة البونغ الأمريكية في التاسع والعشرين من آب " أغسطس " ١٩٦٩ ، وتوضح " استراتيجية " العمل الثوري الذي تمتده " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " في مقاومة الاستعمار والصهيونية ، تقول الكاتبة :^(٢)

((٠٠٠ يتهم خصوم العرب وأحيانا أصدقاؤهم العرب بالعاطفية وحب التظاهر ، واستعمال الكلام الفمق ومن حقى كأمراة عربية فلسطينية أن أكون عاطفية نحو قضية فقدان وطنى ، وانكار حاضرى ومستقبلى على ، وحرمانى من العيش وشعبى ، ولكنى لن أخضع للماطفة ولن أسبح لمشاعرى أن تحى بصيرتى ، وتصفى ثقتى فى قدرة شعبى على تحرير أرضه ، وبالرغم من قوة العدو المهيمنة ، فاننى أميل الى الاعتماد على (الايدولوجية والاستراتيجية) الثورية ، والتعبئة الجماهيرية الثورية أيضا فى تحقيق أهدافنا ، ولذلك اخترت أن أكون فى على حليفة العقل لا العاطفة ، ان الحزب الذى أنتى اليه وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يفكر ويحلل أولا ثم يتقدم بعد ذلك

(١) من مواليد " مخيم الباراد " للاجئين الفلسطينيين بلبنان ، وكان أهلها قد نزحوا عن مدينة حيفا أثر (النكبة) وسكنوا لبنان ، تلقت دراستها الابتدائية والثانوية فى مدارس " المخيم " وأنهت دراستها الجامعية بالجامعة الأمريكية ببيروت ، عملت فى بداية الأمر مدرسة ثم التحقت بصفوف المقاومة الفلسطينية مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

— مقابلة شخصية مع الكاتبة فى بيروت بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٩٧٧ .

(٢) شؤون فلسطينية ، العدد (١٣) أيلول " سبتمبر " ١٩٧٢ ، ص ٥٥ وقد جاءت هذه المقالة جزءا من الفصل الخامس للكتاب الذى وضعته الكاتبة فيما بعد باللغة الانجليزية بعنوان :

My People Shall live.

ينظر : ص (٥٨) من هذه الدراسة .

على العمل ، اننا في الجبهة الشعبية لانرغب مجرد
رغبة ثم نترجمها الى عمل ، اننا نوجز أولا بوضوح العمل
المقترن والخيارات القائمة امانا ، وندرس مضامينها
وتأثير كل منها على الصورة الشاملة ، ثم نختار أكثر
السبل فعالية في تنفيذ ، اننا نحدد المدون وتفكر
ولحسب ، ثم نعمل ، اننا وفقا لنمط تفكيرنا نحدد
العدو ونشرف على مكان قوته وضعفه وقدرته على
المعيش وامكانية ضربه واختراقه ومناطق دعمه ،
وارتباطاته ومعارضته على الصعيد الدولي ، ونجد في
معالجتنا المسألة الصهيونية ، أن هناك علاقة عضوية
بين اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية والامبريالية
الغربية ، وأحيانا نرى فروقات صغيرة بين هذه القوى
الا أن تلك القوى ، هي بصورة أساسية شئ واحد
لا يتجزأ طالما يتعلق الأمر بالعالم العربي عموما
والشعب الفلسطيني خصوصا ، وعلى سبيل الايجاز نقول :
اننا نرى أن التناقض الرئيسي هو بيننا وبين قوى التقدم
والاستنارة من جهة وبين الامبريالية وقوى الرجعية
من جهة أخرى ، ومعنى ذلك أن اسرائيل تجسد
المثال الامبريالي الصهيوني ، والقوة المحتلة في فلسطين
وأنها تلعب دورا مركزيا في العالم هو دور الحارس
الامبريالي أو " القوة المحلية " على حد تعبير " روبرت
مكصارا " في عام ١٩٦٤ ، وما أن الامبريالية ظاهرت
عالمية تمتد مصالحها على اتساع العالم ، ولها فيه مصالح
استراتيجية حيوية ، فانه يفدو طبيعيا في حرمها
" الرد المرن " العسكري أن يكون رد المستغلين متناسبا
مع مقتضيات الحرب ومتطلبات الساعة ، ولذلك نرى ضرورة
مقاتلة قوة العدو المهيمنة في نقاط الضعف في جهازه

القوى العالمى ، وسمى آخر اننا نعمل ما تطلبه
طبيعة العدو ، ویدافع الفجوات القابلة للاختراق
التي نحددها فى جهازه ، ويايجاز أكثر اننا لانقوم
بأعمال فردية مخامرة ورومانطيقية لتحقيق " حاجات
فردية " أو " نعمل بدافع مرارات وعداوات " كما
يحلوا لعلماء النفس الغربيين " الملمين " أن يفترضوا
اننا نعمل بشكل جماعى ، ووفق خطة مدروسة لتحديد
صديق متوقع للعدو ، أو لكشف عصب حيوى من
أعصاب العدو لتمزيقه وارهابه ، وقبل كل شىء لمرض
حالتنا نحن ، وللتعبير عن عزمنا الأكد على تفسير
" الوثائق الجديدة " التي خلفها جيش " موسى
ديان " . وبناء على ذلك فاننا نعمل عموماً ليس
لشل العدو وتمطيله ، لأننا عاجزون عن القيام
بذلك ، بل نعمل من أجل الدعاية الثورية ، ومن
أجل بث الارهاب فى قلب العدو ، وتمبئة
الجماهير وتحميم قضيتنا على الصعيد العالمى ،
وحشد قوى التقدم الى جانبنا ، والتأكد على
مظالمنا أمام الرأى العام الغربى الذى لا يستجيب
الابوحى من الصهيونية وبناء على المعلومات التي
يحصل عليها عن طريق الصهيونيين ، وعلى حسد
قول أحد الرفاق : اننا نعمل ببطولة فى عالم
جبان ، لتثبت بطلان القول بأن العدو لا يقهر ،
اننا نعمل بمنف من أجل ازالة الصمخ من
آذان الليبراليين الغربيين الصم ، ومن أجل
ازالة القذى من عيونهم ، اننا نعمل كمنادج ثورية
لنوحى للجماهير ، ونفجر الجيشان الثورى فى عهد
الثورة المضادة ، ان الأمر بصورة أكر وضوحاً هو

انى لا أرى كيف يستطيع مضطهدى أن يحكم على ردى على أعماله القمعية ، انه لا يستطيع أن يصدر حكما غير متحيز ، ولا أن يتهمنى بالقرصنة الجوية والاختطاف بعد أن سرق هو نفسه وطنى ، وألقى بسى وشمى خارج أرضنا ، وإذا كان المدعو يحدد أخلاقيته وقانونيته وفقا لمنظوره الخاص ، ويقرر تنفيذ مبادئه الأخلاقية والقانونية ضدى لأنه يملك القوة ووسيلة الاتصال لتبرير وحشيته ، فانى أجرؤ على القول بأن أولئك الذين يصفون الى المدعو ، ويرددون بقوة حديثه المزيف أو المتحايل عن " المسافرين الأبرياء " وكلامه التافه عن حياتهم وما يملكون ، هم مذنبون بسبب عجزهم اذا لم أقل فسادهم الأخلاقى ، وهكذا فانه يجب أن يكون واضحا أن على لا يمكن تنويمه بعزل عن الواقع وبدون تفحص الأسباب الكامنة وراءه ، أو على أساس المبادئ الأخلاقية الغربية المطلقة والمجردة التى تحل المدعو من جرائمه والغرب من أخطائه والتى تمتير خارجة على القانون ، اننى أقول اننا موجودون وسنبقى فى الوقت الذى يقول الغرب واسرائيل أننا غير موجودين ولكن نوجد ، ذلك بصورة جوهرية هو معنى العمل الثورى الذى نفذته فى التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ ، والذي كان انكارا لانكارى وتأكيدا على انسانيته المهانة واعلانا لانسانية

الفلستينى (٠٠٠))

وتضى الكاتبة فتعرض الى علاقة الشعوب العربية مع الغرب منذ أن غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ الى أن شرد الشعب العربى الفلسطينى عن أرضه عام ١٩٤٨ وكيف تواطأ الغرب - وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية - مع الصهيونية العالمية ، وتشابكت مصالحه مع اسرائيل

تشابكا عضويا ، حتى غدا المدافع الأول عنها ، وحامل قضيتها وداعيتها
فوق كل منابر العالم ، ثم تصف كيف استولت هي وزميلها على الطائرة
الأمريكية " بونينغ ٧٠٧ " واللحظات الحرجة التي صادفها أثناء الرحلة
التي قامت بها الطائرة من مطار روما الى مطار دمشق مروراً بمصر وفلسطين
المحتلة وقبرص ولبنان .

وتحدث الكاتبة عن بعض المواقف الانسانية التي اعترتها أثناء عملية
الاختطاف فتقول :

((٠٠٠ هذه المرة ظهرت طفلة صغيرة وعلى صدرها
شارة تقول " اكسب الأصدقاء " الأمر الذي ذكرني وأنا
أرتب تلك الطفلة بفرح وسرور وهي تداعب اختها
الصغيرة ، أن هذه الطفلة لم ترتكب أية جريمة بحقى
أو بحق شعبي ، وأن من حماقة أن أعرض حياتها
للخطر باختطاف الطائرة ، وهي لا تفهم المصنئ والقيمة
الرمزية لصملي ، وكان من الممكن أن تنفجر الطائرة
أثناء محاولتنا السيطرة عليها أو تتحطم وتهوى بنيران
اسرائيل المضادة للطائرات عندما تدخل " أجوائها " ،
وبينما كان وخز ضميري يعذبني ، ارتسم أمام ناظري
تاريخ فلسطين وأطفالها ، رأيت كل شيء منذ اليوم
الأول لطردها من أرضنا ، مروراً بسنوات الحرمان والجوع
وسوء التغذية والحفا ، التي عانى منها شعبي ، وشهدت
كل شيء آخر حتى اللحظة التي وقعت عيناى فيها
على شارة الصداقة على صدر تلك الطفلة البريئة ،
وفجأة ارتسمت أمامى صورة شاملة لمئات " مخيمات
اللاجئين " من أبناء شعبي ٠٠٠ ويدا لى وكان

أطفال " مخيم البقعة " قرب عمان الذين سُردوا
مرتين يقفون أمامي في حشود ذليلة صارخين : ونحن
أيضا أطفال ونحن جزء من البشرية ، وعزز هذا
المشهد عزمي بصورة هائلة ، قلت بعدها لنفسى : أية
جريمة ارتكبت أنا وشعبي ضد أى انسان كى نستحق
المصير الذى نعانى ؟ وأجبت نفسى بنفسى : لم نرتكب
أية جريمة بحق أى انسان ، يجب أن تنفذ العملية
ولن يكفركم هناك شك أو تراجع ، لقد تكلم
أطفالنا (٠٠٠)

وكرت المقالات التى تمجد البطولة والأبطال وتصف حياة المقاتلين
وموتهم من أجل القضية ، وكيف أنهم اناس بسطاء أنقياء طيبون ،
وأن موتهم فى سبيل فلسطين لايشكل منة على الآخرين وانما هو قدر
مفتح الميرون ، اختاروه لأنفسهم لقناعتهم بأنه واجب .

كتبت السيدة (بيان نويهض) مقالة فى ذكرى استشهاد " أبو يوسف " (٢)
أحد القادة فى حركة " فتح " وما قالته : (٣)

(١) من مواليد مدينة القدس ، والدها عجاج نويهض مدير محطة
الإذاعة الفلسطينية فى القدس ، أنهت دراستها الابتدائية فى
كلية شمدت ، وتخرجت من دار المعلمات بعمان عام ١٩٥٦ ،
رحلت الى بيروت وعملت محررة بمجلة الصياد ، واقتربت بالصحفى
شفيق الحوت بعدها حصلت على دبلوم الصحافة والاجازة الجامعية
فى السياسة والاقتصاد . ينظر :
- عبير ومجد ٠٠٠ مرجع سابق ص ١٠٦ .

(٢) هو السيد محمد يوسف النجار الذى قضى مع اثنين من قادة فتح هما :
الشاعر كمال ناصر ، وكمال عدوان يوم ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٣
اثر هجوم شنته مجموعة من جيش الدفاع الاسرائيلى على منازلهم فى
قلب مدينة بيروت بالتواطؤ مع بعض عملاء اسرائيل فى لبنان الذين
يسروا لهؤلاء المهاجمين مهمتهم .

(٣) مجلة شؤون فلسطينية العدد الخامس ، أيار (مايو) ١٩٧٤ .

((٠٠٠ عندما يرحل القادة السياسيون عن هذه الدنيا يكون المصراة لذويهم ورفاقهم وشموسهم ، أنهم لابد وأن يكونوا قد تركوا وراءهم اثرا من الكتابات والتصريحات والخطابات بحيث يسهل على الكتاب والباحثين أن يترخوا سير حياتهم وأن يخلدوا أفكارهم .

أحيانا . . كلما كثرت هذه الكتابات والتصريحات ، كما كان جمعبها ونشرها أصعب ، ذلك أن القائد السياسي لم يكن يخاطب التاريخ أو الأجيال القادمة في كل كلمة قالها وفي كل موقف تبناه القائد السياسي هو الرجل الذي يتكلم - عادة عندما يتكلم - عن أمور الساعة ويعلق على آخر الأحداث السياسية ، فكثيرا ما تصدر عنه أقوال لم تكن لتصلح إلا لأحاديث صحفية عابرة ولاستهلاك آني ، ومثل على ذلك أن يكون فسي كلامه دبلوماسية مرنة لا تنفص تماما عما تريد ، أو أن يكون هناك تخطيطية لموقف دولة ما أو فئة ما ، وقد فرضت عليه الظروف النضالية والمصلحة الثورية تلك التخطيطية فلجمت لسانه عن قول الحقيقة كاملة في ذلك الموقف وتلك الساعة .

وعلى العكس من صعوبة كثرة الكلام بالنسبة للباحثين تكون قلته ، السياسي كثيرا ما يتمنى في حياته أن يقول أشياء وأشياء ، وأن يفصح عن أسرار وأسرار ، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك عندما لا يكون من المصلحة الثورية بشيء أن يفصح عن تلك الأشياء ، وتلك الأسرار ، فيبقى محتفظا بما يعرفه لنفسه ، ومنتظرا قدوم أحداث أو زمن يمكنه من الحديث ، إلا أن الزمن قد يفاجئه فتختال

حياة هذا القائد بضع رصاصات ، تنهى حياته ،
وتنهي الأشياء والأسرار معه .

وتزداد الصعوبة أكثر فأكثر ، حين يكون القائد
السياسي قليل الكلام ، لا بسبب الظروف السياسية
وحدها ، وإنما أيضا بسبب انغماسه في المسؤوليات
النضالية الشاملة منها واليومية الى درجة ينسى فيها
مشكلاته الخاصة ، كما ينسى مشكلات التاريخ والمؤرخين ،
هو لا يفكر الا بانتصارات جزئية يحققها على طريق
النصر البعيد ، وهذا القائد الحقيقي لا يفكر بنفسه
على الاطلاق وهو على قيد الحياة فكيف يفكر بنفسه
ان هي غادرتها الحياة ؟ كيف يفكر ماذا سيكتسب
عنه ، كيف يفكر بمن سيكتسب عنه ، وماذا يهمه من
كل هذا أصلا ، وأهدافه الحقيقية هي استمرارية
النضال من أجل النضال لا من أجل الخلود (١)

هذا النوع الثالث من القادة السياسيين يجعل
مهمة تسجيل حياته وأفكاره أمام الباحث أو المؤرخ
مهمة شاقة الى أبعد الحدود ، والصعوبة والخوف
في الا يكون هناك في ارثه المحدود والبعضر هنا
وهناك ، ما يكفي للحفاظ على فكره السياسي وعلى
جوهر معتقداته وعلى معدن شخصيته (٠٠٠))

وكتبت الدكتورة (خيرية قاسمية) (١)
القضية الفلسطينية وكشفت عن الأطماع الصهيونية بفلسطين منذ نهاية

(١) من مواليد مدينة حيفا عام ١٩٣٦ أنهت دراستها الابتدائية فسي
مدارسها عام ١٩٤٧ ، ونزحت مع عائلتها اثر نكبة ١٩٤٨ الى
مدينة دمشق ، تابعت دراستها الثانوية في الكلية العلمية الوطنية
بدمشق ونالت الشهادة الثانوية عام ١٩٥١ ثم التحقت بكلية
الآداب في جامعة دمشق ونالت ليسانس في التاريخ عام ١٩٥٦ ،
وأهلية التعليم الثانوي من كلية التربية ، التحقت بجامعة القاهرة
عام ١٩٦٧ ونالت شهادة الماجستير في التاريخ الحديث وشهادة =

الترن الماضي ، ومحاولاتها غرس بذور الشقاق ونزع الثقة بين العنصر
العربي والعنصر التركي لتمكين من تحقيق مخططاتها الاستيطانية ،
وتحقيق حلمها في إقامة " دولة اسرائيل " على " أرض الميعاد " ^(١)
تقول الكاتبة في احدي مقالاتها :

((... اطلع قادة الرأي العام العربي خارج فلسطين
على الخطر الصهيوني ، من الصحافة الفلسطينية
نفسها وعن طريق كثير من الموظفين العرب الذين
عملوا في المنطقة ، الا أنهم لم يكونوا على صلة
مباشرة بما كان يجري ، وهذا مادفع كثيرا منهم
أن لا يروا الخطر الصهيوني بنفس الدرجة التي يراها
من هم في الداخل ، فقللوا من أهمية الخطر
الصهيوني وحصروه على الجانب المادي والاقتصادي
والاجتماعي ، بحيث أنهم اشترطوا أخذ الضمانات
الكافية ضد هذه الأخطار ، وتنازل اليهود الأجانب
عن جنسياتهم كخطوة تمهيدية لقبولهم قدوم المهاجرين
الى الحد الذي يمكن الاستفادة منهم ... وفي أواخر
١٩١٢ تشكل حلف من دول البلقان ، هُزمت القوات
العثمانية أمامه وبدأت مفاوضات السلم ، وكان نسي

= الدكتوراه عام ١٩٧٢ . عملت مدرسة في المدارس الثانوية للبنات
في مدينة حمص حتى عام ١٩٦٧ ، وبعد حصولها على درجة
الدكتوراه عينت مدرسة في كلية الآداب في جامعة دمشق حتى
عام ١٩٧٦ حيث تم تعيينها خبيرة بمعهد البحوث والدراسات
العربية بالقاهرة . نشرت معظم مقالاتها في مجلة شئون فلسطينية
ولها عدد من المؤلفات .

- مقابلة شخصية مع الباحث بجمان بتاريخ ١٥/١٢/١٩٧٨ .

(١) مجلة شئون فلسطينية اذار (مارس) ١٩٧٤ .

الحكم وزارة من حزب المعارضة (الحرية والائتلاف)
الذى ينادى بقدر من الحكم اللامركوى (وضم بسين
أعضائه عددا من العرب) وأعطت المهزومة الاتحاديين
فرصة لاسقاط الوزارة الائتلافية بحجة استئناف الحرب ،
واستفلت الصهيونية ظروف الحرب البلقانية لدفع المشاريع
الصهيونية خطوات واسعة الى الأمام ، ولتحقيق ذلك
اتهمت سبيلين : النفوذ المالى الذى يتمتع به ألوف
اليهود فى العالم ، وتوسيط الدبلوماسية الدولية للممارسة
ضغطها على تركيا لمنع اليهود تسهيلات الهجرة
والاستيطان فى فلسطين ، ومعظم هذه الجهود
والسعى الصهيونية كانت سرية ، لم تشر اليها الصحافة
العثمانية أو العربية ، الا أن النفوذ المتزايد
للصهيونيين فى الأوساط العثمانية لم يخف على بعض
الصحفيين العرب فى الاستانة ومنهم ابراهيم سليم
النجار الذى عمل فترة كمراسل للأهرام فى الآستانة
فى ٢٣ يناير (كانون الثانى) ١٩١٣ لاسقاط
حكومة الائتلافيين قد فاجأته ، واحتجب فى فندق
(كونتنال) فى الآستانة ومن هناك بعث رسالة
شخصية الى حقى العظم (سكرتير حرب اللامركزية)
فى القاهرة يوم ٢٥ يناير (كانون الثانى) ١٩١٣ ، يقول
فيها : " ٠٠٠ الوزارة الحاضرة عصابة لصوص ، يؤيدها
اليهود الصهيونيون " وربما كان ابراهيم سليم النجار نفسه
هو الذى بعث الى الأهرام بتوقيع عابر سبيل مقالة فيها
حقائق غريبة عن التواطؤ الصهيونى الاتحادى وكيف
أن الحكومات الاتحادية قد أستندت الى الاسرائيليين
والماسونيين لتغلب بهما وتستعين بأموالهم ٠٠ فجريدة

"الجون تورك" الاتحادية جريدة صهيونية المانيية
ونسوية .. أعتقد جيدا أنهم لم يعضدوا الاتحاديين
بأموالهم ونفوذهم في أوروبا وصحفهم التي لهم فيها
الا وقد تبادلوا المنفعة معهم ، وحددوا منافعهم في
فلسطين .. " وينتهي الكاتب الى القول " .. أنا
لا ألوم الصهيونيين ، فقد أرادوا منفعة يطلبونها ..
غير أنى أراهم يزرعون خطرا في البلاد السورية .. " .
لاشك أن الهداء للاتحاديين كان قويا بين الفئات
السورية المثقفة وفي مصر التي تطالب بالاصلاح على أساس
اللامركزية ، وذلك لميل الاتحاديين نحو المركزية الشديدة
وتشجيعهم الاتجاهات القومية التركية ، وكانت تهمته
موالاة الاتحاديين للصهيونية هي من جملة
الانتهاكات التي بدأت توجه الى الاتحاديين علنا ،
فانهمم رشيد رضا بأنهم اتفقوا مع الجمعية
الصهيونية على تمهيد السبيل لامتلاكها البلاد المقدسة
لاقامة ملك اسرائيل فيها (..)

وعن حق اليهود الروحي والتاريخي في فلسطين وتوسلهم بشتى
الوسائل لتثبيت باطلهم ومد اطاعهم التوسعية لتحقيق مايسمونه " أرض
الميعاد " كتبت أسى طويي مقالة فندت فيها أضاليل اليهود
وافترائهم وكشفت مزاعمهم التاريخية والروحية الفاسدة التي لا تستند
على أى أساس من الواقع أو المنطق ، تقول الكاتبة :
(١)

(١) مجلة الأديب : العدد الثالث " آذار " " مارس " ١٩٧٢ .

((٠٠٠ كيف يعطى الحق الروحي لشعب ما وكيف
ينفذ ؟ ٠٠ لنفرض جدلا أن ديانة فرد ما وهبته بلدا
آخر ، فمذا يحدث ؟ ٠٠ لنقل مثلا ان " بوذا "
زعيم الهند الروحي أو " كونفوشيوس " زعيم الصين
الروحي ، وهب أحدهما عابديه وأتباعه ، أميركا
أو انجلترا قائلا لهؤلاء الاتباع : لكم ولنسلمكم ممن
بعدكم أعطى هذه الأرض ، فما موقف أميركا أو انجلترا
من هذه الهبة ؟ ٠٠٠ قد يقال : ان الأمر هنا
مختلف لأن الله الذى وعد الاسرائيليين بفلسطين
هو الهنا جميعا ، وعلينا أن نطيعه ، ولكننى أقول بملء
فمى : كلا ، أولا ، لأنه الههم وحدهم ، هم خلقوه
وصوروه الهيا سفك دماء ٠٠٠ يحارب كل الشعوب
لأجلهم يذبح الأطفال والشيوخ والمرضى لأجلهم ،
كما سنرى ، انه اله اسرائيل فقط ، وأنت اذا ما عدت
الى التوراة تجد أن موسى يقول لهم باستمرار " هكذا
قال الرب اله اسرائيل " وتظل هذه الكلمات تتردد من
" داود " الى " شمعون " الى ٠٠٠ ، ثم ان الههم
هذا اله حرب ، وهو رب الجنود دائما ، ولرب الجنود
هذا رئيس جند مسلح ، يقول " يشوع " فى (اصحاح
٥ عدد ١٤) : ان الملاك ظهر له ساجدا سيفه
وقال يخاطبه " أنا رئيس جند الرب " واله الحرب
هذا لا أجد لشره وصفا ، يفتح " يشوع " أريحا ،
فيأمر جنده أن يقوموا بمجزرة بعد سقوط أريحا ، وبعد
استسلام أهلها ٠٠٠ يقول لهم فى (سفر يشوع
اصحاح ٦ عدد ٢٢) " حرّموا (؟) كل ما فى المدينة
من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحصير
بحد السيف " ويسر اله اسرائيل بما فعل " يشوع "

ويأمره في (سفر يشوع عدد ٨) قائلا : " افصل
بمدينة عاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها " ويتم
هذا في كل مدينة يفتحها الاسرائيليون يومئذ ٠٠٠
يدخلون المدينة ، ويدخلون منازلها يذبحون كل من
فيها ، ان الله يأمر بالمجازر ، جعلوه كما يريدون
وكما يرضى جبلتهم الشريرة (١) ، انه الههم وحدهم
اما نحن فالهنا شئ آخر ٠٠٠ الهنا هو الذي
علمنا بواسطة مسيحه ، انه أب لكل الناس فيه كل
ما في الأب من حنان وعطف ورحمة ٠٠٠ الهنا
هو الذي أوصانا بواسطة نبيه الصريح أن نفتح
صلاتنا فنقول " بسم الله الرحمن الرحيم " ٠٠٠ الهنا
هو الذي علمنا أن نجب الأطفال لا أن نذبحهم
" دعوا الأولاد يأتون الي ، لأنه لمثل هؤلاء ملكوت
السموات " ، الهنا هو الذي جعل منا أنبل المحاربين
وأشرف وأرحم الفاتحين ٠٠٠ قد يقال بعد ذلك
وماذنبهم والتوراة نفسها توحى بهذا ؟ فأقول : وهل
التوراة التي بين أيدينا هي النسخة الصحيحة عن
التوراة الأصلية ، أم أنهم حوروا وتلاعبوا بتلك الأصلية
ثم وضعوا ماصوره ، ومايناسب أهدانهم ، وشهرهم
بين أيدي الناس ؟ ٠٠٠ لقد أجمعت الحفريات
اليوم أن هناك أكثر من توراة في العالم وأن هناك
أكثر من نسخة يختلف بعضها عن الآخر والبيك
ماوصلنا من هذه المتناقضات حتى الآن :

* أولا : لقد اكتشف مؤخرا في حفريات " رأس شمرا "
بسوريا توراة ألف عنها " أدون جاكوب " كتابا بعنوان
" رأس شمرا والصحف القديم " مثبتا ادعاءات اليهود

وتزويرهم ٠٠ وما قاله : " ٠٠٠ " لم يفصل اليهود
القداى والمحدثون الا تشويه معالم هذا الكشف
العلمى وصفاته ٠٠ " .

ثانيا : بين التوراة التى يحملها الناس اليوم والتوراة
السريانية اختلاف فى أشياء كثيرة ، ولقد ثبتت
أن " قسطنطين البيزنطى " أول امبراطور اعترق
النصرانية عام ٣٠٥ م ، كان أول من طلب أسفار
التوراة والأنبياء ، وأقدم على أول عملية نقد متحارن
عرفها التاريخ ، وقبل ذلك لم يكن للمعالم مصرفة
بعملية التزوير التى أقدم عليها اليهود ، والسنتى
جملت التوراة السريانية تختلف عن التى بين
أيدينا .

ثالثا : لقد وجدت مؤخرا فى " وادى الملوك " بمصر
توراة عمرها أربعة آلاف عام ، وهى مخطوطات لأسفار
قديمة متفرقة ، وهى اليوم تحت الدراسة ، لقد كتب
موسى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة وهى :
(تكوين ، خروج ، لاويين ، عدد ، تثنية) ودرج كل
حاكم أو فاتح بعد ذلك على كتابة ما حدث له ،
وظلت هذه الأسفار وعددها (٣٧) سفرا ، كل سفر
مكون من عشرات الصفحات ، ظلت متفرقة مخطوطة من
عهد موسى الى ما قبل (٥٢٥) عاما فقط ، حيث اخترعت
الطباعة ، وطبعها الألمان " يوحنا غوتنبرغ وزميله
بيير شوبس " . ولنا بعد ذلك أن نتساءل - وسين
أيدينا أربع نسخ ثبتت فى اثنتين منها التفسير -
لنا أن نتساءل كم لمبت الأهواء والفايات دورها فى
الجمع والنسخ ، بين أهدى أمة تحول كل كلمة

لصالحها الخاص ؟ ثم لماذا يمتد "الخاصون" أنفسهم على "التلمود" (١) أكثر من اعتمادهم على "التوراة" ؟

٠٠٠ تقول "التوراة" في "سفر التكوين" اصحاح ١٥ عدد ١٨ "هذه الكلمات لابراهيم : "لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات" ٠٠٠ وفي "اصحاح ١٧ عدد ٨" هذه الكلمات : " أعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غرتك كل أرض كمان " ٠٠٠ ان النص الأخير ، لم يقل أرض مصر ، وقد كانت يومئذ للقراخنة ، ولم يقل سوريا وقد كانت للأوربيين ، ولا العراق وقد كانت تسمى ما بين النهرين ، بل قال " أعطيك أرض غرتك ، أرض كمان " فقط ، ترى هل ندم اليهم على الوعد الأول فحصر المطأ بأرض كمان ، أرض غرة ابراهيم ، أم ترى الذين كتبوا الجملة الأولى " من النيل الى الفرات " نسوا ما كتب قبلا ، أم أنهم تراجعوا لأنهم رأوا أن المساحة كبيرة وأن لا لزوم لها ؟ .

تقول "التوراة" في "سفر التكوين" اصحاح ١٥ عدد ٥ :
" ٠٠٠ وأخرج الله ابراهيم الى الخارج ، وقال له انظر الى السماء وعد النجوم ، ان استطعت أن تعدها .

(١) التلمود : كتاب في الديانة اليهودية دون بعد الكتاب المقدس "التوراة" وهو قسمان (المشنا) وهو مجموعة تقاليد (شريعة شفوية) متداولة بين علماء الناموس و(غمارا) وهو تفسير (المشنا) وللتلمود نسختان تختلفان فيهما (الغمارا) ، التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي وهو أعظم شأنا .

هكذا يكون نسلك ٠٠٠" ونسأل : أين هذا النسل
بمعدد نجوم السماء ؟ ٠٠ وكيف مرت على الوعد
آلاف السنين وما زال عدد هم (١٤-١٦ مليون نسمة)
وقد يقول البعض : ولكن ابراهيم كان ولده الأول
اسماعيل ، ولعل الله قصد بنسل ابراهيم اسماعيل
أيضا ٠٠ ولكن التوراة نفسها ترفض الفكرة ٠٠ تقول
في " سفر التكوين اصحاح ١٧ عدد ٢٠ " هذه
الكلمات " اسماعيل أباركه وأثمره ، ولكن عهدي أقيمه
مع اسحق الذي تلده لك سارة ٠٠ تناقضات
تضاف الى تناقضات (٠٠٠))

(١)
وعن دور المرأة في الحركة الوطنية الفلسطينية كتبت (رؤية شبلي)
مقالة عرضت فيها للأوضاع التي ميزت المرأة الفلسطينية عن غيرها من النساء
العربيات ، نتيجة معاناتها الاجتماعية وبخاصة بعد عام ١٩٤٨ ، حين
تجاوزت الكثير من التحديات الاجتماعية السابقة ، ونتيجة معاناتها السياسية
المتصلة في حضور القضية الفلسطينية في حياتها اليومية ، تقول الكاتبة :

((٠٠٠ عندما انطلقت الثورة الفلسطينية المسلحة ،
وجدت الجماهير الفلسطينية فيها المتنفس الطبيعي
لها ، حيث استوعبت المقاومة المسلحة كافة المتناصر

(١) من مواليد قرية الطيرة قضاء حيفا ، تزوجت مع أهلها أثر نكبة ١٩٤٨ ،
وسكنت عمان وأنهت دراستها الابتدائية والثانوية ، ثم رحلت الى بيروت
وأنهت دراستها الجامعية ١٩٧٣ ، نشرت مقالات عدة في صحف الثورة
الفلسطينية ومجالاتها ، لها نشاط اجتماعي ونسوي ملحوظ . مقابلة شخصية
مع الكاتبة بيروت بتاريخ ١٨/١١/١٩٧٨ .

(٢) مجلة فلسطين الثورة : الممدد ١٦٤ ، السنة الثالثة ٢٩٤ كانون
الأول ١٩٧٤ .

والفتات للمساهمة (٢) في تحرير الأرض ووجدت المرأة الفلسطينية لها مواقع جديدة ، ومنطلقا واسما للنضال والمساهمة (٢) الفعلية في المقاومة ، لتثبت نفسها عضوا هاما من عناصر الثورة المسلحة (٠٠٠)

وتتحدث الكاتبة عن أثر حركة التحرر الوطني على الواقع الاجتماعي للمرأة فتقول :

((٠٠٠ هناك مقياسان رئيسيان يمكن التداويل من خلالهما على مدى تحرر المرأة وتقدم وضعها الاجتماعي وهما : الانتاج ، والنضال الثوري ، ولو استخدمنا هذين المقياسين في تتبع مسار حركة التحرر الوطني العربية والفلسطينية بشكل خاص ، وأثرهما في تطور وضع المرأة الاجتماعي ، ومدى مساهمتها (٢) في الحياة العامة ، لأمكننا التمييز بين ثلاث مراحل تاريخية لكل منها خواصها المختلفة : المرحلة الأولى التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وهي مرحلة النضال الأول ضد الاستعمار التقليدي ، والتي قامت بقيادة البرجوازية الوطنية التي - بحكم طبيعتها تكوينها - لم تطرح مفاهيم سياسية ترتبط بشكل مباشر بقضية المرأة مع أنها مفعية أساسا بحركة التحرير الوطنية ، ورغم أنها أتاحَت للمرأة مجال الاشتراك في العمل النضالي إلا أن مساهمة (٢) المرأة فيها كانت محدودة بحيث اقتصرَت على بنات العائلات المعروفة في المدن الكبيرة وشكلية لم تتعدى نطاق الاشتراك في تظاهرات أو ارسال برقية احتجاج ، وغير ذلك دون أن تشمل الحركة الوطنية على ايجاد تحولات أساسية في ثقافة

الجاهير ، ودون أن تطرح برنامجا اجتماعيا للمساهمة (٩) في تغيير البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، بل كانت مساهمة (؟) المرأة بها مع الاستسلام لكافة الأوضاع الاجتماعية المتخلفة ، ولم تحقق أكثر مسن التحرر البرجوازي للمرأة الذي نرى آثاره في واقعنا الحاضر ، هذا التحرر الذي لم يحررها فكريا أو اجتماعيا بل جعل المرأة تصبح أسيرة لمظهرها الخارجي وانوثتها التقليدية ، ولم تستطع المرأة أن تتألق في هذه المرحلة أبسط حقوقها ...

في هذه المرحلة المبكرة ، كان وضع المرأة الفلسطينية مميّزا بعض الشيء بحكم تلك الانتفاضات الشعبية المسلحة والشاملة في وجه المؤامرة الاستعمارية لاقتلاع شعب فلسطين من أرضه ، والتي شلّت المرأة الريفية بحكم المنابع الفلاحية لتلك الثورات حيث شاركت المرأة الريفية في التصدي لمحاولات الاستيطان الصهيونية ، دون أن يغير ذلك نفس وضعها الاجتماعي الذي استقر عبر سني السيطرة الاستعمارية والمتخلف الاجتماعي .

وتأتى المرحلة الثانية مع المد الوطني الذي شهدته المنطقة ونفّالها لانجاز مهام الاستقلال السياسي في بداية الخمسينات ، حيث تجسد نفس الأحزاب القومية كحزب البعث والقوميين المصريين بالإضافة الى الحزب الشيوعي ، وأمكن خلالها رصد ظواهر جديدة على صعيد تحرر المرأة ، فقد أتاحت التقدم البطيء الذي شهدته البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي ، للمرأة أن تتألق قسطا أو فسر

من التعليم وفتح أمامها فرص العمل وخاصة فسي
حقل التدريس ، نتيجة الاقبال على المزيد من تعليم
المرأة نظرا لمتطلبات العصر ، ومع انتقال قيادة العمل
الوطني في هذه المرحلة الى الطبقة الوسطى
المتعلمة ، فقد أمكن للمرأة أن تتقدم خطوة أوسع
على صعيد المشاركة الفعالية من خلال الانخراط في
الأحزاب بين فئات المتعلمات من هذه الطبقة وتعال
تحررها السياسي الذي اقتصر على هذه الفئة من
المتعلمات في المدن ، ولم يشمل المرأة الفلسطينية
في الريف والمرأة في المخيمات الفلسطينية بسبب عدم
طرح برامج حقيقية على صعيد التحول الاجتماعي
من قبل هذه الأحزاب ، تفرض تحولات أساسية
في بنية المجتمع .

وفي المرحلة الثالثة تجاوزت المرأة الفلسطينية
نظيرتها العربية الى مواقع أكثر ديناميكية على صعيد
تحررها السياسي والاجتماعي ، وذلك بعد ظهور
المقاومة المسلحة للشعب الفلسطيني عام ١٩٦٥ ، وطرح
استراتيجية حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد .

وعلى الرغم من أن حركة التحرر الوطني الفلسطيني
لم تطرح برامج نظرية حول مسألة التحول الاجتماعي
الا أنها استطاعت تحقيق أمرين عامين :

(١) لقد جاءت المقاومة المسلحة لتتسع لكافة الفئات
والمناصر التي تسمى الى طرد الاحتلال
فأكسبت صفة الشمول بحيث استوعبت الجماهير
الفلسطينية على اختلافها من المدن والمخيمات
ودخلت المرأة الفلسطينية الى المخيمات متخطية
بذلك الحواجز الطبقة لتقيم علاقات من نوع

جديد، ولتجذر القاعدة الجماهيرية للثورة الفلسطينية من خلال الممارسة الفعلية للنضال المشترك بين نساء المدن ونساء المخيمات ولتزيل الفجوة بينهما .

(٢) أن حالة النهوض الوطني التي رافقت النضال المسلح فرضت بالضرورة جطة ظواهر اجتماعية جديدة تمنح المرأة المزيد من المشاركة في النضال، وتفتح أمامها آفاق جديدة للعمل ، وذلك نتيجة لجطة الوقائع التي اقتضاها انصهار أوسع القواعد الجماهيرية بالحركة المسلحة ومستلزماتها اليومية ، وقد فرض وجود المرأة في قواعد الثوار ، ومشاركتها الفعلية للنضال تحولا في علاقتها بالرجل ، فأصبحت رفيقة نضال مقبولة ((. . .)) .

ويرى الباحث أن صحويات جمة لاتزال تراقق مسألة التحرر السياسي والاجتماعي للمرأة الفلسطينية لأنه - كما أشارت الكاتبة - لم يطرح نظريا من قبل حركة التحرير الفلسطينية ، بل فوض فرضا من خلال الممارسة الفعلية للثورة المسلحة ، ولأن هناك هوة لاتزال قائمة بين الوعي السياسي والوعسى الاجتماعي داخل الثورة الفلسطينية ، وقد تستطيع المرأة الفلسطينية باتساع مشاركتها العميقة والفعلية للنضال تضيقها ، ولكنها لن تكون قادرة على الغائها كونها تتعلق أساسا بطبيعة حركة التحرير الوطني الفلسطينية وتركيبها .

* في هذه المرحلة ، تيسر للعديد من الكاتبات الفلسطينيات أن ينشرن مقالاتهن وبحوثهن في كتب القسم الأكبر منها وجد سبيله للظهور عن

طريق " مركز الأبحاث الفلسطيني " وقد تفاوتت هذه الكتب في طريقة
التناول وفي طبيعة المحتوى ، ومنها من ربطت بين محتويات الكتاب وحدة
من فكرة ، ومنها ما لم تجمع بين محتوياته أية رابطة ، بل تناولت كل مقالة
فيه موضوعا يختلف عن موضوعات المقالات الأخرى ، وفيما يلي أسماء بعض
هذه الكتب مرتبة حسب الحروف الهجائية لأسماء كاتباتها :

- " أسى طوبى : نفحات عطر ١٩٧٣ " ، " أميرة حبيبي : النسزوح
الثاني ١٩٧٠ " ، " د. خيرية تاسمية : يهود البلاد العربية ١٩٧١ /
النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداء ١٩٧٣ " ، " سلى حداد :
الطلاب في اسرائيل ١٩٧١ " ، " سلوى حبيبي : الصحف الاسرائيلية
١٩٦٨ " ، " عنان الصامري : التطور الزراعي الصناعي الفلسطيني ١٩٧٤ " ،
فايزة عبد المجيد : المرأة في ميادين الكفاح ١٩٦٨ " ، ليلي خالد :
شعبي سحيا ١٩٧٣ " ، " منى السعودى : شهادة الأطفال في زمن
الحرب ١٩٦٩ " ، " نائلة هاشم صبرى : وضعة في الظلام ١٩٧٢ " ، نجلاء
بشور : تشويه التعليم العربى في فلسطين المحتلة ١٩٧١ " ، " نجوى
قصوار : اللقاء ١٩٧٢ " ، هدى حمودة : نحو حل ثورى للصراع العربى
الصهيونى ١٩٧٤ " ، " هلدا شعبان صايغ : التمييز ضد اليهود الشرقيين
في اسرائيل ١٩٧١ " ، " يسرى جوهريه عزنيطة : الفنون الشعبية في فلسطين
١٩٦٨ .

* لم تضح مدة قصيرة على (هزيمة حزيران ١٩٦٧) حتى استعادت الحركة
الأدبية في الأرض المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ نشاطها - المتمثل بشكل
خاص في الشعر والقصة - عبر صحيفة الاتحاد ، ومجلة الجديد ومشوراتها
أما في الضفة الغربية المحتلة عام ١٩٦٧ فقد توقفت " الأفق الجديد "

- المجلة الثقافية الوحيدة - عن الصدور ، قبل (عام الهزيمة) بقليل
وتعطلت الصحف اليومية ، وانشلت الحركة الأدبية ، وهيمن عليها نوع من
الصمت شبه المطلق (١) .

وبقى الأمر على هذه الحال حتى مطلع السبعينيات حين خصصت بعض
الصحف الجديدة التي ظهرت في الضفة الغربية من فلسطين المحتلة (٢)
صفحات من أعدادها للإنتاج الأدبي الجديد ، ولكن سلطات الاحتلال
وضعت هذا الإنتاج بأشكاله المختلفة ، أمام قرارات المنع والمصادرة
والمراقبة (٣) وأصبح الأديب الفلسطيني في الضفة الغربية محاصرا من كل
ناحية - مثله مثل أديب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ - وصار يواجهه
كل يوم اجراءات الاستلاب الثقافي الذي تمارسه سلطات الاحتلال لاقتراع
حضارته العربية وخلق انتمائه القومي (٤) .

وسط هذا المناخ الأدبي المتميز ، نشرت الصحف عددا من المقالات
كتبتها أقلام نسوية كانت في الغالب بعيدة عن قضايا الناس وهمومهم

(١) باستثناء بعض القصاص والقصص المتفرقة التي نشرتها الصحافة العربية
في مدينة حيفا ، لبعض الأعلام من الضفة الغربية ، وتحت أسماء
مستعارة غالبا ، نحو : ربحي حافظ ، خالد سعيد ، صالح حسين
ليلي المقدسية وغيرها .

(٢) نحو صحيفتي القدس ، والشعب .

(٣) كان على الشاعرة فدوى طوقان مثلا ، أن تقدم قصائد لها الى سلطات
الاحتلال لتوافق على قائمها في الندوات العامة .

(٤) من هنا بدأ النشاط لجمع التفلكلور الفلسطيني وحفظه ، وقد تولت
هذه المهمة جمعية انماش الأسرة في مدينة البيرة ، فأسست لجنة
للتراث الشعبي باسم لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي
الفلسطيني ، وقد بدأت هذه اللجنة نشاطها بجمع التراث الشعبي
الفلسطيني لبعض المناطق في الضفة الغربية ، وأصدرت أول كتاب لها
عن قرية ترمسبيا - قضاء رام الله - ثم أصدرت مجلتها الفصلية الأولى
في مطلع شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٤ .

ومعاناتهم اليومية ، ولم تشكل ظاهرة أدبية تستحق الالتفات ، وفي هذه
المدّة ظهرت كاتبة شابة استطاعت أن تشق طريقها عبر الساحة الأدبية ،
وقد تميزت (نائلة هاشم صبرى)^(١) - اسم الكاتبة - بحس تاريخي ، ومعرفة
واسعة بالأخبار والقصص الدينية ، استفلتها استفلالاً حسناً في مقالاتها
وضربت بها المثل على صدق تفاؤلها ووجوب مقاومتها ، وكانت هذه الكاتبة
على يقين بأنه " ... كلما تتلبد السماء بالغيوم وتسد الظلمات وتحجب
الضياء ، كلما تطلع الانسان بنفس ممتطشة الى تلك الوضعة التي تبشّر
بانقشاع الغيوم وزوال الظلمات ، ويطل الفجر وراء الأفق البعيد ، وتبزع
الشمس فتملأ الدنيا ضياءً واشراقاً ... " (٢)

في مقالة بعنوان " الرجولة التي فقدناها " ^(٣) تتحدث نائلة صبرى عن
الرجولة التي كانت تمثل في السلف الصالح ، وتنمى على بعض رجال
الوقت الحاضر رجولتهم بمد أن انطلقوا مع ركب التقليد الأعس ، وتجردوا
من معالم الخلق والفضيلة ، وتكروا لتعاليم الدين الحنيف ونبذوا التقاليد
والمادات الأصيلة ، تقول الكاتبة :

(١) من مواليد قفيلية عام ١٩٤٤ ، أنهت دراستها الابتدائية فيها ثم
التحقت بالدرسة المائشية في مدينة نابلس وأتمت دراستها الثانوية
عام ١٩٦٢ ، بدأت مواهبها الأدبية تتفتح منذ الصغر فنظمت الشعر
وكتبت المقالات والأقاصيص ، عملت مدرسة في السعودية حتى عام
١٩٦٥ حيث عادت الى مدينة القدس وعكفت على التأليف وكتابة
المقالات الدينية والوطنية ، ونشرها في الصحف المحلية ، لها عدة
مؤلفات مطبوعة .

- رسالة الى الباحث من الكاتبة بتاريخ ١/٢٢/١٩٧٩ .

(٢) نائلة هاشم صبرى : وضعة في الظلام ، مكتبة الطالب ، قفيلية ط (١) ١٩٧٢ ص ٥ (المقدمة) .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢ .

((٠٠٠ في تاريخنا الخالد ٠٠ تجسدت الرجولة
بأسى معانيها في قلوب رجالنا العظام الخالدين
فما هي هذه الرجولة ؟
انها الصورة الحية المشرقة بالثقة في أعماق الشخص
النبيل ، الذي يدب في مهدها ولم يفارقها لحظة
من لحظات عيشه ، فحرق نفسه بذلك من ظلمة
الجهل ، وتحدى الباطل فجاهر براهه في صراحة تامة
وثبات أكيد ، وتصميم حازم ، وفهم عميق ففتح لأبناء
مجتمعه النور لتخرج هذه الفشاوة والضلالة ، وهكذا
ما فتئت الرجولة تسرى في عروقه حتى تجسدت وتمثلت
في أعماقه وفي تفكيره مما ، بل وفي شعوره فكان يفظ
الضمير ٠٠ ومهذب الخلق ٠٠ مترفعا عن الدنيا
التمثلة في حب المظاهر والأنايية ، ولا تطلق صفة
الرجولة على الناس أجمعين ، رغم كونها في كل القلوب
انها لا تطلق على الجبان ، ولا على من تهمة الأغراض
الزائلة من مال ومتاع وطعام وشراب ، ونحن نريد
الرجولة لأبناء مجتمعنا الأوفياء المخلصين المؤمنين
الذين لا يتزعزع إيمانهم أمام الشدائد والمقبات ٠٠٠
نريدها للعاملين على نصرة الحق ٠٠ نريدها لأصحاب
المبادئ والرسالات الذين يناضلون بإيمان عميق وإخلاص
مكين وكفاح مستمر لتحقيقها ، ونحن لو قرأنا المزيد
من تاريخنا لوجدناه حافلا بالرجولة الحقة التي تلمسها
في أعمال السابقين كالأنبياء المرسلين والقادة المصلحين
والتابعين الصالحين ، لقد استقرت الرجولة وتمثلت في
رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان التبراس الهادي
للحق ، العامل على نصرته وأعداء كلمة الله ، وتمثلت في
عمر بن الخطاب فكان الرجل العظيم الذي تجمعت فيه
صفات الشرف والشجاعة والنخوة والطاعة والصراحة والإيمان

الصديق والنطق بالحق ، وتمثلت في خالد بن الوليد فكان قمة من قم البطولات ، لما حباه الله من شجاعة وجلد واقدام وسرعة ملاحظة وذكاء لامع ، وتمثلت في سعيد بن جبير ، فتحدى الحجاج وخاصمه وأعلن ثورته الجريئة الناقمة على طفيلانه وجبروتيه ، وتمثلت في جمال الدين الأفغانى باعك الشرق الهامد الذى أطلق صيحة عالية مدوية .. حتى طافت وجابت أجواء مصر وسرعان ما تردد صداها في الهند وروسيا وأنجلترا وفرنسا ، وتمثلت في علمائنا السالفين كالفارابى والبيرونى والرازى وابن سينا - فكانوا يطرحون المنهات ويتسكون بالصبر والجلد من أجل الكشف عن كوامن الأشياء وابتكار النظريات ، شتان ما بين حاضرنا وماضيها ذلك أن في حاضرنا رجولة مزيفة .. وفي ماضيها رجولة حقة ، أما رجولة حاضرنا ، فقد تولدت عن طريق التشديق والادعاءات والجهربها في وقت الرخاء والسعة والتخاذل في المواقف الحاسمة ، وقد بما قيل :

أسد على وفي الحروب نعامة

فتخا تجفل من صغير الصافر

أما رجولة ماضيها فكانت حقة ، فظهر الشعراء النابضون والعلماء العاملون والمصلحون الناعمون والأبطال الأقداد والعباقرة والفلاسفة ففهموا معالم المجتمع الهزيل المقيت الذى سادت فيه التقاليد المظلمة وجملوه مجتمعا صالحا ، وأين مثل هذه الرجولة ؟ .. اننا نبحث عنها هنا فلا نجدها ، أجل ... لقد فقدناها ، فلم تعد تفرح أبواب حياتنا ، هذه الرجولة الحقة تدعونا الى مجابهة الأحداث المتواليمة لنحل مشاكلنا المعقدة من سياسية واجتماعية واقتصادية حلا انسانيا شريفا ، وفيها نكتب لأنفسنا تاريخا مجيدا

وتراثنا خالدا تحفظه لنا أجيالنا .. وفيها نحرر أمتنا
من الجهل فنهب لها حياة كريمة لنسوء بها ونقدر
المسئولية الملقاة على عاتقنا فنؤدى واجبنا ، ويمسود
لنا مجدنا وحضارتنا (٠٠٠))

وتكاد الكاتبة تستغل كل مناسبة دينية ، لتجعل منها دروسا مليئة
بالمبرر والعظات ، تذكر بها النفوس التي عشقت الحق ودافعت عنه وسارت
في ركابه ، في مقالة لها بعنوان " من وحى الاسراء والمعراج ^(١) تقول الكاتبة :

((..٠٠٠ مهمما تباعدت ديار المسلمين عن أولسى
القبليتين وثالث الحرمين الشريفين ، فقلوبهم تظل
محلقة فوق المسجد الطهور ، ومنذ أن رسخ الايمان
في قلوبهم ، وتحركت المشاعر واللواعج في نفوسهم ،
انطلقت رحلتهم المقدسة الى هنا .. الى أرض النبوات
أرض الاسراء والمعراج . هذه الأرض التي تدور
عليها عواطف المسلمين ومشاعرهم لابل أرواحهم فتتلوع
قلوبهم وخواطيرهم كلما مس هذا المسجد سوء ، فتطوى
أحشاؤهم على الحزن والأسى .. وفي غمرة الحزن العميق
التي انتابت الرسول لفقدان النصيرين له " خديجة
وأبي طالب " وفي الجو المظلم الذي ارتفعت فيه أسهم
الشرك والظنفيان بل الكفر والالحاد ، ومن بين
العذاب الذي وقع برسول الله ، تتراءى حكمة الاسراء
والمعراج ، وتتراءى لمحمد عليه الصلاة والسلام لتثبست
قلبه الطاهر الكبير ، ولتريح نفسه الأبية النقية ، ولتجلس
صدره الرحب من كل هم وكرب .

(١) وضعة في الظلام ..٠٠٠ مرجع سابق ص ٧٧ .

وتأتى السماء فتصافح الأرض وتحتضن أنبل الخلق
وأعظمهم ، تحتضن محمدا صلى الله عليه وسلم ، وتبدأ
الرحلة المقدسة الخالدة ، فيقطع المسافة بين مكة
والمسجد الأقصى فى لحظات ثم يعرج الى السموات
ويخترق فى طريقه مناطق الفضاء الواسعة الى حيث
السموات السبع .. وكان بالامكان أن يعرج بالنسبي
مباشرة من مكة الى السموات دون أن يعرج به من
بيت المقدس ، ولكنها حكمة الله من وراء الفيض ،
تظلمنا على هذا الارتباط الوثيق بين مكة المكرمة
وبيت المقدس ، لتفخر فى أعماق قلوبنا هذه الصلة
الوطيدة بين البلدين المقدسين ، لتبهفو اليهما كلما
تحرك فى لواعجنا الايمان ، وكلما شعرنا بالنشوة
الروحانية تهزنا من الأعماق .

وفى الاسراء والمراج تبرز لنا الوحدة الروحانية
التي تفضنا من بدء الوجود الى انتهائه ، هذه الوحدة
التي عرفناها فى رحلة رسولنا ، عندما مر ببيت لحم
حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وعرفناها
عندما مر بسينا حيث كلم الله موسى عليه السلام ،
وعرفناها فى اجتماع روحى ضمن صلاة جامعة من محمد
وعيسى وموسى وابراهيم ، فظهرت وحدة الحياة الدينية .

فالأنبياء جميعا هم رسل الله الى البشر ، وأدوا
رسالتهم الخادة التي تدعو الى عبادة الله ، ولكن
هناك نبوة واحدة ، اختارها الله لجميع البشر ، وقد
حملها النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، لما له من
مكانة سامية ومنزلة رفيعة عند ربه ، فقد اتخذ حبيبا
وأنزل عليه معجزته الخالدة القرآن الكريم .

حقاً ان معجزة الاسراء والمعراج خارقة للعادة
فقد استغرب اناس كثيرون من ضفاف الايمان ،
والجاحدون برسالة الاسلام ، فاصعوا ان هذه الحادثة
كانت هوساً ، ولكننا نقول نحن معشر المسلمين ، ان
الايمان بحادثة الاسراء والمعراج جزء من الايمان
بالقرآن الكريم ، لأنه أخبرنا عنها ، وأنه لا غرابية
ولا عجب من هذه الحادثة العظيمة الخاصة برسول
الله والخارقة لتوأميس الكون ، فإيماننا بالله وبالأنبياء
المرسلين ، أثبت لنا أن الله ينزل بمجزته على رسله
الذين يصطفئهم (٠٠٠)

وعن مكانة المرأة في العصور القديمة والحديثة وطريقة معاملة الشعوب
لها ، وعن المنزلة الرفيعة التي خصها الاسلام بها ، فأعلى من شأنها وجعلها
أهلاً للاشتراك مع الرجل في النشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، تقول
الكاتبة في مقالة لها بعنوان " المرأة بين القديم والحديث " (١)

((٠٠٠ جعل الأثينيون المرأة من سقط المتاع فكانت
تباع وتشترى في الأسواق واعتبروها رجساً من عمل
الشیطان وحرّموا عليها كل شيء سوى ادارة شؤون
البيت وتربية الأطفال ، ٠٠٠ وجاء في شرائع
الهند أن الوباء والموت والجحيم والسّم والأفاعى خیر
من المرأة ٠٠٠ وفي روما صدر قرار بأن المرأة كائن
لانفس له وأنها رجس يجب أن لا تأكل اللحم
وأن لا تضحك ولا تتكلم وعليها أن تمضى أوقاتها فى
الصلاة والعبادة والخدمة ٠٠٠ أما فى فرنسا فكان
المرأة كانت غامضة فى نظر الفرنسيين أهى انسان
أم حيوان ؟ وكان ذلك حتى عام ١٥٨٦ حيث عقد

(١) جريدة الشعب : القدس ، ١٦ أيار " مايو " ١٩٧٣ .

اجتماع وقرر المجتمعون بأنها انسان . أما فسى
انجلترا فقد أصدر الملك هنرى الثامن أمرا بتحريم
مطالمة الكتاب المقدس على النساء
أن النساء غير معدودات من المواطنين - طبقا
للقانون الانجليزى عام ١٨٥٠ فلم يكن لهن حقوق
شخصية .

...
وزغت شمس الاسلام ناصعة لامعة ومسح
شعاعها أقبلت الشرائع السمحة لتنقذ المرأة من
الظلم الجائر الذى لحق بها ووضعها الاسلام فى
منزلة رفيعة ، وجعلها أهلا للاشتراك مع الرجل فى
النشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى .

أجل ، لقد أنقذها حيث كانت مستضعفة عند
بعض الشعوب قبل أربعة عشر قرنا فأصبحت فى نظر
الاسلام سيدة تآمر وتنهى وتقوم بأعمالها خير قيام ،
وجعل لها حق المبايعة فقد بايع رسولنا الكريم
الرجال وكذلك النساء وتلك هى المساواة
الاسلام المرأة أما وربة بيت وألقى عليها مسؤولية تربية
الأطفال ، وهذه أهم أعمالها وأخطرها ، ولكن لا يعنى
هذا أنها ممنوعة من مزاوله أعمال أخرى تتعلق
بالحياة العامة ، فلقد أجاز لها أن تخوض معركة
الحياة ، تطلق من بيتها الى طلب العلم
أجاز لها البيع والاجارة وكافة المعاملات فى مجال
الزراعة والتجارة والصناعة ، ويحق لها أن تكون عضوا
فى مجال الشورى فتبدى رأيها وقد مثلت المرأة
المسلمة أدوارها على مسير الحياة ، فبرزت عاتشة بنت
طلحة بن عبيد الله التى نبخت فى الأدب وعلم النجوم ،
والخنساء التى أنجبت أربعة أولاد نشأوا جميعا شعراء
شجعانا ، واتفق شعراء عصرها على أنه لم يكن هناك

بسياج من الحماية والكرامة وكفل لها الحياة الهادئة
الوادعة هذه المرأة ليست كجداتنا وأمهاتنا وانما
هي ظهرت على المسرح الاسلامي حيث مثلت أدوارها
في جميع مجالات الحياة . ولقد أصاب المستشرق
الفرنسي الدكتور جوستاف لوبون حين قال : "أن نقصان
شأن المسلمات في الوقت الحاضر حدث خلافا للقرآن
لا بسبب القرآن ((

* * *

يلاحظ الباحث أن عددا كبيرا من المقالات التي كتبتها الأقسام
النسوية الفلسطينية في هذه المرحلة كان من حيث مستوى الأداء الفني
والانتشار والكم ، متخلفا عن الحركة الشعرية التي اضطلعت بها الشواعر
الفلسطينيات ، هذا عن أن هذه المقالات تشكو في الغالب من تصدع
(١)
فني تعجز معه عن الوصول الى المستوى الذي وصل اليه شعر الشواعر ،

(١) من المؤسف أن تضييع بعض المضامين الجيدة ، وتذبح على نطح
الاهمال والصدفة ، ومن المؤسف أيضا أن لاتعنى بعض الكاتبات
باللغة العناية اللازمة ، وأن ينظرن اليها على أنها مواطنة من الدرجة
العاشرة . . . وبيان ما نذهب اليه نعرض - على سبيل المثال -
للأخطاء اللغوية التي وقعت بها الكاتبة أسى طوبى في مقالاتها التي
استخرقت (١٤١) صفحة من كتابها "نفحات عطر - مؤسسة نوفل ،
بيروت . أيار (مايو) ١٩٧٣ " ص ٢١ : حذائين والصواب : حذاءين
ص ٢٧ : أربعة وعشرين ساعة ، والصواب : أربعاً وعشرين " ، ص ٣١ ،
طائره . . حتى اليوم شاهدا ، والصواب : شاهد " ص ٢٢ أن
يستفيدوا من المديونين . والصواب : الدينين " ص ٥٣ بأوراقهم
الخضراء ، والصواب : الخضر " ، ص ٥٥ : أول من تزين بالسورود
والصواب : بالورد . وقد تكررت الورد والزهور عدة مرات " ، ص ٦٥ :
وتبأن بأن يوما هادا . والصواب هادئا " ص ٧١ : ويعدن الفارابي وابن
سينا مرجعا . والصواب : مرجعين " ص ٧١ : بالظبط . والصواب : بالضبط
ص ٧٢ الجاريات المغنيات . . . ومحبوبة " . والصواب : حيابة ص ٨٣ ،
أنافى الرابعة عشر . والصواب : الرابعة عشرة " ، ص ٨٤ : السادسة
عشر : والصواب : السادسة عشرة " ، ص ٨٥ : ستمحوا . والصواب :
ستمحو " ص ٩٦ : وطأت . والصواب : وطئت " ص ١٢٥ : الهزؤ . والصواب :
الهزؤ .

ولعل السبب لا يعود فقط الى أن الشعر بطبيعته وسيلة فنيّة
أكثر رسوخا وأكثر قدرة على الانتشار والتأثير ، وأكثر مواءمة لتحمل الرمز ،
ولكن أيضا لأن عددا من كاتبات المقالة الفلسطينية تناول موضوعات بعيدة
عن هموم الناس ومشكلاتهم الوجودية والصيرية ولأن عددا آخر من تناول
المقضية الفلسطينية في مقالاته كان يصدر في بعض الأحيان عن تجربة
شككية لم يتوافر لها صدق الاحساس ، ولا الرؤية العميقة التي تستشرف
الآتي وترهص المستقبل ، وليست المشكلة - كما يخيل للبعض - أن يتحدث
الكاتب عن فلسطين وعن الثورة والثوار والاتجاه الثوري ، لأنه في حديثه
هذا يلتقي مع أحاديث الجماهير الفلسطينية والعربية ، إنما المشكلة
تكمن في وعي الكاتب العمق لهذه القضايا ، وعيه الذي يحول هذه
القضايا بكامل أبعادها وجوانبها من شعارات وعرائض دعوى ، وأعمال
بطولية الى مادة حية في النفوس ، والى نبض دافق وثورة حقيقية ، ويقيناً
أن الكاتب الذي لا يقدم لقائه أكثر مما يعرفون ، هو كاتب ملول غير مؤثر .

وبعد فالطريق سيقى طويلاً طويلاً أمام الكاتبة العربية الفلسطينية
لكي تمنح المزيد من الابداع الفني القادر على ترجمة ثراء الزمن الفلسطيني
بكل أبعاده : العسكرية والسياسية والاجتماعية والوجدانية والفكرية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخاتمة

طمحت في هذه الدراسة الى تقديم صورة عامة عن أدب المرأة الفلسطينية الحديث ، والى تلمس ملامحه والوقوف على ظروف نشأته وتطوره ، وإبراز نواح مغمورة منه ، واستأنست بنسبـانج أدبية مختلفة تمثل الشعر والقصة والمقالة لتكون مؤشرا صادقا يمين على كشف جوانب الحياة الاجتماعية والنفوسية والأدبـيسية التي عاشتها المرأة العربية الفلسطينية من خلال ثلاث مراحل حضارية متميزة .

وقد تبعت الخط البياني الذي نجاه الأدب الفلسطيني بشكل عام ، معللا خصائصه ومناحيه تعليلا خاطفا ، لأخلص منه الى تخصيص دال يحدد مسيرة الأدب النسوي الفلسطيني ، فتحصل ما بيانه :

أولا :

المرحلة الأولى (١٩١٤-١٩٤٨) :

(أ) : لم تسجل هذه المرحلة شعرا ولاقصا نسويا ، الا ما ظهر بقله في نهايتها ، وكان ظهوره استجابة طبيعـية لبواعث النهضة الفكرية والثقافية الأدبية والاجتماعية التي عمت البلاد في تلك الحقبة .

(ب) : سجلت الكاتبة العربية الفلسطينية في ميدان المقالة نتاجا مبكرا ساعد على تحقيقه سهولة تشكيل المقالة الفني ، وانتشار الصحافة والاهتمام بقضايا المرأة الاجتماعية والتعليمية .

وانتهت هذه المرحلة من غير أن يلتزم النتاج الأدبي للمرأة العربية الفلسطينية بأشكاله الثلاثة - الشعر والقصة والمقالة في مدارس فكرية أو تيارات أدبية .

المرحلة الثانية : (١٩٤٨-١٩٦٧) :

(أ) : استأثرت (النكبة) بأبعادها المختلفة ، بحجم كبير من التأثير على الشعر وأملت على الشواعر الفلسطينية كثيرا من مادتهن الشعوية ، فارتست في ثايا قصائد هن صور الحنين ، والذكريات ، والمشردين ، ومخيمات اللاجئين ، والقلق ، والضياع ، والتبشير بالانتصار . وفي هذه الحقبة مالت الشواعر نحو التجديد في شكل القصيدة ، من غير أن يتقيدن بأصول معينة ، الأمر الذي أكسب قصائد هن ملامح متموجة ، وجعل منها بزرجا بين التقليد والتجديد ، دون أن تظفر بطابع مستقل ، أو تتخذ شكل مدرسة واضحة المعالم .

(ب) : سقطت معظم قصص هذه المرحلة في حبال التقريرية والجرى وراء المفزى الصارخ والماطفة المسرفة نحو فلسطين ، باستثناء بعض القصص التي حملت ملامح الأصالة ، واستقتت مضامينها من الواقع بكل مافية من معاناة ، وألم وهم .

(ج) : تفاوتت مقالات هذه المرحلة في قيمتها الفنية والموضوعية بل ان كثيرا منها لم يزد عن كونه خواطر ساذجة تعبر عن نزوات أنية أو ثقافة سطحية ، ولا تشكل اتجاها أدبيا يحدد لكاتباتها هوية فنية ، وظهر في نهاية المرحلة عدد من المقالات انحسرت عنها موجة المد الرومانسي ، واشتد فيها عود الاتجاه الواقعي ، وتخلصت كاتباتها من المبالغة والاستطراد والانفعال السريع .

المرحلة الثالثة (١٩٦٧-١٩٧٤) :

(أ) : شهدت هذه المرحلة التي أعقبت عام (الهزيمة) شعرا نسويا يتصف بالحضور الكامل والمعاشة الصادقة لهموم الناس وآمالهم ، وقد تلون هذا الشعر بلونين متمايزين ، أحدهما بصور الانكسار والهزيمة والخيانة وما يعقب ذلك من انسحاق ومذلة وهوان ، والآخر بصور التحدى ، والصدر المكشوف لرصاص العدو ، والجهة المرفوعة ، والبندقية المسددة ، والتصميم على التثبيت بالأرض مهما كانت المخاطرة .

وفي هذه الحقبة انعمت معظم الشواعر من وسائل الفن التقليدية الشكلية والتزم بأصول فنية جديدة ، وحررن قصائدهن من القافية والأوزان الخليلية ، واعتمدن وحدة التفعيلة المروضية والقافية غير المنتظمة ، والتشطير غير المتوازن الخاضع في شكله للفكرة والتجربة الشعرية .

(ب) : دارت قصص هذه المرحلة ورواياتها حول التجربة الفلسطينية ، وحول الجوانب المأساوية من حياة المرأة ، ونادرا ما نجد قصة كتبها قاصة فلسطينية تعكس مشاعر الفرح والارتياح والسعادة ، حتى قصص الكفاح والتضحية ، دارت في أجواء مظلمة كئيبة ، ذلك أن القاصة الفلسطينية كانت تعيش حالة من القلق السياسي والاجتماعي والنفس ، وتعاني من الضربة ومن ضعف ارادة التقرير والتلون الاجتماعي وال عاطفي ، مما صبغ جل نتاجها بالصبغة التشاؤمية ، وجعل مشاعر الفرح والسعادة نوعا من الأمل المنتظر الذي لا يأتي في لحظة الا ليذهب في التاليس ، ولم يستو هذا الشكل الأدبي على أسس ثابتة ، وبقي مترجحا بين الرومانسية والواقعية ولم يلج عوالم القصة الجديدة كالتعبيرية والرمزية والتجريدية .

(ج) : تبلورت في بعض المقالات النسوية التجربة الجديدة للمقاومة الفلسطينية ، وعرضت للجوانب السياسية والعسكرية والتاريخية للقضية ، ولكنها تدنت من حيث مستوى أدائها ، وشكت من تصدع فتى كبير بعد أن أثقلتها الكتابات بالضامين السياسية والفكرية .

ثانياً :

(أ) : رصدت اتجاهين بارزين دار حولهما شعر المرأة العربية الفلسطينية بصورة عامة ، هما :

- * الشعر السياسي وقد تناولته الشاعرة من خلال رؤى ثلاث :
- رؤية تقليدية ، ورؤية تقليدية ذات أسلوب جديد ، ورؤية جديدة .
- * الدوران حول الذات ، وقد تمثل هذا الاتجاه في قضيتين بارزتين :
- تجربة الحب ، والاتجاه الصوفي .

(ب) : تلمست الأطر الثقافية للشواعر ، فتبين أن فئة منهم ، اكدت بدراسة سطحية للتراث ، لم تسفهن على النفاذ الى أعماقه ، والى استشراف مكوناته وأصالته ، وأن فئة ثانية أصابت من الثقافة العربية شطرا صالحا ، وألمت العاما متسرعا ببعض مظاهر الآداب الغربية ، وفئة ثالثة ، استهوتها المدارس الأدبية والتيارات الفكرية الغربية فترسمن خطى بعض الشعراء الغربيين المعبرين عن صراع الانسان مع نفسه وعن شعوره بالعيب والضياع ، والانهزام أمام الواقع ، أما الفئة الرابعة ، فقد أصابت من غور التراث ماوسع في شعرهن معاني الخصب ، ونفذن الى مكونات الآداب الأخرى ، فأبدعن شعرا جديدا لايلج فيه شبح

من أشباه الأسلاف أو المعاصرين سواء كانوا عربا أو غربيين .

ثالثا :

تتبعتم مسيرة الأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ فتبين أن المرأة العربية الفلسطينية ظللتها حال من الانزواء والصدمة كانت نتيجة ظروف واقعية تكشف أبعاد حياتها العامة ، ولم يكن بمقدور الوعي المتنامي الذي دفع المرأة الى المشاركة في النضال من أجل الخلاص الوطني وتحرير الأرض ، أن يعكس في الوقت نفسه وعيا موازيا له بضرورة تحريرها من أسس التقاليد التي تحول دون اشتراكها الفعّال في الميدان الأدبي .

رابعا :

استبصرت السمات العامة التي اتسم بها أدب المرأة الفلسطينية الحديث بدءا بالشعر ومرورا بالقصة والرواية والمقالة ، فتبين :

(أ) : أن هذا الأدب هو سليل الأدب الفلسطيني بصورة عامة ، يتجاذبه في الدافع والموضوع والشكل وفي قسوة الاندفاع مع الحياة وطاقاتها ، وقابليتها المتجددة المنفتحة فكرا وتطورا وشواغل انسانية .

(ب) : أن هذا الأدب قد التزم بالقضية الفلسطينية التزاما قويا أن يحيد عنه ، فهو يصور واقعا حيا لأفراد يمثلون الحياة الفلسطينية العامة سواء داخل الأرض المحتلة ، أو في المنافي العربية ومخيمات اللاجئين ، أو بين صفوف المقاتلين ، أو خلف المكاتب .

(ج) : نجح بعض هذا الأدب في التعبير عن أحاسيس المرأة وأشواقها ، وتجاربها العاطفية ، ولكنه فشل فشلا ذريعا في إبراز مشاعر الأمومة التي هي قوام الانوثة الأول ، وقد يعود ذلك الى أن بعض الأدبيات لم يعشن تجربة الأمومة الحية ، وأن بعضهن الآخر منى فى حياته الزوجية بأحباطات اجتماعية ونفسية ، عكست ظلالات قائمة على هذه
(١)
المشاعر النبيلة .

(د) : تدنت بعض النماذج من هذا الأدب ، شكلا ومضمونا ، وأشراق بيان ، بعد أن دارت صاحباتها داخل حلقة ضيقة محدودة الرؤية ، واتكأن على منجزات غيرهن ، وقل زادهن من مفردات اللغة وتركيباتها وقواعد صرفها ونحوها وبيانها وعروضها .

وبعد فلا أزمع أنى تناولت أدب المرأة الفلسطينية الحديث برمتيه ، وأنى عرضت الى جميع الأدبيات الفلسطينيات ، فهذا مطلب لاسبيل الى تحقيقه ، وحسبى أنى رسمت خطوطا عامة وبعض الخطوط التفصيلية لهذا الأدب ، بطريقة لا أعفيها من تقصير أعترف به ، وأعتذر عنه ، وقد يشفع لى أن دراستى هذه ليست نهاية المطاف مع هذا الأدب فالعزم معقود على أن أعود اليه ثم أعود ، أو لعل أحدا من الدارسين يكون أطول باعا منى ، فيستوفى الموضوع ويكمل نواقصه ، ولعل فيهم من تستهويه ناحية خاصة أو أدبية بعينها ، فيتخذها مجالا لدراسة متخصصة .

والحمد لله أولا وآخرا ، ومنه أستمد العون والتوفيق .

انتهى .

(١) انتهت الحياة الزوجية لعدد من الأدبيات الفلسطينيات ، أما بالطلاق أو الانفصال .

ثبت المصادر والمراجع (*)

=====

- ابراهيم أبو لفسد : صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية
بيروت، المركز الاقليمي ، أيلول (سبتمبر) -
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢ .
- ابراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية :
حيفا ، نادي الاخاء العربى ، (د . ت)
- الاتحاد النسوى الفلسطينى فى : الدفاع " جريدة " - يافا ، ٧ كانون
القدس ونابلس الثانى (يناير) ١٩٤٨ (ع ٣٨٥١) .
- اجلال خليفة : المرأة وفضية فلسطين - القاهرة (د . ن)
١٩٧٤ .
- احسان عباس : اتجاهات الشعر العربى المعاصر - الكويت
المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ،
١٩٧٨ .
- أحمد أمين : النقد الادبى - ط ٢ - القاهرة ،
مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ .

(*) اعتمد الباحث فى تنظيم هذا الثبت على التقنيات الدولية للوصف البيبليوغرافى

المعروف : (ISBD (MS) = International Standards for
Bibliographic Description for Monograph and
Serials) .

المصادر عن الاتحاد الدولى لجمعية المكتبات فى عام ١٩٧٧ .
= الرمز (د . ن) يعنى دون ناشر ، والرمز (د . ت) يعنى دون تاريخ .

- أحمد طرسين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ

نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة

الكبرى عام ١٩٣٦ م.

القاهرة ، معهد الدراسات العربية

الحالية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٨

- اسحق موسى الحسيني : الأديب " مجلة " - بيروت ، مطابع الوفاء

ايار (مايو) ١٩٤٥ (ع ٥) .

: عودة السفينة - القدس : (د ن) ، ١٩٤٥

: هل الأديب بشر - بيروت : (د ن) ،

(د ت) .

- أحمد زوق : اسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر

التوسعي الصهيوني - بيروت ، منظمة

التحرير الفلسطينية . مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .

- أسى طوسى : أحاديث من القلب - بيروت ، مطبعة

قلفاط ، ١٩٥٥ .

: الأديب " مجلة " - بيروت ، مطبعة الوفاء

الأعداد :

- نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، (ع ١)

- آذار (مارس) ١٩٢٢ ، (ع ٣)

- تموز (يوليو) ١٩٢٤ ، (ع ٧)

: عمير ومجد - بيروت : مطبعة قلفاط

١٩٦٦ .

: كل شي "مجلة" - بيروت : الأعداد :

- تموز (يوليو) ١٩٤٥ .

- آذار (مارس) ١٩٤٩ .

- شباط (فبراير) ١٩٥١ .

- امتثال جهدي : شجرة الصبير (رواية) - بيروت : دار

الطلیحة ، ١٩٧٢ .

- اميل الفوري : المواقف الكبرى لاغتياال فلسطين ومحقق

المرب - القاهرة ، دار النوبل

للطباعة ، ١٩٥٥ .

- اميل حبيبي : الآداب "مجلة" - بيروت ، مطابع دار

الغد آب (اغسطس) ١٩٦٩ (ع ٨) .

- الياس خوري : احصاءات فلسطينية : سلسلة حقائق

وأرقام : بيروت ، منظمة التحرير

الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٤ .

- أنور الجندي : أدب المرأة العربية - القاهرة : دار

المعرفة (د . ت) .

: القصة العربية المماصة - القاهرة :

مكتبة الانجلو المصرية ، (د . ت) .

- أنيسة ابراهيم : النقائس المصرية "مجلة" - القدس

عهد النور أيار (مايو) ١٩٦٤ (السنة السادسة

ج ٥) .

- بثينة جردانسة : رسالة الاردن "مجلة" * عمان : جمعية
عمال المطابع الاردنية ، تشرين الثاني
(نوفمبر) ١٩٦١ (ع ١١) .

- بيان نوبهـــــض : شؤون فلسطينية "مجلة" * بيروت : مطبعة
الغريب ، أيار (مايو) ١٩٧٤ (ع ٥) .

- توفيق فياض : الشارع الأصفر "مجموعة قصصية" *
الناصرة ، مطبعة أوفست حكيم ، ١٩٦٩ .

- جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية في فلسطين * القاهرة
الأمانة العامة لادارة فلسطين ، (د . ت)

- جبرائيل كاتول : التعليم في فلسطين * القدس : (د . ن)
١٩٤٧ .

- حبيب قهوجي : شؤون فلسطينية "مجلة" * بيروت :
مطبعة الغريب ، آذار (مارس) ، ١٩٧١
(ع ١) .

- الحرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي *
مفظة التحرير الفلسطينية * مركز الأبحاث
١٩٧١ .

- خديجة أبو على : مقدمات حول واقع المرأة وتجربتها في
الثورة الفلسطينية * بيروت : الاتحاد
الحام للمرأة الفلسطينية ، ١٩٧٥ .

- خليل السواحري : أفكار " مجلة " م - عمان : أيلول

(سبتمبر) ١٩٧٧ (ع ٣٦ و ٣٧) .

- خيرية قاسمية : شؤون فلسطينية " مجلة " م - بيروت :

مطبعة الغرب ، (مارس) ١٩٧٤ (ع ٣)

- دائرة الثقافة والفنون : ألوان من الشعر الاردني م - عمان :

دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٣ .

- دعد كيايلى : الأديب " مجلة " م - بيروت : مطابع

الوفاء ، الممدان :

- شباط (فبراير) ١٩٤٥ (ع ٢) .

- حزيران (يونيو) ١٩٤٧ (ع ٦) .

: الثقافة " مجلة " م - القاهرة ، كانون

الأول (ديسمبر) ١٩٤٩ (ع ٥٧٢) .

: ولم تطرى ياغيوم " ديوان شعر " م - بيروت

دار العلم للملايين ، (د . ت)

- رائدة جبارالله : الطليحة " مجلة " م - بيروت ، أيار

(مايو) ١٩٣٧ (السنة الثالثة ع ٥) .

- رجاء النقاش : الآداب " مجلة " م - بيروت : مطابع

دار الفد كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨

(ع ١) .

- رجوة عساف : الخبز في بلدي " ديوان شعر " -
عمان ، مكتبة عمان ، ١٩٧١ .
- روز حسون : التفائس العصرية " مجلة " - القدس
أيار (مايو) ١٩١٠ (السنة الثالثة
ج ٧) .
- رؤيفة شهبلاق : فلسطين الثورة " مجلة " - بيروت ،
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ (ع ١٢٤)
- زكى نجيب محمود : أدب المقالة - القاهرة ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٤ .
- زليخة الشهابي : رسالة الاردن " مجلة " - عمان
جمعية عمال المطابع الاردنية ، شباط
(فبراير) ١٩٦١ (ع ٢) .
- زينب حبش : الاتحاد " جريدة " - حيفا ، ٩ تموز
(يوليو) ١٩٦٨ (ع ١٦) .
- سانج نصار : الصوفان " مجلة " - صيدا ، من المحرم
الى جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ (م ٣٤) .
- ساطح الحصري : حولية الثقافة العربية - العهد الميثاقى -
القاهرة : (د ن) ، السنة الثانية
١٩٥٠ - ١٩٥١ .

- سامي هداوي: ملف القضية الفلسطينية - بيروت:
منظمة التحرير الفلسطينية - مركز
الأبحاث ، ١٩٦٨ .
- سحر خليفة: أفكار "مجلة" - عمان: جمعة عمال
المطابع الاردنية ، نيسان (ابريل)
١٩٧٥ (ع ٢٢) .
- : لم نعد جوارى لكم "رواية" -
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٤ .
(سلسلة اقرأ) .
- سميد حمادة: النظام الاقتصادي في فلسطين - بيروت
الجامعة الامريكية ١٩٣٩ .
- سلي الخضر الجيوسي: الآداب "مجلة" - بيروت ، مطابع
دار الفد ، آذار (مارس) ، ١٩٦٠ ،
(ع ٣) .
- : رسالة الاردن "مجلة" - عمان: جمعية
عمال المطابع الاردنية ، تشرين الأول ،
(اكتوبر) ١٩٦٢ (ع ١٠) .
- : شؤون فلسطينية "مجلة" - بيروت ،
مطبعة الغريب ، آذار (مارس) ١٩٧١
(ع ١) .

: المودة من النهج الحالم "ديوان شعر" -

بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٠ .

- سلمى اللحام : أعواد الثقاب "مجموعة قصصية" - دمشق

مطبعة بركات ، ١٩٧١ .

- سلمى النصر : النقاش العصرية "مجلة" - القدس

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩ (السنة

الثانية ج ٢) .

- سلوى البنا : عروس خلف النهر "قصة طويلة" - بيروت

دار الاتحاد للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .

: الوجه الآخر "مجموعة قصصية" - بيروت

المؤسسة العربية للدراسة والنشر

١٩٧٤ .

- سميرة أبو غزالة : الآداب "مجلة" - بيروت : مطابع

دار الخد ، آذار (مارس) ١٩٦٤ (ع ٣)

: الرسالة "مجلة" - القاهرة ، أيلول

(سبتمبر) ١٩٥١ (ع ٩٤٩) .

: نضال المرأة الفلسطينية - القاهرة

الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ١٩٧٠

- سميرة الخطيب : القرية الزانية "ديوان شعر" - القدس

دار الفكر الجديد ، ١٩٧٧ .

- سميرة عزام :
الاداب "مجلة" م - بيروت ، مطابع
دارالغد ، العددان :
- أيار (مايو) ١٩٦٥ (ع ٥)
- حزيران (يونيو) ١٩٦٥ (ع ٦)
: الاسبوع العربي "مجلة" م - بيروت :
كانون الثاني (يناير) ١٩٦٢ .
: أشياء صغيرة "مجموعة قصصية" م - بيروت
دار العلم للملايين ، ١٩٥٤ .
: الساعة والانسان "مجموعة قصصية" م -
بيروت ، المؤسسة الأهلية للطباعة
والنشر ، ١٩٦٣ .
: الظل الكبير "مجموعة قصصية" م -
بيروت : دارالشرق الجديد ، ١٩٥٦ .
: الحيد من النافذة الخيرية "مجموعة
قصصية" م - بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ .
: وقصص أخرى "مجموعة قصصية" م -
دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ .
- سهام داود :
الشرق "مجلة" م - القدس : مطابع
دوكة ، العددان :
- تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ .
- آب (اغسطس) ١٩٧١ .
: شاكرا النابلسي :
فدوى طوقان في الشعر الاردني الحديث م -
القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر
(د . ت) م

- شاكِر مصطفى : محاضرات في القصة في سورية حتى الحرب
المالية الثانية : - القاهرة ، معهد
الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨ .
- صالح مسعود أبو بصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن .
بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر
(د . ت) .
- طارق عون الله : الآداب " مجلة " - بيروت : مطابع
دار الندى ، نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ،
(ع ٤) .
- عارف المعارف : نكبة بيت المقدس والقدس والقدس المفقود .
صيدا : المكتبة المصرية للطباعة والنشر
١٩٦٢ .
- عبد الله التل : كارتة فلسطين - القاهرة : مطبعة
مصر ، ١٩٥٩ .
- عبد الجبار داود البصرى : رواد المقالة الحديثة في الأدب العربي
الحديث . - بغداد : وزارة الاعلام
١٩٧٥ .
- عبد الرحمن ياغى : حياة الأدب الفلسطيني الحديث من
أول النهضة حتى النكبة . - بيروت :
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع
(د . ت) .

- : دراسات في شعر الأرض المحتلة . -
القاهرة : معهد البحوث والدراسات
البحرية القاهرة ، ١٩٦٩ .
- : صوت الأرض المقدسة " مجلة " . - عمان
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ .
- عبد القادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ . -
بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز
الابحاث ، ١٩٧٥ .
- عبد الكريم الكرمي : الدفاع " جريدة " م - يافا : مطابع
الدفاع ، آب (اغسطس) ١٩٤٣ (ع ٢٥١٠)
- عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة . - ط ٦ . -
القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٨ .
- : حول الاديب والواقع (دراسة تطبيقية) . -
القاهرة : دار المحرقة ، ١٩٧٠ .
- عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث . - بيروت :
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
١٩٧٠ .
- عطف زيد : عمان المساء " جريدة " م - عمان : مطابع
الجهاد ، العددان :
- ٩ أيار (مايو) ١٩٦٥ .
- ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٥ .

- غيف فراج : الحرية في أدب المرأة * - بيروت :
دار الفارابي ، ١٩٧٥ .
- عصر الدسوقي : في الأدب الحديث * - ط ٤ * - القاهرة
دار الفكر العربي ، ١٩٥٩ .
- عنان الحامري : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ -
١٩٧٠ (بحث احصائي) * - بيروت :
منظمة التحرير الفلسطينية * مركز الأبحاث
١٩٧٤ .
- عنبه سلام الخالدي : الكشاف " مجلة " * - بيروت ، كانون
الثاني (يناير) ١٩٦٨ (م ٢ ، ج ١) .
- : المستمع العربي " مجلة " * - يافا :
نيسان (ابريل) ١٩٤٠ .
- عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية *
يافا : مكتبة فلسطين الجديدة ١٩٣٧ .
- غازي الخليلي : المرأة الفلسطينية والثورة * - بيروت :
منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث
١٩٧٧ .
- عنان كفاني : أدب المقاومة في فلسطين المحتلة * -
بيروت : دار الآداب ، (د . ت) .
- فاروق خورشيد : في الرواية العربية * - القاهرة :
الدار المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ .

- فائزة عبد المجيد : الدفاع "جريدة" م. - يافا : مطابع
الدفاع، المددان :

- ١ أيار (مايو) ١٩٤٩ (ع ٤٠٠٨)

- ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ (ع ٤٠٣٨)

: المرأة في ميادين الكفاح ع عثمان :
(د.ن) ، ١٩٦٨ م.

- فتاة غسان : الدفاع "جريدة" م. - يافا : مطابع الدفاع

٢٩ آب (اغسطس) ١٩٤٣ (ع ٢٥٣٣) م.

- فدوى طوقان : الأمل "مجلة" م. - بيروت : تشرين

الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ (ع ١٣) م.

: أمام الباب المفلق "ديوان شعر" م. -

بيروت : دار الآداب ، ١٩٦٢ م.

: الدفاع (جريدة) م. - مطابع الدفاع

المددان :

- ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٤ (ع ٢٧٤٨)

- ٣١ آب (اغسطس) ١٩٤٤ (ع ٢٨٤٢)

: شؤون فلسطينية "مجلة" م. - بيروت :

مطبعة الفريب ، نيسان (ابريل) ١٩٧٢

٩ الليل والفرسان "ديوان شعر" م. - بيروت :

دار الآداب ، ١٩٦٩ م.

- : على قمة الدنيا وحيدا ديوان شعر -
بيروت ، دار الآداب ، ١٩٧٣ م
- : وجدتها - ط ٥ - ديوان شعر -
بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٤ م
- : وحدى مع الأيام - ط ٥ - ديوان شعر -
بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٤ م
- قدسية خورشيد : الدفاع "جريدة" - يافا : مطابع
الدفاع ، آذار (مارس) ١٩٤٢ (٢٠٨٥)
- القسم العربي على دار: حديث الاذاعة - القدس : المطبعة
الاذاعة الفلسطينية التجارية ، ١٩٤٢ م
- كامل اسماعيل : صفحات من التاريخ الاسلامي - القاهرة
(د . ن) ، ١٩٥٣ م
- كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني
المعاصر - القاهرة ، مكتبة الانجلو
العصرية ، ١٩٧٣ م
- : الشعر العربي الحديث في مآسة فلسطين -
القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤ م
- كريمة الصفوري : النقائس الحصرية "مجلة" - القدس
أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ (العدد الثامن
ج ٩) م

- كلثوم مالك عرابي : الافق الجديد "مجلة" م - القدس : آذار
(مارس) ١٩٦٥ (ع ٣) .
- : مشرقة "ديوان شعر" م - بيروت :
(د.ن) ١٩٦٤ .
- : الناياالم جمل قتمح القدس درا "ديوان
شعر" م - بيروت : المكتبة المصرية
(د.ت) .
- كمال الفالسي : النظام السياسي الاسرائيلي : م - القاهرة
معهد البحوث والدراسات المصرية ، ١٩٦٩
- كمال النجمي : المصور "مجلة" م - القاهرة ، آذار (مارس)
١٩٧٤ (ع ٢٥٨٠) .
- ليلي خالد : شؤون فلسطينية "مجلة" م - بيروت :
مطبعة الضريب ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢
(ع ١٢) .
- ليلي علوش : بهار على الجرح المفتوح "ديوان شعر" -
القدس ، المطبعة الفنية ، ١٩٧٩ .
- : سنى القحط ياقلبي "ديوان شعر" م -
القدس : مكتبة المحاسب ، ١٩٧٢ .
- ماهر حسن فهسي : الحنين والفرقة في الشعر العربي الحديث -
القاهرة ، معهد البحوث والدراسات
المصرية ، ١٩٧٠ .

- مجلة النفير : النفير "مجلة" م - القدس ، آذار
(مارس) ١٩٦٩ (ع ٢٣) .
- محفوظة سمير : الدفاع "جريدة" م - يافا : مطابع
الدفاع ، ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٤
(ع ٢٧٣٢) .
- محمد جميل بيهم : العربي "مجلة" م - الكويت ، أيلول
(سبتمبر) ١٩٦٠ (ع ٢٢) .
- محمد خاص : الطريق البيروتية "مجلة" م - بيروت :
تموز (يوليو) ١٩٦٩ .
- محمد الصادق عفيفي : القصة المخفية الحديثة م - الدار
البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية
١٩٦١ .
- محمد علي طه ومحمد : الطريق البيروتية "مجلة" م - بيروت :
نفاع
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .
- محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة الأدبية م -
القاهرة ، معهد البحوث والدراسات
المرية ، ١٩٥٩ .
- محمد غنيمي هلال : النقد الادبي الحديث م - القاهرة
دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ .

- محمد يوسف نجم : الأدياب " مجلة " م - بيروت : مطابع

دار الند ، كانون الثاني (يناير

١٩٦٨ (ع ١) .

: فن المقالة . - بيروت : دار بيروت

للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ .

: القصة في الأدب العربي الحديث . -

ط ٣ . - بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦

- محمد تيمور : فن القصص . - القاهرة : مكتبة الأدياب

(د . ت) .

- محمود حامد شوكت : الفن القصصي في الأدب المصري

الحديث . - القاهرة ، دار الفكر

المصري ، ١٩٥٦ م .

- محمد الأخرس : البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩١٠ -

١٩٧٢ . - عمان الجمعية العلمية الملكية

١٩٧٢ .

- محمود سيف الدين : أول الشوط " مجموعة قصصية " . - يافا :

مطبعة يافا ، (د . م . ي) .

الاي رانسي

- محمود سيف الدين : ثقافتنا في خمسين عاما . - عمان :

دار الثقافة والفنون ، ١٩٧٢ م .

الاي راني وآخرين

- مجيى الدين صحى : دراسات تحليلية فى الشعر العربى
المعاصر - دمشق ، وزارة الثقافة
والارشاد القومى ، ١٩٧٢ .
- ملك عبد العزيز : الأداب " مجلة " م - بيروت : مطابع
دار الفند ، كانون الثانى (يناير)
١٩٦١ (ع ١) .
- منظمة التحرير الفلسطينية : يوميات فلسطينية (١٩٦٨ - ١٩٧٣) -
بيروت : مركز الأبحاث ، (د م ت) .
- مفير بشير وخالدا :
التعليم فى اسرائيل - بيروت : منظمة
التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث
١٩٦٩ .
- مؤسسة الدراسات :
الفلسطينية
وثائق المقاومة الفلسطينية العربية
ضد الاحتلال البريطانى والصهيونية
(١٩١٨ - ١٩٣٩) - بيروت :
مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٨ .
- مى صايخ جهجى :
الكليل الشوك " ديوان شعر " م - بيروت :
دار الطليحة ، ١٩٦٩ .
- :
فلسطين الثورة " مجلة " م - بيروت :
آب (اغسطس) ١٩٧٣ .

قوائد حبوب لاسم مطارد "ديوان
شعر" - بيروت ، دار الطليعة
٠ ١٩٧٢

- ميسون شمس : دور المرأة الفلسطينية في الثورة المسلحة -

القاهرة : الاتحاد العام للمرأة
الفلسطينية ، ١٩٧٥ (ستانسل) .

- ميشيل جبران : الأديب "مجلة" - بيروت : مطابع

الوفاء ، شباط (فبراير) ١٩٤٥ (السنة
الرابعة (ع ٢)) .

- نادية السراج : سميرة عزام في ذكراها الخامسة

"دراسة في فنها القصصى" -
القاهرة : (د من) ١٩٧٢ (ستانسل)

- ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين

والاردن - القاهرة : معهد الدراسات
والبحوث العربية ، ١٩٥٧ .

: محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة

في فلسطين - القاهرة : معهد
الدراسات العربية ، ١٩٦٢ .

: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين

والاردن - القاهرة ، معهد الدراسات
العربية ، ١٩٦٠ .

- نازك الملائكة : الآداب " مجلة قـ بيروت : مطابع دار
الغد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ،
(ع ١٢) .
- : قضايا الشعر المعاصر . - ط ٤ . -
بيروت : دار الحلم للملايين ، ١٩٧٤
- نائلة هاشم صبري : الشعب "جريدة" م - القدس ، ٦ أيار
(مايو) ١٩٧٣ ومضة في الظلام . -
مضة في الظلام . - قلقيلة ، مكتبة
الطالب ، ١٩٧٢ .
- نجوى قـوار : الأديب " مجلة " . - بيروت : مطابع
الوفاء ، الاعداد :
- جزيران (يونيو) ١٩٤٧ ، (ع ٦) .
- تموز (يوليو) ١٩٤٧ ، (ع ٧) .
- تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، (ع ١٠) .
- أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، (ع ٩) .
- : عابرو السبيل " مجموعة قصصية " . -
بيروت : دار الريحاني ، ١٩٥٤ .
- : الحرفان " مجلة " م - صيدا ، من المحرم
الى جمادى الاخرة ١٣٦٧ هـ (م ٣٤)
- نزيه قـوة : تعليم الفلسطينيين . - بيروت : منظمة
التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ١٩٧٣

- نسيم اليافقي : نادى القصة "مجلة" * - القاهرة :
نيسان (ابريل) ١٩٦٨ (ع ١) *
- نصر سرحبان : أغانيها الشعبية * - عمان : وزارة الثقافة
والاعلام الاردنية ، (د . ت) *
- همدى حنا : صوت الملاجي " رواية " * - دمشق :
مطبعة دمشق ، (د . ت) *
- هدية عبد الهادي : رجال من صخور " ديوان شعر " * -
بيروت : جمعية المسرح العربي
الفلسطيني ، ١٩٦٩ *
- : معا الى القبة " تمثيلات وشعر " * -
القدس : مطبعة المعارف ، (د . ت) *
- هيام رمزي الدردنجي : اغنيات للقمر " ديوان شعر " * -
طرابلس ليبيا ، دار مكتبة الفكر ، ١٩٧٣
- : الى اللقاء في يافا " رواية " * -
طرابلس ليبيا ، المطبعة الليبية ، ١٩٧٠
- : زهرات من ربيع الصمر " ديوان شعر " * -
طرابلس ليبيا ، مكتبة الفرجاني
١٩٦٦ *
- يوسف الشارونسي : الآداب " مجلة " * - بيروت : مطابع
دار الفهد ، أيار (مايو) ١٩٧٥ (ع ٥) *

- يوسف اليوسف : المصرفة " مجلة " * - دمشق : حزيران
(يونيو) ١٩٧٦ (ع ١٧٢) *
- يوسف هيكل : فلسطين قبل وبعد * - بيروت : دار
العلم للطالين ١٩٧١ *

- * Lagur Walter, A History of Zionism, Weiden Beld
and Nicolson - London 1972.
- * Sururi Nadira, Femal Contraction (Poems).
Royal Scientific Society- Amman,
1976.
- * Tibawi A.L. , Arab Education in Mandatory Palestine.
London 1956.

ملحق

يضم هذا الطبق معلومات شخصية عن سبع عشرة
أديبة فلسطينية (*) ، واجابات عن أسئلة محددة طرحتها استبانة
خاصة أعدت لهذه الغاية . وقد حرص الباحث أن ينقل
بدقة ما كتبه هؤلاء الأديبات في الاستبانة الأصلية .

=====

(*) رتب أسماء الأديبات حسب الحروف الهجائية .

نص الرسالة التي وجهها الباحث الى عدة من الأدبيات الفلسطينية
في أماكن إقاماتهم الحالية .

x x x

الاخت الفاضلة ...

تعبئة واحتراما وبعد ،

فقد عكفت منذ عام ١٩٧٥ على دراسة " أدب المرأة الفلسطينية
الحديث ١٩١٤ - ١٩٧٤ " وهو موضوع أطروحتي الجامعية " الدكتوراة "
ورأيت أن الحق بالاطروحة ثبثا يضم ترجمات مفصلة لعدد من الأدبيات
الفلسطينيات ، بعد أن تبين لي أن ما كتب حتى الان عن سيرهم
غير كاف .

ستكون مساعدتك في تعبئة (الاستهانة) المرفقة ولعمادتها بالسرعة

الممكنة عاملا في انجاح خطتي الدراسية .

ولك من قبيل ومن بعد وأقرب تقديري واحترامى .

الطالب

التاريخ :

كمال مصطفى الشيخ احمد الفحماوى

ص . ب ٤٨٤

عمسان - الاردن

استبانة شخصية

===

- الاسم : حنان ميخائيل عشراوي
- مكان الولادة : رام الله *
- تاريخ الولادة : ١٩٤٦/١٠/٨
- الجنسية : اردنية - فلسطينية *
- مكان الإقامة الحالي : رام الله *
- الديانة : (مسيحية بالولادة) *
- الحالة الاجتماعية : متزوجة
عدد الاخوة -
عدد الاخوات ٤
- المحصل الحالي : -
- الاعمال التي سبق ممارستها : التدريس في المعاهد والجامعات ، الترجمة *
- الدراسة الابتدائية : مدرسة الفرندز - رام الله (٤) (٤)
- الدراسة الثانوية : مدرسة الفرندز - رام الله ١٩٦٠ ١٩٦٤
- الدراسة الجامعية : الجامعة الاميركية بيروت ١٩٦٤ ١٩٧٠
- دراسات أخرى : جامعة فرجينيا - أمريكا ١٩٧٠ ١٩٧٣
- النشاط الادبي : ترجمة : Proofreading & Editing.
- كتابة الشعر وبعض البحوث النقدية *
- النشاط الاجتماعي : -
- نشاط آخر : -
- الهواية المفضلة : القراءة والكتابة *
- اللغة الام : اللغة العربية *
- اللغات الأخرى : اللغة الانجليزية واللاتينية ، والاغريقية Anglo-Saxon

بواكير الانتاج الادبي : بحث ١٩٦٩ Editorial Assistant
المطبوعات : Green March- Black September.-
Woman Poets of the Third world-
Contemporary Palestinian.
Literature under occupation.

- اشعار متفرقة في المجالات .

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : لا يمكن الاجابة عليه (٢)

القراءات المفضلة : النقد ، الادب الفلسطيني والعالمى .

أحب الاشكال الأدبية لديك : الشعر والنقد والرواية .

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

غير متطور ، يمس وضع المرأة الاجتماعي واضطهادها

وقمعها ، لا يملك الهمد الفكري والثقافي ، محدود

الافق ، قليل نوعا وكما ، مازال في بداية الطريق

يتمثرو ، لم يجد القلب الفكري والفني المناسب

عدا محاولات قليلة جدا ، لا يملك الجراءة على

المرأة والمواجهة .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الأدب العربي والانسانى :

الى الان متدنى جدا ، على الصعيد العربي

يوجد ممارسات قليلة أما على الصعيد الانسانى

فيمكن القول أنه يكاد يكون مختفيا كليا .

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاريتها الشعرية :

- خوفها من قيود الشعر القديم وعدم معرفتها بأصوله
- امكانية حرية التعبير *
- الذاتية التي يمكن التعبير عنها بصراحة في الشعر الحر (؟)
- الانطباع السائد أن الشعر الحديث ليس له قوانين
- التيار الأدبي السائد والاقبال على الشعر الحر *

أية ملاحظات أخرى :

- غياب النقد الواعي الصريح من أهم أسباب ضعف الشعر والحركة الأدبية عامة ، كذلك عدم وجود الجو الفكري والثقافي الزخم الذي يتيح للأديب والأديبة حرية الحركة وامكانية التطور *
- وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أدى الى فقرها الادبي *

حنان عشا — راوى

١٩٧٩/١/٧

استبانة شخصية

=====

- الاسم : دعد عبد الحى احمد الكيالى
- مكان الولادة : يافا .
- تاريخ الولادة : ١٩٣٢/١٢/٢٩ .
- الجنسية : كويتية - فلسطينية .
- مكان الافاقه الحالى : الكويت .
- الديانة : الاسلام .
- الحالة الاجتماعية : متزوجة : عدد الاخوة ٢
عدد الاخوات ٢
- المعمل الحالى : مدرسة .
- الاعمال التى سبق ممارستها : مهنة التدريس .
- الدراسة الابتدائية : مدرسة الرملة الابتدائية ١٩٣٩ - ١٩٤٥
- الدراسة الاعدادية : القاهرة - ؟ - ١٩٥٨
- الدراسة الجامعية : القاهرة - ١٩٥٩ - ١٩٦٣
- دراسات اخرى : —
- النشاط الأدبى : شعر ، بحوث
- النشاط الاجتماعى : عضو اتحاد كتاب فلسطين .
- المشاركة فى عدد من المؤتمرات والمهرجانات
- الأدبية .
- نشاط آخر : الاعداد لرسالة الماجستير بالجامعة الامريكية فى القاهرة
- اللغة الام : اللغة العربية .

اللغات الأخرى : اللغة الإنجليزية ، واللاتينية ، والفرنسية .

بواكير الانتاج الأدبي : - شعر واحاديث ١٩٤٦ - ١٩٥٨

- مقالات أدبية نشرت في مجلات عربية مختلفة

المطبوعات : سكتة الإيمان . (٢)

ولم تطرأ يا غموم في ديوان شعر .

الشخص للتي كان لها تأخر في تشكيلك الفني :

لا يوجد شخص معين ، ولكني كنت وما أزال

قارئة نهمة للأدب الرائق الجاد ، والكتب

العلمية باللغتين العربية والانجليزية .

القراءات المفضلة : الكتب السياسية والعلمية والأدبية الراقية .

أحب الأشكال الأدبية لديك : الشعر الجيد ، والقصة ، والرواية .

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

الواقع أن أدب المرأة الفلسطينية أثبت وجوده

وبخاصة إذا قورن بالأدب النسوي العربي

فقد برزت عندنا شعرات مهدعات ، أثبتن وجودهن

وقاصات لا يستهان بهن ، رغم أن عدد الشعب

الفلسطيني ليس كبيراً .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الأدب العربي والانسانى

لم تجد المرأة الفلسطينية الرعاية الكافية في

المنافى وانشغلت الى حد ما بلقعة المعيش

ولم تجد الأدبية الفلسطينية التشجيع او الوقت

الكافيين ، يحفظانها نحو مزيد من الإبداع

والمطباء .

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاربها الشعرية :

لعمدت الشعرة الفلسطينية هذا اللون من الشعر لانها جزء من هذه الامة وهذا المصير . والشعر الحديث تطور طبيعي للشعر الكلاسيكي الذي كانت فيه القافية ضرورة حتمية بسبب انتشاره عن طريق السماع بالدرجة الاولى ، ولذلك احتاج الى هذه الموسيقى والى القافية التي تساعد على حفظه وتذكره اما في عصر الكتب فان الشعر يقرأ ومن هنا اصبح اكثر التصاقا بالفن الحقيقي والفكر الرفيع (؟) ومن هنا اصبح هامسا وتخلو عن خطابيته ، ونزل الى مآساتنا الفلسطينية يحبر عنها بحرية وانطلاق ، بمد أن هزمتنا الكوارث ، وقد حدث هذا التطور في معظم تاريخ الشعر العالمي ، ففي الشعر الانجليزي هناك من دافع عن القافية والشعر التقليدي ، وهناك من هاجمها بقسوة ، وانا اعترف بالثغر الفني ولا اعترف بالشعر المنثور ، والشعر الحديث الذي حرر الشاعر من القافية واعتمد التفعيلية الشعرية الواحدة في القصيدة الواحدة وحرية تكرارها حسب مايتطلب المعنى لا حسب ما تريد القافية التي كانت أحيانا

تستمد الشاعر ، الشعر الحديث هذا هو شعر
موسيقى متكامل ، ولا يمكن ان يسمى الشعر شعرا
بدون هذه الموسيقى التي تميزه ، وتأتي فيسه
القافية الحرة في خدمة اهداف القصيدة وفنيتها .

أية ملاحظات أخرى : —

دعمه كياي

١٩٧٧/١٢/٢٦

استبانة شخصية

====

- الاسم : رجوة خالد عبد الفنى عساف
مكان الولادة : جنين
تاريخ الولادة : ١٩٤٨/٩/٣ *
الجنسية : اردنية - فلسطينية
مكان الإقامة الحالية : الكويت
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : عزباء
المصطلح الحالي : مدرسة
الاعمال التي سبق ممارستها : مدرسة
الدراسة الابتدائية : جنين ١٩٥٥ - ١٩٦١
الدراسة الثانوية : جنين ١٩٦١ - ١٩٦٥
الدراسة الجامعية : الجامعة الاردنية بحمان ١٩٦٦ - ١٩٧٠
دراسات اخرى :
النشاط الادبي :
النشاط الاجتماعي : جمعيات خيرية وثقافية
نشاط آخر :
الهواية المفضلة : المطالمة
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية
بواكير الانتاج الادبي : ديوان شعر ١٩٦٩

المطبوعات : الخبز في بلدي - ديوان شعر ١٩٦٩
الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : —
القراءات المفضلة : الادب الانجليزي ، الشعر المباسي ، الادب

• الحديث

أحب الاشكال الادبية لديك : المسرحية ، الشعر الحديث
رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :
لازان في بداية الطريق ، ولكن هناك اشارات واعسدة
على الطريق •

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :
لم تضطلع بدورها الحقيقي بحدده وهي في هذا المجال
ينسحب عليها الحكم القائل بتقصير المرأة العربية عموما
في المجالات الادبية والانسانية •

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر
الحديث في تجاربها الشعرية :

لم تمتد المرأة الفلسطينية الشعر الحديث لانها فلسطينية
بل لان اعتماد الشعر الحديث أصبح اتجاها عاما لسدى
شعرا* العربية الذين يرون فيه مجالا أكثر رحابة للتعبير
عن الافكار المتنوعة واقران مصطلحات حضارية معينة قد
تقيدها اعتبارات الشعر الكلاسيكي •

أية ملاحظات اخرى : —

استبانة شخصية

=====

- الاسم : زليخة اسحق الشهابي
مكان الولادة : القدس
تاريخ الولادة : ١٩٠٣
الجنسية : اردنية - فلسطينية
مكان الإقامة الحالي : القدس
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : عزباء
عدد الاخوة - عدد الاخوات
الحصل الحالي : رئيسة الاتحاد النسائي العربي بالقدس
الاعمال التي سبق ممارستها : عضو اللجنة التنفيذية النسائية الفلسطينية
منذ عام ١٩٦٩ وأمينه سرها سابقا .
الدراسة الابتدائية : القدس ؟
الدراسة الثانوية : مدرسة راهبات السلزيان ، وراهبات صهيون
الفرنسية / القدس ؟
الدراسة الجامعية :
دراسات اخرى :
النشاط الادبي : مقالات عن نهضة المرأة الفلسطينية منذ نهائية
الحكم العثماني حتى عام ١٩٦٧ .
النشاط الاجتماعي : المشاركة في المؤتمرات النسوية منذ عام ١٩٦٩
التي عقدت في القدس ، ودمشق وبغداد وبيروت
والقاهرة ، وعمان .

- المشاركة في البحث الاجتماعى الذى عقد في لندن عام

١٩٦٢ (٢)

- المشاركة في المؤتمر النسوى المالى الذى عقد فى

موسكو عام ١٩٦٧ .

نشاط آخر : المطالعة

اللغة الام : اللغة العربية

اللغات الاخرى : قليل من اللغتين الانجليزية والفرنسية

بواكير الانتاج الادبى : مقالات اجتماعية

المطبوعات : —

الشخص الذى كان لها تأثير فى تشكيلك الفنى : والدى واخوتى .

القراءات المفضلة : كتب التاريخ والسياسة والصحف اليومية

أحب الاشكال الادبية لديك : الشعر الوطنى ، وأدب المرأة الذى

يصور المأسى التى تعرض لشمينا الفلسطينى

ولعتر بشعر فدوى طوقان .

رأيك فى أدب المرأة الفلسطينية :

لاشك أن المرأة الفلسطينية تضطلع بدور فعال ، وتشترك

الرجل فى تجربته الادبية ، وقد أخذ هذا الادب يتجة

الى الطابع الانسانى فى تفاعله مع الاحداث التى يعانى

منها العالم بأسره .

رأيك فى مدى مشاركة المرأة الفلسطينية فى مجال الادب العربى والانسانى :

المرأة الفلسطينية الادبية تعكس كل المعاناة التى يعيشها

الانسان العربى كما اصبحت تمكس مشكلات المرأة الاجتماعية

من خلال أعمالها الادبية .

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاريتها الشعرية :

الشعرة الفلسطينية تؤمن بالتجديد مثلها مثل جميع الشعراء.

آية ملاحظات أخرى :

أرجو ان يتمسك شعراؤنا وشاعراتنا بالشعر القديم لان له

مكانة قيمة في حياتنا كما أرجو لادبائنا وادبياتنا مزيد

التقدم والازدهار .

زليخة الشهابي

١٩٧٧/١٠/٢٥

استبانة شخصية

====

- الاسم : زينب عهد السلام حبش
- مكان الولادة : بيت دجن - يثا
- تاريخ الولادة : ١٩٤١/٤/١٥
- الجنسية : أردنية - فلسطينية
- مكان الإقامة الحالي : رام الله
- الديانة : الاسلام
- الحالة الاجتماعية : عزباء (استشهد منهم اثنان) عدد الاخوة ٥ عدد الاخوات ٣
- الحاصل الحالي : شرفة تربية لمادة اللغة الانجليزية في مدارس وكالة غوث اللاجئين بمنطقة القدس .
- الاعمال التي سبق ممارستها : مدرسة ، مديرة مدرسة .
- الدراسة الابتدائية : نابلس ١٩٤٨ - ١٩٥٤
- الدراسة الثانوية : نابلس ١٩٥٥ - ١٩٦١
- الدراسة للجامعة : جامعة دمشق ١٩٦١ - ١٩٦٥
- دراسات اخرى : جامعة بيرزيت - لهداك لدرجة الماجستير .
- النشاط الادبي : أمسيات شعرية
- النشاط الاجتماعي : —
- نشاط آخر : —
- الهواية المفضلة : المطالعة والموسيقى .
- اللغة الام : اللغة العربية
- اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية .

بواكير الانتاج الادبي : خواطر شمريسة ١٩٥٧

المطبوعات : ديوان شعر (تحت الطهارة)

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني :

ابن واصل واخوتي فالجميع يتذوقون الشعر ومعظمهم يكتبونه
كما انني ، ولا ازال اناكر بكل ما اقرأه لجميع الكتاب
والادباء والفلاسفة العرب والاجانب .

القراءات المفضلة : الشعر والفلسفة وعلم النفس .

أحب الاشكال الادبية لديك : الشعر

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

لم اقرأ كل ما انتجته الادبيات الفلسطينيات ولذا يصعب
على ان اكون رأيا واضحا ، ولكن لدي انطباع نتيجة ما قرأته
من الروايات والدواوين الشعرية بأن ادب المرأة الفلسطينية
مثل الدولة الفلسطينية نفسها فهو موجود وغير موجود * (١)
وعلى المرأة الفلسطينية ان تحمل الكثير لتثبت ان هناك
ما يمكن تسميته بأدب المرأة الفلسطينية .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :

المشاركة ضعيفة ، فهي لم تخرج بعد عن اطار الواقع
الفلسطيني فلو قرأت أية رواية او قصة قصيرة أو قصيدة ، فإن
هنا فلسطين تتدفع منها لتغرق وجهك وتتراب فلسطين
واظهار فلسطين وكل ما هو فلسطيني يهب فيلح وجهك
ويحفرك لا اسمي هذا تقريبا ، انه التزام والظرف الحالي
هو الذي يفرضه ، بالإضافة الى قلة الانتاج وقلة عدد المنتجات .

رأيك في الاسباب التي دفعت للشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاربها الشعرية :

- الشعر الحديث ظاهرة جديدة والشعرة الفلسطينية -
ابتداءً من فدوى وحتى احدث شعرة - قد واكبت هذه
الظاهرة ، ولذا ليس غريباً ان تعتمد على اسلوب الشعر
الحديث كأداة للتعبير ، ولو ان هناك رأياً قاطعاً بأن الشعر
لا يتقن التعبير بالشعر الحديث الا بعد ان يمر بمرحلة
اتقان الشعر الموزون والمقفى .

- ثبت ان اعتماد الشعر الحر في التعبير عن التجارب الشعرية
اكثر سلاسة وسهولة ، وهو بعيد عن التعميد والتكلف ،
وينتقى الكلمة الملائمة التي تخدم الصورة أو المعنى .

أية ملاحظات أخرى : معظم ما كتب (كأدب للمرأة الفلسطينية)
هو أدب فطري أعنى ان الكاتبة أو الشعرة
تملك موهبة فطرية وهذا النوع من الابداع
لا يصطبى صورة عميقة للأدب كما ان كل
كاتبة أو شعرة بحاجة الى مزيد في الصقل
والدراسة الجادة لتخرج بأدبها من بوتقة
الهوية والذاتية الى مرجع المحل المبدع الخلاق ،
عندئذ يرتفع ادبها الى مستوى الادب الغربي
ومن ثم الى مستوى الادب الانساني أو العالمي .

زينب حبش

استبانة شخصية

====

- الاسم : سحر عدنان خليفة
مكان الولادة : نابلس
تاريخ الولادة : ١٩٤١
الجنسية : اردنية - فلسطينية
مكان الإقامة الحالي : نابلس
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : طليقة (١٤) عدد الاخوة ١ عدد الاخوات ٥
الحاصل الحالي : موظفة في جامعة بيرزيت
الاعمال التي سبق ممارستها : مديرة أرخصانة ، مترجمة ، سكرتيرة سفارة
الدراسة الابتدائية : نابلس - مدرسة الخضراء ١٩٤٧ - ١٩٥٣
الدراسة الثانوية : عمان - كلية راهبات الوردية ١٩٥٣ - ١٩٥٦
الدراسة الجامعية : جامعة بيرزيت ١٩٧٢ - ١٩٧٦
دراسات اخرى : —
النشاط الادبي : مقالات ، رواية
النشاط الاجتماعي : —
نشاط آخر : —
الهواية المفضلة : الرسم ، الموسيقى ، القراءة
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية
بواكير الانتاج الادبي : رواية لم نعد جوارى لكم

المحاصوة ميالة للتنفيس عن ذاتها من خلال
شكل أدبي يتمتع بمزايا تساعدها على التعبير
بطريقة أسهل وأكثر من غيرها ، فكان هذا
الشعر

أية ملاحظات أخرى : —

سحر خفيفة

استبانة شخصية

====

- الاسم : سلس الخضرا الجبوسى
- مكان الولادة : (٢)
- تاريخ الولادة : (٢)
- الجنسية : اردنية - فلسطينية .
- مكان الإقامة الحالى : ولاية تكساس - أمريكا
- الديانة : الاسلام
- الحالة الاجتماعية : (٢) عدد الاخوة ١ عدد الاخوات ٤
- المحل العلمى : استاذة فى جامعة تكساس
- الاعمال التى سبق ممارستها : استاذة جامعية
- الدراسة الابتدائية : القدس وكا (٢) ١٩٣٩
- الدراسة الثانوية : القدس ١٩٣٩ - ١٩٤٣
- الدراسة الجامعية : بيروت ١٩٤٣ - ١٩٤٦
- دراسات اخرى : لندن دكتوراه ١٩٦٥ - ١٩٧٠
- النشاط الادبى : كتابة الشعر والمقالات والبحوث .
- النشاط الاجتماعى : —
- نشاط آخر : —
- الهواية المفضلة : السفر والتصوير الفوتوغرافى وبالطبع القراء .

	اللغة العربية	:	اللغة الام
	اللغة الانجليزية	:	اللغات الاخرى
حديث	الالمانية	°°	
وقراء	الايطالية	°°	
فقط	الاسبانية	°°	

بواكير الانتاج الادبي : (؟)

المطبوعات : - المودة من النبع الحالم ديوان شعر
- من الشعر العربي الحديث (بالانجليزية)
١٩٢٧ .

- ترجمة عدد كبير من الكتب (دراسات
نقدية ، شعر ، روايات) الى اللغة
العربية نحو :

جوستين ، بالتاز ، انجازات الشعر
الامريكي ، انسانية الانسان ، الشعر
والتجوية ، وغيرها .

- دراسات وبحوث كثيرة ومتنوعة نشرت
في صحف العالم العربي ومجلاته .

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : لا أحد بشكل خاص
القراءات المفضلة : الادب ، النقد ، والاجتماع ، والسياسة
والفلسفة .

أحب الأشكال الأدبية لديك : لا تفضل كل شيء ذو مستوى أدبي

رفيع .

ما رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

لا أعرف أدبيات فلسطينيات كثيرات يصح الحديث عنهن بقوة
أحب فدوى طوقان كاتمان . . . لقد أدت خدمة مهنة جدا
الى الأدب العربي والأدب النسوي بشكل خاص، وقدرت
للشاعرة من صايغ، أنها طيبة الروح ولكنها مشغولة بأمور
غير الفن، وسيرة عزام قاصة أنيقة مرتبة وشائقة تدور قصصها
على التجربة اليومية عادة، وأتتبا لسحر خليفة بمستقبل أدبي
بكل معنى الكلمة، وحنان خليل عشراوي مثقفة تملك رأيها
وتعرف ماذا تتحدث .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الأدب العربي والانسان؟

لا يشارك أي أدب في مجال الأدب الحالي الا اذا ترجم
بكثرة وقدم الى العالم، والمحاولات في هذا المجال كانت
قليلة ومجزوءة ولم تكن الا نادرا على مستوى رائق، ولهذا
فمن الصعب الحديث عن مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال
الأدب الحالي، أما في مجال الأدب العربي فسوف أكتب
لك عن رأي في صفحة مستقلة .

رأيك في الأسباب التي دفعت الشاعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث في تجاربها الشعرية :

الشعر الحديث هو شعر المرحلة - ولا أدري أن للشاعر
او الشاعرة (انا لا احب التفرقة القائم على جنس الشاعر)

أى خيار ، الشعراء جميعهم ينقسمون فى كل العالم العربى الى شعراء تقليديين وشعراء حداثيين ، لا أظن أن ثمة سبب "نسائى" خاص دفع المرأة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث أو سبب "سياسى" خاص .

(١)

أية ملاحظات أخرى :

... وضع الشعر والنقد فى العالم العربى أصبح محزنا لقد كثر الكتاب الى درجة الازدحام ، وقل الدارسون والموضوعيون وانقسم الناس الى فئات أدبية وعصب .. النقد يجب أن يصد عن الدارس الجرىء الذى لا يلقى بالا للاعتبارات الخارجة عن الادب .

لقد زرت العالم العربى فى الشتاء الماضى ، وحضرت (السويد) العراق فى شباط (فبراير) وفجعت بما سمعت من شعر فيه ، كيف هبط الشعر والوزن الشعرى الى هذه الدرجة؟ وما هذا الكلام الذى كانوا يقولونه ؟ صور مجزأة ، مختلطة بنفى بعضها بعضا واحتدام مستمر فى الشعر وصراخ وتهويل أين ذهب النقد ؟ وكيف غفلوا عن ارشاد الشعراء الشبان الى حقائق الفن الشعرى ؟ فى جز كهذا أنفراًنا نفسى من نشر شعرى ، وفى العدة الاخيرة كتبت شعرا شخصيا كبيرا لا استطيع نشره الان ...

سلى الخضرا الجيوسى

١٩٢٨/١٢/٢٠

(١) من رسالة مطولة أرفقتها الشاعرة مع الاستبانة .

استبانة شخصية

====

- الاسم : سلمى اللحام (٢)
- مكان الولادة : حيفا
- تاريخ الولادة : ١٩٤٢
- الجنسية : فلسطينية
- مكان الإقامة الحالي : دمشق - سوريا
- الديانة : الاسلام
- الحالة الاجتماعية : متزوجة
عدد الاخوة ٣ عدد الاخوات ٣
- المهنة الحالية : رئيسة قسم الشؤون الاجتماعية في جيش التحرير الفلسطيني
- الاعمال التي سبق ممارستها : الكتابة في الصحف والمجلات اليومية
- الدراسة الابتدائية : دمشق ؟ ؟
- الدراسة الثانوية : دمشق ؟ ؟ (٢) ١٩٦٦
- الدراسة الجامعية : —
- دراسات اخرى : —
- النشاط الادبي : كتابة القصص القصيرة
- النشاط الاجتماعي : —
- نشاط آخر : —
- الهواية المفضلة : المطالمة
- اللغة الام : اللغة العربية
- اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية

بواكير الانتاج الادبى : مقالات سياسية فى جريدة الجندى وقصص

قصيرة .

المطبوعات : أعواد الثقاب - مجموعة قصصية

الشخص الذى كان لها تأثير فى تشكيلك الفنى :

- والذى فقد كان شعرا زجليا

- أخى ثم زوجى فقد كان صاحب مجلة (؟)

المقراة المفضلة : الاخبار السياسية

أحب الاشكال الأدبية لديك : القصة

رأيك فى أدب المرأة الفلسطينية :

ضعيف (؟) وعدد الأدبيات ضئيل (؟)

رأيك فى مدى مشاركة المرأة الفلسطينية فى مجال الادب العربى

والانسانى :

انها مقصورة جدا فى هذا المجال ، وقد يرجع ذلك لاسباب

اقتصادية ثم لاسباب سياسية واجتماعية .

رأيك فى الاسباب التى دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث فى تجارها الشعرية :

اسلوب الشعر الحديث وسهولته ، فن خلاله تستطيع ان

تترجم ما تشعر به بصورة أصدق وتمييز أدق دون أن تقيد

بما يحتمه الاسلوب الكلاسيكى .

أية ملاحظات اخرى : —

سلمى اللحام

١٩٧٨/٨/١

استبانة شخصية

====

- الاسم : فدوى عبد الفتاح طوقان
مكان الولادة : نابلس
تاريخ الولادة : ١٩١٧
الجنسية : اردنية - فلسطينية
مكان الإقامة الحالي : نابلس
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : عزباء
عدد الاخوة (٥) (الاحياء ثلاثة)
عدد الاخوات (٤) (الاحياء ثلاث)
المحل الحالي : أمينة سر مجلس امنا جامعة النجاح الوطنية
بنابلس .
الاعمال التي سبق ممارستها : —
الدراسة الابتدائية : الفاطمية والمائشية ومدرسة راهبات ماريوسف
بنابلس .
الدراسة الثانوية : —
الدراسة الجامعية : —
دراسات اخرى : دورات في اللغة الانجليزية وآدابها في اكسفورد
لندن .
النشاط الادبي : دواوين شعره وكتاب نشر بعنوان رحلة صحبة
(وهو سيرة حياتي)
النشاط الاجتماعي : —
نشاط آخر : —

- المهواية المفضلة : الموسيقى
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية وقليل من اللغة الفرنسية
هواكبر الانتاج الادبى : كتيب " أخى ابراهيم " ١٩٤٦
المطبوعات : - أخى ابراهيم - نشر
- وحدى مع الايام ديوان شعر
- وجدتها ديوان شعر
- أعطنا حبا ديوان شعر
- أمام الباب المغلق ديوان شعر
- الليل والفرسان ديوان شعر
- على قمة الدنيا وحيدا ديوان شعر
- رحلة صعبة تحت الطباعة

ولا يمكننى احصاء المجلات والصحف التى نشرت فيها خردس حياتى

الادبية ولكنهما تكاد تشمل صحافة العالم العربى كله .

الشخص الذى كان لها تأثير فى تشكيلك الفنى : أخى ابراهيم طوقان

القراءات المفضلة : —

أحب الاشكال الأدبية لديك : —

رأيك فى أدب المرأة الفلسطينية : —

رأيك فى مدى مشاركة المرأة الفلسطينية فى مجال الادب العربى

والانسانى : —

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشمير

الحديث في تجاريتها الشمرية : —

أية ملاحظات أخرى : —

فدوى طوقان

١٩٢٨/١/٢٠

استبانة شخصية

====

- الاسم : كلثوم مالك عرباسي
مكان الولادة : جسر المجامع
تاريخ الولادة : ١٩٣٦
الجنسية : لبنانية - فلسطينية
مكان الإقامة الحالي : بيروت - لبنان
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : متزوجة
عدد الاخوة ٣
عدد الاخوات -
المصطلح الحالي : موظفة في قسم الريبورتاج في الانذاعة اللبنانية
الاعمال التي سبق ممارستها : مديحة وعاملة ريبورتاج في اذاعة لندن
الدراسة الابتدائية : حيفا ؟
الدراسة الثانوية : حيفا ؟
الدراسة الجامعية : لبنان ؟
دراسات اخرى : دراسات في علم الجمال (؟)
النشاط الادبي : كتابة الشعر
النشاط الاجتماعي : -
نشاط آخر : -
الهواية المفضلة : المطالمة
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية

- بواكير الانتاج الادبى : ديوان شعر " مشودة " ١٩٦٣
المطبوعات : مشودة ديوان شعر ١٩٦٣
اجراس الصمت ديوان شعر ١٩٦٥
النابالم جعل قمح القدس مرا ديوان شعر ١٩٦٥
الضوء والتراب ديوان شعر ١٩٧٧

الشخص الذى كان لها تأثير فى تشكيلك الفنى : الفنان فلفل يوترويوثريه.

القراءات المفضلة : الفلسفة والمسرح

أحب الاشكال الادبية لديك: المسرح والشعر، النقد، القصة

رأيك فى أدب المرأة الفلسطينية : تعبير عن رؤية خاصة بها للواقع

الذى تصانبه من خلال نظرتها

الفنية لهذا الواقع الذى عانت

وصنعت فنا تبحث فيه عن أرض

وعن وطن وعن حلم موعود (!)

رأيك فى مدى مشاركة المرأة الفلسطينية فى مجال الادب العربى

والانسانى : مشاركة مباشرة فى بحث صوت جديد فى أصوات الحرية

والتمرد الطبيعى والوقوف وقفة سطرة وانتهاك الظلمة بالظلمة

حيث لادب المرأة جميعه فى كافة البلدان العربية نبوة -

المناجلة والحسية والكون العشوائى (١٤)

رأيك فى الاسباب التى دفعت الشاعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث فى تجاربها :

مثلها مثل باقى زملائها الشعراء ، حيث حاجة الانسان

المعاصر دفعت للتمبير شعرا انشق ، حاجات الجملة
والتطور التقنى وتخطى الفردية الواقعة فى الخية والسيف
والفرس ، ويتطور حاجات العصر تطور الشعر واصبح التمبر
عن نظوة واقمية لتفسير الواقع وأبعاده فى مجال مايمكن
أن يجبر عنه ، نتيجة الملاقات المعقدة للوجدان والضمير
واللغة ، انها بالضرورة اسباب اجتماعية كالاسباب ذاتها
التي دعت بزميلها الشعر الى النظر باتجاه الفن اتجاها
لغويا حيث الصورة الحسية هى الاصل فى اعتبار الشعر
شعرا معاصرا حديثا وكل تجارب الشعر نابغة من تجارب
نظوة الشعر الى الواقع (١١) ؟

ملاحظة : انى أنطلق هنا فى منظور مثالى واقمى ضمن

تاريخ محدد (١) ؟

أية ملاحظات أخرى : شكرى لك على استلتك القاسية (٢٢)

كشوم مالك عرابى

١٩٢٧/١١/١٧

استبانة شخصية

====

- الاسم : للى كامل كزنيك سركسيان
مكان الولادة : طولكرم
تاريخ الولادة : ١٩٣٩
الجنسية : اردنية - فلسطينية
مكان الاقامة الحالي : رام الله
الديانة : المسيحية
الحالة الاجتماعية : عزباء
عدد الاخوة ٣ عدد الاخوات ٤
المحل الحالي : مدرسة
الاعمال التي سبق ممارستها : —
الدراسة الابتدائية : طولكرم ١٩٤٤ - ١٩٥١
الدراسة الثانوية : رام الله ١٩٥١ - ١٩٥٤
الدراسة الجامعية : —
دراسات أخرى : —
النشاط الادبي : عضو هيئة تحرير مجلة البيادر التي تصدر
في القدس *
اقامة اسميات شعرية *
النشاط الاجتماعي : —
نشاط آخر : —
الهواية المفضلة : المطالمة - الموسيقى
اللغة الام : اللغة العربية

- اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية
بواكير الانتاج الادبي : الشعر وكان ذلك في مطلع الستينات
المطبوعات : - على اجنحة القمر ديوان شعر ١٩٧٣
- قطرات شوق فوق رصيف العبور
(تحت الطبعة)

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني :
كان لـجبران خليل جبران اثر على
بداية حياتي الادبية .

- القراءات المفضلة : الشعر والفلسفة
أحب الاشكال الادبية لديك : الشعر
رأيك في ادب المرأة الفلسطينية : مازال في المهد
رأيك في مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :
مشاركة المرأة الفلسطينية في الادب
محدودة جدا حتى الان .

رأيك في الاسباب التي دفعت الشاعر الفلسطينية الى اعتماد الشعر
الحديث في تجاربها الشعرية :

- لان الشعر اقرب الفنون الادبية الى نفوس
الجمهير .

- لان كل الاشياء تطورت وتغيرت مع مرور
الزمن وحسب متطلبات العصر ، وهكذا الشعر

فما كان قديما يتناسب مع العصر
القديم هـ واما العصر الحديث فيحتاج
ولاشك الى شجر حديث () برغم
ان الشجر القديم هو الدعامة لكل
جديد .

أية ملاحظات أخرى : —

للى كزنيك

١٩٧٧/٩/١

استبانة شخصية

=====

- الاسم : ليلي عبد الرحمن علوش
- مكان الولادة : عمان
- تاريخ الميلاد : ١٩٤٨/٢/٨
- الجنسية : اردنية - فلسطينية
- مكان الاقامة الحالي : القدس
- الديانة : الاسلام
- الحالة الاجتماعية : مطلقة
عدد الاخوة ١ عدد الاخوات ٦
- الدميل الحالي : مدرسة
- الاعمال التي سبق ممارستها : التدريس ، الصحافة ، أمانة مكتبة
- الدراسة الابتدائية : عمان ١٩٥٤ - ١٩٦٠
- الدراسة الثانوية : القدس ١٩٦١ - ١٩٦٦
- الدراسة الجامعية : بيروت الحربية ١٩٦٦ - (؟)
- دراسات أخرى : —
- النشاط الاهلي : ندوات شعرية ، محاضرات
- النشاط الاجتماعي : —
- نشاط آخر : اقامة محاضرات في القدس ، رام الله
- الهوايات المفضلة : اريحا ، حيفا ، غزة ، بيروت •
القراءة ، الرياضة بمختلف أنواعها ، العناية
بالازهار ، الرحلات •
- اللغة الام : اللغة العربية

اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية
بواكير الانتاج الادبي : بهار على الجرح المفتوح (ديوان

شعر) - ١٩٧١

المطبوعات : - بهار على الجرح المفتوح ١٩٧١

- سنى القحط ياقلبي ١٩٧٢

- أول الموال آه ١٩٧٤

- الصوت والحشق ١٩٧٧

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : لا أحد

القراءات المفضلة : الشعر الفلمنكي ، التاريخ ، الفن

أحب الاشكال الادبية لديك : لا فرق

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية : الادب حضوره أي وصول السوي

الجماهير المريضة الواسعة من الناس ، وتغلغل هذه الجماهير

معه ، فهل حقق أدب المرأة الفلسطينية لدينا حضورا جماهيريا؟

استطيع القول بأن ادب المرأة لم يتجاوز بمدى بعض

المالونات وصفحات بعض المجالات وقد لا يكون هذا مقصودا

من الناحية الادبية ذاتها عند التحليل النهائي للمعالم

اما نوعية الادب الذي تكتبه الادبية الفلسطينية فأنى لا انكر

ان هذا الادب جيد من حيث أبنيتها الجمالية كـثـور

جماهيري يعبر عن الاماني المريضة للناس بشكل عام

من حيث مضامينه ، وانساني لارتباطه بخط التقدم الانساني .

ويشارك ادب المرأة الفلسطينية حاليا بشكل غير عادي في

معرفة الشعب الفلسطيني ، وعندما أقول غير عادي فأنى

لغنى انه قد تجاوز الحدود الاجتماعية للعلاقات المفروضة
وخج عنها نتيجة عوامل اخرى ثورية حتمتها العلاقات
الجديدة ، هذه العلاقات التي لاشك في ان دور المرأة
بشكل عام سيكون فيها أكثر فاعلية. وتقدما .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :

ان وجود عدد قليل من النساء العربيات الكاتبات في كل
قطر عربي يحد على اصابع اليد الواحدة ، يخطينا الجواب،
وهو أن المرأة لظروف وعلاقات اجتماعية لم تشارك كثيرا في
الاداب والفنون . اما المرأة الفلسطينية فهي برغم انها لم
تختلف باية حال من الاحوال عن المرأة في العالم العربي
من حيث العلاقات الاجتماعية في السابق ، الا أن مرحلة
العمل الثوري بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ وضمت المرأة
الفلسطينية في مواجهة حقائق وعلاقات جديدة استطاعت
ان تعبّر بعض الشيء عن واقع المرأة . وقد استطاعت
المرأة الفلسطينية أن تثبت قدرتها على استيعاب الواقع
الجديد والتفاعل معه وابداع اشكال ادبية وفنية للتعبير
عن الواقع الجديد . ولكن برغم هذا التعبير الفني فإن
تحولا كفيلا لم يطرأ يحد على واقع المرأة الفلسطينية
الاجتمعي والادبي .

اما مسألة مشاركة المرأة الفلسطينية في الادب الانساني
فانني اتقول ان أي أدب مهما كان هو أدب انساني ، وأدب
المرأة الفلسطينية والمهمية من ثم هو ادب انساني بطبيعية

الحال . اما اذا كان المقصود بالسؤال هو الانتشار المالي
للادب فهي مسألة اخرى لاتحددها قضية نوعية الادب ومدى
الابداع ، ولكن يحددها ارتباط مؤسسات النشر المالية
بسياسات الاجبرالية والراسمالية وتقلص الحكومات والمؤسسات
المصرية عن الترجمة وايصال ادبنا بشكل عام الى القراء
من غير المنطلقين بالمصرية .

رايك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر
للحديث في تجاربها الشعرية :

- ضرورة اللجوء الى الرمز نتيجة الظروف المعاشية في الارض

المحتلة من سياسية واجتماعية .

- استفاد الشعر القديم لاغراضه المبروة () وضرورة التجديد

الفني في الشكل والموضوع .

أية ملاحظات أخرى : —

ليلي علوش

١٩٧٧/٥/٢٦

استبانة شخصية

====

- الاسم : ماري صروف شحادة
- مكان الولادة : يافا
- تاريخ الولادة : ١٩٠١
- الجنسية : اردنية - فلسطينية
- مكان الإقامة الحالي : رام الله
- الديانة : المسيحية
- الحالة الاجتماعية : عدد الاخوة ٥ عدد الاخوات ٥
أرملة ١
- المهنة الحالية : مدرسة ٥ محورة صفحة المرأة في
جريدة مرآة الشرق ٥ مذيمة للبرامج
الاذاعية الاجتماعية المكونة من قبل
يافا ١٩٠٥ - ١٩٠٨
- الدراسة الابتدائية : يافا ١٩٠٥ - ١٩٠٨
- الدراسة الثانوية : الفرندز - رام الله ١٩٠٨ - ١٩١٤
- الدراسة الجامعية : الكلية الانجليزية - القدس ١٩١٩ - ١٩٢١
- دراسات اخرى : —
- النشاط الادبي : كتابة مقالات أدبية في مجلات وصحف
مختلفة .
- النشاط الاجتماعي : عضو مؤسس لجمعية السيدات المسيحيات
الانجيليات في القدس .
عضو مؤسس لجمعية السيدات العربيات
في القدس عام ١٩٢٥ .

- الهواية المفضلة : المطالعة
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية
بواكير الانتاج الادبي : مقالات اجتماعية تربوية
المطبوعات : —

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني :

— والدي المرحوم أسبيرو صروف

— زوجي المرحوم بولص شحادة

المقرات المفضلة : كتب جبران 6 هي زيادة •

أحب الاشكال الادبية لديك : لافسوق

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

أدب المرأة الفلسطينية لا يمتثلان به ، ولو أنه في أول الطريق

ومعظمه ينهج من احساس ومشاعر صادقة ، ومحوره النكسة

الفلسطينية ، ويحتاج الى تشجيع ونقد بناء •

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :

المشاركة لاتزال قليلة ومن البارزات الائمة فدوى طوقان •

رأيك في الاسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث في تجاريتها الشعرية :

هذا اللون من الشعر غير مقيد بقافية ، واسهل ()

أية ملاحظات أخرى : أرجو لك التوفيق في رسالتك

ماري صروف شحادة

١٩٧٧/٥/١٠

بواكير الانتاج الادبي : لا احتفظ الا بالقليل جدا من بواكير

انتاجي وهو غير مطبوع .

المطبوعات : ديوان اكليل الشوك سنة ١٩٦٨

قصائد مرقوشة على مسلة الاشرفية

(مع عدد من الشعراء الفلسطينيين) ١٩٧١

رسائل حب لاسم مطارد ١٩٧٤

عن الدموع والفرح الاثني ١٩٧٥

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني :

ابي واهتمامها الواسع بالشعر والادب عموما ، ثم توجيهها

المستمر لي في هذا المضمار .

القراءات المفضلة : الشعر والادب عموما

احب الاشكال الادبية لديك : الرواية

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

لازال التمييز ضد المرأة في مجتمعنا العربي الفلسطيني

مستمرا ورغم المشاركة الواسعة للنساء في مجتمعنا الفلسطيني

في العمل وفي الثورة ، الامر الذي فرضته الظروف القاسية

التي واجهت شعبنا منذ بداية القرن ، الا ان دور المرأة

في مجتمعنا لم يتغير . ان الخطى والابداع مسئولية ولا

يستطيع التصدي لهذه المسئولية ، الا من يتحملها اساسا

في المجتمع . . . في مجتمعنا لازالت المرأة غير مسئولة

وتتحمل الواجبات دون حقوق . هذا بالإضافة الى ان مجتمعنا

بحاجة الى توجيه اهتمام خاص يحث المرأة على المشاركة

الواسعة والجادة . .

ان الاهتمام بتعليم الفتيات على قدم المساواة مع الفتيان ثم ببرامج تطوير التعليم والتركيز على البرامج الثقافية والارتقاء بالذوق الفني للجماهير ان النضال على الجبهة الثقافية التي جانب اشكال النضال الاخرى من شأنه ان يوسع مشاركة النساء في مضمار الادب والفن ، يجب ان يخرج دور المرأة من اطار الطليعة الى المشاركة الواسعة للنساء في المجتمع وسيكون لذلك انعكاسا على الادب والفن ايضا .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي الانساني :
ان هناك طليعة نسائية في مجال الادب .. لكن هناك طاقات كافية في نساءنا لم تتفجر بمدى نتيجة الاسباب التي اوردتها آنفا . اما في مشاركة الطليعة .. فقد نالت فدوى طوقان هذا العام جائزة افضل شاعرة في منطقة البحر المتوسط وهي رائدة من رواد الشعر العربي الحديث ، وسامية عزام رائدة في مجال القصة .. وسلي الخضرا الجبوسى تمدت شهرة النطاق العربي الى العالم ، وترجماتها الادبية المعروفة وكذلك شعرها .. وهي استاذة للادب في جامعة كولورادو في امريكا .

رأيك في الاسباب التي دفعت الشاعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاوبها الشعرية :

ما معنى الحدائق ههنا : حتى الان لم يفتق على معنى للحدائق ؟ اذا كت معنى الشكل (شكل القصيدة) اي عدم

الالتزام بالقافية والوزن ... فأننى ارى على الاقل ان الشعراء
اللواتى يعرفهن يلتزم به .. انا شخصيا التزم بالوزن ولا اعتبر
ان الشعر اذا خرج عن هذا الاطار .
اما اذا كانت الحدائق فى الموضوع ، فموضوعات الحياة تتسع
يوميا مما يفترض على الشاعر تطوير قوالبه واشكاله بحيث
تتسع بكل ما تزخر به الحياة من جديد .
ارى دائما ان المضمون هو الذى يفترض شكل القصيدة ..
لذلك لانستطيع فصل شكل القصيدة عن مضمونها ، ولا اظن
انك قصدت ان تكتب الشعراء الفلسطينيين شعرا جاهليا
فى الوقت الذى قطعت فيه حربة الشعر العربى شوطا
بعيدا على طريق تحديث الشعر .

أية ملاحظات أخرى ؛ —

مى صايغ

١٩٧٨/٤/٣

استبانة شخصية

=====

- الاسم : نائلة هاشم صبرى
- مكان الولادة : قلقيلية
- تاريخ الولادة : ١٩٣٢/١٢/٢٩
- الجنسية : اردنية - فلسطينية
- مكان الإقامة الحالية : القدس
- الحالة الاجتماعية : متزوجة - عدد الاخوة - عدد الاخوات
- المحل الحالي : رسة بيست
- الاعمال التي سبق ممارستها : مدرسة *
- الدراسة الابتدائية : قلقيلية ؟
- الدراسة الثانوية : نابلس المدرسة المائثية ١٩٥٩ - ١٩٦٢
- الدراسة الجامعية : -
- دراسات اخرى : مطالبات خاصة
- النشاط الادبي : مقالات اجتماعية ودينية *
- النشاط الاجتماعي : -
- نشاط آخر : -
- الهواية المفضلة : الكتابة والمطالمة
- اللغة الام : اللغة العربية
- اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية
- بواكير الانتاج الادبي : خواطر أدبية أديعت من محطة أن لسة
- لندن *

- المطبوعات : ومضة في الظلام مقالات ١٩٧٢
كواكب النساء " ١٩٧٨
فلسطينية سابقى " تحت الطبخة

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : والدي المرحوم

• الشيخ هاشم صبري

القراءات الغفلة : البحوث الدينية والاجتماعية

• أحب الاشكال الادبية لديك : المقالات ، والقصة بأنواعها

رأيك في آداب المرأة الفلسطينية : —

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب المرير

والانسانى : —

رأيك في الاسباب التي دفعت الشاعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر

الحديث في تجاربها الشعرية : —

آية ملاحظات أخرى :

لحد للطبع أربعة كتب :

خيوط الاشعة

دليل الحيارى

صور ومشاهد

منهل المحشى

ناطقة صبري

١٩٧٩/١/٢٢

استبانة شخصية

=====

- الاسم : هديعة عبد الهادي (٢)
- مكان الولادة : جنين
- تاريخ الولادة : ١٩٢٨
- الجنسية : اردنية - فلسطينية
- مكان الإقامة الحالي : الحبانة - العراق
- الديانة : الاسلام
- الحالة الاجتماعية : (٢) عدد الاخوة - عدد الاخوات ٣
- الممثل الحالي : -
- الاعمال التي سبق ممارستها : مدرسة ، مديرة مدرسة ، رئيسة قسم الصحة المدرسية في وزارة التربية والتعليم الاردنية .
- الدراسة الابتدائية : جنين ١٩٣٥ - ١٩٤١
- الدراسة الثانوية : جنين ١٩٤١ - ١٩٤٤
- الدراسة الجامعية : القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٦ (٢)
- دراسات اخرى : دورات تربية قصيرة
- النشاط الادبي : مدرسي ، اذاعي ، صحفي .
- النشاط الاجتماعي : الجمعيات الخيرية
- نشاط آخر : - وضع مادة مهرجانات الاصطياف في مدينة رام الله والبيروت .
- وضع مادة النشاط الادبي للمرشحات والكشاف - البيروت .

- تأليف الاغانى والاهازيج الوطنية للاذاعة والتليفزيون *

والمدارس *

الهواية الفغضية : قرص الشـمـر

اللغة الام : اللغة المصرية

اللغات الاخرى : قليل من اللغة الانجليزية

بواكير الانتاج الادبى : شعر ١٩٥٣

المطبوعات : - الوميض (٢)

- على ضفاف الاردن (٢)

- مما الى القصة - شعر وتعليقات

- رجال من صخور - شعر

الشخوص التى كان لها تأثير فى تشكيلك الفنى : الممتنى وشوقى

القصاصات المفضلة : القصة البوليسية ، الشعر

أحب الاشكال الادبية لديك : الشعر والمسرحية *

رأيك فى أدب المرأة الفلسطينية : جيد اذا أخذنا بالاعتبار حداثة

عهد المرأة فى النزول الى هذا

الميدان *

رأيك فى مدى مشاركة المرأة الفلسطينية فى مجال الادب العربى والانسانى :

محدودة جدا على ما أعرف ، هذا بالنسبة لمشاركتها فى

مجال الادب العربى اما فى المجال الانسانى فأظن ان -

مشاركتها اكبر نسبيا (؟)

رأيت في الاسباب التي دفعت الشاعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر الحديث في تجاربها الشعرية :

أعتقد أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على المرأة ، وأظن ان ذلك راجع لسهولة وضعه وامكانية إبراز الفكرة بحرية أكثر كما أنني لاحظت اقبالا على قراءة هذا النوع من الشعر لان البعض يرون فيه ما يساير روح العصر ، فكثير من الناس يفضلون قراءة المادة السهلة توفيرا للوقت بمسند أن أصبح التلفزيون والاذاعة يقدمان له الكثير مما يرضيه أحيانا ، ويصيبه بالملل أحيانا أخرى .

آية ملاحظات أخرى :

أتصور ان البحث في الحركة الادبية الفلسطينية او الحركة الشعرية الفلسطينية على شكل كل متكامل ، بأن لايفصل اداء المرأة عن اداء الرجل (؟) بعد أن أصبح الجنسان يتالان فوصا متساوية في التعليم والممارسة كما أنني أعتقد أن الموهبة وصدق الحس والمقدرة على الابداع ليست مقصورة على فريقي دون آخر . أتمنى لك التوفيق وأرجو الله ان يحقق الآمال بالشباب المخلص الطموح وأرجو ان تقبل تحياتي .

هدية عبد الهادي

١٩٧٧/١٠/١٧

استبانة شخصية

====

- الاسم : هيام رمزي الدرديتحى
مكان الولادة : يافا
تاريخ الولادة : ١٩٤٢/٢/٤
الجنسية : ليبية - فلسطينية *
مكان الإقامة الحالي : طرابلس - ليبيا
الديانة : الاسلام
الحالة الاجتماعية : متزوجة
المحل الحالي :
الدراسة الابتدائية : طرابلس ١٩٤٨ - ١٩٥٢
الدراسة الثانوية : طرابلس ١٩٥٢ - ١٩٥٨
الدراسة الجامعية : بنغازي ١٩٧٢ - ١٩٧٦
دراسات اخرى : اعداد ماجستير بقسم الاجتماع في كلية آداب
جامعة القاهرة *
النشاط الادبي : شعر ورواية
النشاط الاجتلي :
نشاط آخر :
الهواية المفضلة : الكتابة ، الرحلات *
اللغة الام : اللغة العربية
اللغات الاخرى : اللغة الانجليزية واللغة الايطالية *

بواكير الانتاج الادبي : شعر ١٩٦٦

المطهرات : - زهرات في ربيع العمر ديوان شعر ١٩٦٦

- الحان واحزان ديوان شعر ١٩٦٨

- دموع الناي ديوان شعر ١٩٦٩

- الى اللقاء في يافا رواية ١٩٧٠

- ودلعا يا أمس رواية ١٩٧٤

- اغنيات للقمر ديوان شعر ١٩٧٤

- النظرة والاعصار رواية ١٩٧٦

الشخص التي كان لها تأثير في تشكيلك الفني : والدي وزوجي

القراءات المفضلة : الشعر القديم ، الرواية

أحب الاشكال الادبية لديك : الشعر الكلاسيكي

رأيك في أدب المرأة الفلسطينية :

لم اقرأ الا للشاعرة فدوى طوقان وهي

أديبة عظيمة .

رأيك في مدى مشاركة المرأة الفلسطينية في مجال الادب العربي والانساني :

مشكلة الادبية الفلسطينية هي جزء من مشكلة الادبية العربية

بصفة عامة بالاضافة الى أن الادب الفلسطيني بصورة عامّة

لاتتاح له الفرصة الكافية للنشر نتيجة ضعف الاعلام ، وأن

الظروف السياسية تمنع ابداع الاديب الفلسطيني ، وتستحوذ

على النصيب الاكبر من معاناته وبذلك من الصعب أن يكون

أدبا انسانيا مادام ملتزما بقضية قومية خاصة () ()

رأيك في الأسباب التي دفعت الشعرة الفلسطينية الى اعتماد الشعر
الحديث في تجاريتها الشعرية :

إذا كنت تعنى الشعر الحديث من حيث المضمون فذلك
لأنه لغة العصر أما إذا كنت تعنى بالشعر الحديث الشعر
الحركي كما قد يحلو للبعض تسميته فإنها الحاجة الى سهولة
وسرعة التمييز (؟) هذا على افتراض أن الشعرة هي شعرة
بالفصل ، والا جاء كلامها مجرد كلام مفسور بلا لون ولا طعم .

آية ملاحظات أخرى :

أتمنى لو نتاح لي فرصة الاطلاع على أطروحتك ، لأنه يهمني
جدا أن اتعرف الى الادب النعوي الفلسطيني ، ولا شك
أن الانسان الفلسطيني قد قدم الكثير لأمته العربية فسي
مجالات العلم والسياسة والفن والادب ، والانسان الفلسطيني
بحق ، هو صانع التاريخ العربي الحديث ()

تمنية لك النجاح والتوفيق .

هيام الدردنحي

١٩٧٧/٩/١٥



قائمة المحتويات

====

الصفحة	
	المقدمة
١	تمهيد
	الباب الأول : "المجتمع الفلسطيني منذ ١٩١٤-١٩٧٤"
	الفصل الأول : دراسة اجتماعية وثقافية وسياسية
٨	موجزة
	الفصل الثاني : دور المرأة الفلسطينية في الحياة
١٨	الاجتماعية والحياة الثقافية
	الفصل الثالث : دور المرأة الفلسطينية في الحياة
٣٦	السياسية
	الباب الثاني : " المرأة الفلسطينية والشعر"
٦٠	الفصل الأول : المرحلة الأولى ١٩١٤ - ١٩٤٨
٧٩	الفصل الثاني : المرحلة الثانية ١٩٤٨ - ١٩٦٧
١١١	الفصل الثالث : المرحلة الثالثة ١٩٧٦ - ١٩٧٤
	الفصل الرابع : الاتجاهات المائلة لشعر المرأة
١٣٤	الفلسطينية الحديث
١٦٤	الفصل الخامس : الأطار الثقافي للشواعر الفلسطينيات
	الباب الثالث : " المرأة الفلسطينية والقصة"
١٨٣	الفصل الأول : المرحلة الأولى ١٩١٤ - ١٩٤٨
٢٠٦	الفصل الثاني : المرحلة الثانية ١٩٤٨ - ١٩٦٧
٢٣٩	الفصل الثالث : المرحلة الثالثة ١٩٦٧ - ١٩٧٤

		الباب الرابع : " المرأة الفلسطينية والمقالة "	-
٢٨٧	١٩٤٨ - ١٩١٤	الفصل الأول : المرحلة الأولى	-
٣٤٠	١٩٦٧ - ١٩٤٨	الفصل الثاني : المرحلة الثانية	-
٣٨١	١٩٧٤ - ١٩٦٧	الفصل الثالث : المرحلة الثالثة	-
٤١٥	الخاتمة	-
٤٢١	ثبت المصادر والمراجع	-
٤٤٣	ملحق	-
٤٩٦	قائمة المحتويات	-